



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مصابيح الأندلس

قبسات من أنوار النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام
وولييه

قبسات من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

وتفضل فسر معتقها الدينية



الشيخ بيوت الحائري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مصابيح الانوار قبسات من انوارالنبي واهل بيته الاطهار عليه السلام ويليه قبسات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليهاالسلام

كاتب:

ايوب حائري

نشرت في الطباعة:

زائر - آستان مقدس حضرت معصومه عليها السلام

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
22	مصاييح الانوار قبسات من انوار النبي و اهل بيته الاطهار عليه السلام و يليه قبسات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام
22	اشارة
23	اشارة
27	الفهرس الإجمالي للموضوعات
31	كلمة إدارة البحوث
33	تقديم
35	مقدمة المؤلف
37	المصباح الأول: قبسات من أنوار النبي الأعظم صلي الله عليه وآله
37	اشارة
39	القبس الأول: ميلاد النبي الأكرم صلي الله عليه وآله
39	اشارة
41	الحوادث العجيبة يوم ولادة النبي صلي الله عليه وآله
42	الإحتفال بذكرى المولد النبوي صلي الله عليه وآله
43	الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله محور الوحدة
45	القبس الثاني: السفر الأول للنبي صلي الله عليه وآله مع عمه إلي الشام
48	القبس الثالث: النبي محمد صلي الله عليه وآله في حلف الفضول
50	القبس الرابع: السفر الثاني للنبي صلي الله عليه وآله إلي الشام وزواجه بخديجة
50	اشارة
52	الحب والإحترام المتبادل
53	ثمرة الزواج الميمون
56	القبس الخامس: بعثة النبي صلي الله عليه وآله وهبوط جبرئيل بالرسالة
56	اشارة

58 نظرية النزولين للقرآن

60 بماذا بعث النبي محمد صلي الله عليه وآله

61 سهولة الشريعة الإسلامية وسمو تعاليمها

63 القرآن الكريم

65 القبس السادس: إسرائ النبي صلي الله عليه وآله ومعراجه

65 إشارة

68 بعض ما رآه النبي في المعراج

69 القبس السابع: النبي صلي الله عليه وآله في شعب أبي طالب

71 القبس الثامن: النبي صلي الله عليه وآله و عام الحزن

71 إشارة

71 خديجة الكبرى أم المؤمنين عليها السلام

73 أبو طالب كافل الرسول صلي الله عليه وآله وناصره

76 القبس التاسع: هجرة النبي صلي الله عليه وآله إلي يثرب

76 إشارة

78 قریش تتآمر لقتل النبي صلي الله عليه وآله

81 وصول النبي إلي يثرب وبناء أول مسجد في الإسلام

82 لحوق علي عليه السلام بالنبي في قباء

83 المدينة تهب لقدم النبي صلي الله عليه وآله

84 النبي صلي الله عليه وآله وبناء المسجد في المدينة

86 وضع التاريخ الهجري

88 القبس العاشر: النبي صلي الله عليه وآله والمؤاخاة

88 إشارة

90 أبعاد وتناج التآخي بين المسلمين

91 النبي صلي الله عليه وآله وحقوق الإخوان

92	القبس الحادي عشر: النبي صلي الله عليه وآله وغزوة بدر الكبرى
92	اشارة
94	المعركة وتناجها
95	دروس وعبر من غزوة بدر
95	بين بدر وكربلاء
97	القبس الثاني عشر: النبي صلي الله عليه وآله وتحويل قبلة المسلمين
97	اشارة
99	كرامة علمية لرسول الله صلي الله عليه وآله
100	القبس الثالث عشر: النبي صلي الله عليه وآله و صلح الحديبية
100	اشارة
102	التاريخ يعيد نفسه
103	شروط صلح الحديبية
105	القبس الرابع عشر: النبي صلي الله عليه وآله و فتح مكة المكرمة
105	اشارة
106	العفو العام وكسر الأصنام
107	خطاب النبي صلي الله عليه وآله في المسجد الحرام
109	القبس الخامس عشر: وفاة إبراهيم ابن النبي صلي الله عليه وآله
111	القبس السادس عشر: النبي صلي الله عليه وآله في غزوة مؤتة
114	القبس السابع عشر: النبي صلي الله عليه وآله في غزوة تبوك
114	اشارة
116	إستخلاف الإمام علي عليه السلام في المدينة
117	النبي صلي الله عليه وآله في طريقه إلى تبوك
118	المنافقون يخططون لإغتيال النبي صلي الله عليه وآله
120	القبس الثامن عشر: النبي صلي الله عليه وآله في يوم المباهلة
122	القبس التاسع عشر: النبي صلي الله عليه وآله في حجة الوداع

- 122 اشارة
- 124 خطبة الرسول صلي الله عليه وآله في المروة
- 125 النبي صلي الله عليه وآله في عرفات
- 125 من خطبة الرسول صلي الله عليه وآله في عرفات
- 127 النبي صلي الله عليه وآله في المشعر الحرام
- 128 النبي صلي الله عليه وآله أيام التشريق
- 130 خطبة النبي صلي الله عليه وآله بمنى أيام التشريق
- 131 خطبة النبي صلي الله عليه وآله في مسجد الخيف
- 132 واقعة غدیر خم
- 134 القبس العشرون: النبي صلي الله عليه وآله إلي الرفيق الأعلى
- 134 اشارة
- 136 من وصايا النبي للإمام علي عليه السلام
- 137 الرّحيل إلي الرفيق الأعلى
- 141 قيس الختام: الأخلاق النبوية صلي الله عليه وآله
- 141 اشارة
- 142 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع ربّه
- 143 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع نفسه
- 144 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع زوجته
- 144 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع أصحابه
- 145 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع عامة الناس
- 146 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع الصبيان
- 147 علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع الضعفاء
- 149 المصباح الثاني: قيسات من أنوار فاطمة الزهراء عليها السلام
- 149 اشارة
- 151 القبس الأول: ميلاد فاطمة الزهراء عليها السلام

- 154 القبس الثاني: هجرة الزهراء عليها السلام من مكّة
- 155 القبس الثالث: زواج الزهراء و الإمام علي عليه السلام
- 158 القبس الرابع: من فضائل الزهراء عليها السلام ومناقبها
- 160 القبس الخامس: حزن الزهراء عليها السلام علي أبيها
- 166 القبس السابع: شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام
- 166 اشارة
- 167 حزن أمير المؤمنين عليه السلام علي الزهراء عليها السلام
- 170 الأقوال في محلّ دفن الزهراء عليها السلام
- 173 المصباح الثالث: قبسات من أنوار الإمام علي عليه السلام
- 173 اشارة
- 175 تمهيد
- 175 الإمام علي عليه السلام وليد الكعبة وشهيد المحراب
- 177 القبس الأول: الإمام علي عليه السلام وليد الكعبة وريب النبي صلي الله عليه وآله
- 177 اشارة
- 178 الإمام علي عليه السلام ربيب النبي صلي الله عليه وآله
- 180 القبس الثاني: الإمام علي عليه السلام أوّل المؤمنين بالنبي صلي الله عليه وآله
- 183 القبس الثالث: مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي صلي الله عليه وآله
- 183 اشارة
- 185 هجرة الإمام علي عليه السلام الي المدينة المنورة
- 187 القبس الرابع: الإمام علي عليه السلام في غزوة بدر الكبرى
- 187 اشارة
- 188 ثلاثة آلاف منقبة لعلي في ليلة
- 190 القبس الخامس: زوجات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده
- 190 اشارة
- 190 زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام

- 192 سانز زواجات الإمام علي عليه السلام وأولاده
- 195 القبس السادس: دور علي عليه السلام
- 195 في غزوة أحد
- 196 هزيمة المسلمين ووقوف الإمام عليه السلام
- 198 القبس السابع: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق
- 198 (الأحزاب)
- 199 برز الإيمان كله إلي الشرك كله
- 203 القبس الثامن: الإمام علي عليه السلام
- 203 وغزوة ذات السلاسل
- 205 القبس التاسع: فتح حصون خيبر بيد الإمام علي عليه السلام
- 205 إشارة
- 206 أنا الذي سمّيتني أمي حيدرة
- 209 حواظ فذك
- 210 خبر ردّ الشمس لعلي عليه السلام
- 211 القبس العاشر: أدوار الإمام علي عليه السلام في فتح مكّة المكرّمة
- 211 إشارة
- 211 الدور الأول: أخذ الراية من سعد
- 213 الدور الثاني: تحطيم الأصنام
- 214 القبس الحادي عشر: الإمام علي عليه السلام في أرض طي
- 216 القبس الثاني عشر: علي عليه السلام يبلغ سورة براءة في الحج
- 220 القبس الثالث عشر: علي بن أبي طالب عليه السلام في اليمن
- 223 القبس الرابع عشر: علي عليه السلام يوم غدیر خم
- 223 إشارة
- 225 نزول آية الولاية في مكّة
- 225 واقعة غدیر خم

- 229 الإستشهاد بواقعة الغدير
- 230 عيد الغدير في التاريخ الإسلامي
- 232 حديث الغدير لا يقبل التأويل
- 233 بيان وتحليل لواقعة الغدير
- 235 القبس الخامس عشر: علي عليه السلام يوم غدير خم
- 235 إشارة
- 238 من وصايا النبي للإمام علي عليه السلام
- 239 القبس السادس عشر: البيعة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة
- 239 إشارة
- 241 المبايعون لعلي والمتخلفون عنه
- 244 معطيات خلافة الإمام علي عليه السلام
- 249 القبس السابع عشر: علي عليه السلام يقاتل الناكثين (معركة الجمل)
- 249 إشارة
- 251 علي عليه السلام يتخذ الكوفة عاصمةً لخلافته
- 252 القبس الثامن عشر: علي عليه السلام يقاتل القاسطين (وقعة صفين)
- 252 إشارة
- 254 شهادة الصحابي عمّار رضي الله عنه
- 256 فتنة رفع المصاحف
- 257 مرحلة التحكيم
- 258 الحكمان في دومة الجندل
- 260 الإمام علي عليه السلام في الكوفة
- 261 القبس التاسع عشر: علي عليه السلام يقاتل المارقين (الخوارج في نهروان)
- 261 إشارة
- 263 الخوارج يتآمرون علي قتل علي عليه السلام
- 266 القبس العشرون: الإمام علي عليه السلام شهيد المحراب

266	اشارة
269	فرت ورب الكعبة
271	ليلة شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
275	شهادة الإمام علي عليه السلام وتجهيزه ودفنه
278	قبس الختام: مقتطفات من القصيدة الكوثرية ..
281	المصباح الرابع: قبسات من أنوار الإمام الحسن عليه السلام
281	اشارة
283	القبس الأول: ميلاد الحسن عليه السلام وإجراء السنن
290	القبس الثالث: حرب الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية
290	اشارة
291	غدروا بالحسن وهو في المدائن
294	القبس الرابع: صلح الحسن عليه السلام مع معاوية
294	اشارة
296	شروط الصلح وبنودها
299	القبس الخامس: شهادة الحسن عليه السلام ومراثيه
299	اشارة
300	شهادة الإمام الحسن عليه السلام وتجهيزه ودفنه
305	المصباح الخامس: قبسات من أنوار الإمام الحسين عليه السلام
305	اشارة
307	القبس الأول: ميلاد الحسين عليه السلام وإجراء السنن
309	القبس الثاني: ملامح من حياة الإمام الحسين عليه السلام
309	اشارة
311	الإمام الحسين عليه السلام ومقدمت الثورة
312	القبس الثالث: المدينة إنطلاق ثورة الإمام الحسين عليه السلام
312	اشارة

- 313 وصايا الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة
- 316 القبس الرابع: الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرّمة
- 316 إشارة
- 317 أهل الكوفة يدعون الإمام الحسين عليه السلام
- 320 القبس الخامس: الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكّة
- 323 القبس السادس: الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق
- 323 إشارة
- 324 لقاء الحرّ بالإمام الحسين عليه السلام
- 328 القبس السابع: الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء
- 328 إشارة
- 329 تاسوعاء محرم الحرام
- 331 ليلة عاشوراء من محرم
- 333 الإمام وأصحابه ليلة عاشوراء
- 334 القبس الثامن: يوم عاشوراء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام
- 334 إشارة
- 336 دفن شهيد كربلاء
- 338 القبس التاسع: زيارات الإمام الحسين عليه السلام
- 338 إشارة
- 341 قيس الختّام
- 343 المصباح السادس: قيسات من أنوار الإمام زين العابدين عليه السلام
- 343 إشارة
- 345 القبس الأول: لمحات من سيرة الإمام السّجاد عليه السلام
- 345 إشارة
- 348 عرض موجز لرسالة الحقوق
- 351 القبس الثاني: علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء والكوفة

- 354 القبس الثالث: الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام
- 354 اشارة
- 355 خطاب الإمام السَّجَاد عليه السلام في الشام
- 358 القبس الرابع: الإمام السَّجَاد عليه السلام في طريقه إلى المدينة
- 363 القبس الخامس: الإمام السجَاد عليه السلام و الثورات بعد الطف
- 363 اشارة
- 363 الإمام السجَاد عليه السلام واقعة الحرة
- 364 الإمام السجَاد عليه السلام و قيام المختار
- 368 القبس السادس: شهادة الإمام السجَاد عليه السلام
- 369 المصباح السابع: قبسات من أنوار الإمام الباقر عليه السلام
- 369 اشارة
- 371 القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الباقر عليه السلام
- 375 القبس الثاني: الجانب العبادي و الاجتماعي في الإمام الباقر عليه السلام
- 375 اشارة
- 375 الجانب الاجتماعي في الإمام الباقر عليه السلام
- 377 القبس الثالث: الجانب العلمي في الإمام الباقر عليه السلام
- 380 القبس الرابع: الإمام الباقر عليه السلام في الشَّام
- 386 القبس الخامس: شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام
- 389 المصباح الثامن: قبسات من أنوار الإمام الصادق عليه السلام
- 389 اشارة
- 391 القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الصادق عليه السلام
- 395 القبس الثاني: المقام العلمي للإمام الصادق عليه السلام
- 395 اشارة
- 398 الإمام الصادق عليه السلام والجامعة العلمية
- 401 القبس الثالث: الإمام الصادق عليه السلام و أبو حنيفة

- 406 القبس الرابع: الإمام الصادق عليه السلام و المجالس الحسينية .
- 407 القبس الخامس: الإمام الصادق عليه السلام و ثورة زيد .
- 410 القبس السادس: مواقف الإمام الصادق عليه السلام تجاه حركة العباسيين .
- 410 اشارة .
- 411 الإمام الصادق عليه السلام يحذّر العلويين و شيعته .
- 413 أبو مسلم يعرض الخلافة علي الإمام الصادق عليه السلام .
- 414 القبس السابع: لقاءات الإمام جعفر الصادق عليه السلام مع جعفر المنصور .
- 414 اشارة .
- 414 لقاء الإمام الصادق عليه السلام مع جعفر المنصور بالربذة .
- 415 لقاء المنصور و الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة .
- 417 آخر لقاء المنصور بالإمام الصادق عليه السلام بالمدينة .
- 419 القبس الثامن: شهادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام .
- 421 المصباح التاسع: قبسات من أنوار الإمام الكاظم عليه السلام .
- 421 اشارة .
- 423 القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الكاظم عليه السلام .
- 427 القبس الثاني: الإمام الكاظم عليه السلام و خلفاء عصره .
- 430 القبس الثالث: الإمام الكاظم عليه السلام في خلافة الرشيد .
- 430 اشارة .
- 430 الرشيد و الإمام الكاظم عليه السلام في المدينة .
- 434 الإمام الكاظم عليه السلام في البصرة .
- 436 القبس الرابع: حوارات بين الإمام الكاظم و الرشيد في بغداد .
- 436 اشارة .
- 438 حدود فذلك عند الإمام الكاظم عليه السلام .
- 439 القبس الخامس: الإمام الكاظم و صفوان الجمال .
- 441 القبس السادس: الإمام الكاظم و علي بن يقطين .

444 القبس السابع: الإمام الكاظم وهشام بن الحكم
447 القبس الثامن: الإمام الكاظم عليه السلام في سجون بغداد
447 إشارة
448 صلاة الإمام الكاظم في سجن السندي
451 القبس التاسع: شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام
453 المصباح العاشر: قبسات من أنوار الإمام الرضا عليه السلام
453 إشارة
455 القبس الأول: الإمام الرضا عليه السلام في سطور مضنية
457 القبس الثاني: إمامة الرضا عليه السلام وخصائصه الأخلاقية وعبادته
457 إشارة
457 الإمامة عند الإمام الرضا عليه السلام
458 أخلاق الإمام الرضا عليه السلام
459 من وصايا الإمام الرضا عليه السلام
461 عبادة الرضا عليه السلام من المدينة إلي مرو
462 القبس الثالث: الرضا عليه السلام عالم آل محمد
467 القبس الرابع: الإمام الرضا عليه السلام في طريقه إلي خراسان
467 إشارة
471 خارطة مسير الإمام الرضا عليه السلام
472 القبس الخامس: الإمام الرضا عليه السلام ومسألة ولاية العهد
472 إشارة
475 الدوافع السياسية لولاية العهد
477 أسباب قبول الإمام بولاية العهد
478 ولاية العهد، في نظر الإمام الخامنئي (دام ظله)
479 المأمون وولاية العهد (دوافع وأهداف)
480 سياسة الإمام الرضا عليه السلام تجاه المأمون

483 القبس السّادس: الإمام الرضا عليه السلام و دعبل الخزاعي
483 اشارة
485 مقتطفات من القصيدة الثانية لدعبل
488 القبس السّابع: الرضا عليه السلام من مرو الخلافة إلي طوس الشهادة
488 اشارة
489 المأمون في طريقه إلي بغداد
490 شهادة الرضا عليه السلام في طوس
493 القبس الثامن: كرامات الإمام الرضا عليه السلام و فضل زيارته
495 فضل زيارة الإمام الرضا عليه السلام
496 كيفية زيارة الإمام الرضا عليه السلام
498 قبس الختام: أهم المعالم الدينية في مدينة مشهد وضواحيها
503 المصباح الحادي عشر: قبسات من أنوار الإمام الجواد عليه السلام
503 اشارة
505 القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الجواد عليه السلام
508 القبس الثاني: الإمامة المبكرة للجواد عليه السلام
511 القبس الثالث: مناظرة الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم
514 القبس الرابع: الحوارين الإمام الجواد عليه السلام و يحيى بن أكثم
517 القبس الخامس: حكم الجواد عليه السلام في حدّ السرقة
519 القبس السادس: شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام
521 المصباح الثاني عشر: قبسات من أنوار الإمام الهادي عليه السلام
521 اشارة
523 القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الهادي عليه السلام
525 القبس الثاني: إشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلي سامراء
528 القبس الثالث: الإمام الهادي عليه السلام يجيب علي الاسئلة العويصة
528 اشارة

- 528 ابن السكيت يسأل والإمام الهادي عليه السلام يجيب ..
- 530 ابن أكنم يسأل والإمام الهادي عليه السلام يجيب ..
- 531 أجوبة الإمام الهادي عليه السلام ..
- 535 القبس الرابع: الإمام الهادي عليه السلام ينشد شعراً عند المتوكل ..
- 537 القبس الرابع: استجابة دعاء الإمام الهادي عليه السلام ..
- 539 القبس الخامس: الإمام الهادي عليه السلام والرجل الإصفهاني ..
- 540 القبس السادس: من كرامات الإمام الهادي عليه السلام ..
- 542 القبس السابع: الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام ..
- 544 القبس الثامن: شهادة الإمام علي الهادي عليه السلام ..
- 545 المصباح الثالث عشر: قبسات من أنوار الإمام الحسن العسكري عليه السلام ..
- 545 إشارة ..
- 547 القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ..
- 549 القبس الثاني: نشاطات الإمام الحسن العسكري عليه السلام ..
- 549 إشارة ..
- 549 الأول: نصب الوكلاء، والنواب لدعم الشيعة ..
- 550 الثاني: الإعداد لعصر غيبة المهدي عليه السلام ..
- 552 القبس الثالث: من وصايا الإمام العسكري عليه السلام لشيعة ..
- 554 القبس الرابع: شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ..
- 555 المصباح الرابع عشر: قبسات من أنوار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ..
- 555 إشارة ..
- 557 القبس الأول: المهدي الموعود في الشرايع السماوية ..
- 557 إشارة ..
- 560 * - المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف في روايت أهل السنّة ..
- 562 القبس الثاني: ميلاد الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ..
- 562 إشارة ..

- 564 * - ولادة الإمام عليه السلام بين الإعلان والكتمان .
- 567 القبس الثَّالِث: الإمامة المبكرة للإمام المهدي عليه السلام ..
- 570 القبس الرَّابِع: غيبة الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار ..
- 570 إشارة ..
- 570 * - أسباب غيبة الإمام المنتظر عليه السلام ..
- 571 * - الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام ..
- 573 * - النوبات الأربعة للإمام الغائب عليه السلام ..
- 575 * - الغيبة الكبرى للإمام المنتظر عليه السلام ..
- 577 * - ما الفائدة في وجود إمامٍ غائبٍ ؟ ..
- 578 * - كيف عمَّرَ الإمام عليه السلام إلى هذا اليوم ؟ ..
- 581 القبس الخامس: مكان الإمام عليه السلام وأماكن رؤيته ..
- 581 إشارة ..
- 583 * - المقدَّس الأردبيلي يتشرف بلقاء الإمام عليه السلام ..
- 585 القبس السَّادس: حضور الإمام عليه السلام في الأماكن المقدَّسة ..
- 587 القبس السَّابع: ماهو الإنتظار الحقيقي للظهور ؟ ..
- 587 إشارة ..
- 587 * - تكاليف المؤمنين زمن الغيبة ..
- 589 الدَّعاء للحجَّة المنتظر ..
- 592 القبس الثَّامن: علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام ..
- 592 إشارة ..
- 593 * - العلائم المحتمة لظهور المهدي عليه السلام ..
- 596 القبس التَّاسع: ظهور وقيام الإمام المهدي عليه السلام ..
- 596 إشارة ..
- 597 * - النبي عيسى، يقتدي بالإمام المهدي عليه السلام ..
- 599 القبس العاشر: دور الإيرانيين في نهضة المهدي عليه السلام ..

- 599 اشارة
- 601 * - إيران الإسلام تُمهّد لظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف .
- 603 القبس الحادي عشر: دولة المستضعفين والمحرومين
- 603 اشارة
- 604 * - إنجازات الدولة الكريمة وبركاتها ..
- 607 القبس الثّاني عشر: شهادة الإمام الثّاني عشر عليه السلام
- 611 - قبسات من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام
- 611 القبس الأول: السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في سطور
- 613 القبس الثاني: السيدة فاطمة في طريقها إلى قم
- 613 اشارة
- 615 خارطة مسير السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ..
- 616 القبس الثالث: وفاة السيدة فاطمة المعصومة بقم
- 619 القبس الرابع: من كرامات كريمة أهل البيت عليهم السلام ..
- 621 القبس الخامس: فضل زيارة فاطمة وكيفيتها
- 621 اشارة
- 623 قم في تاريخ الإسلام
- 623 اشارة
- 624 فضل قم وأهلها
- 625 قم وأهلها قائمون مقام الحجة
- 626 قم و مسجد جمكران المقدّس ..
- 628 قم معدن العلم والفضل ..
- 632 بعض مشاهير ومفاخر قم المقدسة ..
- 634 العلماء المدفونون في مقام السيدة المعصومة عليها السلام، في القرن الأخير: ..
- 635 أهم المعالم الدينية في قم وضواحيها
- 643 مسك الختام فضل زيارة قبور أولياء الله ..

643	اشارة
644	الزيارة الجامعة الصغيرة
645	زيارة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله
647	كلمة الشكر
649	فهرس المصادر
661	الفهرس التفصيلي للموضوعات
691	تعريف مركز

مصايح الانوار قبسات من انوار النبي و اهل بيته الاطهار عليه السلام و يليه قبسات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام

اشارة

سرشناسه: حائري، ايوب، 1344 -

عنوان و نام پديد آور: مصايح الانوار قبسات من انوار النبي و اهل بيته الاطهار عليه السلام و يليه قبسات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام... / ايوب الحائري؛ [براي] مديريت پژوهشي آستان مقدس قم.

مشخصات نشر: قم: زائر الروضه المقدسه، 1435 ق.= 2014 م.= 1393.

مشخصات ظاهري: 654 ص.

فروست: آستانه مقدسه قم، انتشارات زائر؛ شماره 437.

شابك: 120000 ريال 9-238-180-964-978

وضيعت فهرست نويسي: فايا

يادداشت: عربي.

يادداشت: كتابنامه: ص. [143] - 150؛ همچنين به صورت زير نويس.

موضوع: معصومه (س) بنت موسي كاظم (ع)، - 201 ق. -- سرگذشتنامه

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

موضوع: *Fourteen Innocents of Shiite -- Biography

موضوع: چهارده معصوم -- فضائل

موضوع: *Fourteen Innocents of Shiite -- Virtues

شناسه افزوده: آستانه مقدسه قم. مديريت پژوهشي

شناسه افزوده: آستانه مقدسه قم. انتشارات زائر

رده بندي كنگره: BP36/ح16م6 1393

رده بندي ديويي: 297/95

شماره كتابشناسي ملي: 2960656

ص: 1

اشاره

مصاييح الانوار قبسات من انوارالنبي و اهل بيته الاطهار عليه السلام و يليه قبسات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام

ايوب الحايري

ص: 3

الفهرس الإجمالي للموضوعات

كلمة إدارة البحوث 9

تقديم: المقدمة الشيخ اليوسفي الغروي 11

مقدمة المؤلف 13

المصباح الأول:

قبسات من أنوار النبي الأعظم صلي الله عليه وآله 15

المصباح الثاني:

قبسات من أنوار فاطمة الزهراء عليها السلام 127

المصباح الثالث:

قبسات من أنوار الإمام علي عليه السلام 151

المصباح الرابع:

قبسات من أنوار الإمام الحسن عليه السلام 259

ص: 5

المصباح الخامس:

قبسات من أنوار الإمام الحسين عليه السلام 283

المصباح السادس:

قبسات من أنوار الإمام زين العابدين عليه السلام 321

المصباح السابع:

قبسات من أنوار الإمام الباقر عليه السلام 347

المصباح الثامن:

قبسات من أنوار الإمام الصادق عليه السلام 367

المصباح التاسع:

قبسات من أنوار الإمام الكاظم عليه السلام 399

المصباح العاشر:

قبسات من أنوار الإمام الرضا عليه السلام 431

المصباح الحادي عشر:

قبسات من أنوار الإمام الجواد عليه السلام 481

المصباح الثاني عشر:

قبسات من أنوار الإمام الهادي عليه السلام 499

ص:6

المصباح الثالث عشر:

قبسات من أنوار الإمام الحسن العسكري عليه السلام 523

المصباح الرابع عشر:

قبسات من أنوار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف 533

الملحق:

- قبسات من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام 589

- فضل قم وأهلها وذكر بعض معالمها الدينية 601

مسك الختام: فضل زيارة قبور أولياء الله 621

كلمة الشكر 625

فهرس المصادر 627

صدر للمؤلف 635

الفهرس التفصيلي للموضوعات 639

ص:7

الحمد لله رب العالمين و افضل صلوات الله و أنبيائه و ملائكته علي سيدنا و نبينا محمد و علي اهل بيته الطاهرين.

القرآن الكريم و عترة النبي صلّي الله عليه و آله و أوصيائه عليهم السلام هما الثقلان اللذان لن يفترقا أبداً، فكما أنّ القرآن الكريم هو كتاب هدي لا- ريب فيه و حبل الله الذي ينبغي التمسك به، فكذلك العترة الطاهرة، فأحدهما كتاب صامت و الآخر كتاب ناطق، و التمسك بواحد منهما دون الآخر مخالفة لهدي الرسول الاعظم صلوات الله عليه و آله.

و حيث إنّ أهل بيت النبي عليهم السلام هم العروة الوثقى و مجلي القرآن و ترجمانه، و تفسير القرآن لا- يؤخذ إلاّ منهم فإنّ علياً عليه السلام هو الذي يعلم نزول كلّ آية انزلت في أيّ مكان و في أيّ موضوع و ماذا قال الرسول صلّي الله عليه و آله في تفسيرها، و لا نعلم أحداً في الصحابة و غيرهم من يدانيه في هذه الفضيلة، فالقرآن و العترة توأمان، و التمسك بأهل البيت ليس إلاّ تمسكاً بالقرآن و التمسك بالقرآن لا يمكن إلاّ بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام، ولذا كان من الضروري التّعرف علي مكانة أهل البيت عليهم السلام في الإسلام من خلال قرينهم القرآن و أحاديثهم القيمة و سيرتهم النيرة.

و الكتاب الذي بين يديك - أيها القارئ العزيز - هو مبادرة قيمة من سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أيوب الحائري حيث انطلق ليعرّف المسلمين بالنبي وأهل بيته؛ فاختار لهم قبسات من أنوار حياتهم وسيرتهم المثلى، وصفاتهم العُليا، وأسماء "مصاييح الأنوار"، ثمّ ألحق به قبسات من حياة كريمة أهل البيت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام وفضل مدينة قم ومعالمها الدينية، وبهذا قد أحسن الإختيار وزاد غنيّ في مكتبة النبي وأهل بيته الأطهار فله دُرّه وعليه أجره.

ومن دافع الإحساس بالمسؤولية الملقاة علي عاتقنا لنشر فضائل النبي وأهل بيته قمنا بطباعة هذا الكتاب، فخرج بهذه الحلّة القشبية، ونحن إذ تقدّمه بين يدي القراء الأعزاء نسأل الله تعالى أن يتقبل منّا ومن المؤلف، هذا الجهد المتواضع، ويوصل ثوابه إلي سيدنا الأعظم النَّبي الأكرم وإلي مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ومولاتنا السيدة فاطمة الزهراء وأولادهما الأئمة المعصومين، لا سيما مولانا صاحب العصر والزمان الإمام المصلح العالمي المنتظر، المهدي الموعود وارث الأنبياء والمرسلين، (صلوات الله عليهم أجمعين)، عسى الله أن يرزقنا في الدنيا زيارتهم ويرحمنا في العقبي بشفاعتهم، وما توفيقنا إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام علي المرسلين وصلي الله علي نبيه محمد وآله الطاهرين.

سدانة الروضة المقدّسة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

إدارة البحوث شهرذي القعدة الحرام 1433 هـ -

ذكرى ميلاد الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

إستفاضت النصوص الإسلامية من الذكر الحكيم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في فضل أهل البيت عليهم السلام بما لا مزيد عليه: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)1

ثم استفاضت محابري الأعلام من اولي البصائر والأفهام لتعمل بما أوصاهم إمامهم الصادق عليه السلام حيث قال لمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ: "اَكْتُبْ وَبُتَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ فَإِنْ مِتَّ فَوَزَّتْ كُتُبُكَ بِنَيْكَ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هَرَجَ مَا يَأْتُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ" (1). فاستأنس المسلمون وغيرهم بأحاديث أهل البيت عليهم السلام وأخبارهم وتواريخهم وكتبوا ودوّنوا كتباً نشرها بها آثار محمد وآله عليهم السلام، يسبق السابق منهم بشئ فيأتي اللاحق ليستدرك عليه بعض ما فاته، أو يبدل ما لا أولوية فيه إلي ما فيه الأولوية فيما يراه ويستطرفه، ذلك سيرة ذوي الأعلام في كتابة السيرة من صدر الإسلام إلي يومنا هذا.

ص: 11

1- (2) أصول الكافي 1:52، باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة. ورواه السيّد بن طاووس في كشف المحجّة، وعنه في بحار الأنوار 2:150، باب 19، في فضل كتابة الحديث وروايته.

وفي هذا الكتاب الطيب الذي مثله بين يديك - أيها القارئ الكريم - أخونا الشيخ أيوب الحائري سلّمه الله تعالى وأيّده في الدارين، بشئ من الأناة والتأمل والمثابرة، جاس أخونا الحائري خلال أخبارهم فاختر لكم هذه "القبسات" من الأزهار والأوراد والرياحين من سيرتهم العطرة فجمعها ودوّنها في ما بين هاتين الدفتين ممّا يسر الناظرين وينور قلوب المؤمنين، وزادها فوائد ممّا يراها موضع حاجة لشيعتهم ومستجبي دعواتهم إلي زيارة مراقدهم بل وحتّى مراقد بعض النابهين من أبنائهم و علماء مدرستهم، وأتباع نهجهم، كمراقد الامام الخميني قدس سره و الشهداء من أصحابه و أتباعه.

ولا يفوتني في ختام هذه الكلمة الموجزة بصدد التعريف بهذا التأليف، أن أنوّه إلي أنّ أخانا الحائري لا يحتار في إختيار خيرة الموضوعات الإسلامية النافعة المفيدة المباركة، فكّم له من قبل من مآثر ناصعات و لو لإخوتنا من الشباب المؤمن. وندعو له الله سبحانه أن يديم عليه توفيقه حتّى لا-كثّر من هذا رّشدا. و هو الموفق و المعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، و صلّي الله علي نبيه محمد وآله الطاهرين.

داعيكم محمد هادي اليوسفي الغروي

13 /ج 1433/1 هـ - .ق،

ذكري شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام

ص:12

عن رسول الله صلي الله عليه وآله: " لَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْجَنَّةَ خَلَقَهَا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ ثُمَّ أَخَذَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فَقَذَفَهُ فَأَصَابَنِي ثَلَاثَ نُورٍ وَأَصَابَ فَاطِمَةَ ثَلَاثَ نُورٍ وَأَصَابَ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ ثَلَاثَ نُورٍ فَمِنْ أَصَابِهِ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ إِهْتَدَى إِلَيَّ وَلايَةَ آلِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ لَمْ يَصِبْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ ضَلَّ عَنْ وَلايَةِ آلِ مُحَمَّدٍ" (1).

لا-ريب أن اللسان عاجز عن الحديث حول النبي صلي الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين الكرام وأن الأفلام قاصرة عن التعبير عن وصف تلك الرجال العظام، فمهما كتب أصحاب الفكر والقلم لم يكن إلا-قطرة في محيط ذلك النور الساطع من العرش إلي الأرض، ويكفي لأي إنسان منصف أن يُلقي نظرة سريعة علي حياتهم الكريمة ليخرج بنتيجة واضحة من أن هؤلاء هم المطهرون المقربون عندالله وقد اصطفاهم واختارهم لهداية الناس أجمعين، فهم أنوار العرش في السماء ومصاييح الهدى والأنجم الزاهرة في ظلمات الدجى، وأعلام التقي والعروة الوثقى وحجج الله علي العباد في الدنيا والعقبى، ومن أهم واجبات المسلمين تجاههم، هو موادتهم ومعرفتهم وإتباعهم.

ص:13

1- (1) الخصال 1:187، روي الحديث عن أبي أيوب الأنصاري.

و من هذا المنطلق إرتأينا بقدر وسعنا وبضاعتنا المزجاة أن نعرض بثوب جديد قبسات من سيرتهم النيرة من أدوار ومواقف، ومن أخلاقهم الحميدة وكلماتهم المنيرة لتعرف الأمة هذه القدوة، وتتأسي بها في مختلف أبعاد حياتها، وتتخذها نبراساً منيراً وأسوة حسنة، وقد راعينا بقدر الإمكان التسلسل للحوادث والوقائع التاريخية.

وأخيراً أشكر الله علي هذا التوفيق، كما أشكر كل من ساهم في تقويم ونشر هذا السفر وأخص بالذكر سماحة العلامة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي علي مراجعته للكتاب، وفضيلة الدكتور أحمد العابدي لإشرافه علي نشره و طبعه.

وفي نهاية المطاف أقدم هذا الجهد المتواضع إلي سيد الأنبياء والمرسلين النبي الكريم صلي الله عليه وآله الذي بعث رحمة للعالمين، و إلي أهل بيته الطيبين، لا سيما مولانا صاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر، أمل المحرومين والمستضعفين، والذي نعش بكنفه وتحت رعايته أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّي الله علي نبيه محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

(قُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)1

الأول من ربيع الأول سنة 1433 هـ -

ذكرى هجرة النبي الأكرم صلي الله عليه وآله

قم المقدسة - ايوب الحائري

ص:14

المصباح الأول: قبسات من أنوار النبي الأعظم صلي الله عليه و آله

إشارة

ص:15

لقد ولد خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب صلي الله عليه وآله في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل من عام الفيل = (570 م) في مكّة المكرّمة في شعب أبي طالب عليه السلام (1).

ولقد اتفق عامّة كتّاب السيرة علي أنّ ولادة النبي صلي الله عليه وآله كانت في عام الفيل في شهر ربيع الأوّل، ولكنهم اختلفوا في يومه، فذهب المشهور من علماء الإمامية إلي أنه في يوم الجمعة السابع عشر منه، عند طلوع الفجر، كالشيخ المفيد في كتابيه (حدائق الرياض) و (التواريخ الشرعية)، والطبرسي في اعلام الوري، وابن طاووس في الإقبال، وذهب المشهور من علماء السنة إلي أنّ ولادته كانت في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل، واختار هذا القول الشيخ الكليني (2).

ص: 17

1- (1) بنتُ خيزران امّ الرشيد مكان مولد النبي صلي الله عليه وآله مسجداً وكان يقصد ويزار ويصلّي فيه، وفي عصرنا هدمه الوهابيون من آل سعود وبنوا مكانه مكتبة أكثر الأوقات مغلقة.

2- (2) قد ذكر المقرئ في كتابه الإمتاع جميع الأقوال المذكورة في يوم ميلاد النبي صلي الله عليه وآله وشهره وعامه، راجع بحار الأنوار 245:15.

هذا وقد أعلنت الجمهورية الإسلامية هذه الأيام الفاصلة بين التقديرين إسبوع الوحدة الإسلامية، يحتفل فيها المسلمون وعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية، وتتبادل فيها الأفكار وتتألف فيها القلوب.

كان عمر النبي صلي الله عليه وآله شهرين وقد فقد أباه عبدالله حيث كان في سفر تجاري ومرض وتوفي بالمدينة في دارالنابعة ودفن فيها، كما رواه اليعقوبي عن الإمام الصادق عليه السلام ووافقه الكليني من دون نسبة إلي الإمام الصادق عليه السلام فيقول: " وتوفي أبوه عبدالله بالمدينة عند أخواله (بني النجار)، وهو ابن شهرين "، ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة(1).

واسترضع النبي صلي الله عليه وآله أياماً قليلة عند ثوية مولاة أبي لهب ثم استرضع في بني سعد عند حليلة السعدية، ورد إلي أمه آمنة وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره. وروي عن ابن عباس وغيره: أن رسول الله صلي الله عليه وآله كان مع أمه آمنة، فلما بلغ ست سنين خرجت به إلي أخواله بني النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم علي بعيرين، فنزلت به في دار النابعة فأقامت عندهم شهراً... ثم رجعت به أمه إلي مكة، فلما كانت بالأبواء توفيت فقبرت هناك، ورجعت أم أيمن بالنبي صلي الله عليه وآله إلي مكة(2).

وبقي رسول الله صلي الله عليه وآله في مكة يتيماً لا أب له ولا أم، فازداد عبد المطلب رقة له وحفظاً وكانت هذه حالته حتى أدركت عبدالمطلب الوفاة فبعث إلي أبي طالب، فدخل عليه وهو في غمرات الموت ومحمّد علي صدره، فبكي وقال لأبي طالب: يا أبا طالب! انظر أن يكون هذا من جسدك بمنزلة كبدك، فإني قد تركت بني كلهم وأوصيتك به، لأنك من أم أبيه(3)... يا أبا طالب! إن أدركت أيامه، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد

ص:18

1- (1) راجع: تاريخ اليعقوبي 2:10، وأصول الكافي 1:439.

2- (2) بحار الأنوار 15:162، 93.

3- (3) وذلك أن عبدالله وأب طالب (مناف) كانا أخوين لأم واحدة وهي فاطمة بنت عمرو المخزومي.

من بني آبائي... ثم مات عبد المطلب وهو ابن ثنتين وثمانين سنة ودُفن بالحجون، ورسول الله ابن ثمانين سنين(1).

الحوادث العجيبة يوم ولادة النبي صلي الله عليه وآله

إنَّ جميع الأدوار، والفترات في حياة العظماء، والنوابغ وقادة المجتمعات البشريَّة، ورواد الحضارات الإنسانيَّة تنطوي في الأغلب علي نقاط مثيرة حسَّاسة وعلي مواطن توجب الإعجاب. إنَّ صفحات تاريخهم وحياتهم منذ اللحظة التي تنعقد فيها نطفتهم في أرحام الأمَّهات، وحتَّى آخر لحظة من أعمارهم مليئة بالأسرار، زاخرة بالعجائب، فنحن كثيراً ما نقرأ عن أولئك العظماء في أدوار طفولتهم أنَّها كانت تقارن سلسلة من الأمور العجيبة، ولذا نرى ترافق مع ولادة النبي صلي الله عليه وآله حوادث كانت غريبة وعجيبة علي قريش والعالم بأسره.

قال المحدث القمي: "قالت أمنة بنت وهب: إن بني - والله - سقط فأنقني الأرض بيده، ثمَّ رفع رأسه إلي السماء فنظر إليها، ثمَّ خرج منه نور نظرت إلي قصور بصري، فسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنَّك قد ولدت سيِّد الناس فسميه محمَّداً(2)، وفي (الخرائج): "أنَّه ولد صلي الله عليه وآله مختوناً مقطوع السرة(3)".

ومن الحوادث الغريبة التي رافقت ولادة النبي صلي الله عليه وآله: هو إنكباب الأصنام جميعاً علي وجوها حول الكعبة، واضطراب إيوان كسري، وسقوط أربعة عشر شرفة منه، وانخاماد نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة، ولم يبق سرير لملك من ملوك الأرض إلا نكس، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة(4).

ص:19

1- (1) بحار الأنوار 15:156.

2- (2) تاريخ الطبري 2:156، منتهي الآمال 1:58.

3- (3) الخرائج، وعنه في بحار الأنوار 15:369.

4- (4) تاريخ يعقوبي 2:8، وفي بحار الأنوار 15:260، ح 11، عن الخرائج.

إنَّ هذه الحوادث الخارقة والعجيبة كانت تهدف إلي أمرين:

الأول: أن تدفع بالجباية، والوثنيين وعبدة الأصنام إلي التفكير فيما هم فيه. ولو كانوا يفكِّرون في تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشر بعصر جديد... عصر انتهاء فترة الوثنيَّة.

الثاني: أن هذه الحوادث جاءت لتبرهن علي شأن الوليد العظيم، وأنَّه ليس وليداً عادياً، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، والوقائع الغريبة، كما يخبر بذلك القرآن الكريم عن حياة الأنبياء وتخبر بها تواريخ الشعوب والملل المسيحيَّة واليهوديَّة.

الإحتفال بذكرى المولد النبويّ صلي الله عليه وآله

ينبغي أن يحتفل المسلمون جميعاً بمولد النبيّ الأكرم صلي الله عليه وآله، وقيموا المهرجانات الكبرى في هذه المناسبة الشريفة التي كانت مبدأ الخير والبركة، ومنشأ السعادة والكرامة للبشريَّة جميعاً، وأيّة مناسبة أحرى بالاحتفال من هذه المناسبة؟ علي أن إقامة مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تكريم رسول الله صلي الله عليه وآله وهو أمر مطلوب ومحبوب في الشريعة المقدَّسة، فقد قال الله تعالي: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) 1 .

ودعوة القرآن إلي تكريم النبيّ ونصرته لا يختصّ بزمان أو مكان، فعلي المسلمين في كلّ وقت وزمان أين ما وجدوا أن يعظّموا شأن رسول الله صلي الله عليه وآله، ويكرّمونه، سواء في حياته أو بعد مماته، لِمَا له من فضل عظيم علي الناس، ولِمَا له من المنزلة عند الله تعالي، كيف لا والإحتفال بميلاده لا يعني سوي ذكر أخلاقه العظيمة، وسجاياه النبيلة،

والإشادة بشرفه وفضله وهي أمور مدحه القرآن الكريم بها إذ قال سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلِي خُلِقَ عَظِيمًا) 1 وقال تعالى أيضاً: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) 2 وغير ذلك من الآيات المادحة لرسوله صلي الله عليه وآله.

إنَّ الإحتفال بمولد خاتم النبيين ورسول ربِّ العالمين صلي الله عليه وآله إنَّما هو تكريم لمن كَرَّمه الله تعالى وأمر بتكريمه، وحثَّ علي إحترامه وحبِّه، ومودَّته، وإنَّه بالتالي أداء شكر لله تعالى علي تلك الموهبة العظيمة، ولقد درج المسلمون في العصور الإسلاميَّة الأولى علي الإحتفال بذكر مولده الشريف وأنشأوا القصائد الرائعة في مدحه، وذكر خصاله ومكارم أخلاقه، وأظهروا السرور بمولده والشكر لله تعالى بلطفه وتفضُّله به صلي الله عليه وآله علي البشريَّة.

قال الإمام الديار بكري في تاريخ الخميس في ذكر مولده الشريف: لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم، ويتصدَّقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرَّات ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كلَّ فضل عميم.

الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله محور الوحدة

إنَّ رسول الإسلام وخاتم النبيين صلي الله عليه وآله شخصيَّة تجمع المسلمين بكافَّة إنتمائاتهم وأعرافهم، فهو رسولهم جميعاً، وكلَّهم متفقون علي أنَّه القائد الأوَّل والإنسان الإلهيَّ الأكمل، الذي قدَّمه الله قدوة للبشريَّة، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ

يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) 1 ، فهو اسوة في أقواله وأفعاله، وقد وصف المسلمين بالجسد الواحد وأراد منهم ان يكونوا كذلك، حيث يقول صلي الله عليه وآله: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ فِي تَوَادُّهِمْ وَ تَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَ الْحَمَى " (1).

وانطلاقاً من هذه النظرة لرسول الإسلام، جاء إعلان الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأسبوع الوحدة في ذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلي الله عليه وآله المتزامن مع مولد حفيده الإمام الصادق عليه السلام، كخطوة مهمة في طريق التضامن والوحدة الإسلامية، لسد الطريق أمام محاولات الأعداء المغرضة ومؤامراتهم الخبيثة لبث الفتنة بين صفوف المسلمين، وإضعاف الأمة الإسلامية ولا زال النهج مستمراً تحت قيادة الإمام الخامنئي دامه ظله.

وإنه لمن دواعي السرور والفرح أن يتجدد لقاء علماء المسلمين بمختلف مذاهبهم ومشاربهم، في هذه الذكرى العطرة في كل عام من شهر ربيع الأول، لتداول قضايا الإسلام الكبرى، وما يهم المسلمين في قضاياهم الدينية والثقافية، وإن مثل هذه اللقاءات الفكرية من شأنها تأصيل روابط الوحدة، وتأليف الأمة حول قرآنها ونبيها وقبلتها وإسلامها؛ لتكون هذه المشتركات هي محور الأخوة والوحدة الإسلامية، ومنطلق التعاون بين المسلمين، وهذا هو معني الوحدة الإسلامية التي دعا إليها الإمام الخميني قدس سره ويدعو إليها العلماء والمصلحون، لاسيما الإمام الخامنئي دامه ظله.

ص:22

القبس الثاني: السفر الأول للنبي صلي الله عليه وآله مع عمّه إلي الشام

كان رسول الله صلي الله عليه وآله بعد جدّه عبد المطلب يعيش مع عمّه أبي طالب، حيث قبل كفالته وكان هو الذي يلي أمر رسول الله صلي الله عليه وآله، وكان أبو طالب حريصاً علي رعايته وحفظه ومن شدة حرصه علي سلامته كان يأخذه معه في سفره التجاري إلي الشام.

لقد كان سفر النبي صلي الله عليه وآله الذي قام به بصحبة عمّه وكافله (أبي طالب) في السنة الثامنة من عمره إلي الشام، _ أي: في السنة 32 قبل البعثة _ من أجمل وأطرف أسفاره صلي الله عليه وآله، لأنّه صلي الله عليه وآله عبر علي: (مَدِينِ)، و (وادي القري)، و (ديار ثمود) واطّلع علي مشاهد الشّام الطبيعيّة الجميلة. ولم تكن قافلة قريش التجاريّة قد وصلت إلي مقصدها حتّي حدثت في منطقة تدعي (بصري الشام)(1)، قضية غيرت برنامج أبي طالب، وإليك فيما يلي مجمل هذه القضية:

كان يسكن في (بصري) من نواحي الشام راهبٌ مسيحي يُدعي (بحيرا) يتعبّد في صومعته ويحترمه النصارى في تلك الدّيار. وكانت القوافل التجاريّة إذا مرّت علي صومعته توقفت عندها بعض الوقت وتبرّكت بالحضور عنده، وقد اتّفق أن التقى هذا الراهبُ قافلة قريش التي كان فيها رسول الله صلي الله عليه وآله، فلفت نظره شخصيّة (محمّد)، وراح يحدق في ملامحه، وكانت نظراته هذه تحمل سرّاً عميقاً ينطوي عليه قلبه منذ زمن بعيد، وبعد دقائق من النظرات الفاحصة في وجه النبي صلي الله عليه وآله خرج عن صمته وانبري سائلاً: أنشدكم بالله أيكم وليّه؟ فأشارت جماعة منهم إلي أبي طالب وقالوا: هذا وليّه.

فقال أبو طالب: إنّه ابن أخي، سلني عمّا بدا لك.

ص: 23

1- (1) بصري هي مدينة حوران، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاث عشر، وردّها رسول الله مرتين، هذه هي الأولى.

فقال بحيرا: إنّه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ، نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا: هذا سيّد العالمين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين، إحذرْ عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليقصدنَّ قتله(1).

هذا وقد قيل علي أن أباطالب لم يتعدّ تلك المنطقة، وربما تابع سفره بحذر إلي الشام مع ابن أخيه محمد صلي الله عليه وآله.

وروي ابن عباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب عن أبي طالب قال: خرجت إلي الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي صلي الله عليه وآله، وكان في أشد ما يكون من الحرّ، فلمّا أجمعت علي المسير قال لي رجال من قومي: ما تريد أن تفعل بمحمد؟ وعلي من تخلّفه؟ فقلت: لا اريد أن اخلفه علي أحد من الناس، اريد أن يكون معي. فقيل: غلام صغير في حرّ مثل هذا تخرجه؟ فقلت: والله لا يفارقتني حيث ما توجّهت أبداً، فإنني لأوطئ له الرحل. فذهبت فحشوت له حشية كساءً وكتاناً. وكنا ركباناً كثيراً، فكان والله البعير الذي عليه محمد صلي الله عليه وآله أمامي لا يفارقتني فكان يسبق الركب كلّه، فكان إذا اشتدّ الحرّ جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة ثلج فتقف علي رأسه لا تفارقه وهي تسير معنا. فلمّا قربنا من بصري الشام إذا نحن بصومعة، فنزلنا تحت شجرة عظيمة قريبة من الراهب قليلة الأغصان ليس لها حمل، كان الركبان ينزلون تحتها، فلمّا رأي بحيرا الراهب ذلك اتّخذ طعاماً ثمّ جاء به فأكل وأكلنا معه. ثمّ قال: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحقّ اللات والعزّي الأ أخبرتنيها. فغضب رسول الله صلي الله عليه وآله عند ذكر اللات والعزّي وقال: لا تسألني بهما، فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وأنهما صنمان من حجارة لقومي. فقال بحيرا: هذه واحدة. ثمّ قال: فبالله الآ ما أخبرتني. فقال: سل عمّا

ص:24

1- (1) تاريخ الطبري 2:32، والسيرة النبوية 1:180، هذه القصّة رويت بتفصيل أكثر في الكتب التّاريخيّة وقد اختصرناها.

بدا لك، فإنك قد سألتني بالهي والهك الذي ليس كمثلته شيء. فقال: أسألك عن نومك وهيئتك وأمورك ويقظتك؟ فأخبره عن نومه وهيئته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته التي عنده. فانكبّ عليه بحيرا فلم يزل يقبل يديه مرّة ورجليه مرّة ويقول فيما يقول: أنت دعوة إبراهيم وبشري عيسي، أنت المقدّس المطهّر من أنجاس الجاهليّة (1).

ص:25

1- (1) رواه الصدوق في كتابه، كمال الدين: 178، ومثله في الخرائج والجرائح 1:71 ح 130، وعنه في بحار الأنوار 15:215، ح 2.

القبي الثالث: النبي محمد صلي الله عليه وآله في حلف الفضول

لقد كان في ما مضى ميثاقٌ وحلف بين بعض عرب الحجاز يدعي بحلف (الفضول)، وكان هذا الحلف يهدف إلي الدفاع عن حقوق المظلومين، وكان المؤسسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت أسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، وأسماؤهم - كما نقلها المؤرخ المعروف (إسماعيل بن عمر بن كثير)، هي عبارة عن: (الفضل بن فضالة)، و (الفضل بن الحارث)، و (الفضل بن وداعة)(1)، وحيث إنَّ الحلف الذي عقده جماعة من قريش فيما بينها كان متَّحداً في الهدف (وهو الدفاع عن حقوق المظلومين) مع حلف (الفضول) لذلك سمِّي هذا الاتفاق وهذا الحلف بحلف (الفضول) أيضاً. وقد شارك رسول الله صلي الله عليه وآله في هذا الحلف الذي ضمن حقوق المظلومين وحياتهم، وقد نُقلت عنه صلي الله عليه وآله عبارات كثيرة يشيد فيها بذلك الحلف ويعتزُّ فيها بمشاركته فيه وها نحن ننقل حديثين منها: قال صلي الله عليه وآله: "لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبتُ". كما أنَّ ابن هشام نقل في سيرته أنَّ النبي صلي الله عليه وآله كان يقول في ما بعد عن هذا الحلف: "ما أحبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النِّعم". ولقد بقي هذا الحلف يحظى بمكانة واحترام قويين في المجتمع العربي والإسلامي حتي أنَّ الأجيال القادمة كانت تري من واجبها الحفاظ عليه والعمل بموجبه، ويدل علي هذا قضية وقعت في عهد إمارة (الوليد بن عتبة) علي المدينة من قبل عمه معاوية.

وقد وقعت بين الإمام الحسين بن علي عليه السلام وبين أمير المدينة هذا منازعة في مال متعلِّق بالحسين عليه السلام، ويبدو أنَّ (الوليد) تحامل علي الحسين في حقه لسلطانه، فقال له

ص:26

الإمام السبط الذي لم يرضخ لحيف قَطٍّ، ولم يسكت علي ظلم أبدأ: "أحلفُ بالله لتتصيفني من حقي، أو لأخذنَّ سيفي ثم لأقومنَّ في مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله ثم لأدعونَّ بحلفِ الفضول" (1). فاستجاب للحسين فريقٌ من الناس منهم (عبد الله بن الزبير)، وكزّر هذه العبارة وأضاف قائلاً: وأنا أحلفُ بالله لئن دعا به لأخذنَّ سيفي ثم لأقومنَّ معه حتى يُنصفَ من حقه أو نموتَ جميعاً. وبلغت كلمة الحسين السبط عليه السلام هذه إلي رجال آخرين كالمسور بن مخزومة بن نوفل الزهري و (عبد الرحمن بن عثمان) فقالا مثل ما قال (ابن الزبير)، فلما بلغ ذلك (الوليد بن عتبة) أنصف الحسين عليه السلام من حقه حتى رضي (2).

ص: 27

1- (1) السيرة الحلبية 1: 132.

2- (2) البداية والنهاية 2: 293.

لَمَّا تاجر رسول الله صلي الله عليه وآله مضاربة في أموال خديجة، وخرج بقوافلها إلي الشام رجوع وفيه الربح سريع القدوم، فأخذ ميسرة خادم خديجة يخبرها عمّا رآه بعينه من كرامة محمّد ونبله وخلقه وسموّه، ولأجل ما كانت تعرفه عنه وما شاع في الأوساط من أخلاقه في قومه رغبت في الزواج منه. قال ابن هشام في (سيرته): " فلَمَّا أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلي رسول الله صلي الله عليه وآله فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عمّ إني قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك (عراقتك وشرافتك) في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثمّ عرضت نفسها عليه " (1).

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: لَمَّا أراد رسول الله صلي الله عليه وآله أن يتزوَّج خديجة بنت خويلد، أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتّي دخل علي ورقة بن نوفل، - عمّ خديجة -، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: " الحمد لربّ هذا البيت، الذي جعلنا من زرع ابراهيم وذريّة اسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكّام علي الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه. ثمّ إنّ ابن أخي هذا - يعني رسول الله صلي الله عليه وآله - ممّن لا- يوزن برجل من قريش الا- رجح، ولا- يقاس بأحد منهم إلاّ عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مُقلاًّ في المال، فإنّ المال رُفد جار وظلّ زائل. وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة. وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها. والمهر عليّ في مالي، الذي سألتموه، عاجله وآجله. وله - وربّ هذا البيت - حظّ عظيم ودين شائع ورأي كامل " ثمّ سكت أبو طالب، وتكلّم عمّها وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر، وكان رجلاً من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة: يا عمّاه إنّك

ص:28

وإن كنت أولي بنفسي مَنِّي في (الغياب) فلست أولي بي من نفسي في الشهود. قد زوّجتك يا محمّد نفسي والمهر عليّ في مالي، فأمر عمّك فلينحر ناقة فليولم بها، وادخل علي أهلِكَ. قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً، وضمانها المهر في مالها.

فقال بعض قريش: يا عجباه! المهر علي النساء للرجال!؟

فغضب أبو طالب غضباً شديداً فقام علي قدميه وقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طُلبت الرجال بأغلي الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلا بالمهر الغالي!.

ونحر أبو طالب ناقة، ودخل رسول الله صلي الله عليه وآله بأهله (1).

وهكذا تمّ زفاف درة الأنبياء علي جوهرة النساء، في شهر ربيع الأول السنة 15 قبل البعثة حسب القول المشهور، وأنشد رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم، فقال:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد

تزوّجته من خير البرية كلّها ومن ذا الذي في الناس مثل محمّد (2)

وكان عمر خديجة عند زواجها بالرسول صلي الله عليه وآله وكان عمر النبي صلي الله عليه وآله عندما بني بخديجة خمساً وعشرين سنة، وكانت خديجة آنذاك عذراء لم تتزوج كما يذكر ذلك العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه (الصحيح من السيرة) استناداً ما روي عن أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في

ص: 29

1- (1) رواه الكليني في الكافي 5: 375، ح 9. وعنه في بحار الأنوار 13: 16.

2- (2) الكافي 5: 37 ذيل ح 9.

3- (3) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 1: 333.

كتابيهما والسيد المرتضى في كتابه الشافي(1). وردّ هذا القول العلامة الشيخ اليوسفي الغروي في موسوعته التاريخية(2) ، واختار قول ابن هشام.

قال ابن هشام: "وكانت قبله (محمّداً صلي الله عليه وآله) عند أبي هالة بن مالك... فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة. وكانت قبل أبي هالة عند عتيق ابن عابد المخزومي فولدت له: عبد الله، وجارية تزوّجها صيفي بن أبي رفاعه"(3).

الحب والإحترام المتبادل

أحبت خديجة زوجها محمّداً صلي الله عليه وآله حباً شديداً، لذا كانت تهيبّ له كلّ أسباب الراحة في داخل البيت، ولم يبق هذا التقدير والحبّ والخدمة من خديجة للنبي صلي الله عليه وآله من طرف واحد، بل قابلها بالحبّ والتقدير في أيّام حياتها وبعد مماتها، بحيث بقيت خديجة بعد وفاتها في قلب النبي صلي الله عليه وآله في كلّ مناسبة، وفي كلّ مكان، وكان يثني عليها ويذكرها بخير دائماً، ويبدو أنّ ثناء رسول الله المتزايد علي أمّ المؤمنين خديجة أثار الغيرة عند عائشة حتي اعترفت وصرّحت بذلك، فقالت: "ما غرتُ علي امرأة مثل ما غرتُ علي خديجة، مما كنت أسمع من ذكر رسول الله صلي الله عليه وآله لها، وما تزوّجني إلّا بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربّه أن يبشرها ببيت في الجنّة من قصب"(4).

وقالت عائشة: "كان رسول الله صلي الله عليه وآله لا يكاد يخرج من البيت حتي يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلّا

ص:30

1- (1) الصحيح من السيرة 1:117.

2- (2) انظر حاشية موسوعة التاريخ الإسلامي 1:306 ط 2.

3- (3) سيرة ابن هشام 4:293.

4- (4) سير اعلام النبلاء 2:112.

عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب صلي الله عليه وآله حتى اهتزّ مقدّم شعره من الغضب ثمّ قال صلي الله عليه وآله: "والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله أولاداً إذ حرمني أولاد النساء"، قالت عائشة: "فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسنة" (1).

وعن عائشة: أنّ النبي صلي الله عليه وآله كان إذا ذبح الشاة قال صلي الله عليه وآله: "ارسلوها إلي أصدقاء خديجة"، فتسألها عائشة في ذلك فيقول: "إني لأحبّ حبيبها"، وهذا الحديث وغيرها من الأحاديث التي ذكرنا البعض منها تدلّ علي أنّ وفاء رسول الله صلي الله عليه وآله لخديجة الطاهرة قلّ نظير في دنيا الوفاء، فقد كان يودّ من تودّ خديجة ومن كانت تودّها خديجة. إنّ خديجة لتستحقّ كلّ هذا التقدير والإحترام من رسول الله صلي الله عليه وآله بعد أن بلغت المقام السامي والدرجة العالية عند الله حتى حباها ربّ العالمين بالدرجة الرفيعة في الجنّة، وقد أوضح رسول الله مكانتها في الجنّة بقوله صلي الله عليه وآله: "أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون" (2).

ثمرّة الزواج الميمون

ومضت مدّة علي الزّواج الميمون، وقد وهب الله سبحانه لخديجة ولدين هما: القاسم وعبد الله، عرفا بالطيّب والظاهر، وماتا بمكّة، ووهبها أربع بنات هنّ: زينب، رقية، أمّ كلثوم، وفاطمة سيّدة نساء العالمين كما هو المشهور (3). وقيل: إنّ زينب ورقية

ص: 31

1- (1) الاصابة 4: 275 وأسد الغابة 5: 539، تذكرة الخواص: 303.

2- (2) ذخائر العقبى، للطبري: 52، مستدرک الحاكم: 160 و 185.

3- (3) راجع: السيرة النبوية لابن هشام: 65، الكامل في التاريخ 2: 40، وبحار الأنوار 22: 166.

كانتا ربيتيه من جحش، وقيل من هاله اخت خديجة(1).

وروي في قرب الاسناد عن الصادق عليه السلام انه قال: ولد لرسول الله صلي الله عليه وآله من خديجة القاسم و الطاهر و أم كلثوم و رقية و فاطمة و زينب، فتزوج علي عليه السلام فاطمة عليها السلام، و تزوج أبو العاص بن ربيعة زينب(2) و تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم و

لم يدخل بها حتى هلكت و زوجته رسول الله صلي الله عليه وآله مكانها رقية... (3).

ولم يتزوج النبي صلي الله عليه وآله بامرأة قط ما دامت خديجة عليها السلام كانت علي قيد الحياة، وبعد وفاتها في مكة لم يتزوج النبي غيرها إلي أن هاجر إلي يثرب (المدينة) فتزوج بعدة نساء في طول حياته منهن: مارية القبطية حيث رزق منها إبراهيم في السنة الثامنة للهجرة ولكن لم يبق إبراهيم في الدنيا إلا قليلا وتوفي في السنة العاشرة للهجرة لثمان خلت من رجب، وكان عمره سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام.

ص:32

1- (1) قال ابن شهر آشوب روي احمد البلاذري، و أبو القاسم الكوفي في كتابيهما، و المرتضي في الشافي، و أبو جعفر في التلخيص: ان النبي صلي الله عليه وآله تزوج بخديجة و كانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الانوار و البدع ان رقية و زينب كانتا ابنتي هاله اخت خديجة. ورد هذا القول الشيخ اليوسفي الغروي في حاشية موسوعته التاريخية 1:306 ط 2.

2- (2) ان زواج زينب بابي العاص الأموي كان قبل البعثة و قبل تحريم الزواج مع الكفار، فولدت منه (أمامة) و تزوجها علي عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام - حسب وصيتها، وقيل: ان أبا العاص اسر في غزوة بدر، فأرسلت زينب بقلادة الي النبي صلي الله عليه وآله لفدائه، و كانت تلك القلادة لخديجة (رضي الله عنها)، فلما رآها رقى لها رقعة شديدة و تذكر خديجة، فطلب من المسلمين أن يطلقوه من دون فداء ففعلوا، فشرط عليه صلي الله عليه وآله أن يرسلها إلي المدينة، فقبل و وفي بعهدته ثم جاء هو بعدها إلي المدينة و أسلم و توقفت زينب في السنة السابعة و قيل: في السنة الثامنة من الهجرة في المدينة.

3- (3) قرب الاسناد: 6، و عنه في بحار الأنوار 22:151، و بسبب هذين الزوجين اشتهر عثمان عند أهل السنة بذي النورين.

وشاءت إرادة الله ان لا يعيش للنبي صلي الله عليه وآله ولد ذكر، وكانت العرب بعد مبعثه تعيره بهذا، ويقولون: بأن أثره سينقطع، وذكره سينتهي، لأنه فقد أولاده الذكور، ولم يبق له سوي أنثي، ووصفوه بالأبتر فنزلت الآيات: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) 1 ، ولقد ورد في عدة من التفاسير: أن الله أكثر نسل محمد صلي الله عليه وآله وذريته من ولد فاطمة كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب.

بعث محمد بن عبدالله صلي الله عليه وآله نبياً ورسولاً إلي كافة الناس وهو في الأربعين من عمره الشريف، وأخذ يدعو إلي الله وهو علي بصيرة من أمره ويجمع الأتباع والأنصار؛ وبعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بداية الدعوة إلي الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصعد بالرسالة ويدعو إلي الإسلام علانية ليدخل من أحب الإسلام في سلك المسلمين والمؤمنين، وكان المبعث النبوي صلي الله عليه وآله وهبوط جبرئيل بالرسالة علي أشهر الأقوال في اليوم 27 من رجب لأربعين خلت من عام الفيل. (1)

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: "بعث الله عز وجل محمداً رحمة للعالمين، في سبع وعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً" (2).

وروي أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال وهو يصف بعثة النبي محمد صلي الله عليه وآله: "... فلما استكمل سنّ الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلّها، وأطوعها وأخشعها، فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد صلي الله عليه وآله ينظر إلي ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر الي الروح الأمين جبرئيل المطوّق بالنور طاووس الملائكة هبط اليه وأخذ بضبعه وهزه وقال: يا محمد! اقرأ، قال: ما أقرأ؟ قال: يا محمد! اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علقٍ اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم" (3) ثم أوحى إليه ما أوحى ربّه عز وجل وصعد جبرئيل إلي ربّه، ونزل محمد

ص: 34

-
- 1- (1) راجع بحار الأنوار 18:189، ح 22. ومن الأعمال الواردة في يوم المبعث، الغسل، الصيام، زيارة النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام وغيرها من الأعمال يمكنك مراجعة مفاتيح الجنان للإطلاع عليها.
- 2- (2) راجع: الكافي 2:149، وتهذيب الأحكام 1:439. ورواه الطوسي.

من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال أبهته ما ركبه الحمي النافضة، وقد اشتد عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش إياه ونسبته الي الجنون، وقد كان أعقل خلق الله واكرم بريته، وكان أبغض الأشياء إليه الشياطين وأفعال المجانين، فأراد الله أن يشرح صدره ويشجع قلبه، فجعل كلما يمر بحجر وشجر ناداه: ... السلام عليك يا رسول الله... " (1).

ويقول فضيلة الشيخ هادي اليوسفي " وهذا الخبر هو مما يدل علي أن أول سورة نزلت - أو الآيات الأولى - هي هذه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ولكنه الخبر الوحيد الذي يدل علي أنها نزلت في بداية البعثة في اليوم 27 رجب " (2).

الإختلاف في يوم المبعث

قد اختلف علماء المسلمين في اليوم والشهر الذي وقع فيه المبعث النبوي الشريف علي أقوال خمسة ذكرها المجلسي في بحار الأنوار، ومنشأ الاختلاف، الخلط بين مبدأ حدث النبوة، ومبدأ نزول القرآن؛ إذ مما لا يمكن التشكيك فيه أن نزول القرآن علي قلب النبي صلي الله عليه وآله كان في ليلة القدر في شهر رمضان، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) 3 ، وقال: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) 4 ، وقال: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) 5 .

ص: 35

1- (1) التفسير المنسوب إلي الإمام العسكري 156 ضمن ح 78، وعنه في بحار الأنوار 18: 206، مع اختلاف يسير.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 1: 348.

ومع هذه البديهة، أتفقت كلمة الإمامية علي أن مبعث النبي صلي الله عليه وآله في السابع والعشرين من رجب، مع أن النبي صلي الله عليه وآله إنما بُعث بالقرآن، إذ ترافق مع بعثته نزول بعض الآيات من سورة (اقرأ) كما هو المشهور بين المفسرين، وعليه فكيف يمكننا التوفيق بين ذينك الأمرين؟!

ذكر المحققون وجوهاً للتوفيق بين المبعث في رجب، وبدء نزول القرآن في شهر رمضان، ارتقت بعد ذلك إلي مستوي النظريات التي لها أصحابها ومتبنيها وأشهرها هي نظرية النزولين للقرآن، النزول الدفعي والنزول التدريجي:

نظرية النزولين للقرآن

ذهب جماعة من أرباب الحديث إلي أن القرآن الكريم نزل في ليلة القدر جملة واحدة إلي السماء الرابعة، أي البيت المعمور - كما ورد في روايات الخاصة - أو إلي بيت العزة - كما ورد في روايات العامة - هو الذي يعبر عنه بالنزول الدفعي، وبعد ذلك بدأ نزوله في (27 رجب) علي رسول الله صلي الله عليه وآله حسب المناسبات، طوال عشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً والذي يعبر عنه بالنزول التدريجي.

وهذه النظرية هي المشهورة بين المحققين وقد اختارها الصدوق والمجلسي والعلامة الطباطبائي في (الميزان)(1) ، والسيوطي في (إتقانه)(2) ورواه الطبري في تفسيره عن عطية الأسود عن ابن عباس، وأسند إلي جابر بن عبد الله الأنصاري(3) ، وغيرهم.

ص:36

-
- 1- (1) الميزان في تفسير القرآن 330:20، تفسير سورة القدر.
 - 2- (2) الإتيان في علوم القرآن 1:158.
 - 3- (3) تفسير الطبري 1:84.

قال الشيخ الصدوق⁽¹⁾: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، في السماء الرابعة، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة، وأن الله أعطي نبيه العلم جملة واحدة، ثم قال له: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) 2.

وقال المجلسي تعقيباً عليه: "قد دلت الآيات علي نزول القرآن ليلة القدر، والظاهر نزوله جميعاً فيها، ودلت الآثار والأخبار علي نزول القرآن في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة. وورد في بعض الروايات: أن القرآن نزل في أول ليلة من شهر رمضان، ودل بعضها علي أن ابتداء نزوله في المبعث، فجمع بينها بأن في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلي السماء الرابعة (البيت المعمور) لينزل من السماء الرابعة إلي الأرض تدريجاً، ونزل في أول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن علي النبي صلي الله عليه وآله ليعلم هو، لا ليتلوه علي الناس، ثم ابتداء نزوله آية آية وسورة سورة في المبعث أو غيره ليتلوه علي الناس⁽²⁾.

واستدل علي هذه النظرية بجملة من الروايات. منها: ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: "يا مفضل، إن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة، والله يقول: (شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) 4، وقال: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) 5، وقال: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) 6.

ص: 37

1- (1) الاعتقادات للصدوق: 58.

2- (3) بحار الأنوار 18: 253.

قال المفضل: يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه، وكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة؟ قال عليه السلام: "نعم يا مفضل، أعطاه الله القرآن في شهر رمضان، وكان لا يبلغه إلا في وقت استحراق الخطاب، ولا يؤديه إلا في وقت أمر ونهي، فهبط جبرئيل عليه السلام بالوحي، فبلغ ما يؤمر به، وقوله: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَبَلَ بِهِ) 1 .

ومنها ما رواه العياشي عن إبراهيم أنه سأل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) 2 ، كيف انزل فيه القرآن، وإتيا انزل القرآن في طول عشرين سنة من أوله إلي آخره؟! فقال عليه السلام: "نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلي البيت المعمور، ثم انزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة" (1).

بماذا بعث النبي محمد صلي الله عليه وآله

(2)

بعث الله تعالى نبيه محمداً صلي الله عليه وآله علي حين فترة من الرسل خاتماً للنبيين وناسخاً لشرائع من كان قبله من المرسلين إلي الناس كافة أسودهم وأبيضهم عربيهم وعجميهم وقد ملئت الأرض من مشرقها إلي مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبايح وعبادة الأوثان.

فقام صلي الله عليه وآله في وجه العالم كافة ودعا إلي الإيمان بياله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع والضرر، لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدلّ ولم يتخذ صاحبة، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بعثه أمراً بعبادته وحده لا شريك له مبطلاً عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا

ص:38

1- (3) تفسير العياشي 1:80، ح 184.

2- (4) تجد هذا البحث مفصلاً في كتاب أعيان الشيعة 1:225 في ما يختص بسيرة النبي صلي الله عليه وآله.

تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن أنفسها ولا عن غيرها صَّراً ولا ضيماً، متمماً لمكارم الأخلاق حاثاً علي محاسن الصفات أمراً بكلّ حسن ناهياً عن كلّ قبيح.

سهولة الشريعة الإسلامية وسموّ تعاليمها

واكتفي من الناس بأن يقولوا لا إله إلاّ الله محمّداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويحجّوا البيت ويلتزموا بأحكام الإسلام. وكان قول هاتين الكلمتين (لا إله إلاّ الله، محمّداً رسول الله) يكفي لأن يكون لقائله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

وبعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأنّ أحداً ليس خيراً من أحدٍ إلاّ بالتقوي. وبالأخوة بين جميع المؤمنين وبالكفاءة بينهم: تتكافأ دماؤهم ويسعي بذمتهم أدناهم، وبالعفو العام عمّن دخل في الإسلام.

وسنّ شريعة باهرة وقانوناً عادلاً تلقّاه عن الله تعالي فكان هذا القانون جامعاً لأحكام عباداتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم وكان عبادياً اجتماعياً سياسياً أخلاقياً لا يشدّ عنه شيء ممّا يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلاً ويحتاج اليه بنو آدم، فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلاّ ولها في الشريعة الإسلامية أصل مسلم عند المسلمين ترجع إليه.

علي أنّ العبادات في الدين الإسلامي لا تتمحّض لمجرد العبادة ففيها منافع بدنيّة واجتماعيّة وسياسيّة فالطهارة تقيّد النظافة، وفي الصلاة رياضة روحية وبدنيّة، وفي صلاة الجماعة والحجّ فوائد اجتماعيّة وسياسيّة ظاهرة، وفي الصوم فوائد صحية لا تنكر، والإحاطة بفوائد الأحكام الإسلامية الظاهرة فضلاً عن الخفيّة أمر متعذر أو عسير.

ولما في هذا الدين من محاسن وموافقة أحكامه للعقول وسهولتها وسماحتها ورفع

الخرج فيه والاكتفاء بإظهار الشهادتين، ولما في تعاليمه من السموم والحزم والجهد دخل الناس فيه أفواجاً وساد أهله علي أعظم ممالك الأرض واخترق نوره شرق الأرض وغربها ودخل جميع أقاليمها وأقطارها تحت لوائه ودانت به الأمم علي اختلاف عناصرها ولغاتها.

ولم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذي خرج من مكة مستخفياً وأصحابه يعدّون ويستدلّون ويفتنون عن دينهم، يعتصمون تارة بالخروج إلي الحبشة مستخفين، وأخري بالخروج إلي المدينة متسلّين، يدخل مكة مع أصحابه هؤلاء في عمرة القضاء ظاهراً لا يستطيعون دفعه ولا منعه ولم تمض إلاّ مدة قليلة حتي دخل مكة فاتحاً لها وسيطر علي أهلها من دون أن تراق محجمة دم بل ولا قطرة دم فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً وتوافدت عليه رؤساء العرب ملقيةً إليه عنان طاعتها، وكان من قبل هذا الفتح بلغ من القوّة أن يبعث يرسله وسفرائه إلي ملوك الأرض مثل كسري وقيصر ومن دونهما ودعاهم إلي الإسلام، وغزا بلاد قيصر مع بُعد الشقّة وظهر دينه علي الدين كلّ كما وعده ربّه حسبما صرّح تعالي بذلك في سورة النصر، والفتح وغيرهما وكما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

ولم يقم هذا الدين بالسيف والقهر كما يصوّره من يريد الوقيعه فيه، بل كما أمر الله تعالي: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) 1 ولم يحارب أهل مكة وسائر العرب حتى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه، وأقرّ أهل الأديان التي نزلت بها الكتب السماوية علي أديانهم ولم يجبرهم علي الدخول في الإسلام.

وأُنزل الله تعالى علي نبيّه حين بعثه بالنبوة قرآناً عربياً مبيّناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أعجز النبي صلي الله عليه وآله به البلغاء وأخرس الفصحاء وتحداهم فيه فلم يستطيعوا معارضته وهم أفصح العرب بل واليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة، وقد حوي هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين وأخبار الماضين وتهذيب الأخلاق والأمر بالعدل والنهي عن الظلم وتبيان كلّ شيء ما جعله يختلف عن كلّ الكتب حتّى المنزلة منها، وهو ما يزال يتلي علي كثر الدهور ومرّ الأيام وهو غض طريّ يحير بيانه العقول ولا تملّه الطباع مهما تكرّرت تلاوته وتقادم عهده.

وقد كان القرآن الكريم معجزة فيما أبدع من ثورة علميّة وثقافيّة في ظلمات الجاهليّة الجاهلاء وقد أرسى قواعد نهضته علي منهج علمي قويم، فحثّ علي العلم وجعله العامل الأوّل لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به، وحثّ علي التفكير والتعقل والتجربة والبحث عن ظواهر الطبيعة والتعمق فيها لاكتشاف قوانينها وسننها، وأوجب تعلّم كلّ علم تتوقف عليه الحياة الاجتماعيّة للإنسان، واهتمّ بالعلوم النظرية من كلام وفلسفة وتاريخ وفقه وأخلاق، ونهي عن التقليد وإتباع الظنّ وأرسى قواعد التمسك بالبرهان.

وحثّ القرآن علي السعي والجد والتسابق في الخيرات ونهي عن البطالة والكسل ودعا إلي الوحدة ونبذ الفرقة. وشجب العنصرية والتعصب القبليّة الجاهليّة.

وأقرّ الإسلام العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤوليّة وفي الجزاء والمكافأة، وهو أوّل من نادي بحق المساواة بين أبناء الإنسان أمام قانون الله وشريعته، وأدان الطبقيّة والتمييز العنصري وجعل ملاك التفاضل عند الله أمراً معنوياً هو التقوي والاستباق إلي الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سبباً للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشري.

وبالغ الإسلام في حفظ الأمن والمحافظة علي الأموال والدماء والأعراض وفرض

العقوبات الشديدة علي سلب الأمن بعد أن شيد الأرضية اللازمة لاستقرار الأمن والعدل وجعل العقوبة آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعية بنحو ينسجم مع الحرية التي شرعها للإنسان. ومن هنا كان القضاء في الشريعة الإسلامية مرتكزاً علي إقرار العدل والأمن وإحقاق الحقوق المشروعة مع كل الضمانات اللازمة لذلك.

واعتني الإسلام بحفظ الصحة والسلامة البدنية والنفسية غاية الاعتناء، وجعل تشريعاته كلها منسجمة مع هذا الأصل المهم في الحياة..... وصفوة القول أن الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشري في تكامله وارتقائه(1).

ص:42

1- (1) أعيان الشيعة 1:225 في ما يختص بسيرة النبي صلي الله عليه وآله.

لا إشكال ولا خلاف في وقوع الإسراء، وأن الله تعالى أسرى بنبيه صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وبدل عليه قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) 1 . وكذا معراجهُ صلى الله عليه وآله من المسجد الأقصى إلى السماوات العلاء، ويمكن الاستدلال على ثبوته بالدليلين الآتين: الأول: بعض من آيات سورة النجم، الثاني: كثرة الأخبار الواردة في المعراج.

الدليل الأول: الآيات من سورة النجم، قال تعالى: (وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّٰ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفْتَمَازُونَهُ عَلِيٌّ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَىٰ السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ) 2 . فإن هذه الآيات تحكي رؤية النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل علي هيئة الواقعية والأصلية، ثم أخذ جبرئيل يقترب من النبي صلى الله عليه وآله ويدنو منه حتّى كان بينهما ما بين قاب قوسين أو أدنى.

الدليل الثاني: كثرة الأخبار الواردة في المعراج، والتي يمكن دعوي تواترها القطعي، بحيث لا تدع مجالاً للشك في وقوعه.

وبعد هذا فلا يبقى مجالاً للتشكيك في الإسراء والمعراج، وأن مجرد عدم تعقل

خصوصياتهما من قلة الزمن الذي وقعا فيه، أو ما شاكل ذلك لا يذهب بحقائتيهما، بعدما عرضناه من الأدلة. نعم إن كان خلاف ففي أمرين:

الأمر الأول: في تاريخهما: حيث ذهب مشهور المؤرخين إلي أنّهما وقعا قبل الهجرة بمدة وجيزة، كسنة أشهر كما عن بعضهم، أو بسنة كما عن بعض آخر، وفي قبال ذلك ما ذهب إليه جماعة من أنّهما في السنة الثانية من البعثة، وقيل في الثالثة، وقيل في الخامسة، واختلفوا في الليلة التي وقعت فيها الإسراء والمعراج فقول: كانا في 17 من شهر رمضان، وقيل 17 من شهر ربيع الأول، وقيل في 27 من شهر رجب(1). والأرجح وقوعه في شهر رجب السنة الثالثة أو الرابعة للبعثة لوجوه، منها:

أولاً - ما روي عن علي عليه السلام أنّه قال: " لَمَّا كان بعد ثلاث سنين من مبعثه صلي الله عليه وآله اسري به إلي بيت المقدس وعرج به منه إلي السماء ليلة المعراج... " (2).

ثانياً - ما روي عن ابن عباس، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة: من أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال لعائشة - حينما عاتبته علي كثرة تقبيله ابنته فاطمة عليها السلام - : نعم يا عائشة؛ لَمَّا اسري بي إلي السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبى، فلمّا نزلت واقعتُ خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء إنسيّة، وكلّما اشتقت إلي الجنة قبّلتها(3).

وقد ثبت بالتحقيق أنّ فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، فلا بدّ وأن يكون الإسراء والمعراج، علي ضوء هذه الرواية - قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، فتكون حادثة الإسراء والمعراج في السنة الرابعة إن حملت خديجة بعدها مباشرةً.

ص: 44

1- (1) راجع البداية والنهاية 3: 108، تاريخ الخميس 1: 307، بحار الأنوار 18: 319، ح 33.

2- (2) الخرنج والجرائح 1: 141 ح 228، وعنه في بحار الأنوار 18: 379.

3- (3) ميزان الاعتدال 2: 297، وتاريخ بغداد 5: 87، الرقم 2481.

الأمر الثاني - اختلفوا أيضاً في أنّ الإسراء والمعراج كانا جسمائين، أم روحائين، بمعنى هل فعلاً خرج النبيّ صلي الله عليه وآله بجسمة من مكّة إلي المسجد الأقصى، ثمّ عرج بجسمة إلي السماء، فكان كلّ ما رآه بجسده، أو أنّها كانت رؤيا رآها صلي الله عليه وآله في نومه؟

يري البعض: أنّهما كانا بالروح فقط في عالم الرؤيا، كما روي عن عائشة قولها: ما فقدت جسد رسول الله صلي الله عليه وآله (1)، وروي عن الحسن البصري: أنّها رؤيا صالحة. ولكنّ الصحيح علي ما ذهب إليه الإماميّة و الجمهور من علماء أهل السنّة، أنّه إنّما كان بالروح والجسد معاً، فلا ينظر بعد هذا لما روته عائشة؛ لأنّها إذ ذاك لم تكن زوجة له صلي الله عليه وآله، إذ أن زواج النبي صلي الله عليه وآله بها كان في السنة الأولى أو الثانية من الهجرة، والإسراء والمعراج كانا في السنة الثالثة أو الرابعة للبعثة (2).

ويضاف إلي ذلك أن الآية تذكر: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)3 ولفظ العبد إنما يطلق علي مجموع الروح والجسد، فلو كان مناماً، لكان حقّ الخطاب: (سبحان الذي أسري بروح عبده)، وأيضاً لو كانت مجرد رؤية صالحة ذكرها النبي صلي الله عليه وآله للمشركين لما أنكروها عليه، وأيضاً روي أنّ المشركين سألوا النبيّ صلي الله عليه وآله عن عدد أعمدة المسجد الأقصى، وعن علامة صدق قوله، فأخبرهم بعددها بعد أن أظهر له جبرئيل المسجد نصب عينيه، وذكر لهم سقاء قافلتهم، وضيع جمل من جمالها، وهذا المطلب لا يتأتّى منهم لو كان النبي صلي الله عليه وآله قد أدعي مجرد الرؤيا، بل يكشف أنّ إسراءه كان بروحه وجسده معاً، ومن هنا، ولعدم إيمان المشركين وتصديقهم به طلبوا منه صلي الله عليه وآله ما طلبوه، هذا بالنسبة إلي إسراءه من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى، وأمّا معراجه صلي الله عليه وآله من المسجد الأقصى إلي السماء فأيضاً المشهور عند الإماميّة أنّه كان بروحه وجسده وإن

ص:45

1- (1) تاريخ الخميس 1:308.

2- (2) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم 3:16.

كان هناك أقوال أخرى تشير إلي أنه كان بالروح فقط (1).

بعض ما رآه النبي في المعراج

قال رسول الله صلي الله عليه وآله - في حديثه عن معراجه لما رأى النار - : ثم مضيت فإذا أنا بقوم يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس... ثم مضيت، فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث، ويدعون الطيب، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من امتك يا محمد (2).

وقال صلي الله عليه وآله لعلي وفاطمة قدس سره فيما رآه في معراجه: رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها. ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها. ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار. ورأيت امرأة يحرق وجهها ويدها، وهي تأكل أمعاءها.

ثم طلبت فاطمة عليها السلام منه صلي الله عليه وآله أن يبين لهما الذنوب التي اقترفتها كل واحدة فاستوجبت هذا العذاب، فقال: أما المعلقة بشعرها، فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال. وأما المعلقة بلسانها، فإنها كانت تؤذي زوجها. وأما المعلقة برجليها، فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها. وأما التي كانت تأكل لحم جسدها، فإنها كانت تزني بدنها للناس (3).

وهناك أشياء أخرى متنوعة رآها النبي صلي الله عليه وآله في معراجه فمن أراد الإطلاع عليها فليراجع الكتب المدونة في هذا الموضوع.

ص: 46

1- (1) لمزيد الإطلاع راجع تفاسير آيات الإسراء والمعراج في كتب التفاسير لاسيما تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي قدس سره.

2- (2) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم 323:18.

3- (3) بحار الأنوار 351:18، ح 62.

القبس السابع: النبي صلي الله عليه وآله في شعب أبي طالب

بعد إعلان دعوة النبي صلي الله عليه وآله إلي التوحيد أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول صلي الله عليه وآله وتحاول أن تمنع من انتشار الرسالة صادةً بذلك عن سبيل الله، وعمل النبي صلي الله عليه وآله إلي فتح نافذة جديدة للدعوة خارج مكة فأرسل عدّة مجاميع من المسلمين إلي الحبشة بعد أن حظوا باستقبال ملكها (النجاشي) وترحيبه بقدمهم فاستقروا فيها بقيادة جعفر بن أبي طالب ولم يتركها جعفر إلا في السنة السابعة بعد الهجرة، ولم تفلح قريش في تأليب النجاشي علي المسلمين، فبدأت بخطة جديدة تمثلت في فرض الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فاجتمعت قريش في دار الندوة وكتبوا بينهم صحيفة: أن لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يبائعوهم ولا يزوّجهم، ولا يحضروا معهم حتّي يدفعوا إليهم محرّماً ليقتلوه، وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً وعلّقوها في الكعبة فرأي أبو طالب أنّ الحرب قد أعلنت علي قومه، فجمع بني هاشم وعبد المطلب مؤمنهم وكافرهم، وأمرهم أن يدخلوا برسول الله صلي الله عليه وآله والشعب، فدخلوا شعب أبي طالب وكان ذلك في هلال المحرم سنة سبع من البعثة النبوية، فضرب كفار قريش حول شعب أبي طالب حصاراً، وكانوا يمنعون الناس من الدخول أو الاتصال بمن يريد الحماية لرسول الله، ومضت ثلاث سنوات، وقيل أربع سنين عجاف علي الهاشميين والمطلبين وهم محاصرون داخل شعب أبي طالب عليه السلام(1).

قال القمي في تفسيره: فلمّا اجتمعت قريش علي قتل رسول الله صلي الله عليه وآله وكتبوا الصحيفة القاطعة جمع أبوطالب بني هاشم وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر في الكعبة: لئن شاكت محرّماً شوكة لأثبنّ عليكم، أو لآتينّ عليكم! وأدخله "الشعب" وكان يحرسه بالليل والنهار قائماً علي رأسه بالسيف أربع سنين(2).

ص: 47

1- (1) راجع سيرة ابن هشام 1: 350، وإعلام الوري 1: 125.

2- (2) تفسير القمي 1: 95، ذيل الآية: 95 من سورة الحجر.

وكان أبو طالب يطلب من ولده عليّ عليه السلام أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً علي سلامته من الاغتيال والمباغطة من قبل الأعداء من خارج الشعب، وكان عليّ عليه السلام يُسارع علي الامتثال لأوامر والده ويضطجع في فراش النبيّ صلي الله عليه وآله فادياً نفسه من أجل الرسالة وحاملها. ولم يكتف عليّ عليه السلام بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشعب إلي مكّة سرّاً ليأتي بالطعام إلي المحاصرين(1).

ولمّا أيسر قريش من إخضاع النبيّ صلي الله عليه وآله وأبي طالب وسائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار ولكنّ النبيّ صلي الله عليه وآله وعشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين اصابوا بوفاة أبي طالب وخديجة - سلام الله عليهما - في السنة العاشرة من البعثة وكان وقع الحادثين ثقيلاً علي النبيّ صلي الله عليه وآله لأنه فقد بذلك أقوى ناصره في عام واحد اشتهر بعام الحزن. وبعد الخروج من الحصار هاجر الرسول صلي الله عليه وآله إلي الطائف ليجت من قاعة جديدة ولكنه لم يكسب فتحاً جديداً من هذه البلدة المجاورة لمكّة والمتأثرة بأجوائها.

ص: 48

1- (1) راجع: البداية والنهاية لابن كثير 3: 84. وفي قصص الأنبياء للراوندي: 329.

قال اليعقوبي: توفيت خديجة في العاشر من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها من العمر 65 سنة... وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله من العمر 86 سنة، وقيل: بل تسعون سنة... (1)، وقال الراوندي عكس ذلك: "والصحيح أن أبا طالب توفي في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله ثم توفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام فسُمِّي رسول الله صلي الله عليه وآله ذلك العام: عام الحزن" (2). ونقل الشيخ الطوسي في "المصباح" عن ابن عيّاش: أن وفاة أبي طالب كان في السادس والعشرين من شهر رجب (3)، ولكن المشهور ما ذكرناه من وفاته في شهر رمضان.

خديجة الكبرى أم المؤمنين عليها السلام

لقد مضت ثلاث سنوات عجاف علي رسول الله صلي الله عليه وآله داخل الشعب، وكانت خديجة عليها السلام شاركتة آلام المحنة ومرارتها راضية صابرة تواسي الحبيب المصطفى صلي الله عليه وآله والمسلمين بنفسها ومالها، حتى نفذ مالها كله، خلال سنين الحصار في شعب أبي طالب، ثم جاء الفرج الإلهي، ومزقت الصحيفة الظالمة، وخرج المسلمون وهم يكبرون وكان خروجهم من الحصار في السنة العاشرة من البعثة، قبل الهجرة إلي المدينة بثلاث سنين، وخرج محمد صلي الله عليه وآله منصوراً يتابع دعوته ورسالته ولكن خديجة صلي الله عليه وآله، لم تلبث إلا قليلاً بعد الخروج من الحصار، حتي ضعفت ومرضت، ولمّا

ص:49

1- (1) تاريخ اليعقوبي 2:35.

2- (2) قصص الأنبياء: 2:121، وراجع: بحار الأنوار: 42.

3- (3) مصباح المتهدّد: 566.

قرب منها الأجل أخذت توصي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إني مقصرة في حقك فاعفني وسامحني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: حاشا وكلاً ما رأيت منك تقصيراً فقد بلغت جهدك وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلت جميع أموالك في سبيل الله، فجزاك الله خير الجزاء. ثم قالت: يا رسول الله اوصيك بهذه، - وأشارت إلي ابنتها فاطمة -، فإنها يتيمة غريبة من بعدي فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، وكذلك أوصت اسماء بنت عميس أن تقوم مقامها عند ليلة زفاف فاطمة، فتعهدت أسماء بذلك، وأما الوصيَّة الثالثة يا رسول الله فإنني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقولها لك: فإنني مستحية منك فقام النبي صلى الله عليه وآله وخرج من الحجرة، فدعت بفاطمة عليه السلام وقالت لها: يا حبيبتي وقرّة عيني قولي لأبيك رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُمي تقول: أنا خائفة من القبر، اريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي، تكفني به، فخرجت فاطمة عليه السلام وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي صلى الله عليه وآله ورسلم الرداء إلي فاطمة وجاءت به إلي أمها فسرت به سروراً عظيماً، فلما توفيت خديجة في يوم العاشر من شهر رمضان للسنّة العاشرة بعد البعثة النبويّة، أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في تجهيزها فغسلها وحطّطها، فلما أراد أن يكفنها بالرداء، هبط الأمين جبرئيل وقال: يا رسول الله إن الله يقرئك السّلام ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: إن كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا، فجاء جبرئيل بكفن خديجة وهو من أكفان الجنّة أهداه الله إليها، فكفنها رسول الله صلى الله عليه وآله بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرئيل ثانياً، فكان لها كفنان: كفن من الله، وكفن من رسوله صلى الله عليه وآله، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في قبرها، ولم يكن يومئذ قد شرعت الصلاة علي الجنائز فانزلها في حفرتها ودفنها بيده الشريفه في مقبرة الحجون بمكة المكرّمة. (1)

ولمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلي البيت هاج به الحزن واغتمّ، وكان صلى الله عليه وآله في زمان

ص:50

1- (1) راجع: السيرة النبوية 2:57، أسد الغابة 5:539، الإصابة 4:275.

حياتها إذا غلب عليه الحزن نظر إلي وجه خديجة فيذهب عنه الحزن ويسرّ بذلك كما أنه يسرّ بمجرّد سماع إسم خديجة، والآن بعد وفاتها، إذا اشتدّ حزنه نظر إلي ابنتها فاطمة، فتذكره بخديجة ويسرّ بذلك سروراً عظيماً، ولكن ماذا يصنع رسول الله صلي الله عليه وآله بحزن فاطمة علي أمها، وهي تبكي وتقول: أين أمي؟ ولا يدري رسول الله صلي الله عليه وآله ماذا يجيبها، فنزل جبرئيل وقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ علي فاطمة السلام وتقول لها: أمك في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب، كعابه من ذهب وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام(1).

أبو طالب كافل الرسول صلي الله عليه وآله وناصره

أبو طالب: هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي لقب بأبي طالب، وسيد البطحاء، وشيخ قريش، رئيس مكة، و"أبو طالب" لقب غلب عليه، حتّي لم يعد أحد يناديه باسمه الأصلي (عبد مناف). وكان أبو طالب يتمتّع بشخصية قوية مُهابة في نفوس قومه، وكانت رئاسة قريش وبنو هاشم بعد عبد المطلب له، ولم يكن هو الابن الأكبر لعبد المطلب، ولم يكن غنياً، ولذا قيل: لم يكن أحد يسود قريشاً بلا مال سوي أبي طالب، وكانت لعبد المطلب علاقة خاصة بولده أبي طالب، لما كان يعرفه من علو منزلته، ولذا طلب عبد المطلب منه أن يتولّى كفالة النبي صلي الله عليه وآله من بعده، فكان أبو طالب عند حسن ظنّ أبيه، فرعاه وعطف عليه، وكان يقدمه علي أبنائه أجمعين(2)، وكان يحبه حباً شديداً، وكان لا ينام إلا إلي جنبه، ويخرج فيخرج معه،

ص: 51

1- (1) راجع: الأماي للصدوق: 271، بحار الأنوار 7:16 ب 5 ح 11، 12.

2- (2) سيرة ابن هشام 179:1 وتاريخ اليعقوبي 1:335.

وكان يخصّه بالطعام، فإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادي لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلي الله عليه وآله شبعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك. وكان يقول:

إن ابن آمنة النبي محمداً عندي يفوق منازل الأولاد(1)

وهكذا كانت فاطمة بنت أسد، زوجة أبي طالب فإنها كانت تفضل الرسول صلي الله عليه وآله علي أولادها، وكانت له بمنزلة الأم الحنونة، فتربّي في حجرها، فكان رسول الله صلي الله عليه وآله دائماً يذكرها بخير وكان شاكراً لبرّها، وكان يُسمّيها "أمي"، ولمّا توفيت كفنها رسول الله صلي الله عليه وآله بقميصه، وأمر أن يحفر قبرها في البقيع، فلمّا بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال: "اللهم اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها ووسّع عليها مدخلها".

وهكذا واصل أبو طالب رعايته ونصرته لرسول الله صلي الله عليه وآله طيلة الاثني والأربعين عاماً التي قضاهما معه، وأخذ يبلغ النبي صلي الله عليه وآله دعوته كما أمره الله تعالى، ولم تشدد قريش من مواجهتها للنبي صلي الله عليه وآله حتّى بدأ رسول الله يهاجم آلهتهم، ولعلمها بأنّ وراء النبي محمد صلي الله عليه وآله قوة لا يمكن تجاوزها قد تمثلت في أبي طالب وبني هاشم الذين أعلنوا بلسان أبي طالب أنهم حماة النبي صلي الله عليه وآله، ولذا اجتمعت قريش عدة اجتماعات وقرروا عدّة قرارات، علّها تشي الرسول وعمّه، أو تساهم في عزل النبي محمداً صلي الله عليه وآله عن بني هاشم وعبد المطلب، ومن بين هذه القرارات، المحاصرة والمقاطعة الاقتصادية ثلاث سنوات في شعب أبي طالب.

إنّ أبا طالب لم يتخلّ عن حماية ونصرة الرسول صلي الله عليه وآله حتي آخر لحظات عمره الشريف، بحيث أوصي أقاربه وأصحابه بأن يدافعوا عنه وينصروه، ولذا كان رسول الله صلي الله عليه وآله يحب أبا طالب ويشي عليه طيلة حياته، ولمّا سمع بموته حزن عليه حزناً شديداً،

ص:52

1- (1) ديوان أبي طالب: 38، وتاريخ ابن عساكر 1: 269.

ثم قال لعلِّي عليه السلام: امض فتولَّ غسله، فإذا رفعتَه علي سريره فاعلمني. ففعل فاعترضه رسول الله صلي الله عليه وآله وهو محمول علي رؤوس الرجال، فقال صلي الله عليه وآله: " يا عمّ جزيت خيراً، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ونصرت وأزرت كبيراً... أما والله لأستغفرنّ لك ولأشفعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان" (1)، ثمّ دفن في مقبرة الحجون. وروي الشيخ الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: " إنَّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرَّ الايمان، فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزَّوجلَّ إلي رسول الله: اخرج منها فليس لك بها ناصر، فهاجرَ الي المدينة" (2).

ص:53

-
- 1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 76:14 من كتاب له إلي معاوية، ذكر في إيمان أبي طالب، والبداية والنهاية 3:125، وتاريخ اليعقوبي 2:35 باب وفاة خديجة وأبو طالب.
- 2- (2) كمال الدين: 172.

بينما كان النبي صلي الله عليه وآله ذات يوم في مسجد الحرام جالساً في حجر إسماعيل يذكر ربه ويناجيه؛ إذ مرَّ به أسعد بن زرارة، وكان قد قدم من يثرب يطلب من قريش مؤازرته وقومه علي الأوس، فتقدم من النبي صلي الله عليه وآله فقال له: إلي ما تدعو يا محمد؟! فقال صلي الله عليه وآله: "إلي شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلي: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَ لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطْنٌ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ بَعَثَ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) 2... فلما سمع أسعد ذلك أسلم، وقال: "بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أحد أعز منك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود، خبرك، وكانوا يبشروننا بخروجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقنا إليك، والله ما جئت إلا لأطلب الحلف علي قومنا، وقد أتانا الله بأفضل مما أتيت له..."، ثمَّ رجع إلي المدينة وأخبر بأمر النبي صلي الله عليه وآله، وشاع خبره فيها، ودخل في الإسلام عدد كبير،

ص: 54

1- (1) يثرب: بمعني المقطع أوالمبوء، وبعد الهجرة أطلق النبي صلي الله عليه وآله اسم طيبة علي مدينة يثرب وذلك بعد رجوعه من غزوة تبوك حيث قال صلي الله عليه وآله: «هذه طيبة، أسكننيها ربي»، واشتهرت بعد ذلك بمدينة النبي صلي الله عليه وآله، (موسوعة التاريخ الإسلامي 2: 29 و 69)

حتّى إذا كان في العام المقبل وفي الموسم من أهل يثرب اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة وبايعوه علي أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف، وإنّهم إن فؤا بذلك كان لهم الجنة، وإن غشوا في ذلك شيئاً، فأمرهم إلي الله إن شاء عذب وإن شاء غفر، وقد طلبوا من رسول الله صلي الله عليه وآله أن يبعث معهم من يعلمهم القرآن وأحكام الإسلام، ويفقههم في الدين، فأرسل معهم مصعب بن عمير بن هاشم(1).

وكان مصعب حريصاً علي الدعوة إلي الإسلام، وعلي انتشاره في المدينة، فكان يدعو إلي الإسلام، ويعلم من أسلم القرآن وأحكام الإسلام، حتّى دخل في الإسلام خلق كثير، وكان يُصلّي بهم إلي جهة بيت المقدّس، وفي العام المقبل أقبل مصعب في موسم الحج مع وفود المدينة تدعو رسول الله صلي الله عليه وآله ليهاجر إليهم، وبايعوه علي النصر، وعلي أن يمنعوه ما يمنعوا منه أولادهم وأهليهم، وهذه هي البيعة العقبة الثانية، فقبل النبي صلي الله عليه وآله الهجرة إليهم، وبعد ذلك أخذ النبي صلي الله عليه وآله يأمر أصحابه بالهجرة إلي المدينة، فأخذ الرجل والرجلان والثلاثة يركبون سواد الليل مهاجرين إلي المدينة(2).

قال ابن شهر آشوب: كان النبي صلي الله عليه وآله لم يؤمر إلاّ بالدعاء والصبر علي الأذي والصفح عن الجاهل، فطالت قريش علي المسلمين، فلمّا كثرتهم أمر بالهجرة فقال صلي الله عليه وآله: إنّ الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها واخواناً، فخرجوا أرسالاً، حتّى لم يبق مع النبي إلاّ عليّ عليه السلام وأبو بكر(3).

ص:55

1- (1) السيرة النبوية لابن هشام 2:235.

2- (2) راجع: تاريخ اليعقوبي 2:37، البداية والنهاية 3:158. وإعلام الوري: 136.

3- (3) مناقب آل أبي طالب 1:182، وراجع الطبقات الكبرى 1:226.

لمّا علمت قريش أنّ المسلمين قد صاروا إلي يثرب، وقد دخل بعض أهلها الإسلام، قالوا: هذا شرّ شاغل لا يطاق، فأجمعوا أمرهم علي قتل رسول الله صلي الله عليه وآله في ليلة معيّنة، وكانوا قد انتخبوا من كل قبيلة فارساً حتّي بلغ عددهم خمسة عشر رجلاً يغيرون عليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين العرب، ولا تطلب بنو هاشم بثأره فيقبلون بالدية، ويروي أنّ من دبّر لهم هذه الحيلة إبليس الذي جائهم بصفة شيخ كبير نجدي واجتمع معهم في دار الندوة. وسبقهم جبرئيل بالوحي بما كان من كيدهم، ولمّا أخبر النبيّ جبرئيل عليه السلام بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة، دعا رسول الله عليّ بن أبي طالب لوقته فقال له: يا عليّ، إنّ الروح هبط عليّ يخبرني أنّ قريش اجتمعت علي المكر بي وقتلي، وإنّ أوحى إليّ عن ربّي عزوجلّ أن أهجّر دار قومي وأن أنطلق إلي غار ثور تحت ليلتي، وإنّ أمرني أن أمرك بالمبيت علي مضجعي لتُخفي بمبيتك عليه أثري فما أنت صانع؟ فقال عليّ عليه السلام: أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله؟ قال: نعم. فتبسّم عليّ ضاحكاً وأهوي الي الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه رسول الله به من سلامته، ولمّا رفع رأسه قال له علي عليه السلام: أمض بما امرت، فذاك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومُرني بما شئت... فقال له: فارقد علي فراشي واشتمل ببردي الحضرميّ، ثمّ إنّي أخبرك يا عليّ أنّ الله تعالي يمتحن أوليائه علي قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاءاً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يابن عمّ وامتحنتني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح اسماعيل قدس سره، فصبراً صبراً، فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين، ثمّ ضمّه النبيّ صلي الله عليه وآله إلي صدره وبكي وجداً به، وبكي عليّ عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله صلي الله عليه وآله (1).

ونام علي بن أبي طالب عليه السلام علي فراش النبي صلي الله عليه وآله واشتمل ببرده الحضرمي، فخرج صلي الله عليه وآله، وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، وهم يحسبون رسول الله، وعليّ عليه السلام يتضور - أي يتلوي ويتقلب - وقد لفَّ رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، فهجموا عليه، فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتصوا السيوف، وأقبلوا عليه، وثب في وجوههم فأجفلوا أمامه، وتبصروه فإذا عليّ، فقالوا: وإِنَّكَ لعليّ؟ قال: أنا علي، قالوا: فما فعل صاحبك، فقال: وهل جعلتموني عليه حارساً(1).

وقد ورد: أَنَّ الله تعالى أوحى إلي جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختر كلاهما الحياة فأوحى الله إليهما ألا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد صلي الله عليه وآله، فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ إهبطا إلي الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرئيل ينادي: "بخ بخ، مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله به الملائكة"، فأنزل الله تعالى الآية: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ)2، هذا وقد اشتهرت هذه الليلة بليلية المبيت التي فدا فيها الإمام عليّ عليه السلام نفسه لبقية النبي صلي الله عليه وآله حياً(2).

وكان رسول الله صلي الله عليه وآله ينتظر الأمر الإلهي في هجرته، فخرج النبي صلي الله عليه وآله في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون، وقد قرأ عليهم قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)4، وأخذ بيده قبضة من تراب فرمي بها علي رؤوسهم، ومرّ من بينهم، فما شعروا به، وأخذ طريقه

ص:57

1- (1) راجع: السيرة الحلبية 2:35، مجمع الفوائد 9:120.

2- (3) راجع: مجمع البيان 2:301، والتبيان 2:183.

إلي غار ثور، وأدركت قريش الأمر، فركبوا في طلب النبي صلي الله عليه وآله، واقتفوا أثره، حتي وصل القافي إلي نقطة لحوق أبي بكر به، فأخبرهم أنّ من يطلبونه صار معه رجل آخر، فاستمروا يقتفون الأثر حتّي وصلوا إلي باب الغار، فصرفهم الله عنه حيث كانت العنكبوت قد نسجت علي باب الغار وباضت في مدخله حمامة وحشيّة، فاستدلّوا من ذلك علي أنّ الغار مهجور ولم يدخله أحد، وإلا لتخرق النسج، وتكسر البيض، ولم تستقرّ الحمامة الوحشيّة علي بابه(1).

وفي هذا نزل قوله تعالي: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)2.

وبقي النبي صلي الله عليه وآله وصاحبه في غار ثور ثلاثة أيام وكان يتردد خلالها أمير المؤمنين عليه السلام، حتّي إذا كانت ليلة اليوم الرابع هيّا علي عليه السلام بأمر النبي صلي الله عليه وآله ثلاث راحل ودليلاً أميناً يدعي أريقط ليترحلها إلي المدينة ويدلّهم الدليل علي طريقها، أوصي النبي صلي الله عليه وآله عليّاً في تلك الليلة بأن يؤدّي أمانته علي أعين الناس، وذلك بأن يقيم صارخاً بالأبطح غدوة وعشيّاً: "ألا من كان له قبل محمّد أمانة أو وداعة فليأت فلنؤدّ إليه أمانته" ثمّ أوصاه صلي الله عليه وآله بالفواطم وهنّ: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ عليّ عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وبكلّ من يريد الهجرة معه، وقال له عبارته المشهورة: "إنّهم لن يصلوا من الآن إليك يا عليّ بأمر تكرهه حتّي تقدم عليّ"، ثمّ توجّه النبي صلي الله عليه وآله هو وصاحبه إلي المدينة سالكين إلي ذلك الخط الساحلي، وقد جاء ذكر المنازل التي مرّ بها(2).

ص: 58

1- (1) راجع: مجمع البيان 31:5، (ذيل الآية: 40 من سورة التوبة).

2- (3) السيرة النبوية لابن هشام 488:1، راجع: الكامل في التاريخ 2:73.

لَمَّا وصل النبي صلي الله عليه وآله في هجرته من مكة إلي قرية قباء (1) من ضواحي يثرب وكان ذلك يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول أقام فيها عدّة أيام منتظرًا قدوم ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام بركب الفواطم، وكان قد ألحّ أبو بكر عليه لكي يدخل المدينة في ليلته إلا أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال له: " ما أنا بداخلها حتّي يقدم ابن عمّي وأخي وابنتي "، يعني عليّاً وفاطمة عليه السلام، فلمّا أمسي فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل علي بعض الأنصار، وبقي النبي صلي الله عليه وآله في قباء نازلًا علي كلثوم ابن الهدم، ينتظر قدوم ابن عمّه من مكة المكرمة ليدخلوا مدينة يثرب معاً (2).

وعند وصول النبي صلي الله عليه وآله إلي قرية قباء، نزل وصاحبه علي كلثوم بن الهدم، وهو شيخ من بني عمرو، وقد خط رسول الله صلي الله عليه وآله مسجداً لقبيلته بني عمرو بن عوف، ونصب لهم قبلته، وكان أول مسجد بني في الإسلام، (3) وقد عبّر عنه القرآن بأنه المسجد الذي أسس علي التقوي، في قوله تعالى: (لا تُؤمّ فيه أبداً لمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَي التَّقْوِي مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) 4، وقد ورد في الأحاديث أنّ الصلاة فيه تعدل عمرة مفردة.

ص: 59

1- (1) كانت قرية قباء من ضواحي مدينة يثرب، وكانت مساكن بني عمرو بن عوف. واليوم أصبحت قباء جزءاً من المدينة. (راجع: مراصد الإطلاع 34:1061).

2- (2) الصحيح من سيرة النبي الأعظم 4:88.

3- (3) تاريخ الخميس 1:333، بل نقل أن المسجد بناه عمار قبل وصول الرسول صلي الله عليه وآله (موسوعة التاريخ الإسلامي: ج 14:1).

خرج علي بن أبي طالب عليه السلام من مكة المكرمة، بعد خروج النبي صلي الله عليه وآله بثلاثة أيام بعدما نَقَذ وصايا النبي صلي الله عليه وآله وكان مع الإمام علي عليه السلام الفواطم: فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلي الله عليه وآله، وفاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي عليه السلام، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وجمع من ضعفاء المؤمنين.

يقول المقرئزي: قدم رسول الله صلي الله عليه وآله في الثاني عشر من ربيع الأول، والتحق به علي عليه السلام في منتصف ذلك الشهر نفسه في قرية قباء، ويؤيد هذا القول ما ذكره الطبري في (تاريخه) إذ كتب يقول: أقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها حتي أَدَّى عن رسول الله صلي الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده إلي الناس (1). ولما بلغ النبي صلي الله عليه وآله قدوم علي عليه السلام، قال صلي الله عليه وآله: " ادعوا لي علياً"، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي صلي الله عليه وآله، فلما رآه اعتنقه، وبكى رحمة لما تقدمه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فقال صلي الله عليه وآله: " يا علي أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلي الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا- يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر" (2).

وبعد لحوق علي عليه السلام بالنبي صلي الله عليه وآله في قباء استمرَّ النَّبِيُّ صلي الله عليه وآله ومَن معه نحو المدينة حتَّى وصلوا إلي حي بني سالم بن عوف مع طلوع الشمس من يوم الجمعة فخطَّ لهم مسجداً ونصب قبلته (الي بيت المقدس) وصلِّي بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين، اشتهر بعد ذلك بمسجد الجمعة. لقد رُوي عن علي بن الحسين عليه السلام قال:...

ص:60

1- (1) راجع: تاريخ الطبري 2:382.

2- (2) راجع: تفاصيل هذه القضية في: أمالي الطوسي 2:83، الكامل في التاريخ 2:106، بحار الأنوار 19:64.

قدم علي عليه السلام والنبي في عمرو بن عوف فنزل معه،... ثم تحوّل من قبا الي بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه، مع طلوع الشمس من يوم الجمعة، فخطّ لهم مسجداً ونصب قبلته (الي بيت المقدس) فصلّي بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين... (1).

المدينة تهبُ لقدم النبي صلي الله عليه و آله

لقد خرج النبي صلي الله عليه و آله مهاجراً من مكة المكرمة في الأول من ربيع الأول السنة 13 للبعثة، وكانت ليلة الخميس، ووفي ليلة الرابعة منه كان خروجه من الغار متوجّهاً إلي يثرب، وقد وصل إلي منطقته قباء من ضواحي يثرب يوم الإثنين في الثاني عشر من ربيع الأول من تلك السنة وانتظر ابن عمه والذين معه من الفواطم والأصحاب ولم يدخل المدينة، إلي أن التحقوا به صلي الله عليه و آله في يوم الخامس عشر من ربيع الأول ودخلوا معه إلي مدينة يثرب التي سُمّيت بعد ذلك بمدينة الرسول صلي الله عليه و آله، واشتهرت بالمدينة المنورة إلي يومنا هذا.

وكان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلي الله عليه و آله يوماً عظيماً مشهوداً، فكم تري ستكون عزيمة فرحة الذين آمنوا برسول الله صلي الله عليه و آله منذ ثلاث سنين، وظلوا طوال هذه الأعمار يبعثون برسلمهم ووكلائهم إليه، ويذكرون اسمه المقدّس، ويصلّون عليه في صلواتهم كل يوم.

وعند دخول النبي صلي الله عليه و آله مدينة يثرب استقبله الناس - رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً -، استقبالاً عظيماً، ورحّبوا به أعظم ترحيب، وكان في مقدمة المستقبليين أصحاب بيعة العقبة الثانية، وهم سبعون رجلاً وكذلك المهاجرون وفي مقدمتهم مصعب بن عمير، وكانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده، وأصرت عليه بأن ينزل في قباء، وقالوا

ص:61

1- (1) رواه الكليني في روضة الكافي: 338، والمسجد لازال موجوداً ببناءً جديد قرب مسجد قباء.

له: أقم عندنا يا رسول الله، فإننا أهل الجدد والجلد والحلقة (أي السلاح) والمنعة، ولكن رسول الله صلي الله عليه وآله لم يقبل.

وكان في مقدمة المستقبليين لرسول الله صلي الله عليه وآله الأوس والخزرج، وقرب نزوله المدينة قلبوا السلاح وأقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحيّ من أحياء الأنصار إلاّ وثبوا في وجهه، وأخذوا بزمام ناقته، وأصروا عليه أن ينزل عليهم، ورسول الله صلي الله عليه وآله يقول: "خلّوا سبيل الناقة فإنها مأمورة" (1).

وأخيراً لمّا انتهت ناقته إلي أرض واسعة كانت ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فبركت علي باب أبي أيوب الأنصاري (خالد بن زيد الأنصاري) الذي كان علي مقربة من تلك الأرض، فاغتنمت زوجة أبي أيوب الفرصة فبادرت إلي رحل رسول الله صلي الله عليه وآله فحملته وأدخلته منزلها، بينما اجتمع عليه الناس يسألونه أن ينزل عليهم، فلما أكثروا عليه، وتنازعوا في أخذه، قال صلي الله عليه وآله: "أين الرحل؟" فقالوا: أم أيوب قد أدخلته في بيتها، فقال صلي الله عليه وآله: "المرء مع رحله"، وكان أبوأيوب أفقر أهل المدينة، وبقي النبي صلي الله عليه وآله عنده حتي بُني مسجده (2).

النبي صلي الله عليه وآله وبناء المسجد في المدينة

بعد وصول النبي صلي الله عليه وآله إلي المدينة - بأيام - ابتاع الأرض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه إلي المدينة، والتي كانت ليتيمين هما (سهل وسهيل) من الخزرج، وكانا عند

ص: 62

1- (1) بحار الأنوار 107:19.

2- (2) راجع تفاصيل قضية الهجرة بكاملها في السيرة الحلبية 2:280، اسد الغابة 4:25، شواهد التنزيل 1:97، تذكرة الخواص: 35، المناقب للخوارزمي: 74، التفسير الكبير 5:204، تاريخ الخميس 1:328، البداية والنهاية 3:181.

أسعد بن زرارة، وقد اشتراها بعشرة دنانير، وذلك لإقامة مسجده فيها، وقد اشترك كافة المسلمين في تهيئة مواده وبنائه، كما أن رسول الله صلي الله عليه وآله عمل بنفسه في تشييده فكان ينقل معهم اللبن والحجارة، وبينما هو صلي الله عليه وآله ذات مرة ينقل حجراً علي بطنه استقبله (اسيد بن حضير) فقال: يا رسول الله، أعطني أحمله عنك، فقال صلي الله عليه وآله: لا، اذهب فاحمل غيره(1).

وبهذا الأسلوب العملي كشف رسول الله صلي الله عليه وآله عن جانب من خلقه وسلوكه القويم، إذ بين بعمله أنه رجل عمل، وليس رجل قول، وكان لهذا أثره الفعال في نفوس أتباعه، حتى أنشد بعضهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منا العمل المضلل(2)

وفعلاً بنى المسلمون مسجدهم وبنى المهاجرون منازلهم حول المسجد، وفتح كل واحد منهم بابه علي المسجد شراعاً، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الأبواب، ولكن فيما بعد أمر الله نبيه أن يأمر المسلمين بسد أبوابهم المشرعة علي المسجد عدا بابه صلي الله عليه وآله وباب علي عليه السلام.

إنَّ مسجد النبي صلي الله عليه وآله في المدينة المنورة الذي بنى علي يد النبي صلي الله عليه وآله وأصحابه الكرام يُعد ثاني المساجد في الفضل بعد مسجد الحرام في مكة المكرمة، وقد ورد في الحديث الشريف: "وصلاة في مسجدي تعدل (عشرة آلاف) صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام"(3).

ص:63

1- (1) راجع بحار الأنوار 112:19.

2- (2) السيرة النبوية لابن هشام 1:496.

3- (3) وسائل الشيعة 280:57. ولهذا المسجد مستحبات وآداب خاصّة، وللإطلاع عليها راجع مظانها في كتب الفقه أو الأدعية.

وكان المسلمون يجتمعون للصلاة في المسجد لحين مواقيتها بغير دعوة، وفي السنة الأولى للهجرة شرَّعَ أذان إعلان أوقات الصلاة، لقد روي الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لَمَّا هَبَطَ جبرئيل بالأذان علي رسول الله وكان رأسه في حجر علي عليه السلام فأذن جبرئيل وأقام فلما انتبه رسول الله قال: يا علي سمعت؟ قال: نعم، قال: حفظت؟ قال: نعم. قال: ادع بلالاً فعلمه. فدعا علي عليه السلام بلالاً فعلمه(1).

وضع التاريخ الهجري

قد نهج المسلمون - كسائر الأمم - أن يؤرخوا الحوادث والأيام وما في ذلك من مناسبات مهمة تشكّل الجزء الأكبر من حضارة المسلمين، فعمدوا إلي الهجرة المباركة للرسول الأعظم صلي الله عليه وآله من مكة المكرمة إلي المدينة المنورة، في السنة الثالثة عشر من البعثة فجعلوها مبدءاً للتاريخ، ويحسب من خلال دوران الأرض حول الشمس أو دوران القمر حول الأرض، فإذا كان الحساب من خلال دوران الأرض حول الشمس سميت السنة هجرية شمسية، وتساوي 365 يوماً تقريباً، (ومثله التاريخ الميلادي ولكن علي مبدأ تاريخ المسيح عليه السلام) وأمّا إذا كان المقياس لحساب التاريخ الهجري، هو دوران القمر حول الأرض، سميت السنة هجرية قمرية، وتساوي 355 يوماً تقريباً من هجرة الرسول صلي الله عليه وآله، ولهذا فالسنة الشمسية تزيد عن مثيلتها القمرية بـ 10 إلي 11 يوماً فمبدأ التقويمين الهجريين الشمسي والقمري واحد ولكن الاختلاف في عدد الأيام، وبمرور الزمن تختلف السنين الهجرية الشمسية عن السنين الهجرية القمرية.

ص:64

1- (1) الكافي 1:302 ح 2، من لا يحضره الفقيه 1:57.

والمشهور أن عملية وضع التاريخ الهجري في الإسلام تنسب إلي الخليفة الثاني، وقيل: أن أول من أرخ بهذا البدأ هو الرسول نفسه (1)، لقد روي عن الزهري: أن رسول الله لما قدم المدينة أمر بالتاريخ! وليس في هذا الخبر وقت (تاريخ) معلوم ولا نقل كيفية ذلك؛ وهو خبر مرسل.

والتحقيق في هذه المسألة تشير إلي أن الخليفة الثاني عمر استشار الصحابة في ذلك فأشار عليه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يؤرخ بهجرة النبي؛ صلي الله عليه وآله لقد روي خليفة المؤرخ في تاريخه: أن أبا موسى الأشعري كتب إلي عمر: إنه تأتينا كتب ما ندري ما تاريخها. فاستشار عمر الصحابة فقال بعضهم: من المبعث، وقال بعضهم: من وفاته، فقال له علي عليه السلام بل منذ خرج رسول الله صلي الله عليه وآله من أرض الشرك، فهو يوم هاجر، فأجمع رأيهم أن يكتبوه من هجرته فأرادوا أن يبتدئوا من شهر رمضان ثم بدا لهم أن يجعلوه من المحرم.

وقال المسعودي: شاور عمر الناس في كتابة التاريخ، فكثرت منهم القول وطال الخطب اقتباساً من تواريخ العجم وغيرهم! فأشار عليه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يؤرخ بهجرة النبي وتركه أرض الشرك، فعملوا به، ولكنهم بدؤوا من المحرم أي قبل قدومه إلي المدينة بشهرين و (12) يوماً؛ لأنهم أحبوا أن يبتدئوا من أول السنة (القمرية العربية) (2).

ص: 65

1- (1) راجع: تاريخ اليعقوبي 2: 37، اسد الغابة 4: 25، بحار الأنوار 19: 29، 64.

2- (2) التنبية والإشراف: 252، وفي تاريخ اليعقوبي 2: 145: أن ذلك كان سنة (16 هـ -)، وراجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 4: 151).

لقد آخي النبي صلي الله عليه وآله بين المسلمين من المهاجرين بمكة قبل هجرته منها، فجعل كل واحد منهما أخاً للآخر، واتخذ هو صلي الله عليه وآله لنفسه أخاً وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم لما هاجر صلي الله عليه وآله إلي المدينة وهاجر أخيراً معه الآخرون من المسلمين، واصبحوا فرقتين مهاجرين وأنصاراً، آخي صلي الله عليه وآله بينهما مؤاخاة فجعل لكل مهاجري أخاً من الأنصار، ولكل أنصاري أخاً من المهاجرين، وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان السنة الأولى للهجرة حسب القول المشهور. أما هو صلي الله عليه وآله فلم يتخذ له أخاً سوي علي أمير المؤمنين عليه السلام مع أن كل واحد منهما مهاجري، فمقتضي هذه القاعدة أن يتخذ النبي صلي الله عليه وآله أخاً له من الأنصار، وأن يتخذ لعلي أيضاً أخاً له من الأنصار، ولكن لما لم يكن أحد مثل النبي صلي الله عليه وآله في الدنيا آله غير علي أمير المؤمنين عليه السلام لذا اتخذه أخاً له دون غيره في كلا-المرتين، وما اكتفي بذلك حتي قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة، فكان علي أخاه في المنزلة والمؤاخاة، ولكنها مؤاخاة خاصة بين الاثنين، إضافة إلي الأخوة العامة بين المؤمنين أجمعين (1).

ونقل العلامة المجلسي في بحاره: كان في أحد الأيام النبي صلي الله عليه وآله ومعه 740 شخصاً من المسلمين في منطقة النخيلة، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال: لقد عقد رب العزة تبارك وتعالى عقد الأخوة بين الملائكة فأتت يا رسول الله، اجعل بين أصحابك عقد الأخوة الإيمانية. فكل شخص توجه إلي الشخص الآخر الذي كان يميل إليه ويحبه أكثر، فتآخي أبو بكر مع عمر، وعثمان مع عبد الرحمن، وسلمان مع أبي ذر، وطلحة مع الزبير، ومصعب مع أبي أيوب الأنصاري، وحمزة مع زيد بن حارثة، وأبو الدرداء

مع بلال، وجعفر الطيار مع معاذ بن جبل، والمقداد مع عمار، وعائشة مع حفصة، وأم سلمة مع صفية، والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين علي عليه السلام(1).

ونقل المقرئ في "إمتاع الأسماع" عن عبد الرحمان بن الجوزي قال: أحصيت جملة من آخي النبي صلى الله عليه وآله بينهم فكانوا مئة وستة وثمانين رجلاً. ويقال: كانوا تسعين رجلاً: خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعين رجلاً من الأنصار. ويقال: خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء. ويقال: انه لم يبق من المهاجرين أحد الا آخي بينه وبين أنصاري. وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر. وقيل: بثمانية أشهر، ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر(2).

وقال ابن سعد في "الطبقات" (3) ما معناه: أن النبي صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة آخي بين المهاجرين والأنصار علي الحق والمواساة يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، فلما كانت وقعة بدر أنزل الله تعالى في سورة الأنفال: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)4 نسخت هذه الآية ما كان قبلها، ورجع كل إنسان إلي نسبه وورثه ذورحمه.

وعن محدوج بن زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله آخي بين المسلمين، ثم قال: يا علي، أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي(4).

ص: 67

-
- 1- (1) بحار الأنوار 38:335، ح 10.
 - 2- (2) إمتاع الأسماع: 340. وفي مسند أحمد 1:230، ورواه الممتقي الهندي في كنز العمال 6:391، كما في الغدير 3:116.
 - 3- (3) الطبقات. 1:242.
 - 4- (5) فضائل الصحابة لابن حنبل 2:663 ح 1131، وتاريخ دمشق 42:53 ح 8389، والمنقب للخوارزمي 140، ح 159.

وعن الإمام علي عليه السلام: أخي رسول الله صلي الله عليه وآله بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركنتني فرداً لا أخ لي!! فقال: إنما اخترتك لنفسي؛ أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقامت وأنا أبكي من الجذل(1) والسرور(2).

أبعاد ونتائج التآخي بين المسلمين

لهذه القضية أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية يمكن أن نلخصها كالتالي:

- 1 - إعالة المهجرين وإعادة تأهيلهم اقتصادياً للعودة لممارسة حياتهم الطبيعية، وإزالة الفوارق الطبقيّة في محاولة للقضاء علي الفقر.
 - 2 - القضاء علي الأمراض الاجتماعية المتأصلة في المجتمع ومخلفات التناحر القبلي وإشاعة روح الحب والود والتآلف.
 - 3 - تكوين نسيج مترابط من المسلمين يتحرك مستجيباً لأوامر الرسول والرسالة لتصبح أمة واحدة تشعر بالقوة في الدفاع عن نفسها.
- ولقد حثّ الإسلام كثيراً علي أنه ينبغي للمؤمن أن يتخذ الأخ والصديق، ويسعي جاهداً لتكثير الأصدقاء، وأن سعادة المؤمن الظفر بأكثر عدد ممكن منهم، فعن الصادق عليه السلام: " من لم يرغب في الاستكثار من الاخوان ابتلي بالخسران"(3).
- وعن الإمام علي عليه السلام: " أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم"(4).

ص:68

-
- 1- (1) جذل - بالكسر - بالشيء يجذل جذلاً فهو جذل وجذلان: فرح (لسان العرب 11:107).
 - 2- (2) كنز الفوائد 2:180، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، والمعجم الكبير 11:63 ح 11092.
 - 3- (3) تحف العقول: 319.
 - 4- (4) بحار الأنوار 74:278 ح 12.

ورد عن النبي الأكرم صلي الله عليه وآله: " للمسلم علي أخيه المسلم ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يكتُم سره، يستر زلته، أن يقبل عذره، أن يدافع عنه، أن يحب له الخير والصلاح، أن يفي بوعدده، يعودده إذا مرض، يشيخ جنازته، يقبل دعوته وهديته، أن يرد هديته بالأفضل، أن يشكر سعيه له، السعي في إيصال الخير له، يحفظ عرضه، أن يقضي حاجته، أن يحلّ مشاكله، أن يبحث عن ضالته، أن يدعو له عند عطاسه، أن يجيب سلامه، أن يحترم كلامه، أن يختار له أفضل هدية، أن يقبل قَسَمَهُ، أن يحب صديقه ولا يعاديه، لا يتركه عند المصائب، أن يحب له ما يحب لنفسه... " (1).

ص:69

1- (1) بحار الأنوار 236:74، ح 36.

في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان النبي صلي الله عليه وآله قد أرسل قبلها بعدة سرايا، إلا أنه لم يقع فيها قتال، وكان سبب غزوة بدر أن النبي صلي الله عليه وآله قد أطلع الغيب علي خروج قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان، فيها أموال كثيرة، فُدِّرت بخمسين ألف دينار، فخرج النبي صلي الله عليه وآله ومن معه لأخذها عوض أموالهم التي سلبت في مكة، غير أن هذه القافلة سرعان ما أفلتت منهم إلي الشام، فأخذ النبي صلي الله عليه وآله يتربص رجوعها حتي إذ أعلم به انتدب الناس للخروج إليها، فخرج رسول الله في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً يريدون العير، وقد علم أبو سفيان بالأمر فأرسل رجلاً إلي قريش يستنفرهم لنجاة العير، فوصل بعد ثلاثة أيام وهو يناديهم:

يا آل غالب... يا آل غالب... اللطيمة اللطيمة، فلما أخبرهم الخبر تجهزت قريش لحرب النبي صلي الله عليه وآله وما بقي أحد من عظمائها إلا أخرج ماله لتجهيز الجيش، فخرجت قريش بألف فارس ويزيدون، وأخرجوا معهم المغنيات والدفوف والطبول والخمر، فلما وصل خبرهم إلي النبي صلي الله عليه وآله استشار أصحابه بأمر حربهم، وكان قد قرب بدر، فقام أبو بكر وقال يا رسول الله: إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزت! ولم نخرج علي هيئة الحرب، وقام المقداد، فقال يا رسول الله: إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراش لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) 1 . لكننا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون،

والله لنتقاتلنّ عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخصناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك. فأشرق وجه النبي صلي الله عليه وآله ودعا له وسرّ لذلك، وأخبرهم بأنّ الله تعالى قد وعده إحدي الطائفتين، النفير أو العير، وفي ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) 1 وأنّ الله لن يخلف وعده(1).

ثمّ أمر النبي صلي الله عليه وآله أصحابه بالمسير فساروا حتي انتهوا إلي بيوت السّقيا فأمرهم أن يسقوا من بئرهم وشرب هو منه وأمرهم أن يفطروا بحكم سفرهم في شهر رمضان، وساروا حتي نزلوا بدرأً، ولمّا أصبح يوم الواقعة ورأي المسلمون كثرة المشركين، خافوا وتضرّعوا إلي الله، ولمّا نظر النبي صلي الله عليه وآله إلي كثرة المشركين، وقلة المسلمين استقبل القبلة، وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض(2). فنزل قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) 4. ثم ألقى الله النعاس علي المسلمين فناموا ليهدئ من روعهم وخوفهم، وليتمكنوا في الصباح من مواجهة المشركين بقوة وثبات، وحتى لا تتضحّ الأمور في الليلة البهيم فيأخذهم الاضطراب ويعصف بهم التخمين ويملكهم الخوف. قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمَدَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَ يَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيُرِيَطَ عَلَيْ قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) 5. وفي مقابل ذلك فقد

ص: 71

1- (2) راجع: الكامل في التاريخ 2: 116، تفسير القمي 1: 216.

2- (3) السيرة النبوية لابن هشام 2: 221-272.

ألقى الله سبحانه في قلوب المشركين الرعب والخوف، قال تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) 1 .

المعركة ونتائجها

كان أول من برز للقتال عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادي عتبة أو شيبة: يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا، فندب إليهم عبدة بن الحارث وحمزة وعلياً فأنزلوا: "قم يا عبدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم..." (1).

وبدأت المعركة بعد المباراة الفردية، فأخذ النبي صلي الله عليه وآله كفأً من الحصباء فرماها في وجوه المشركين فما بقي فرد منهم إلا امتلأت عينه منه، ثم أخذ المسلمون يقتلون ويأسرون، وقد قُتل زعماءهم وقُتل أبوجهل وأمية وقُتل من المشركين سبعين رجلاً قتل منهم علي عشرين عليه السلام رجلاً، وأسر العباس بن عبدالمطلب عم النبي، وعقيل بن أبي طالب. واستشهد من المسلمين أحد عشر، وقيل: أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما أنه لم يؤسر من المسلمين أحد، كما أنهم قد غنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وقيل ثلاثين، ومتاعاً وسلاحاً و... (2).

وأخيراً انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى وأشار القرآن إلي هذا الانتصار بقوله: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) 4 .

ص:72

1- (2) المناقب لابن شهر آشوب 3:119.

2- (3) الكامل في التاريخ 2:118، المغازي للواقدي 1:152.

لقد حملت واقعة بدر الكثير من الدروس والعبر للمسلمين جميعاً علي مَرَّ التاريخ، فكل من يقرأ صفحات بدر، وما بذله المسلمون، في سبيل الله تعالي، والقيادة الحكيمة للنبي صلي الله عليه وآله يستحصل حصيلة كبيرة من الفوائد والدروس، ومن أهم تلك الدروس الحصول علي نتائج الاعتماد علي الله تعالي والتمسك بالقيادة الإلهية الحكيمة للنبي صلي الله عليه وآله حيث كان من الواضح جداً أن المسلمين يشكلون في عددهم وعتادهم من الناحية العسكرية الجانب الضعيف في هذه المعركة، غير أن المسلمين وبسبب الاعتماد المطلق علي الله ورسوله صلي الله عليه وآله، والعزم علي إعلاء كلمة التوحيد، صغر كل ذلك في عيونهم، فكان النصر حليفهم.

بين بدر وكربلاء

لا شك في أنّ معركة كربلاء استمرار واضح لمعركة بدر بنظر الحسين عليه السلام وبنظر يزيد، فأراد يزيد من هذه المعركة أن ينتقم من النبي والإسلام، ويثأر لأجداده من بني أمية، ولذا فبعد قتل الحسين عليه السلام اعتبر نفسه منتصراً فقال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كما أنّ معركة كربلاء كانت بنظر الحسين عليه السلام كذلك، أي استمراراً لمعركة بدر، ولكن باتجاه آخر، فإذا كان منظر يزيد الانتقام والأخذ بالثأر، فكان منظر الحسين عليه السلام الوقوف بوجه الظلم والفساد والانحراف الذي بعث جده المصطفي

لمحوه واستئصال شوكته، ومن هنا كان الحسين عليه السلام استمراراً لرسول الله صلي الله عليه وآله، وهذا معني قول النبي صلي الله عليه وآله: " حسين مني وأنا من حسين" حيث أحيي الحسين عليه السلام بثورته وشهادته دين جده رسول الله. فلئن حارب النبي صلي الله عليه وآله قريشاً في بدر لأجل كسر فرعنة صناديدها، فقد قاتل الحسين في كربلاء لكسر كبرياء آل أمية وفرعنتهم وتسلبهم علي رقاب المسلمين، ولئن حارب النبي صلي الله عليه وآله قريشاً في بدر لقمع الجاهلية الموروثة فقد حارب الحسين في كربلاء ليقمع الجاهلية الموروثة ما بعد الإسلام، وهكذا قدّم الحسين كل ما يملك، وكل غالٍ ونفيس في سبيل هذا المبدأ العظيم، حتي توجّ تضحياته بتقديم نفسه، التي بقيت حية علي الدهور تحيي الإسلام في النفوس بمنهج رباني رصين وحصين إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المشهور عند المؤرخين أنَّ قبلة المسلمين تحوَّلت من بيت المقدس (1) إلى الكعبة المشرفة في السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر الكبرى فعن الصادق عليه السلام قال: "إنَّ رسول الله صلي الله عليه وآله استقبل بيت المقدس تسعة عشر شهراً، ثم صُرف الي الكعبة وهو في العصر" (2).

وكان سبب تحويل القبلة أنَّ النبي صلي الله عليه وآله حين قدم المدينة كان يتوجه إلى بيت المقدس، حين عبادته ما كان يفعل ذلك طوال وجوده في مكة فصار اليهود يعيرونه، ويقولون: أنت تابع لنا، تصلي إلي قبلتنا، أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمد في ديننا وتتبع قبلتنا (3)، فشق هذا الكلام علي رسول الله صلي الله عليه وآله واغتمَّ من ذلك غمّاً شديداً، وكان قد وعده الله تعالى سابقاً بتحويل القبلة، فخرج في جوف الليل يقلِّب وجهه في السماء، ينتظر أمر الله تعالى في ذلك، وأن يكرمه بقبلة تختص به، فلمَّا أصبح وحضرت صلاة الظهر وقيل: العصر، وكان في مسجد بني سالم (4)، صلي النبي بأصحابه ركعتين، فنزل جبرئيل، فأخذ بعضديه فحوَّله إلى الكعبة، فاستدارت الصفوف خلفه، فأنزل الله عليه: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) 5. فصلي ركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود

ص:75

1- (1) إذن بيت المقدس أو مسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين ولا زال يحظى بقداسة عندهم وهو ثالث المساجد الذي يستحب شد الرحال إليه وهو اليوم تحت احتلال واغتصاب الصهاينة المجرمين القادمين من أنحاء العالم ونسأل الله أن يأتي ذلك اليوم الذي يتحرر من أيدي الغاصبين ليستطيع المسلمون أن يزوروه ويتعبدوا فيه.

2- (2) قرب الأسناد: 69، وعنه في وسائل الشيعة 4:303.

3- (3) مجمع البيان 1:255.

4- (4) وقد اشتهر هذا المسجد اليوم بمسجد ذي القبلتين وهو من المساجد العامرة التي يقصدها الزوار.

والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها(1) وإلي هذا أشار قوله تعالى: (وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ وَعَبِيَّتِي وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَيَّ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) 2 .

وقد سئل الإمام العسكري عليه السلام عن سبب تحويل القبلة فأجاب: " إن هوي أهل مكة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد يأمر بها، ولمّا كان هوي أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلي الكعبة، ليبين من يتبع محمداً فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه... (2). ولا يخفي أنّ ما ذكر في هذه الرواية ليس هو السبب الأول والأخير لتحويل القبلة، ويمكن الإشارة إلي الأسباب الأخرى مضافاً إلي ما ذكرناه: أولاً: أنّ الكعبة التي رفعت قواعدها علي يدي بطل التوحيد وناشر لوائه النبي العظيم إبراهيم الخليل عليه السلام كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربي، فقد كان العرب يحبّون الكعبة ويعظّمونها غاية التعظيم علي ما هم عليه من الشرك والفساد، فكان اتخاذ قبلة من شأنه كسب رضا العرب، واستمالة قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبد الأوثان والأصنام.

ثانياً: كان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم تماماً، مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذي تم لنفس هذا الغرض. فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الإسلام، فأمر النبي صلي الله عليه وآله المسلمين بأن يصوموا هذا اليوم أيضاً، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء وفرض مكانه صوم شهر رمضان(3).

ص:76

1- (1) بحار الأنوار 19:114، و 195، و 202، وإعلام الوري: 71، تفسير القمي 1:63.

2- (3) بحار الأنوار 19:197، تفسير الميزان 1:333.

3- (4) مجمع البيان 1:273.

ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو: أنّ العرض الجغرافي للمدينة طبقاً لمحاسبات علماء الفلك القدامي هو 25 درجة، وطولها 75 درجة و 20 دقيقة، ولهذا كانت قبلة المدينة لا توافق محراب رسول الله صلي الله عليه وآله الباقي علي حالته السابقة إلي الآن في مسجده الشريف، وقد سبب هذا الاختلاف حيرةً لدي بعض المتخصصين في هذا العلم، وربما دفعهم إلي ارتكاب توجيهات وتبريرات لرفع هذا الاختلاف.

ولكن القائد المعروف بسردار الكابلي أثبت في الآونة الأخيرة - طبقاً للمقاييس المعروفة اليوم - أن خط المدينة الجغرافي علي عرض 24 درجة و 57 دقيقة وطول 39 درجة و 59 دقيقة(1). وتكون نتيجة هذه المحاسبة هي أنّ قبة المدينة تكون في نقطة الجنوب تماماً وتنحرف عن نقطة الجنوب ب - 45 دقيقة فقط.

وهذا الاستخراج الفلكي للقبلة ينطبق علي محراب رسول الله صلي الله عليه وآله أفضل تطبيق، ويُعد هذا من كرامات النبي الأكرم صلي الله عليه وآله حيث توجه في حالة الصلاة من بيت المقدس إلي الكعبة بصورة دقيقة ومن دون أي انحراف ولا جزئي وذلك من دون أية محاسبة فلكية، وعلمية.

ص: 77

عندما رأي رسول الله صلي الله عليه وآله في المنام أنه دخل المسجد الحرام وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرف مع المعرفين، فقصص صلي الله عليه وآله هذه الرؤيا علي أصحابه وتفاعل به خيراً. ولم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيؤ للعمرة، ودعا القبائل المجاورة التي كانت لا تزال علي شركها وكفرها إلي مرافقة المسلمين في هذه السفرة، ولهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة صوب مكة يريدون العمرة(1).

ولقد قرّر النبي صلي الله عليه وآله في السنة السادسة للهجرة أن ينطلق بالمسلمين في رحلة عبادية مؤدياً العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوة الإسلامية ويوضح ما يمكنه من مفاهيم العقيدة الإسلامية ومعالمها واحترامها وتقديسها للبيت الحرام، وتكون حركته هذه مرحلة انفتاح رسالي جديد وعهد انتقال من مرحلة الدفاع إلي مرحلة الانتشار والهجوم. وقد سلك الرسول صلي الله عليه وآله وأصحابه طريقاً وعرّاً ثم هبطوا إلي منطقة سهلة تدعي ب - "الحديبية"، فأمر صلي الله عليه وآله المسلمين بالنزول فيها، ولكن قريشاً بقيت ترصد المسلمين ووقف فرسانها في طريقهم، ثم بعثت إلي النبي صلي الله عليه وآله بديل بن ورقاء في وفد من خزاعة لتستعلم هدف النبي صلي الله عليه وآله وتصده عن دخول مكة، وعاد الوفد ليقنع قريشاً أنّ السلم والعمرة هدف النبي صلي الله عليه وآله. واستكبرت قريش وبعثت بوفد آخر يرأسه الحليس - سيد الأحابيش - فلما رآه النبي صلي الله عليه وآله مقبلاً قال: "إنّ هذا من قوم يتألّهون" (أي يعظمون الله). فلما رأي الحليس الهدي رجع إلي قريش من دون أن يلتقي بالنبي صلي الله عليه وآله ليقنع قريشاً أنّ النبي صلي الله عليه وآله والمسلمين جاءوا معتمرين. ولكن لم تقنع قريش فأرسلت مسعود

بن عروة الثقفي الذي انبهر من مشهد المسلمين وهم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثرة من وضوئه صلي الله عليه وآله فعاد إلي قريش قائلاً: يا معشر قريش إني قد جئت كسري في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل "محمد" في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم(1).

وأراد النبي صلي الله عليه وآله أن يبعث إلي قريش رسولاً آخر، ولم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثلاً عنه؛ لأنّ علياً كان قد وتر قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فانتدب عمر بن الخطاب ولكن عمر اقترح علي النبي صلي الله عليه وآله أن يرسل عثمان بن عفان؛ لكونه أمويًا وذا قرابة مع أبي سفيان، وتأخر عثمان في العودة من قريش وأشييع خبر مقتله، فكان هذا إنذاراً بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكة، ولم يجد الرسول صلي الله عليه وآله بداً من التهيؤ للقتال، وهنا كانت بيعة الرضوان إذ جلس النبي صلي الله عليه وآله تحت شجرة وأخذ أصحابه يبايعونه علي الاستقامة والثبات وأن لا يفروا مهما كلف الأمر، وهذا استنفار المسلمين بعودة عثمان، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبي صلي الله عليه وآله(2).

وأخيراً انتهت مفاوضات الجانبين إلي عقد وثيقة مودعة وهدنة نُظمت في نسختين ووقع عليها الجانبان. ويروي كافة المؤرخين وأرباب السير أن رسول الله صلي الله عليه وآله استدعي علياً عليه السلام، وأمره أن يكتب تلك الوثيقة قائلاً له: " اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فكتب (عليّ) ذلك فقال سهيل: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم!!

فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: اكتب: باسمك اللهم وامح ما كتبت. ففعل (عليّ) ذلك.

ثم قال رسول الله صلي الله عليه وآله: اكتب: " هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو ".

ص: 79

1- (1) راجع المغازي 2: 598، الطبري 3: 216. وبحار الأنوار 20: 229.

2- (2) السيرة النبوية 2: 315.

فقال سهيل: لو أجبْتُك في الكتاب إلي هذا لأقررتُ لك بالنبوة فأمح هذا الاسم وَاكتب: محمَّد بن عبد الله (أو قال: لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك).

ولم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله صلي الله عليه وآله لمطالب (سهيل) إلي هذه الدرجة، ولكن رسول الله صلي الله عليه وآله الذي كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض رضي بمطلب (سهيل)، وقال لعلي عليه السلام: أمحها يا علي. فقال علي عليه السلام بأدب بالغ: يا رسول الله إن يدي لا تنطق لمحو اسمك من النبوة. فقال رسول الله عليه السلام: فضع يدي عليها، فمحي رسول الله صلي الله عليه وآله بيده كلمة: (رسول الله) نزولاً عند رغبة سهيل، مفاوض قريش (1).

التاريخ يعيد نفسه

ولقد ابتلي علي عليه السلام تلميذ النبي صلي الله عليه وآله بمثل هذه التجربة المرّة بعد رسول الله صلي الله عليه وآله. فيوم امتنع علي عليه السلام عن محو كلمة رسول الله صلي الله عليه وآله عن اسم النبي صلي الله عليه وآله قال له النبي صلي الله عليه وآله: يا علي إنك آيت أن تمحو اسمي من النبوة فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبن أبناءهم إلي مثلها وأنت مضيض مضطهد.

ولقد بقيت هذه القضية في ذاكرة علي عليه السلام، حتي إذا كان يوم (صفين) وخذع أصحاب الإمام علي عليه السلام بالأسلوب الماكر الذي اتبعه جيش الشام الذي قاتل

ص:80

1- (1) الإرشاد: 60، إعلام الوري: 106، بحار الأنوار 20:368، يقول فضيلة الشيخ اليوسفي في المجلد الثاني من موسوعته التاريخية: 599: «وقد أخطأ الطبري في هذا المقام إذ قال في إحدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعلي عليه السلام: أمح (رسول الله)، قال: لا والله لا أمحاك أبداً فأخذه رسول الله صلي الله عليه وآله وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان (رسول الله) محمَّد. وهكذا نسب الكتابة إلي شخص رسول الله صلي الله عليه وآله ونحن نعلم أنه أمي، لا يحسن الكتابة».

علياً عليه السلام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ومساعدة عمرو بن العاص، وأجبروا الإمام عليه السلام علي عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقة ذلك الصلح، كُلفَ (عبيد الله بن رافع) كاتب الإمام من جانب الإمام علي عليه السلام بأن يكتب وثيقة الصلح، فكتب: (هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين عليّ)، قال عمرو بن العاص ممثل معاوية في تلك المفاوضات: لو علمنا أنك أمير المؤمنين لم ننازحك!!

وهكذا طالب عمرو بن العاص بحذف عبارة أمير المؤمنين. وطال الكلام والتشاجر في هذا الموضوع، ولم يكن الإمام عليّ يريد أن يعطي حجة للبسطاء من أصحابه، ولهذا لم يرضخ لهذا المطلب، ولكنه بعد إلحاح من أحد قادة جيشه سمح بأن يمحي لقب (أمير المؤمنين) من اسمه ثم قال: الله أكبر سنةً بسنة. وهو بذلك يشير إلي حديث رسول الله صلي الله عليه وآله له يوم الحديبية(1).

شروط صلح الحديبية

وبسبب تشدد "سهيل" في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، وأخيراً تمّ الاتفاق علي عدّة شروط للصلح، هي:

- 1 - تعهد الطرفین بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.
- 2 - من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع "محمّد" لم يردّوه عليه.
- 3 - من أحبّ أن يدخل في عقد "محمّد" وعهده دخل فيه ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

ص:81

1- (1) الكامل في التاريخ 3:162، راجع المصدر لتقف علي القصة بكاملها ولتقف علي ما دار بين الإمام عليه السلام وعمرو بن العاص.

4 - يرجع "محمّد" بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكة، وإنما يدخل مكة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثة أيام ليس معه سوى سلاح الراكب، والسيوف في القرب.

5 - لا يُستكره أحد علي ترك دينه ويعبد المسلمون الله بمكة علانية وبحرية وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة وأن لا يؤذي أحد ولا يعيّر.

6 - لا إسلال (سرقة) ولا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر.

7 - لا تعين قريش علي "محمّد" وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح.

ولم يرضَ نفر من المسلمين بنود الصلح، فاعترضوا علي النبي صلي الله عليه وآله متصوّرين أنّ النبي صلي الله عليه وآله قد تراجع أمام قريش ولم يدركوا أنّ النبي صلي الله عليه وآله مسدد من الله وأنه ينظر بعين متطلّعة إلي مستقبل الرسالة الإسلامية ومصالحها العليا. وردّ النبي صلي الله عليه وآله علي المعترضين بقوله: "أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني" (1).

وكان هذا الصلح في الواقع فتحاً مبيناً وكبيراً للمسلمين علي خلاف ما كان يبدو للبعض من ظاهر بنوده؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بعد قليل. وفي طريق الرجوع إلي المدينة نزلت آيات القرآن الكريم من سورة الفتح لتؤكّد البعد الحقيقي للصلح، وتبشّر المسلمين بدخول مكة قريباً (2).

ص: 82

1- (1) راجع السيرة الحلبية 3: 21، مجمع البيان 9: 117، بحار الأنوار 20: 252.

2- (2) راجع سورة الفتح: الآيات 1-7 و 18-28.

في شهر رمضان سنة الثامن للهجرة تقدّم جيشُ التوحيد العظيم نحو مكة، حتي أصبح علي مقربة منها، وقد كان رسول الله صلي الله عليه وآله عازماً علي أن يفتح مكة من دون إراقة دماء، وإزهاق أرواح، وأن يسلم العدو من دون أية شروط. ويتجلي في هذا القسم من التاريخ الإسلامي الوجه الإنساني الرحيم الذي كان يتّسم به رسول الله صلي الله عليه وآله الذي كان يحرص علي دماء حثي أعدائه، ويسعي إلي حفظ أموالهم وصيانتها. وكان من العوامل التي ساعدت علي تحقيق هذه الغاية - مضافاً إلي عامل التكتّم والتّستر ومبدأ المباغته - أنّ العباس عمّ النبي صلي الله عليه وآله توجه إلي مكة كداعية صلح ووسيط سلام بين قريش والنبي صلي الله عليه وآله. وقد قام العباس بدوره علي أفضل صورة، فقد أربع أبو سفيان من قوة الإسلام العسكرية الكبرى، ولهذا رأي النبي صلي الله عليه وآله أن يخلي سبيله ليذهب إلي مكة قبل دخول جنود الإسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمة وقوة الجيش الإسلامي القادم إليهم، ويحدّثهم من مغبة المقاومة والمواجهة، ويدلّهم علي طريق الخلاص والنّجاة، وهو التسليم للأمر الواقع، ففعل ذلك. ودخلت جميع وحدات الجيش الإسلامي وقطعاته وكتائبه وفرقه مكة من دون قتال ومن دون أن تلقي من أهلها مقاومة، وكان هذا الفتح العظيم في اليوم العشرين من شهر رمضان سنة الثامن للهجرة علي القول المشهور. ثم إنّ رسول الله صلي الله عليه وآله دخل مكة من ناحية أذاخر، وهي أعلي نقطة في مكة في موكب عظيم جليل، فضرب له قبة من ادم بالحجون (عند قبر عمه العظيم أبي طالب) ليستريح فيها، وقد أصروا عليه صلي الله عليه وآله بأن ينزل في بعض بيوت مكة فأبي صلي الله عليه وآله (1).

لقد استسلمت مكة التي كانت مركزاً رئيسياً للشرك والوثنية طوال أعوام عديدة ومديدة، أمام قوات التوحيد الظافرة، وسيطر جنود الإسلام علي جميع نقاط تلك المدينة المقدسة، ثم إن رسول الله صلي الله عليه وآله أعلن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله: "ألا لبس جيرانُ النبي كنتم، لقد كذبتهم، وطردتم، وأخرجتم، وأذيتهم، ثم ما رضيتم حتي جئتموني في بلادي تقاتلونني إذهبوا فأنتم الطلقاء" (1).

ولقد استراح رسول الله صلي الله عليه وآله في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت، ثم إنَّه صلي الله عليه وآله بعد أن اطمأن واغتسل ركب راحلته (القصواء) وتوجَّه إلي المسجد الحرام لزيارة بيت الله المعظم والطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، والمغفر علي رأسه، وتحيط به هالة من العظمة والجلال، ويحدق به المهاجرون والأنصار، وقد صفَّ له الناس من المسلمين والمشركين، بعضٌ يغمره الفرح والسرور، وآخرون يكادون ينفجرون من الغيظ. فطاف صلي الله عليه وآله بالبيت علي راحلته، وقد أخذ بزمامها (محمد بن مسلمة) وفيما احتبست الأصوات في الصدور، واتجهت الأبصارُ إليه صلي الله عليه وآله فوقعت عيناه الشريفتان - في الشوط الأول من طوافه - علي الأصنام الكبرى (هبل) و (اساف) و (نائلة) منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول الله صلي الله عليه وآله كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: "جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً" فيقع الصنم لوجهه. وكانت جدران الكعبة من الداخل مغطاة بصور الأنبياء والملائكة وغيرهم، فأمر النبي صلي الله عليه وآله بمحوها جميعاً، وغسلها بماء زمزم.

يقول المحدثون والمؤرخون: لقد كُسرت بعض الأصنام الموضوععة علي الكعبة

علي يد علي بن أبي طالب وذلك عندما قال رسول الله صلي الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "يا علي إصعد علي منكبي". فصعد علي عليه السلام علي منكبه، ثم نهض به فألقى صنم قريش الأكبر، وكان من نحاس، ثم ألقى بقيّة الأصنام إلي الأرض وحطّمها(1).

خطاب النبي صلي الله عليه وآله في المسجد الحرام

كان الاجتماع الذي شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعاً عظيماً جداً. وكان المسلمون والمشركون، والصدّيق والعدو قد حضروا بأجمعهم في ذلك الاجتماع، وكانت تجلّل هالة من عظمة الإسلام وعظمة نبيه الكريم صلي الله عليه وآله رحاب ذلك المكان المبارك، وكان الصمت والهدوء، وحالة من الانتظار والترقّب، تُخيّم علي أجواء مكة.

لقد آن الأوان لأن يكشف رسول الله صلي الله عليه وآله للناس عن الملامح الحقيقية لدعوته المباركة ويوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش علي معالم رسالته العظمي، ومبادئ دينه الحنيف، ولقد كان رسول الله صلي الله عليه وآله ابن تلك البيئّة، ولهذا كان عارفاً بأمراض المجتمع العربي، وعلل إنحطاط المجتمع المكي وأسباب تخلفه. ومن هنا رأي أن يضع يده علي مواضع الداء في ذلك المجتمع المريض، وأن يعالج أمراض البيئّة العربيّة.

ونحن هنا ندرج أبرز المقاطع في الخطاب التاريخي الذي ألقاه سيد المرسلين صلي الله عليه وآله علي الحشود الكبيرة المتجمعة في ذلك اليوم عند بيت الله المعظم. تلك المقاطع التي يعالج كل منها مرضاً اجتماعياً خاصاً من أمراض المجتمع في ذلك العصر وحتى في عصرنا الحاضر.

1 - التفاخر بالنسب: كان التّفَاخر بالنسب والقبيلة والعشيرة من الأمراض

ص:85

1- (1) مسند أحمد بن حنبل 1:84، السيرة الحلبية 3:86، تاريخ الخميس 2:86.

المستحكمة المتجدرة في البيئة العربية الجاهلية، وكان من أكبر أمجاد المرء أن ينتسب إلى قبيلة معروفة، ويتفرع نسبه عن عشيرة بارزة كقريش مثلاً، ولقد قال رسول الله صلي الله عليه وآله في خطابه المذكور لإبطال هذه السنّة الجاهلية المقيتة: "أيها الناس إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنّكم من آدم وآدم من طين، ألا خير عباد الله عبد اتقاه".

2 - التفاضل بالقومية العربية: لقد كان رسول الله صلي الله عليه وآله يعلم جيداً أنّ هذه الجماعة من البشر تعتبر (العربية) والانتساب إلي العرق العربي من المفاخر الكبرى، وكانت النخوة العربية قد ترسّخت في قلوب تلك الجماعة وعروقتها كداء دفين ومرض مزمن، فقال صلي الله عليه وآله في خطابه لمعالجة هذا الداء الخبيث وتحطيم هذا الصّرح الموهوم: "إن الناس من آدم إلي يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي علي أعجمي، ولا لأحمر علي الأسود إلا بالتقوي".

3 - الأخوة الإسلامية: لقد ارتبط قسم من خطاب رسول الله صلي الله عليه وآله في ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم، وحق المسلم علي أخيه المسلم. فقد قال في هذا الصعيد: "المسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة وهو يد واحدة علي من سواهم، تتكافؤ دماؤهم، ليسعي بذمتهم أدناهم" (1).

ص:86

القِس الخامس عشر: وفاة إبراهيم ابن النبي صلي الله عليه وآله

من المشهور كانت ولادة إبراهيم في المدينة في السنة الثامنة للهجرة، وتوفي السنة العاشرة للهجرة في اليوم الثامن عشر من رجب وكان عمره الشريف سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ودفن في البقيع (1).

وروي عن ابن عباس قال: كنت عند النبي صلي الله عليه وآله وعلي فخذ الأيسر ابنه إبراهيم، وعلي فخذ الأيمن الحسين بن علي عليه السلام هو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحى من رب العالمين، فلما سري عنه قال: أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لست أجمعهما، فإفد أحدهما بصاحبه. فقال صلي الله عليه وآله: يا جبرائيل، قل لربي أن يقبض إبراهيم فديته للحسين. فقبض بعد ثلاث، فكان النبي صلي الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبَّله وضمَّه إلي صدره ورشف ثناياه، وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم (2).

وروي البرقي في المحاسن بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: "لَمَّا قبض إبراهيم ابن رسول الله صلي الله عليه وآله جرت في موته ثلاث سنن: أما واحدة، أن الشمس انكسفت فقال الناس: إنما انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله! فصعد رسول الله صلي الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال صلي الله عليه وآله: "أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلوا". ثم نزل المنبر فصلى بالناس الكسوف، فلَمَّا سلَّم، قال صلي الله عليه وآله: "يا علي، قم فجهز ابني"، فقام علي عليه السلام فغسل إبراهيم عليه السلام وحنَّطه وكفَّنه، ومضى رسول الله صلي الله عليه وآله حتَّى انتهى به إلي قبره، فقال الناس، إن رسول الله صلي الله عليه وآله نسي أن يصلي علي ابنه لما دخله من الجزع عليه! فانتصب صلي الله عليه وآله قائماً ثم قال: إنَّ جبرئيل أتاني

ص: 87

1- (1) راجع تاريخ الطبري 3: 95. ومنتهي الآمال 1: 214، الباب الأول، الفصل 8.

2- (2) مناقب آل أبي طالب 4: 88.

وأخبرني بما قلت، زعمتم أني نسيت أن اصلي علي ابني لما دخلني من الجزع! ألا وإنه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرني أن لا أصلي إلا علي من صلي، ثم قال صلي الله عليه وآله: "يا علي إنزل وألحد إبني"، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده. فقال الناس: إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله صلي الله عليه وآله بابنه، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: "أيها الناس، إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حل أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط أجره" (1).

وروي الطوسي في الأمالي، بسنده عن عائشة قالت: "لمّا مات إبراهيم بكّي النبي صلي الله عليه وآله حتي جرت دموعه علي لحيته، فقبل له: يا رسول الله تنهي عن البكاء وأنت تبكي؟! فقال صلي الله عليه وآله: ليس هذا بكاء، إنّما هو رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم" (2). وروي الكليني في فروع الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لمّا مات إبراهيم ابن رسول الله صلي الله عليه وآله، هملت عين رسول الله صلي الله عليه وآله بالدموع ثمّ قال: "تدمع العين ويحزن القلب ولا تقول ما يسخط الرّب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون" (3).

وشاءت إرادة الله ان لا يعيش للنبي صلي الله عليه وآله ولدٌ ذكر، وكانت العرب بعد مبعثه تعيّر به هذا، ويقولون بأنّ أثره سينقطع، وذكره سينتهي لأنّه فقد أولاده الذكور، ولم يبق له سوي أنثي، ووصفوه بالأبتر فنزلت الآيات: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) 4، ولقد ورد في عدة من التفاسير أنّ الله أكثر نسل محمد صلي الله عليه وآله وذريته من ولد فاطمة، كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب.

ص: 88

1- (1) المحاسن 2: 29، وفي فروع الكافي 3: 208.

2- (2) أمالي الطوسي: 388، ح 850.

3- (3) تاريخ يعقوبي 2: 87، الكافي 3: 262 ح 45.

القبي السادس عشر: النبي صلي الله عليه وآله في غزوة مؤتة

وقعت هذه الغزوة في جمادى الأولى من سنة ثمان، ومؤتة قرية من قري البلقاء في الكرك، من بلاد الأردن، وسببها؛ أن رسول الله صلي الله عليه وآله بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلي حاكم بصري، وهي قصبة من أعمال الشام، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وهو من كبار بلاط قيصر فقتله، وبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وآله فاشتد عليه، وندب الناس فأسرعوا وخرجوا فعسكروا بالجرف، فأتي صلي الله عليه وآله الجرف وعرض الجيش، وكان يعد ثلاثة آلاف مقاتل ثم عقد لهم راية بيضاء، وأسند الإمارة إلي جعفر بن أبي طالب، ثم قال صلي الله عليه وآله: "فإن أصيب جعفر فزيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله فليترض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم". ثم أوصاهم رسول الله صلي الله عليه وآله إذا بلغوا حيث قتل الحارث أن يدعوا الكفار إلي الإسلام فإن أبوا فليحاربوهم، ومضي المسلمون حتي قاربوا مؤتة، فلما بلغ شرحبيل مقدمهم استنجد بالقيصر فأمدّه بجيش قوامه مئة ألف أو أكثر. وكان المسلمون طلاب شهادة، فلم يسترهبوا جموعهم، واصطف الجيشان، ونادي جعفر في الناس: أن ترجلوا عن رواحلكم، وقاتلوا رجالاً. وكان هذا التدبير ليشعر المسلمين أنهم لا يستطيعون الفرار، وأن عليهم أن يقاتلوا بصدق، ثم نزل عن فرس له شقراء فعقرها، ثم رفع الراية وتقدم، واحتدمت المعركة وأقدم جعفر علي القتال، وقد أنشد يقول:

يا حَبْذا الجَنَّةِ واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذ لاقيتها ضرابها

فقاتل قتالاً شديداً والكفار يتعاقبون كالموج فوجاً إثر فوج، وأحاطوا بجعفر كالحلقة، ثم أهووا عليه بالسيوف فقطعوا يمينه، فأخذ الراية بيسراه فقاتل حتي أصيب

مقبلاً بخمسين جراحة، ثم قطعوا يسراه فأخذ الراية بين عضديه، فضربوه في وسطه فوقع شهيداً. ثم أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى شاط في رماح القوم فقاتل قتالاً عظيماً حتى قتل فأخذ الراية عبدالله بن رواحة فتردد بعض التردد ثم قال يخاطب نفسه:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد اعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم سمع صرخة الحرب في ناحية من العسكر، فنزل عن فرسه، ثم تقدّم نحوهم، فقاتل حتى قُتل، ولمّا قُتل ابن رواحة انهزم المسلمون في كل وجه أسوأ هزيمة. (1)

وروي ابن اسحاق عن عروة قال: لمّا دنو من المدينة تلقاهم المسلمون ورسول الله صلي الله عليه وآله مقبل معهم علي دابة... وجعل الناس يحثون التراب علي الجيش ويقولون: يا فرّار! فررتم في سبيل الله! فيقول رسول الله صلي الله عليه وآله: ليسوا بالفرّار، ولكنهم الكرّار إن شاء الله. (2)

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: لما انتهى إلي رسول الله صلي الله عليه وآله قتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام، دخل علي أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بني؟ فدعت بهم، وهم ثلاثة: عبد الله وعون ومحمد، فمسح رسول الله صلي الله عليه وآله رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فعجب رسول الله صلي الله عليه وآله من عقلها فقال: يا أسماء، ألم تعلمي أنّ جعفرًا رضوان الله عليه استشهد؟ فبكت. فقال لها رسول الله صلي الله عليه وآله: لا تبكي، فإنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني: أنّ له جناحين في الجنّة من ياقوت أحمر. فقالت: يا رسول

ص:90

1- (1) راجع: سيرة ابن هشام 4:15، مغازي الواقدي 2:763، و مناقب آل أبي طالب 1:205.

2- (2) ابن اسحاق في السيرة 4:24 وعنه في إعلام الوري 1:215.

اللّٰه صلي الله عليه وآله، لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا يُنسى فضله. فعجب رسول اللّٰه صلي الله عليه وآله من عقلها(1).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لَمَّا قُتِلَ جعفر بن أبي طالب عليه السلام أمر رسول اللّٰه صلي الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن تأتي أسماء بنت عميس هي ونساؤها، وتقيم عندها ثلاثاً، وتصنع لها طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلك السنة أن يصنع لأهل المصيبة طعام ثلاثة أيام(2).

ص:91

1- (1) المحاسن 2:194 برقم 199.

2- (2) الكافي 3:217، الحديث 1 ومن لا يحضره الفقيه 1:182، الحديث 549 والحديث 546، وكان من عمل الجاهلية الأكل عند أهل المصيبة، والسنة: البعث إليهم بالطعام.

لقد كان لانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صداه في خارج الحجاز، وكان ذلك يُرعب الأعداء، ويدفعهم إلي التفكير في حيلة، وهذا ما دفع إمبراطور الروم إلي أن يحشد جموعاً كبيرة، ويتهيأ بكل ما أوتي من قوة لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة، ليحدّ من انتشار الإسلام، ومن قوته التي أخذت تتعاضم، ومن انتشار نفوذه الذي بات يزلزل سلطانه. فحشد ما يقارب أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث الأسلحة والتجهيزات، وقد استقرّ علي الشريط الحدودي لأرض الشام(1)، وفي منطقة (تبوك)، التحقت به قبائل عديدة تسكن الحدود مثل قبيلة (لخم) و (عاملة) و (غسان) و (جذام)، وتقدمت طلائع ذلك الجيش حتي منطقة (البلقاء). ولمّا حملت الأنباء هذا الخبر إلي النبي صلي الله عليه و آله أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوهم، فجهّز جيشه وعسكر في (ثنية الوداع)، وكان يتألف من عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف راجل، وقد أمر رسول الله صلي الله عليه و آله أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها(2).

وتخلّف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة، فمنهم الجدّ بن قيس (السلمي الخزرجي) وكان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة حيث قال النبي صلي الله عليه و آله له: يا أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟ فقال: يا رسول الله أو تأذن لي، ولا تقنتي، فوالله لقد عرف قومي ما أحدُّ أشدُّ عجباً بالنساء مني، وإني لأخشي أن رأيتُ بنات بني الأصفر (الروم) لا أصبرُ عليهنَّ وأئذن لي أن أقيم. فأعرض عنه رسول الله صلي الله عليه و آله

1- (1) حيث كانت تحت سيطرة إمبراطورية الروم.

2- (2) راجع: السيرة لابن هشام 2:515.

بعد أن سمع منه ذلك العذر، وقد نزل فيه قول الله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)1، كما تخلف عن النبي صلي الله عليه وآله ثلاثة حتي يفرغوا من القطف والحصاد، ثم يلتحقوا به، فوبخهم القرآن بقوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)2. وتخلف جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان، فأخذوا يبتطون الناس عن رسول الله صلي الله عليه وآله، وقالوا لهم: يغزو محمد بن الأصفر مع جهد الحال والحز، والبلد البعيد إلي ما لا قبل له به، يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب، فنزل قوله تعالى: (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضَحَّحُوا قَلِيلًا وَ لِيُبَكِّوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)3.

ومن جانب آخر أتى رجال إلي النبي صلي الله عليه وآله يرغبون في الخروج مع رسول الله صلي الله عليه وآله، منهم من بني النجار وطلبوا منه ما يحملهم عليه من دابة، فقد كانوا أهل حاجة فقراء، فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وهم يبكون لعدم تمكنهم من المشاركة في الغزو مع النبي صلي الله عليه وآله، ونزل فيهم قوله تعالى: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيْتَهِمَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)4.

لم يغزو النبي صلي الله عليه وآله غزواً إلا كان علي عليه السلام معه وحامل لوائه، غير أن النبي صلي الله عليه وآله في هذه المرة منع علياً من الخروج من المدينة معه، لأنه صلي الله عليه وآله كان يدرك جيداً أنّ المنافقين والمتربصين والمتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلون فرصة غيبة النبي صلي الله عليه وآله القائد عن المدينة فيثيرون فيها فتنة، ويجهزون علي الحكومة الإسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، وأن هذه الفرصة إنّما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلي الله عليه وآله مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بالمدينة، ولقد كانت تبوك أبعد نقطة يخرج إليها النبي صلي الله عليه وآله من جميع غزواته، فخوفاً من أن يقلبوا الأوضاع في غيابه ترك فيها علياً، علي الرغم من أنّه استخلف علي المدينة (محمد بن مسّلمة)، حيث قال لعلي: " أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، يا علي إن المدينة لا تصلح إلاّ بي وبك" (1).

ولقد استاء المنافقون من إبقاء علي عليه السلام في المدينة، وحاولوا بثّ الدعايات والشائعات الخبيثة بغية تحريض علي عليه السلام علي الخروج من المدينة والإلتحاق بالنبي صلي الله عليه وآله، فقالوا: ما خلف رسول الله صلي الله عليه وآله علياً إلا استثقلاً له وتخفيفاً منه، أو أنّه دعاه إلي الخروج لتبوك، ولكنّ علياً امتنع من الخروج بحجة الحرّ الشديد، وبعده الطريق، وإيثاراً للراحة والرفاهية، أو أنّه خلفه مع النساء والأطفال، ولإبطال مثل هذه الشائعات توجه علي عليه السلام إلي النبي صلي الله عليه وآله وقال له: " يا نبي الله زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني، أو تخففت مني، أو خلّفتني مع النساء والأطفال ". فقال له النبي صلي الله عليه وآله: " كذبوا، ولكنني خلّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضي يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي (أو قال له): لا ينبغي أن أذهب إلاّ

النبى صلى الله عليه وآله في طريقه إلى تبوك

تحرك النبي صلى الله عليه وآله من معسكره إلى تبوك، وفي طريقه راسل كلاً من قبيلة تميم، وغطفان وطى التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة، بغية الاشتراك في هذا الغزو الاستثنائي، وقد استجاب لدعوته الكثير من الفدائيين الغياري. وقد واجه جيش الإسلام في طريقه إلى تبوك مصاعب كثيرة، ومشاقاً بليغة حيث الرياح الشديدة والسامة، والعواصف القوية، وعدم وجود الماء حتى حمل ذلك البعض على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها، ويشربوا ماءها، بينما صبر آخرون، ولم يدم صبرهم طويلاً حتى أغاثهم الله تعالى بسحابة ممطرة، أروت جيش الإسلام، واحتملوا ما يحتاجون إليه.

وحلَّ جيش الإسلام في أرض تبوك في غرة شعبان في السنة التاسعة للهجرة، ولكن لم يرَ أثراً لجيش الروم، وكانَّ جيش الروم لمَّا علموا بكثرة جنود الإسلام، وكانوا قد سمعوا عن شجاعتهم وتضحياتهم الفريدة، رأوا أنَّه من صالحهم الانسحاب، وعدم دخول حرب قد تكسر شوكتهم وكبرياءهم وعظمتهم(2).

وهنا كان النبي صلى الله عليه وآله أمام خيارين، فإمَّا أن يقفل راجعاً إلى المدينة، وكانَّ شيئاً لم يقع، وإمَّا أن يهاجم الروم عبر الدخول في أراضي الشام، فاستشار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه، فقالوا: إن كنت أمرت بالسير فسر، فقال صلى الله عليه وآله: لو أمرتُ به ما استشرتكم فيه. فأشاروا عليه بالرجوع إلى المدينة، فقبل النبي صلى الله عليه وآله اقتراحهم وأقفل راجعاً بجيشه(3).

ص:95

1- (1) مسند أحمد 1:709 ح 3062، السنن الكبرى للنسائي 5:119 ح 8429.

2- (2) المغازي للواقدي 3:1019.

3- (3) السيرة الحلبية 3:142.

وكان هذا السفر بمثابة التمهيد لفتح الشام، فقد تعرّف قادة هذا الجيش طرق هذه المنطقة ومشاكلها، وتعلّموا كيفية تجييش الجيوش الكبرى في وجه القوي العظمي، ولعلّه لذلك، كانت الشام أول منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة النبي صلي الله عليه وآله.

المنافقون يخططون لإغتيال النبي صلي الله عليه وآله

روي الواقدي عن عاصم بن عدي قال: كنّا نحن نتجهّز مع النبي الي تبوك، إذ رأيت ثعلبة بن حاطب وعبد الله بن نبتل قد فرغا من اصلاح ميزاب مسجد الضرار (مسجد النفاق)، فلمّا نظرا اليّ قالا لي: يا عاصم، إنّ رسول الله قد وعدنا أن يصلي فيه إذا رجع (من تبوك). وأنا أعلم في نفسي أنّه أسّسه أبو حبيبة بن الأزعر وأخرج من دار خدام بن خالد ووديعه بن ثابت منافقون معروفون بالنفاق، وتوافقوا علي إمامة مجمّع بن جارية بن عامر المعروف بحمار الدار، فكان امامهم يومئذ(1).

ولدي عودة النبي صلي الله عليه وآله إلي المدينة تأمر إثنا عشر منافقاً، ثمانية منهم من قريش، والباقي من المدينة لإغتيال رسول الله صلي الله عليه وآله في أثناء الطريق، وذلك بتنفيذ ناقته ليطرحوه في وادٍ كان هناك، حيث كان بين الشام والمدينة عقبة لمّا وصل الجيش إليها قال لهم النبي صلي الله عليه وآله: " من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم"، فأخذ الناس بطن الوادي، بينما أخذ صلي الله عليه وآله طريق العقبة، فيما يسوق (حذيفة بن اليمان) ناقة النبي صلي الله عليه وآله، ويقودها (عمار بن ياسر) فيبينما هم يسيرون إذالتفت النبي صلي الله عليه وآله إلي خلفه، فرأى في ضوء ليلة مقمرة فرساناً ملثّمين لحقوا به من ورائه لينفروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب النبي صلي الله عليه وآله، وصاح بهم، وقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم. فأرعبوا وهربوا وخالطوا الناس كيما يعرفوا.

ص:96

1- (1) ابن اسحاق في السيرة 2:169 والمغازي تلوآقدي 2:1046 و 1047.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم، وذكرتهم للنبي صلي الله عليه وآله، وقلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم. فأجابه: "إنَّ الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس إنَّ محمداً دعا أناساً من قومه وأصحابه إلي دينه، فاستجابوا له، فقاتل بهم حتى ظهر علي عدوّه، ثم أقبل عليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة فإنَّ الله لهم بالمرصاد" (1).

هذا وقد منع النبي صلي الله عليه وآله حذيفة من إذاعة أسمائهم، والعجيب أنَّ عمر بن الخطاب كان يكرّر علي حذيفة قوله: أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ (2).

ص: 97

-
- 1- (1) المغازي للواقدي 3:1042، وعنه في إمتاع الأسماع 1:477.
 - 2- (2) السيرة النبوية لابن كثير 4:34، وشرح النهج لابن أبي الحديد 6: باب 83.

بأصحابه فباهلوه، فإنه علي غير شيء، فلما كان من الغد جاء النبي صلي الله عليه وآله وقد اكتسي بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء، علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال: "اللهم إنّه قد كان لكلّ نبي من الأنبياء، أهل بيت هم أخصُّ الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"، فهبط جبرئيل بآية التطهير في شأنهم، ثم خرج النبي صلي الله عليه وآله، بهم عليهم السلام للمباهلة، فلمّا بصر بهم النصاري، ورأوا منهم الصدق، وشاهدوا أمارات العذاب، لم يجرؤوا علي المباهلة، فطلبوا المصالحة، وقبلوا الجزية عليهم. فصالحهم النبي صلي الله عليه وآله علي ألفي حلة من حلال الأوقاي قيمة كل حلة أربعون درهماً جيداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي صلي الله عليه وآله كتاباً بما صالحهم عليه(1).

والمشهور كانت المباهلة في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة السنة التاسعة للهجرة(2)، وقيل في يوم الخامس والعشرين منه، كما أنّه في هذا اليوم (25 من ذي الحجة) كان نزول سورة (هل أتى)(3) في شأن أهل البيت عليهم السلام حيث صاموا ثلاثة أيام، نذراً لله لشفاء الحسين عليه السلام وأعطوا فطورهم مسكيناً ویتيماً وأسيراً وأفطروا علي الماء وقد مدحهم القرآن ووضعهم في قمة الإيثار والتقوي وعرضهم نماذج وقدوة للبشرية ليقتدي بهم الأجيال وتسير علي نهجهم.

ص:99

1- (1) راجع تفصيل القصة في تفسير القمي 1:104، وإعلام الوري 1:256، ومجمع البيان 2:762.

2- (2) إنّ يوم 24 من شهر ذي الحجة، هو يوم المباهلة علي الأشهر وقيل هو يوم 25 من شهر ذي الحجة وأمّا السنة التي وقعت فيها قضية المباهلة فهي السنة التاسعة بعد فتح مكة.

3- (3) وتسمي سورة الدهر وسورة الإنسان.

في أواخر السنة العاشرة للهجرة قرّر النبي صلي الله عليه وآله أن يسير إلي حجّ بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فأمر مناديه أن ينادي في المدينة وبين القبائل بأنّ رسول الله صلي الله عليه وآله يقصد مكة للحج هذا العام، فأحدث ذلك شوقاً وابتهاجاً في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيّأت أعداد كبيرة لمرافقة رسول الله صلي الله عليه وآله، وضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي صلي الله عليه وآله وتوجّهه إلي مكة (1).

وفي مطلع اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله صلي الله عليه وآله من المدينة متوجّهاً إلي مكة، وقد استخلف مكانه في المدينة أبا دجانة الأنصاري، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة، وعندما بلغ الموكب ذي الحليفة - وهي نقطة فيها مسجد الشجرة - أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، ثمّ أحرم وليّ بقوله: " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك... ". وهذه التلبية هي في الحقيقية تلبية لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام، كما أنّه صلي الله عليه وآله كان يكرّر هذه التلبية كلّما شاهد راكباً، أو علا مرتفعاً من الأرض، أو هبط وادياً، ولم يقطع تلبيته حتي شارف مكة عند مرّ الظهران في يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة في العام العاشر للهجرة، فلم يبرح منها حتي غربت الشمس فرحل إلي الثنيتين: كُدي وكداء، فصلي المغرب والعشاء وتعثّي وبات بينهما (2).

وكان النبي صلي الله عليه وآله قد كاتب علياً عليه السلام بالتوجّه الي الحجّ من اليمن، ولم يذكر له نوع الحجّ الذي قد عزم عليه، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه من العسكر الذي صحبه

1- (1) السيرة الحلبية 3: 389.

2- (2) مغازي الواقدي 2: 1097. وراجع بحار الأنوار 390: 21، عن فروع الكافي 4: 244.

الي اليمن، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدياً، ومعه الحُلل(1) ولمَّا بلغ يَلْمَمَ عقد نَبِيَّة النبي صلي الله عليه وآله وقال: أَللَّهُمَّ إهْلَالاً كإِهْلَال نَبِيِّكَ. فَلَمَّا قَارَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ قَارَبَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طَرِيقِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا كَانَ بِالْفُتُقِ قَرَبَ الطَّائِفِ خَلَّفَ عَلِيٌّ أَصْحَابَهُ أَبَا رَافِعٍ الْقَبْطِيَّ وَتَقَدَّمَ لَهُمُ لِلِقَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَدْرَكَهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيَّ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَ وَأَنَّهُ سَارِعٌ لِلِقَائِهِ قَبْلَ الْجَيْشِ. فَسَدَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ وَابْتَهَجَ بِلِقَائِهِ وَكَانَ مُحْرَمًا فَسَأَلَهُ: بِمَ أَهَلَلْتَ يَا عَلِيُّ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَمْ تَكْتُبْ إِلَيَّ بِإِهْلَالِكَ وَلَا عَرَفْتَنِي، فَعَقَدْتُ نَبِيَّتِي بِنَبِيِّكَ وَقُلْتُ: أَللَّهُمَّ إهْلَالاً كإِهْلَالِ نَبِيِّكَ. وَسُقْتُ مَعِيَ مِنَ الْبَدَنِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ بَدَنَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَدْ سَقَمْتُ أَنَا سِتًّا وَسِتِينَ، وَأَنْتَ شَرِيكِي فِي حَجِّي وَمَنَاسِكِي وَهَدْيِي، فَأَقِمْ عَلَيَّ إِحْرَامِي، وَعُدْ إِلَيَّ جَيْشِي، فَعَجَّلْ بِهِمْ إِلَيَّ حَتَّى نَجْتَمِعَ بِمَكَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ(2).

ولمَّا أصبح رسول الله صلي الله عليه وآله في اليوم التالي اغتسل ودخل مكة نهاراً وذلك من العقبة، فلما انتهى إلي باب المسجد - باب شيبية - استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه وصلى علي أبيه إبراهيم، ثم دخل بناقته العضاء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجته(3)، وقبّل الحجر ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلي ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، قرأ في الأولي بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد، ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: "أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسَقَمٍ". ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ لِيَسْتَلِمَهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "لِيَكُنْ آخِرَ عَهْدِكُمْ بِالْكَعْبَةِ إِسْتِلَامَ الْحَجْرِ" ثُمَّ اسْتَلِمَهُ وَخَرَجَ إِلَى الصَّفَا، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

ص:101

1- (1) قال المفيد: كانت جزية نصاري نجران. وقال الواقدي: إنها كانت خمس الغنائم، (مغازي الواقدي 2:1097).

2- (2) المغازي للواقدي 2:1080.

3- (3) عصاً قصيرة معوجة الرأس.

ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: (إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) 1 ، حتى صعد الصفا فقام عليه، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده". قال مثل هذا، ثلاث مرات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلي بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل علي المروة كما فعل علي الصفا(1).

خطبة الرسول صلي الله عليه وآله في المروة

لَمَّا فرغ رسول الله صلي الله عليه وآله من سعيه وهو علي المروة أقبل علي الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن هذا جبرائيل - وأوما بيده إلي خلفه - يأمرني أن أمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكنني سقت الهدى، ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل " حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ". فقال سراقبة بن ملك الكناني: يا رسول الله، علمنا ديننا كأنا خلقنا اليوم؛ فهذا الذي أمرتنا به ألعمانا هذا أم لما يستقبل؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: " بل هو للأبد إلي يوم القيامة "، وشبك أصابعه وقال: " دخلت العمرة في الحج إلي يوم القيامة"(2).

وفي يوم التروية خرج النبي صلي الله عليه وآله بعد الزوال من مكة إلي مناسك الحج فمرَّ بمني وصلَّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبات في مني وصلَّى الفجر، ثم بعد طلوع الشمس جاء إلي صحراء عرفات.

ص:102

1- (2) انظر: المغازي للواقدي 2:1097، الكافي 1:233، صحيح مسلم 4:36، بحار الأنوار 21:396.

2- (3) بحار الأنوار 21:391، أما في صحيح مسلم عن جابر: فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة.

لمّا كان زوال الشمس من يوم التروية أمر رسول الله الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحجّ، ثم خرج النبي صلي الله عليه وآله وأصحابه مهلّين بالحجّ ملبّين حتي أتى مني فصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم مكث قليلاً حتّي طلعت الشمس، ثمّ أمر أن تضرب له قبة من شعر بنمرة من موقف عرفات، ثم سار رسول الله وكانت قريش تُفيض من طريق المزدلفة ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فكانوا يرجون أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون... وقال الله تعالي: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)1 . وانتهى النبي صلي الله عليه وآله إلي نمرة بحيال شجر الأراك من بطن عرنة من عرفة فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتّي زاغت الشمس. فلما زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فُرِحَّتْ له فخرج وقد اغتسل فقال: "أيّها الناس، إنّ الله باهي بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامّة!" ثمّ التفت الي علي عليه السلام فقال صلي الله عليه وآله: "ويغفر لعلي خاصّة"، ثمّ قال: "ادنُ منّي يا علي"، ودنا منه فأخذ بيده وقال: "إنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد من أطاعك وتولّاك من بعدي، وإنّ الشقي كلّ الشقي حقّ الشقي من عصاك ونصب لك عداوة بعدي"، ثمّ ركب وسار حتي وقف حيث المسجد اليوم في بطن الوادي، فخطب الناس(1).

من خطبة الرسول صلي الله عليه وآله في عرفات

خطب النبي صلي الله عليه وآله في جموع الحجّاج في عرفات أكّد فيها علي تحريم دماء المسلمين وأموالهم بعضهم علي بعض، و الوصية بالنساء خيراً، و التركيز علي حق

ص:103

1- (2) راجع الخبر في المصادر التالية: المغازي للواقدي 2:1101، فروع الكافي 1:233، بحار الأنوار 21:392.

المسلم علي أخيه المسلم، و الإيضاء بالتمسك بالكتاب والعترة، وممّا جاء في خطبته صلي الله عليه وآله: ... اوصيكم عباد الله بتقوي الله، واحتكم علي العمل بطاعته، واستفتح الله بالذي هو خير. أيها الناس! اسمعوا منّي ما ابين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفني هذا. أيها الناس! إنّ دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلي أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا،... فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلي من أئتمنه عليها... ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنّ لسائلكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً، حقكم عليهن: أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم إلاّ بإذكم، وأن لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضوهنّ وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح،.....

أيها الناس: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)1 ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلاّ عن طيب نفس منه، فلا ترجعنّ كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي(1). ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس! إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ)3 وليس لعربي علي عجمي فضل إلاّ بالتقوي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد... والسلام عليكم ورحمة الله"(2).

ص:104

1- (2) راجع بحار الأنوار 21: الباب 36، في حجة الوداع، من صفحة 378 إلى 413، روي فيه المجلسي الخطبة في خبرين الأول عن الخصال للصدوق رحمه الله عن عبدالله بن عمر، الثاني عن المنتقي، وانظر رسالة حديث الثقلين للشيخ قوام الدين الوشنوي القمي المنشور من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة. ط. 1374 هـ -، وط. 1416 هـ -، نشر مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

2- (4) تحف العقول: 29، 30، ونحوه في تاريخ اليعقوبي 2: 111، بما فيه من حديث الثقلين.

ولمّا كان آخر الخطبة وسكت رسول الله صلي الله عليه وآله من كلامه وفرغ من ذلك أذن بلال، فلمّا فرغ بلال من أذانه أناخ راحلته، وأقام بلال فصلّي الظهر، ثمّ أقام فصلّي العصر ولم يصلّ بينهما شيئاً، وقال: "إنّ أفضل دعائي ودعاء من كان قبلي من الأنبياء: "لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت بيده الخير، وهو علي كل شيء قدير" ووقف رسول الله صلي الله عليه وآله علي راحلته وهو مادّ يديه يدعو ويمسح براحتيه علي وجهه، حتي غربت الشمس(1).

وكان أهل الجاهلية يفيضون من عرفة وقد بقي من الشّمس علي رؤوس الجبال كهيئة العمائم علي رؤوس الرجال، فظنّ قريش أنّ رسول الله يفعل كذلك، ولكنّه أخّر ذلك حتي غربت الشّمس(2).

النبي صلي الله عليه وآله في المشعر الحرام

روي عن الصادق عليه السلام قال: ثمّ أفاض وأمر الناس بالدعة، حتّي انتهى الي المزدلفة وهو المشعر الحرام، فصلّي المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين... وعجّل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتي تطلع الشمس، وعجّل النساء من المزدلفة الي مني ليلاً، وأمر من كان منهنّ عليها هدي أن ترمي ولا تبرح حتي تذبح، ومن لم يكن منهنّ عليها هدي أن ترمي فتمضي إلي مكة، وأرسل معهنّ اسامة بن زيد، ثمّ اضطجع رسول الله صلي الله عليه وآله حتّي طلع الفجر، فحين تبين له الصبح صلّاه بأذان وإقامة، ثمّ ركب القصواء حتّي أتى المشعر الحرام (أي: جبل قزح)(3)،

ص: 105

- 1- (1) المغازي للواقدي 3: 1102.
- 2- (2) المغازي للواقدي 2: 1104.
- 3- (3) فروع الكافي 1: 295 و 296.

فاستقبل القبلة فكَبَّرَ وهلَّلَ ووَحَّدَ ودعا، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فأفاض والشمس لم تطلع (1).

النبي صلي الله عليه وآله أيام التشريق

واستمرَّ النبي صلي الله عليه وآله في أداء مناسكه فانتهدى إلى بطن وادي محسَّر فحرَّك قليلاً، ثمَّ سلك الطريق الوسطي التي تخرج علي الجمرة الكبرى، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات، يكبَّر مع كلِّ حصاة منها علي ناقة صهباء، من دون أن يُفعل بين يديه ما يُفعل بين يدي الأمراء من ضرب الناس وطردهم ولا تنحَّ وأبعد ولا إليك إليك، وكان يلبي حتى رمي الجمرة (2). ثمَّ انصرف الي المنحر، فكان ناجية بن جندب يقدم اليه بدنه واحدة واحدة قد شدَّ ذراعها وتمشي علي ثلاث قوائم، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثمَّ أعطي علياً عليه السلام فنحر ما بقي (أربعة وثلاثين بدنة) ثمَّ أمر أن يؤخذ من كل بدنة بضعة، فجعلت في قدر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ولم يعطيا الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلائدها وإنما تصدَّقا بها (3).

والذي حلق رأس النبي صلي الله عليه وآله في حجته معمر بن عبد الله العدوي، ولمَّا كان يحلقه قالت له قريش: أي معمر! اذن رسول الله في يدك وفي يدك الموسي! فقال معمر: والله إنِّي لأعدُّه من الله فضلاً علي عظيمًا (4). فلمَّا حلق رسول الله صلي الله عليه وآله رأسه أخذ من شاربه وعارضيه، وقلَّم أظفاره، ثمَّ أمر بها وبشعره أن يُدفاوقيل: إنَّه فرَّق شعره في

ص: 106

1- (1) كما في بحار الأنوار 406:21 عن المنتقي ما في صحيح مسلم 36:4 عن الباقر عن جابر، ولعل المقصود بداية الافاضة وليس تجاوزه حدود المشعر إلي مني.

2- (2) بحار الأنوار 406:21، عن المنتقي ما في صحيح مسلم 36:4.

3- (3) بحار الأنوار 393:21، عن فروع الكافي 1:234. ومغازي الواقدي 2:1108، عن علي عليه السلام.

4- (4) فروع الكافي 1:235. أو كان عبد الله بن زيد كما في تاريخ المدينة المنورة لابن شبة 2:617.

الناس. وقيل: إنَّ خالد بن الوليد حين حلق النبي صلي الله عليه وآله رأسه قال له: يا رسول الله ناصيتك لا تؤثر بها علي أحدًا فذاك أبي وأمِّي! فدفعها اليه فأخذ ناصيته ووضعها علي عينه! فكان يجعلها في مقدم قلنسوته. وحلق قوم مع رسول الله صلي الله عليه وآله وأبي آخرون فقصروا، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: اللهم ارحم المحلقين فليل: والمقصرون، تكرر ذلك ثلاث مرات حتي قال في الرابعة: والمقصرين. ثمَّ لبس رسول الله صلي الله عليه وآله قميصه وتطيَّب، وبعث عبدالله بن حذافة السهمي ينادي في الناس: أيُّها الناس، إنَّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال: إنَّها أيام أكل وشرب وذكر الله. فانتهي المسلمون عن صيامهم، وأتاه طوائف من المسلمين فقالوا: يا رسول الله ذبحنا قبل أن نرمي، وحلقنا قبل أن نذبح، ولم يبق شيء مما ينبغي أن يقدموه إلاَّ أخروه ولا شيء مما ينبغي أن يؤخروه إلاَّ قدموه، فكان رسول الله يقول لهم: لا- حرج، لا- حرج! ثم ركب رسول الله صلي الله عليه وآله فأفاض إلي البيت(1) فصلى الظهر بمكَّة، ثمَّ أتني علي زمزم فرأيت بني عبد المطلب يسقون الناس فقال لهم: انزعوا لي يا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس علي سقايتكم لنزعت، فناولوه دلوًا فشرب منه، ورجع إلي مني وأقام بها حتي كان اليوم الثالث آخر أيام التشريق فأخذ يرمي الجمار حين الزوال قبل صلاتها، يقف عند الأول أكثر من الثانية ولا يقف عند الثالثة، ويرميها من أعلاهما. وأمر أصحابه يوم العيد أن يفيضوا بالنهار معه، وأفاض نساؤه مساء يوم النحر ليلًا، وكن يرمين بالليل أيضًا وكذلك رخص للرجال أن يرموا بالليل ويخرجوا فيبيتوا بغير مني. وعن ابن عباس قال: ونهي رسول الله أن يبيت أحد بسوي مني في ليالي مني(2).

ص:107

1- (1) فطاف حول البيت وصلى خلف المقام وسعي بين الصفا والمروة.

2- (2) الكافي 1:303، وعنه في بحار الأنوار 21:380.

روي الواقدي بطريقين عن عمرو بن يثربي وعن عبد الله بن العباس: أنه صلى الله عليه وآله خطب بمبني بعد الزوال من اليوم الحادي عشر، بعد العيد، علي ناقته القمصاء(1).

وقال القمي في تفسيره: كان من قوله صلى الله عليه وآله بمبني: أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه عني، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ثم قال: هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟! فقال الناس: هذا اليوم. قال: فأبي شهر؟! قال الناس: هذا. قال: وأي بلد أعظم حرمة؟! قالوا: بلدنا هذا. فقال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الي يوم تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا هل بلغت أيها الناس؟! قالوا: نعم. قال اللهم اشهد..... إلي أن قال: ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير: أنهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك! ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. ثم قال: ألا وإني سيرد علي الحوض منكم رجال فيدفعون عني فأقول: رب أصحابي فيقال: يا محمد، إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك! فأقول: سحقاً سحقاً"(2).

ص: 108

1- (1) المغازي الواقدي 2: 1110.

2- (2) تفسير القمي 1: 171، وبهامشه عن صحيح البخاري 2: 145 و 3: 79 و 4: 87 باب الحوض، وفي لفظ صحيح مسلم 2: 249 أقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. وقال النووي في ذيل هذه الأحاديث: قال القاضي عياض: أحاديث الحوض صحيحة والإيمان بها فرض والتصديق بها من الإيمان، فهي متواترة النقل رواه خلائق من الصحابة.

قال القمي في تفسيره: فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) 1 فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نُعيت إليّ نفسي، ثم نادي: الصلاة جامعة في مسجد الخيف، فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال صلى الله عليه وآله: "نصر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه الي من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، والمؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعي بذمتهم أدناهم، وهم يد علي من سواهم. أيها الناس، إنّي تارك فيكم ما إن تمسّ كتم به لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كاصبعتي هاتين "وجمع بين سبأتيه" ولا أقول كهاتين "وجمع بين سبأته والوسطي" فتفضل هذه علي هذه" (1).

ثمّ أقام هو صلى الله عليه وآله في مني حتى رمي الجمار، ونفر إلي الأبطح فأقام بها... فارتحل من يومه، وخرج من ذي طوي من أسفل مكة (2). فكان إذا علا مرتفعاً من الأرض رفع صوته بالتكبير ثلاثاً ثم قال: "لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو علي كل شيء قدير، آيرون تائبون،

ص: 109

-
- 1- (2) تفسير القمي 1: 173 و 2: 446، بلا إسناد، وأسندها النعماني في الغيبة: 27، بأربعة طرق عن الأئمة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، والكليني في الكافي 1: 403 عن الصادق عليه السلام.
- 2- (3) بحار الأنوار 21: 393، عن فروع الكافي 1: 234. وفي البداية والنهاية 5: 207: أنّه صلى الله عليه وآله بات في المحصّب، وعند السحر أمرهم بالرحيل فدخل مكة وطاف طواف الوداع، ثم اتّجه الي المدينة.

ساجدون عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال، اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً، نبلغ (به) الي خير مغفرة ورضوان" (1).

وهكذا أكمل النبي صلي الله عليه وآله حجّه، وعلمّ المسلمين حجّهم، وكانت آخر حجّة حجّها النبي صلي الله عليه وآله، ولذلك سُمّيت حجة الوداع، وانصرف راجعاً إلي المدينة ومعه من كان من الجموع، حتّى وصل إلي غدير خم قرب الجحفة علي بعد (185 كم) من مكة.

واقعة غدير خم

لمّا قضى رسول الله صلي الله عليه وآله مناسكّه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع، وصل إلي غدير خم من الجحفة و التي تشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، (2) نزل إليه جبرئيل الأمين عليه السلام عن الله بقوله: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِي مُلْكًا مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) 3، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة علي كل مسلم (3).

وإليك حديث واقعة غدير خم كما ينقلها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث البراء بن عازب: كنا مع رسول الله صلي الله عليه وآله، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة،

ص: 110

1- (1) مغازي الواقدي 2: 1114. ثم لم يذكر أي خبر عن رجوعه الي المدينة، فلا الغدير، ولا حتي الخطبة في منزل جحفة قرب الغدير في الثقلين، والذي ذكره خطأ في عمرة الحديبية 2: 579.

2- (2) هو المنصوص عليه في لفظ البراء بن عازب وبعض آخر من رواة حديث الغدير.

3- (4) كان علي بن أبي طالب في اليمن وقد كتب إليه النبي ليلتحق به في موسم الحج فكن مع النبي في حجّة الوداع.

وكسح لرسول الله صلي الله عليه وآله، تحت شجرتين، فصلي الظهر وأخذ بيد علي، فقال: أستم تعلمون أني أولي بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلي، قال: أستم تعلمون أني أولي بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلي، قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقية عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولي كل مؤمن ومؤمنة(1).

ص:111

1- (1) مسند أحمد بن حنبل 4:281، سنورد الحديث مفصلاً عن واقعة الغدير في المصباح الثالث الذي يختص بسيرة الإمام علي عليه السلام.

لَمَّا أَحَسَّ رسول الله صلي الله عليه وآله بدنو أجله، اتخذ صلي الله عليه وآله مواقف وخطوات مهمة تجاه الأمة ومستقبلها فجعل يقوم في مقام بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة من بعده والخلاف عليه. ويؤكد عليهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم علي الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الخلاف والارتداد... وكان أوصي صلي الله عليه وآله: "أيّها الناس، إنّي فرطكم، وأنتم واردون علي الحوض، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروني كيف تخلفوني فيهما، فإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتي يلقياني، سألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإنّي قد تركتهما فيكم، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهما فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم... أيّها الناس، لا ألفيكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض... ألا وإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيي يقاتل بعدي علي تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيهه". ثمّ إنّه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلي حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه صلي الله عليه وآله علي إخراج جماعة من متقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتي لا يبقى في المدينة عند وفاته صلي الله عليه وآله من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدّم علي الناس بالإمارة، ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقّه منازع، فعقد له الإمرة علي من ذكرناه، فأمر أسامة بالخروج عن المدينة ليعسكر بالجُرف(1)، وحثّ الناس علي الخروج إليه والمسير معه، وحذّرهم من الإبطاء عنه، وحين بدأ به صلي الله عليه وآله المرض خرج للبقيع واستغفر لمن دفن فيها طويلاً... ثم قال للإمام علي عليه السلام: "... فإذا أنا مت فاغسلني واستر عورتني، فإنّه لا يراها أحد إلا اكمه"(2).

ص: 112

1- (1) الجُرف: موضع علي ثلاثة أميال من المدينة باتجاه الشام. (معجم البلدان: 128).

2- (2) راجع الإرشاد للمفيد 1: 188.

ثم عاد إلي منزله صلي الله عليه وآله فمكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج إلي المسجد معصوب الرأس معتمداً علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيده اليمني وعلي الفضل بن العباس باليد الأخرى، حتي صعد المنبر فجلس عليه، ثم قال: " معاشر الناس قد حان مني خفوق من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إيّاها، ومن كان له علي دين فليخبرني به"، معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء نعطيه به خيراً أو يصرف به شراً إلا العمل. " إيّها الناس، لا يدع مدع، ولا يتمنّ متمنّ، والذي بعثني بالحق، لا ينجي إلا عمل مع رحمة، ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت؟".

ومكث في بيت أم سلمة يوماً أو يومين، ثم انتقل إلي بيت عائشة، واستمرّ به المرض أياماً وثقل عليه صلي الله عليه وآله، وعلم أنّ بعضاً من أكابر الصحابة قد تأخّر عن جيش أسامة، فاستدعاهم وجمعهم في المسجد، ثم قال صلي الله عليه وآله: " ألم أمركم أن تنفذوا جيش أسامة؟! " قالوا: بلي يا رسول الله. قال صلي الله عليه وآله: " فليم تأخّرتم عن أمري؟".

فقال أحدهم: إنني كنت خرجت ثم عدت لأجدد بك عهداً، وقال الآخر: يا رسول الله، لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب. فقال النبي صلي الله عليه وآله: " فأنفذوا جيش أسامة فأنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عن جيش أسامة" يكررها ثلاثاً(1).

وكان بلال يؤذن ثم يأتي الي النبي صلي الله عليه وآله فيؤذنه بذلك، فأذن يوماً للفجر ثم جاءه وهو مغمور بالمرض، فنادي: الصلاة يرحمكم الله، فأوذن رسول الله صلي الله عليه وآله بنداثة فقال: يصلّي بالناس بعضهم فإنني مشغول بنفسي، فقالت عائشة: مروا أبا بكر... وقالت حفصة: مروا عمر! ولما سمع النبي صلي الله عليه وآله ذلك دعا علياً والفضل بن العباس (وتوضاً) واعتمدهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضعف، فلما خرج من بيته الي المسجد وجد أبا بكر قد سبق الي المحراب، فحضره وأوماً بيده إليه أن تأخر، فتأخر أبو بكر، فقام

ص:113

1- (1) صحيح البخاري 1:172 ب 46، وصحيح مسلم 1:313 ح 94 و 95، دلائل النبوة 7:186.

رسول الله صلى الله عليه وآله مقامه وابتداء الصلاة بتكبيره الاحرام(1)، ولمَّا سلّم من صلاته انصرف إلي منزله... ثمّ اغمي عليه من الأسف والتعب الذي لحقه، فارتفع النحيب من ابنته والنساء من أزواجه والمسلمات ومن حضر من أهل بيته والمسلمين، فأفاق عليه وآله السلام ونظر إليهم ثمّ قال صلى الله عليه وآله: "إيتوني بدواة وكتف، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً"، فقام بعض من حضر يلتمس دواةً وكتفًا، فقال له عمر بن الخطاب: إرجع، فإنّ رسول الله قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله(2)!

وكم كانت الأمة بحاجة ماسّة إلي كتاب الرسول صلى الله عليه وآله هذا، حتّى أنّ ابن عباس كان يأسف كلّما يذكر ذلك ويقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله(3).

من وصايا النبي للإمام علي عليه السلام

روي عن سلمان الفارسي عنه صلى الله عليه وآله قال: يا علي، إنك ستلقي بعدي من قريش شدة من تظاهروا عليك وظلمهم لك، فإن وجدت أعواناً عليهم فجاهدهم، وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكفّ يدك، ولا تلق بيدك إلي التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ قال لأخيه موسى: (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي)4. وروي عنه عن علي عليه السلام قال:

ص:114

-
- 1- (1) راجع الارشاد 1:182، وروي الطبري عن عائشة أنّ أبابكر صلى بصلاة رسول الله 3:197.
 - 2- (2) وفي رواية اخري قال: فإنّ الرّجل يهجر، وقد روي الحديث العلامة المجلسي في بحار الأنوار 30:70 بنحو طرق عن صحيح البخاري كتاب العلم، وبثلاثة طرق عن صحيح مسلم، منها عن جابر بن عبد الله الأنصاري وسائرهما عن ابن عباس، والطبري 3:192.
 - 3- (3) الطبقات الكبرى 2:244، صحيح البخاري 1:22، كتاب العلم.

أخبرني رسول الله صلي الله عليه وآله قال: يبايع الناس أبابكر في ظلّة بني ساعدة بعد تخاصمهم بحقنا وحجّتنا(1).

الرّحيل إلي الرفيق الأعلى

ينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله صلي الله عليه وآله في آخر لحظة من حياته الشريفة هي جملة: "إلي الرفيق الأعلى"، وكان ملك الموت خيره عند قبض روحه الشريفة في أن يصح من مرضه ويبقي أو يلبي دعوة ربه، ويلتحق بالرفيق الأعلى، فعبر بجملة هذه عن رغبته في اللحاق بربه(2). ففتح رسول الله صلي الله عليه وآله عينه وقال لعلي عليه السلام: يا علي، ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله عزّ وجل، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني الي القبلة، وتولّ أمري، فإذا أنا متّ فاعسلني واستر عورتني فإنه لا يراها أحد إلاّ اكمه وصلّ عليّ أول الناس، ولا تقارقني حتي تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالي وادفني في هذا المكان، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورش عليه من الماء(3). فأخذ علي عليه السلام رأسه ووضع في حجره، وأغمي علي النبي. فاكبت عليه ابنته فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل(4)

ففتح رسول الله صلي الله عليه وآله عينيه وقال لها بصوت ضئيل: يا بُنية، هذا قول عمك أبي طالب، لا تقولي، ولكن قولي: (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَي أَعْقَابِكُمْ)5، فبكت، فأوما إليها بالذنوّ منه صلي الله عليه وآله، فأسرّ إليها شيئاً

ص: 115

1- (1) كتاب سليم بن قيس 2: 579.

2- (2) أعلام الوري: 83.

3- (3) الارشاد 1: 181، وخبره في أمالي الطوسي: 660 م 35 ح 1365.

4- (4) الشمال: الغياث.

تهلل له وجهها. فقيل لها: ما الذي أسرَّ إليك رسول الله صلي الله عليه وآله فسُرِّي عنك ما كان عليك من القلق والحزن من وفاته؟ فقالت: "إنَّه خبَّرني أنَّي أوَّل أهل بيته لحوقاً به، وأنَّه لن تطول المدة بي بعده حتَّى ادركه، فسُرِّي ذلك عني" (1)! فقام الحسنان يبكيان ويصرخان وأقبلا حتي وقعا علي رسول الله صلي الله عليه وآله، فأراد علي أن ينحِّيهما عنه صلي الله عليه وآله فأفاق وقال صلي الله عليه وآله له: "يا علي، دعني أشمَّهما ويشمَّاني، وأترودَّ منهما ويتزودَّان مني، أما إنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً، ثمَّ قال ثلاثاً: فلعنة الله علي من يظلمهما" (2).

وكانت يد علي عليه السلام تحت حنكه صلي الله عليه وآله، وفاضت نفسه... (3)، وقد لبَّى الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله نداء ربِّه في الثامن والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، وهو صلي الله عليه وآله ابن ثلاث وستين سنة (4).

وهكذا طارت روح النبي الأكرم صلي الله عليه وآله إلي بارئها، وإلي جنان الخلد، وغربت شمس أعظم شخصية غيَّرت مسار التاريخ البشري، وأعظم رسول إلهي فتح أمام الإنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

وأفاد المفيد في "الارشاد" أنَّ علياً عليه السلام لما أراد غسل رسول الله صلي الله عليه وآله استدعي الفضل بن العباس فعصَّب علي عينيه - حسب وصية النبي صلي الله عليه وآله - وأمره أن يناوله الماء لغسله. ثم شقَّ قميصه من جيبه حتَّى سُرَّته، وتولَّى غسله وتحنيطه وتكفينه (5).

ص: 116

-
- 1- (1) والخبر في أمالي الطوسي ح 316، وفي البخاري 6:12، ومسلم 4:1904.
 - 2- (2) أمالي الصدوق: 508 م 92 ذيل ح 6.
 - 3- (3) الارشاد 1:187، وفي نهج البلاغة خ 197، وروي ابن اسحاق عن عائشة: أنَّه قبض في حجري بين سحري ونحري فقامت أضرب وجهي 4:305.
 - 4- (4) الارشاد 1:189، وعنه في إعلام الوري للطبرسي، وقصص الأنبياء للراوندي، ومناقب آل أبي طالب للحلي، وكشف الغمة للأربلي. ويقول الشيخ اليوسفي الغروي: «ولم نعثر علي مصدر له قبل الارشاد، وإنما اشتهر منه»، (موسوعة التاريخ الإسلامي ج 3، العصر النبوي - العهد المدني).
 - 5- (5) الارشاد 1:178 ورواه ابن اسحاق في السيرة 4:312.

وروي الكليني عن الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أحرم في ثوبين: حبري (من اليمن) وظفاري (صُحاري عُماني) وكُنَّ فيهما (1).

وروي المفيد بسنده عن ابن عباس قال: لَمَّا فرغ علي عليه السلام من غسله (وكفنه) كشف الإزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنباء... ولو لا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك. ثم أكبَّ عليه فقبل وجهه، ومدَّ الإزار عليه صلى الله عليه وآله (2).

وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه، وأين يدفن؟! فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم: "إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا حياً أو ميتاً"، فدخل إليه فوج إثر فوج (عشرة عشرة) فيصلون عليه بغير إمام فينصرفون، ثم أُرِدْف عليه السلام قائلاً: "وإنَّ الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلاَّ وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإني دافنه في حجرته التي قبض فيها"، فسلمَّ القوم لذلك ورضوا به (3).

ثم نزل علي عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ووضع خدَّه علي الأرض موجَّهاً إلي القبلة عن يمينه، ثم وضع اللبَّين علي اللحد، ثم خرج وهال عليه التراب (4)، ورفع من الأرض قدر شبر وأربع أصابع ورشَّ عليه الماء (5).

ص: 117

- 1- (1) فروع الكافي 4: 339 ح 2، والفتية 2: 334 ح 9594، وعنهما في الوسائل 3: 16 ب 5 ح 1.
- 2- (2) أمالي المفيد: 102 م 12 ح 6، نهج البلاغة خ 235، ورواه ابن حنبل في مسنده ح 228.
- 3- (3) راجع: الطبقات الكبرى 2: 53، اصول الكافي 1: 450 ح 35 و 38.
- 4- (4) الارشاد للمفيد 1: 188.
- 5- (5) قرب الاسناد: 136 ح 555.

وعن أنس، قال: لَمَّا فرغنا من دفن النبي صلي الله عليه وآله أتيت إلي فاطمة عليها السلام فقالت: " كيف طاواعتكم أنفسكم علي أن تهيلوا التراب علي وجه رسول الله صلي الله عليه وآله؟ " ثمَّ بكت (1)، وهكذا أخذت فاطمة عليها السلام بالبكاء والعيويل وقد دخل عليها الحزن الشديد من فراق النبي الأكرم صلي الله عليه وآله وكانت ترثه وتبكي ومن الأشعار المنسوبة إليها:

ماذا علي من شمِّ تربة أحمد أن لا يشمَّ مدي الزَّمان غواليا

صُبَّت علي مصائب لوأنَّها صُبَّت علي الأيام صرِن لياليا (2).

وبعد عرض هذه السيرة الوجيزة للنبي الأكرم صلي الله عليه وآله من أدوار ومواقف طوال حياته الشريفة صلي الله عليه وآله هلُمَّ معنا في قبس الختام لنقتبس من أخلاقه الحميدة لنحسِّن بها أخلاقنا ونقوِّي بها إيماننا، وننور بها عقولنا، فهو أسوة حسنة لنا في دار الدنيا، وشفيع لنا يوم العقبي، فسلام عليه يوم ولد، ويوم أدَّى رسالته ويوم ارتحل إلي ربِّه، ويوم يبعث حيًّا.

ص: 118

1- (1) اسد الغابة، لابن الاثير 5:524، وطبقات الكبرى: ج 2، القسم 2:83.

2- (2) المناقب 1:242، بحار الأنوار 79:106 ب 16.

لقد أكد القرآن الكريم في الآيات الكثيرة، علي أن النبي الأكرم صلي الله عليه وآله كان قد كرّس جلّ حياته في سبيل دعوة الناس إلي الله تعالي وإلي تعاليمه، دون أن يستعين بأية وسيلة مادية كبيرة أو قوّة عسكرية هائلة، واستطاع أن يغير مجتمعه المنحط في ربع قرن، فحل الإيمان والعلم والأخلاق في هذا المجتمع مكان الكفر والجهل والفساد. فما الذي مكّن رسول الله صلي الله عليه وآله من إحراز ذلك النجاح الباهر في مجتمع جاهليّ مغرق في القسوة والجفاء، وغلظة الطبع وشكاسة الخلق؟! وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميق إلي زمن طويل؟!!

ويأتي الجواب من القرآني نفسه من خلال وصفه تعالي لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة علي نحو الإجمال، إذ قال عنه: (وَإِنَّكَ لَعَلِي خُلْدٌ عَظِيمٌ) 1 . وتارة بالتفصيل نسبياً، إذ قال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) 2 ، وقوله تعالي: (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) 3 . وقوله تعالي: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) 4 .

لقد سطعت أنوار رسول الله صلي الله عليه وآله في جميع الساحات والميادين، سواء منها الفردية أو الاجتماعية، في عشرته للناس أو في قيادته للمجتمع، وتوجيهه للمسيرة الإنسانية بشكل عام، وفي كل أمر كبير أو صغير نجده صلي الله عليه وآله يتلأأ نوراً ساطعاً، وقدوة دائمة

للإشيرية، كيف لا؟! وهو الإنسان الكامل الذي قدّمه الله قدوة للبشيرية، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) 1 .

وفيما يلي قبسٌ وبقاة عطرة من خلقه العظيم صلي الله عليه وآله، وأدبه وعلاقته مع ربه ومع نفسه ومع الآخرين كانت هي سرّ نجاحه، ورمز
خلوده. اقتبست من كلمات أهل البيت عليهم السلام من كتاب أعيان الشيعة:

علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع ربه

- * كان صلي الله عليه وآله لا ينزل منزلاً إلا ودَّعهُ برَكَعتين(1).
- * كان صلي الله عليه وآله لا يُؤثر علي الصلاة عشاءً ولا غيره(2).
- * كان صلي الله عليه وآله إذا تشاءب في الصلاة رَدَّها بيده اليميني(3).
- * كان صلي الله عليه وآله إذا جاءه أمر يُسرُّ به خرَّ ساجداً شكراً لله(4).
- * كان صلي الله عليه وآله لا يدعُ قيام الليل، وكان صلي الله عليه وآله إذا مرضَ أو كسلَ صلَّى قاعداً(5).
- * كان صلي الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه(6).
- * كان رسول الله صلي الله عليه وآله يبكي حتي يتلّ مصلاه خشية من الله عزَّ وجلَّ من غير جُرم(7).

ص: 120

-
- 1- (2) عن أنس في كتاب المستدرک للحاكم.
 - 2- (3) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، في كتاب مجموعة ورّام.
 - 3- (4) عن الإمام علي عليه السلام، في كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان.
 - 4- (5) عن أبي بكر، في كتاب سنن أبي داود.
 - 5- (6) عن عائشة في كتاب سنن أبي داود.
 - 6- (7) عن عائشة، في كتاب عدة الداعي لابن فهد الحلبي.
 - 7- (8) عن الحسين بن علي عليه السلام في كتاب الاحتجاج للطبرسي.

* كان صلي الله عليه وآله إذا دخل شهر رمضان تغيّر لونه وكثرت صلاته، وابتهل في الدعاء، وأشفق لونه(1).

* كان صلي الله عليه وآله أكثر دعوة يدعو بها: "رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"2.

* كان صلي الله عليه وآله أكثر ما يصوم يوم الاثنين والخميس، ف قيل له: لماذا؟ قال: "الأعمال تُعرض كلَّ اثنين و خميس،..."(2).

علاقة النَّبي صلي الله عليه وآله مع نفسه

* كان صلي الله عليه وآله خُلِقَهُ القرآن(3).

* كان صلي الله عليه وآله لا يضحك إلا تبسماً(4).

* كان صلي الله عليه وآله إذا حدّث بحديث تبسّم في حديثه(5).

* كان صلي الله عليه وآله يقلّم أظفاره ويقصّ شاربه يوم الجمعة(6).

* كان صلي الله عليه وآله إذا تغدي لم يتعشّ وإذا تعشّى لم يتغدّ(7).

* كان صلي الله عليه وآله ينفق علي الطّيب أكثر ممّا ينفق علي الطعام(8).

ص: 121

1- (1) عن عائشة في كتاب سنن البيهقي.

2- (3) عن أبي هريرة في كتاب مسند أحمد.

3- (4) عن عائشة، في كتاب مسند أحمد وصحيح مسلم.

4- (5) عن جابر بن سمرة، في كتاب، مسند أحمد.

5- (6) عن أبي الدرداء، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

6- (7) عن أبي هريرة، في كتاب سنن البيهقي.

7- (8) عن أبي سعيد، في كتاب حلية الأولياء.

8- (9) عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتاب مكارم الأخلاق.

* كان صلي الله عليه وآله لا ينام إلاّ والسّواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسّواك (1).

علاقة النّبي صلي الله عليه وآله مع زوجته

* كان صلي الله عليه وآله إذا دخل بيته بدأ بالسّواك (2).

* كان صلي الله عليه وآله إذا خلا بنسائه ألينّ الناس، وأكرم الناس، بسّاماً (3).

* كان صلي الله عليه وآله يخيظ ثوبه ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم (4).

* كان صلي الله عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلي فيه ركعتين، ثم يئتي بفاطمة، ثم يأتي أزواجه (5).

* كان صلي الله عليه وآله يأمر نساءه إذا أرادت إحداهنّ أن تنام أن تحمد ثلاثاً وثلاثين، وتسبح ثلاثاً وثلاثين، وتكبر ثلاثاً وثلاثين (6).

علاقة النّبي صلي الله عليه وآله مع أصحابه

* كان صلي الله عليه وآله يداعب ولا يقول إلاّ حقاً (7).

* كان صلي الله عليه وآله يستشير أصحابه ثم يعزم علي ما يريد (8).

ص: 122

1- (1) عن ابن عمر، في كتاب مسند أحمد.

2- (2) عن عائشة، في كتاب صحيح مسلم وغيره.

3- (3) عن عائشة، في كتاب الطبقات لابن سعد.

4- (4) عن عائشة وأم سلمة، في كتاب مسند أحمد.

5- (5) عن أبي ثعلبة في كتاب الطبراني في المعجم الكبير.

6- (6) عن حابس، في كتاب ابن منده.

7- (7) عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتاب مستدرک الوسائل.

8- (8) عن الإمام الرضا عليه السلام، في كتاب المحاسن للبرقي.

* كان صلي الله عليه وآله يتجمل لأصحابه فضلاً عن تَجَمُّله لأهله (1).

* كان صلي الله عليه وآله إذا لقي أصحابه لم يصفحهم حتى يُسَلِّمَ عليهم (2).

* كان صلي الله عليه وآله إذا لم يحفظ اسم الرجل، قال: يا ابن عبد الله (3).

* كان صلي الله عليه وآله يقسّم لحظاته بين أصحابه فينظر إلي ذا وينظر إلي ذا بالسوية، ولم ييسط رجله بين أصحابه قط، وإن كان صلي الله عليه وآله ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله صلي الله عليه وآله يده حتى يكون هو التارك (4).

* كَتَبًا إذا جلسنا إليه صلي الله عليه وآله إن أخذنا في حديث الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا (5).

* كان صلي الله عليه وآله إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده (6).

* كان صلي الله عليه وآله إذا ودّع المؤمنين قال: "زودكم الله التقوي ووجهكم إلي كل خير، وقضي لكم حاجة، وسلّم لكم دينكم ودنياكم ورزقكم إليّ سالمين" (7).

علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع عامة الناس

* كان صلي الله عليه وآله يحبُّ أن يُدعى الرجل بأحبِّ أسمائه إليه وأحبِّ كناه (8).

ص: 123

1- (1) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

2- (2) عن جندب، في كتاب الطبراني في المعجم الكبير.

3- (3) عن جارية الأنصاري، الطبراني في المعجم.

4- (4) عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتاب الكافي للكليني.

5- (5) عن زيد بن ثابت، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

6- (6) عن أنس، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

7- (7) عن كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق.

8- (8) مسند أبي يعلي والطبراني في المعجم الكبير.

* كان صلي الله عليه وآله إذا عطس، وَضَعَ يده أو ثوبه علي فيه وخَفَضَ بها صوتَه(1).

* كان صلي الله عليه وآله أَخَفَّ الناس صلاةً علي الناس، وأطول الناس صلاةً لنفسه(2).

* كان صلي الله عليه وآله إذا دخل علي مريض يعودُه قال: لا بأس، طهورٌ، إن شاء الله(3).

* كان صلي الله عليه وآله من رأفته صلي الله عليه وآله لأُمَّته مداعبته لهم لكيلا يبلغ بأحد منهم التعظيم حتي لا يَنْظُرَ إليه(4).

* كان صلي الله عليه وآله إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: بَشِّرُوا ولا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا ولا تَعَسِّرُوا(5).

* كان صلي الله عليه وآله إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر... (6).

علاقة النَّبي صلي الله عليه وآله مع الصبيان

* كان صلي الله عليه وآله أرحم الناس بالصبيان والعيال(7).

* كان صلي الله عليه وآله يزور الأنصار ويسلم علي صبيانهم ويمسح رؤوسهم(8).

ص: 124

1- (1) عن أبي هريرة، في كتاب سنن أبي داود.

2- (2) عن أبي واقد، في كتاب مسند أحمد.

3- (3) عن ابن عباس، في كتاب صحيح البخاري.

4- (4) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب كشف الريبة.

5- (5) عن أبي موسى، في كتاب، سنن أبي داود.

6- (6) عن عبد الله بن بسر، في كتاب مسند أحمد.

7- (7) عن أنس، في كتاب تاريخ ابن عساکر.

8- (8) عن أنس، في كتاب سنن النسائي.

* كان صلي الله عليه وآله يسمع صوت الصبي يبكي وهو في الصلاة، فيخفف الصلاة فتصير إليه أمه (1).

* كان صلي الله عليه وآله إذا يؤتي بالصغير ليدعو بالبركة أو يسميه، فيأخذه فيضعه في حجره تكريماً لأهله فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين يبول فيقول صلي الله عليه وآله: لا تَرْمُوا بالصبي، فيدعُه حتى يقضي بولَه ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ويبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنه يتأذي ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غَسَلَ ثوبه (2).

علاقة النبي صلي الله عليه وآله مع الضعفاء

* كان صلي الله عليه وآله آخر كلامه " الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم " (3).

* كان صلي الله عليه وآله يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم (4).

* كان صلي الله عليه وآله يجلس علي الأرض ويعتقل الشاة ويحيب دعوة المملوك علي خبز شعير (5).

* كان صلي الله عليه وآله يذبح يوم الأضحى كبشين أحدهما عن نفسه والآخر عن من لم يجد من أمته (6).

* كان صلي الله عليه وآله إذا أكل مع القوم طعاماً كان صلي الله عليه وآله أول من يضع يده، وآخر من يرفعها

ص: 125

1- (1) عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، في كتاب علل الشرايع.

2- (2) عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

3- (3) عن علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب سنن أبي داود وابن ماجه.

4- (4) عن سهل بن حنيف، في كتاب مسند أبي يعلي، المعجم الكبير للطبراني.

5- (5) عن ابن عباس، في كتاب مكارم الأخلاق.

6- (6) عن عبد الله بن سنان، في كتاب الكافي للكليني.

ليأكلَ القومُ (1).

* كان رسول الله صلي الله عليه وآله يأكل علي الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصفُ بيده نعله، ويرقع ثوبه،... (2).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 126

1- (1) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب الكافي.

2- (2) عن علي عليه السلام في بحار الأنوار 16: 284.

المصباح الثاني: قبسات من أنوار فاطمة الزهراء عليها السلام

إشارة

ص:127

ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام من شخصيتين عظيمتين وهما النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلي الله عليه وآله والسيدة خديجة الكبرى بنت خويلد، وغني عن التعريف أن نذكر حياة كل منهما وكيفية زواجهما (2)، أمّا النبي الأكرم صلي الله عليه وآله فهو خير البشر أجمع ولا يقاس به

ص: 129

1- (1) وتزامناً مع ذكرى ميلاد سيدة نساء العالمين حبيبة المصطفى وأمّ أبيها فاطمة الزهراء عليها السلام ذكرى ميلاد حفيدها، قائد الثورة الإسلامية في إيران ومؤسس جمهوريتها، الإمام الخميني قدس سره في (20 جمادى الثانية/ سنة 1320 هـ -)، ذلك الإمام المجاهد الذي اقتدي بنهج أمّه الزهراء عليها السلام وبعلمها وبنيتها حتى أعاد للإسلام عزّه ومجده، وكانت كلّ حياته مشرقة، ومن بينها أكثر لمعاناً وإشراقاً وشهرة هي سيرته الجهادية، ولا مجال هنا لكي نتطرّق إلي سيرته الكاملة فإنّ كل جانب منها يحتاج إلي خوض بحوث معمّقة لاكتشافها وتوضيح معالمها، ومن أراد أن يطلع عليها فليراجع الكتب المدوّنة في ذلك بما فيها مجموعة قبسات من سيرة الإمام الخميني قدس سره إعداد غلام علي الرجائي، كما للتعرف علي خلاصة سيرته الجهادية وقصة وفاته راجع مزارات أهل البيت في إيران للمؤلف. هذا وقد ارتحل الإمام في (13 خرداد/ 1368 هـ - ش = 4 حزيران/ 1989 م). وفي صباح (6 / حزيران/ 1989 م) أقام ملايين الأشخاص الصلاة علي جثمانه الطاهر بعيون دامعة بإمامة آية الله العظمي الكلبايگاني قدس سره في مصلي طهران الكبير قدس سره، ودفن في مقبرة بهشت زهراء عليها السلام (جنة الزهراء) في جنوب طهران، بجوار الشهداء عملاً بوصيته.

2- (2) قد مرّ كيفية زواج النبي صلي الله عليه وآله بالسيدة خديجة عليها السلام، وقبسات من حياتهما.

أحد وهو أفضل المخلوقات وسر وجودها وأما السيدة خديجة الكبرى فهي أول امرأة آمنت برسول الله صلي الله عليه وآله وصدقته وآزرته بمالها فلذا كان رسول الله صلي الله عليه وآله يودّها ويحترمها طوال عمره المبارك، وفاطمة عليها السلام الزهراء انعقدت نطفتها في رحم تلك المرأة العظيمة.

أمّا كيف انعقدت نطفتها الطاهرة؟ فإليك ما اتفق عليه مؤرخوا المسلمين: لقد روي بعض الرواة أنّ خديجة الكبرى عليها السلام تمّت يوماً من الأيام علي سيد الأنام صلي الله عليه وآله أن تنظر إلي بعض فاكهة الجنة، فأتي جبرئيل إلي نبي الرحمة بتفاحتين من الجنة، وقال: "يا محمد يقول لك من جعل لكل شيء قدراً كُلاً واحداً وأطعم الأخرى لخديجة الكبرى، واغشها، فإنّي خالق منكما فاطمة الزهراء عليها السلام، ففعل المختار ما أشار به الأمين فكان المختار كلّما اشتاق إلي الجنة ونعيمها قبل فاطمة وشمّ طيب نسيمها، فيقول حين يستشق نسيمها القدسيّة: "إنّ فاطمة حوراء إنسية"، ورؤي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: قال النبي صلي الله عليه وآله: "لمّا عُرج بي إلي السّماء أخذ بيدي جبرئيل وأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صلبني فلمّا هبطت واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، ففاطمة عليها السلام حوراء إنسية، فكلمّا اشتقت إلي رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة"⁽¹⁾.

إذن كان إنعقاد نطفة الزهراء عليها السلام في السنة التي عرج بها النبي صلي الله عليه وآله إلي السماء وأكل من فاكهة الجنة، وانعقدت نطفتها منها فولدتها خديجة طاهرة مطهّرة يوم الجمعة في العشرين من جمادى الآخرة بعد البعثة بخمس سنوات كما هو المشهور⁽²⁾.

ص:130

1- (1) رواه الخطيب البغدادي في (تاريخه) الجزء 5:87. والحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) الجزء 11:38.

2- (2) راجع: الكافي 1:442 باب مولد النبي صلي الله عليه وآله حديث 13، بحار الأنوار 9:43، وكتاب منتهي الآمال 1:255.

وقد أضحى بيت رسول الله صلي الله عليه وآله بولادة فاطمة عليها السلام أكثر حناناً وعطفاً في ضجيج الأوجاع والتحديات التي كان يواجهها النبي الكريم صلي الله عليه وآله في تلك المرحلة الحاسمة في مكة، وكانت فاطمة عليها السلام كنسيم مُهدي، يمسح برفق علي وجنات الوالدين المتعبة، ليلاً ونهاراً، ويُسكّن أوجاع الأيام الشاقّة التي تمرّ بها الرسالة، وكم هو مثير الفرح والسرور، أن تكون لمثل هذه البنت من الكرامة، بحيث تبعث الهدوء والسكينة في قلب سيد الكائنات الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله حيث يقول في حقها: "هي بضعة منّي، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي" (1). وليس هذا عجباً في حق فاطمة عليها السلام إذ يتلخّص فيها وجود النبي الأعظم صلي الله عليه وآله لأنّ فيها جميع الكمالات الإنسانيّة وملكات الفضائل النفسانيّة، وهي الحوراء الإنسيّة التي حوت العفّة والعصمة والعلم، وأوتيت البلاغة والحكمة وفصل الخطاب..، إنّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

ويقول الإمام الخميني رحمه الله "إذا كان ينبغي أن يخصّص للمرأة يوماً، فلا يوم أسمى وأكثر فخراً من اليوم السعيد لولادة فاطمة الزهراء عليها السلام" (2).

ص: 131

1- (1) كشف الغمة 2: 24.

2- (2) وقد خصّص الإمام الخميني الراحل قدس سره، يوم ولادة الزهراء يوم المرأة في الجمهورية الإسلامية فيحتفل به الشعب الإيراني وجميع المحبين للزهراء في العالم وتكرّم المرأة فيه.

وصل النبي صلي الله عليه وآله في هجرته من مكّة إلى قرية قباء من ضواحي يثرب وكان ذلك يوم الثاني عشر من ربيع الأوّل من سنة ثلاث عشرة من المبعث فأقام فيها عدة أيام منتظراً قدوم ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام و ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أمره أن يلتحق به هو مع الفواطم، وكان قد ألحّ أبو بكر عليه لكي يدخل المدينة في ليلته إلا أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال له: " ما أنا بداخلها حتي يقدم ابن عمي وأخي وابنتي "، يعني علياً وفاطمة عليه السلام. ولمّا أمسي فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل علي بعض الأنصار، وبقي النبي صلي الله عليه وآله في قباء نازلاً علي كلثوم ابن الهدم، ينتظر لحوق الإمام علي عليه السلام والفواطم به ليدخلوا المدينة معاً، وخرج الإمام علي عليه السلام بالفواطم، وهنّ: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أم علي عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولي رسول الله صلي الله عليه وآله وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل حتي قدموا قباء في منتصف شهر ربيع الأوّل من سنة ثلاث عشرة من المبعث ثمّ بعد ذلك دخل النبي وعلي ومن معه إلى المدينة وكان عمر فاطمة الزهراء آنذاك ثمانية سنة (1).

ص:132

1- (1) راجع تفاصيل هذه القضية في أمالي الطوسي 2:83، المناقب 1:183، إعلام الوري: 190، الكامل في التاريخ 2:106، وبحار الأنوار 19:64.

أكملت فاطمة الزهراء عليها السلام التاسعة من عمرها في المدينة المنورة وقد تقدّم إلي رسول الله صلي الله عليه وآله الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أنّ الرسول صلي الله عليه وآله امتنع عن ذلك وصرّح بأنّه ينتظر فيها قضاء الله، إلي أن تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام، لخطبتها من رسول الله صلي الله عليه وآله، وكان عمر الإمام عليه السلام آنذاك قد بلغ أربع وعشرين سنة - فقال له رسول الله صلي الله عليه وآله: "يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علي رسلك حتي أخرج إليك"، فلمّا دخل النبي صلي الله عليه وآله علي فاطمة عليها السلام، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت ولم تولّ وجهها، ولم ير فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: "الله أكبر، سكوتها إقرارها"، فخرج إلي علي وموافقة الزهراء بادية علي قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة، وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام "لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفُوٌ عَلَي ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ"⁽¹⁾.

هذا وقد عقد الإمام علي عليه السلام علي فاطمة الزهراء في أواخر شهر صفر السنة الثانية للهجرة، وبعد عشرة أشهر وفي الأوّل من ذي الحجة من تلك السنة بني عليها وتزوّجها، وكان ثمره هذا القران الميمون، الإمامين الحسن والحسين⁽²⁾ والسيدة زينب⁽³⁾

ص:133

1- (1) الكافي 1:461، باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام.

2- (2) سيأتي شرح احوال الإمامين الحسن والحسين قدس سره، في المصباح الرابع و المصباح الخامس.

3- (3) زينب الكبرى: المشهور أنّ مولدها في الخامس من شهر جمادى الأولى السنة السادسة للهجرة، ويعرف هذا اليوم رسمياً في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ب - (يوم الممرّضات) وذلك تخليداً لمواقف تلك السيدة الجليلة. وتزوّجت زينب بعبد الله بن جعفر الطّيار ابن عمّها، فولدت له علياً وعباساً وعوناً وأمّ كلثوم.

وقد عاشت فاطمة مع علي قدس سره علي أحسن حال، فلم يشتك علي عليه السلام من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما نِعَم العون علي طاعة الله للآخر، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة بينهما: "فوالله ما أغضبته ولا أكرهتها علي أمرحتي قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان" (3). وجاء في آخر كلام لها مع علي عليه السلام: "يا بن العم ما عهدتني كاذبة"

ص:134

-
- 1- (1) زينب الصغري (أم كلثوم): تزوجت بعون بن جعفر الطيار ابن عمها، ثم بعده بمحمد بن جعفر. والتي تزوجها عمر الخطاب، هي أم كلثوم من أم ولد، لا من فاطمة الزهراء، كما عليه أصحاب التحقيق.
- 2- (2) راجع تفاصيل قضية عقد الزهراء وزواجها في مروج الذهب 2:282، روضة الكافي: 180، تاريخ الطبري 2:410 و 485، بحار الأنوار 43:182-132، وموسوعة التاريخ الإسلامي 2:96 و 211.
- 3- (3) مناقب الخوارزمي: 256، وكشف الغمة 1:363، وبحار الأنوار 43:134.

ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني"، فقال عليه السلام: " معاذ الله أنتِ أعلم وأبرّ وأتقي وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أويحك بمخالفتي " (1). لقد كان التناغم والتلاؤم بين فاطمة والإمام علي عليه السلام ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص كتابه العزيز (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) 2 .

ص:135

1- (1) أمالي الشيخ الطوسي 1:384، وبلاغات النساء: لابن طيفور 20، وروضة الواعظين: 151.

رُوي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله حدّثني بحديث فضل جدتك فاطمة، إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك، فقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: "والله يا جابر، إنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها، كما يلتقط الطير الحبّ الجيد من الحبّ الرديء،..." (1). وعن ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: "... وأما ابنتي فاطمة، فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، إنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علي نساء العالمين" (2)، وورد عنه صلي الله عليه وآله أيضاً: "متي قامت في محرابها بين يدي ربّها (جل جلاله) زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله (عز وجل) لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلي أمّتي فاطمة، سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها علي عبادتي، أشهدكم أنني قد أمنت شيعتها من النار..." (3).

وقال الحسن بن علي قدس سره: "رأيت امي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعةً ساجدةً حتي اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه! لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟" فقالت عليها السلام: "يا بُنيّ الجار ثمّ الدار" (4).

ص: 136

1- (1) بحار الأنوار 51:8.

2- (2) أمالي الصدوق: 437، وبحار الأنوار 24:43 و 217.

3- (3) أمالي الصدوق، المجلس 24، بحار الأنوار 172:43.

4- (4) بحار الأنوار: 81:43.

وأنت فاطمة عليها السلام يوماً إلي أبيها رسول الله صلي الله عليه وآله فسألته أن يعطيها خادماً يعينها في أعمالها، فقال لها صلي الله عليه وآله: "يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها: تكبّرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسيحة، ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله، وذلك خير لك من الذي أردت ومن الدنيا وما فيها" (1)، فقبلت فاطمة عليها السلام، فكانت عليها السلام ملازمة لهذا التسيح طيلة حياتها، في أدبار الصلاة، وإذا أخذت مضجعها، وكانت قد عملت سبحتها من خيط صوف مفتل، معقود عليه عدد التسيحيات، فكانت تديرها بيدها، ولمّا قتل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام في أحد، استعملت تربته، وعملت السبحة منه، فاستعملها الناس (2).

وقد أصبح هذا التسيح الذي عرف ب - (تسيح الزهراء عليها السلام) من أفضل تعقيبات الصلاة، فقد ورد الحث البليغ والكثير عن الأئمة عليهم السلام بملازمته، والتعقيب به، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال لأبي هارون: "يا أبا هارون، إنّنا نأمر صبياننا بتسيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه، فإنّه لم يلزمه عبد فشتقي" وعنه عليه السلام: "تسيح فاطمة في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم"، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلي الله عليه وآله فاطمة عليها السلام" (3).

وكل هذه الفضائل والمناقب والمقامات التي ذكرناها للزهراء عليها السلام من الطهارة والعصمة، والتحدّث و...، إلي غيرها من الكمالات - التي تركناها مراعاة للاختصار - هي تدلّ علي علوّ مقامها عند الله تعالى.

ص: 137

1- (1) بحار الأنوار 85:336 ح 25.

2- (2) بحار الأنوار 85:333 ح 16.

3- (3) وسائل الشيعة 6: أبواب التعقيب: باب 7، ح 1، وباب 8، ح 1، وباب 9، ح 1، 2.

القبس الخامس: حزن الزَّهراء عليها السلام علي أبيها

رُوي أنَّه لما قبض النبي صلي الله عليه وآله امتنع بلال من الأذان قال: لا أوذن لأحد بعد رسول الله صلي الله عليه وآله، وإنَّ فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم: "إني أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي صلي الله عليه وآله بلال" فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباه وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلي قوله: أشهد أنَّ محمداً رسول الله صلي الله عليه وآله شهقت فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: امسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله صلي الله عليه وآله الدنيا، وظنوا أنَّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتم الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيِّدة النسوان، إنني أخشي عليك ممَّا تنزليته بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك (1).

وروي عن أنس قال: لما فرغنا من دفن النبي صلي الله عليه وآله أتيت إلي فاطمة عليها السلام فقالت: "كيف طاوعتكم أنفسكم علي أن تهيلوا التراب علي وجه رسول الله صلي الله عليه وآله؟" ثمَّ بكت (2).

وهكذا أخذت فاطمة عليها السلام بالبكاء والعيول ليلها ونهارها، حتَّى جزع لذلك جيرانها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلي أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: يا أبا الحسن! إنَّ فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد ممَّا يتهنأ بالنوم في الليل علي فرشنا ولا بالنهار لنا قرار علي أشغالنا وطلب معاشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إمَّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً... فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتَّى دخل علي فاطمة عليها السلام فقال لها: "يا بنت رسول الله صلي الله عليه وآله إنَّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمَّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً"، فقالت: "يا أبا الحسن، ما أقلّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم"، فاضطرَّ أمير المؤمنين عليه السلام إلي

ص: 138

1- (1) بحار الأنوار 157:43 ح 7.

2- (2) اسد الغابة، لابن الاثير 524:5، وطبقات الكبرى: ج 2، القسم 2:83.

بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة وسَمَّاه "بيت الأحران" وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين عليه السلام أمامها وخرجت إليه وهي تمرّ علي البقيع باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها ورافقها إلي منزلها(1).

وهكذا أخذت فاطمة عليها السلام بالبكاء والعيول وقد دخل عليها الحزن الشديد من فراق النبي الأكرم وكانت تترثه وتبكي ومن الأشعار المنسوبة إليها:

ماذا علي من شَمِّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدي الزّمان غواليا

صُبَّت عليّ مصائب لوأنّها صُبَّت علي الأيام صرِنَ لياليا(2).

ص:139

1- (1) بحار الأنوار 177:43 ضمن ح 15. يقول العلامة المجلسي: وجد في بعض الكتب! هذا الخبر في وفاتها وأحبَّ إيراده وإن لم يجد له أصلاً يعول عليه!

2- (2) المناقب 1:242، بحار الأنوار 106:79 ب 16.

من أبرز ملامح شخصية الزَّهراء عليها السلام أنَّها كانت أوَّل مدافعة ومجاهدة عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد برزت مواقفها الجهادية في مواطن متعددة، وإليك بعضها:

الموقف الأول: لمَّا هجم القوم علي دارها، وكان في الدار علي عليه السلام مع لفيف من أصحابه، كانت قد منعتهم من دخوله، غير أن القوم اقتحموا الدار، ودخلوا علي أمير المؤمنين وأخرجوه من الدار، لكن السيدة فاطمة عليها السلام وقفت وصرخت في وجوههم رغم ما حلَّ بها جراء الإقتحام، ولمَّا أخرجوا الإمام من داره خرجت وراءهم وهي تنادي: خلّوا عن ابن عمي، فوالله الذي بعث محمداً أبي بالحق إن لم تخلّوا عنه لأنشرونَّ شعري، ولأضعنَّ قميص رسول الله صلي الله عليه وآله علي رأسي، ولأصرخن إلي الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم علي الله من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم علي الله من ولدي(1).

وواصلت فاطمة عليها السلام دفاعها عن وصيّ رسول الله صلي الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشتي طرق الدفاع ومختلف أساليبه، فكانت تخرج مع إمامها وتأتي أبواب المهاجرين والأنصار لتذكرهم حقوق الإمام علي الأمة، ودعتهم إلي نصرته، قال ابن قتيبة: " وخرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وآله علي دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصر، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ - كرم الله وجهه -: أفكنتُ أدع رسول الله صلي الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة عليها السلام: " ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم"(2).

1- (1) الاحتجاج 1:113.

2- (2) الإمامة والسياسة: 19.

الموقف الثاني: لَمَّا سمعت نساء المهاجرين والأنصار خبر علة فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وآله، اجتمعن وذهبن إلي بيت فاطمة لعيادتها فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله؟ فأجابتهن بعد الحمد لله والصلاة علي أبيها صلي الله عليه وآله: " أصبحت والله عائفة لديناكن، قالية لرجالكن،... ويحكم أين زعزعوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة،... وما نعموا من أبي الحسن؟ تقموا منه والله نكير سيفه، وقلة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته وتنمره في ذات الله،...، فيا حسرة لكم وأني بكم وقد (عَلَيْكُمْ أَنْزَلِ مُكْمُوها وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) 1؟ فأعادت النساء قولها عليها السلام علي الرجال، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد، ونحكم العقد، لما عدلنا عنه إلي غيره، فقالت عليها السلام: " إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم" (1)، ولقد بيّنت الزهراء عليها السلام لهم المستقبل الذي ينتظرهم جراء مخالفتهم للحق، وقدمت لهم الأدلة الناصعة علي أن علياً عليه السلام هو الإمام المفترض الطاعة.

الموقف الثالث: حينما قرّرت السلطة الحاكمة أن تمنع فاطمة عليها السلام فداً وبلغها ذلك قرّرت الاعلان عن مظلوميتها بالذهاب إلي المسجد وإلقاء خطاب مهم في الناس، وسري الخبر في المدينة أن بضعة النبي صلي الله عليه وآله وريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها وهزّ الخبر أرجاء المدينة واحتشد الناس في المسجد ليسمعوا هذا الخطاب المهم، فأقبلت فاطمة عليها السلام في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيوها، ما تحرم (ما تنقص) مشيتها مشية رسول الله صلي الله عليه وآله حتي دخلت علي حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة (سترأ)، فجلست ثم أتت أنه أجهد القوم لها بالبكاء،

ص:141

فارتجَّ المجلسُ، ثمَّ أمهلتُ هُنَيْئَةً حتَّى إذا سكنَ نَشِيحُ القومِ وَهَدَأَتْ فَوَرَّتُهُمْ؛ افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلي الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلمَّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام: "أيُّها الناس اعلموا أنَّي فاطمة وأبي محمد... أفلا تعلمون؟! بلي قد تجلَّي لكم كالشمسِ الضاحية: أنَّي ابنتُهُ، أيُّها المسلمون أُلْغِبُّ علي إرثي؟، يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جنَّت شيئاً فرياً! أفعلي عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) 1، وقال فيما اقتصَّ من خَبَرِ يحيى بن زكريَّا إذ قال: (وَأِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) 2... ثمَّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: (يا معشر النقيبة) (الفتية) وأعضاء المِلَّةِ وَحَصَنَةَ الإسلام، ما هذه الغميرة في حَقِّي والسِنَّةُ (1) عَن ظِلَامَتِي؟ أما كان رسولُ الله صلي الله عليه وآله أبي يقول: "المرءُ يُحَفِّظُ في وُلْدِهِ"؟ سَرَعَانَ مَا أَحَدْتُمْ،....، فبعينِ الله ما تَفْعَلُونَ (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) 4، ابنةٌ نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنَّا عاملون، وانتظروا إنَّا منتظرون" (2).

لقد أوضحت الزهراء في خطابها الحقَّ بأجلي صورته، وحيث لم تبق أيُّ شكٍ للقوم بأنَّها صادقة في كلامها، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد: سألت ابن الفارقي مدرِّس المدرسة الغربية ببغداد، وقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة؟ فتبسَّم ثمَّ قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا: لو

ص: 142

1- (3) الغميرة: النقيصة، والسِنَّة: النُّعَاسُ.

2- (5) شرح النهج، لابن أبي الحديد 16: 211، الإحتجاج، للطبرسي 1: 253، وراجع بحار الأنوار 43: 159.

أعطاه اليوم فديكاً لمجرد دعواها؛ لجات إليه غداً وأدعت لزوجها الخلفة وزحزحته عن مقامه ولم يمكن الاعتذار والمواقفة، لأنه يكون قد سجّل علي نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة وشهود. (1)

وختمت فاطمة عليها السلام مواقفها الاحتجاجية علي القوم، بأن أوصت أن لا يحضر أحد منهم جنازتها، ويعفي قبرها فلا يعرفه أحد، لكي تصل مظلوميتها إلى كل من يسأل: أين قبر فاطمة؟، ولماذا أوصت أن لا يشهد جنازتها من القوم أحد؟ لتبقي هذه حجّة عليهم إلى يوم الحساب.

ص: 143

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 284.

بعد وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله اشتدَّ علي فاطمة عليها السلام الحزن والأسى ومرضت ولمَّا حضرته الوفاة أخذت توصي علياً بوصايا فقالت لعلي عليه السلام: "إذا توفيت فلا تدفني إلا ليلاً، ولا تُعلم أحداً إلا أمَّ أيمن وأمَّ سلمة وفضة، ومن الرجال العباس وسلمان وأبازر والمقداد وعمَّاراً وحذيفة وابني ولا تعلم أحداً قبري" (1).

وعن ابن عباس قال: لمَّا اشتدَّ بها الأمر دعت علياً وقالت: "يابن عمِّ، ما أراني إلا لما بي، وأنا أوصيك... وأن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ. وأن تزوج بنت أختي زينب (2) تكون لولدي مثلي" (3).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: أنّها لمَّا احتضرت أوصت علياً عليه السلام فقالت: "إذا أنا مت فتولّ غسلني وجّهزني وصلّ علي وأنزلني في قبري وألحدني وسوّ التراب علي، واجلس عند رأسي قبالة وجهي (4) فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنّها ساعة يحتاج الميت فيها إلي أنس الأحياء، وأنا أستودعك الله، وأوصيك في ولدي خيراً. وكان عندها أمّ كلثوم فضمّتها إليها... (5)".

ص: 144

-
- 1- (1) دلائل الإمامة: 44، ونقل مثله الحلبي في مناقب آل أبي طالب 3: 114، عن الواقدي، وبطريقين عن عروة عن عائشة. وعن ابن عباس مثله، وفي بحار الأنوار 103: 185، الحديث 14،
 - 2- (2) أمّامة ابنة أختها زينب، بنت أبي العاص بن الربيع الأموي.
 - 3- (3) كتاب سليم بن قيس 2: 870، ومثل الأخير في مصباح الأنوار: 259 عن الباقر عليه السلام.
 - 4- (4) كذا هنا لأنّها معصومة، وكذا سائر المعصومين، وإلا فليس الأدب المندوب قبالة الوجه بل خلفه.
 - 5- (5) كما في بحار الأنوار 82: 27 عن مصباح الأنوار: 257، وفيه عنه عن الحسن عليه السلام: أنّ علياً عليه السلام كتب وصيتها بيده

ولمَّا تُوفِّيت فاطمة الزهراء عليها السلام قام الإمام علي عليه السلام بتغسيلها وتكفينها(1) ثمَّ صَلَّى ومن معه علي الجنازة ثمَّ رفع يديه إلي السماء فنادي "أللهمَّ هذه بنت نبيك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلي النور،..."، فلمَّا هدأت الأصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل تقدّم أمير المؤمنين والعباس والفضل بن العباس ورابع يحملون ذلك الجسد الشريف، وشيَّعها الحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وبريدة وعمَّار، ونزل عليّ عليه السلام إلي القبر، واستلم بضعة رسول الله صلي الله عليه وآله وأضجعها في لحدها وقال عليه السلام: "يا أرض أستودعك وديعتي، هذه بنت رسول الله صلي الله عليه وآله، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلي ملّة رسول الله محمد بن عبدالله صلي الله عليه وآله، سلّمتك أيتها الصديقة إلي من هو أولي بك منّي، ورضيت لك بما رضي الله تعالي لك"، ثمَّ قرأ: (قالوا يا موسى إمّا أن تلقّي وإمّا أن نكون أول من ألقى)2، ثمَّ خرج من القبر، وتقدّم الحاضرون وأهالوا التراب علي تلك الدرة النبويّة، وسوّي عليّ عليه السلام قبرها لئلا يعرف حسب وصيتها عليها السلام.

حزن أمير المؤمنين عليه السلام علي الزهراء عليها السلام

لمّا نفّض الإمام علي عليه السلام يده من تراب قبر فاطمة الزهراء عليها السلام هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول وزوجته التي عاشت معه الصفاء والطهارة والتضحية والإيثار، وتحملت من أجله الأهوال والصعاب، فأرسل دموعه علي خديه، وحول وجهه إلي قبر رسول الله صلي الله عليه وآله ثمَّ قال: "السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك، والبائنة في الشري بيقعتك، والمختار الله لها سرعة اللّحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفتك

ص:145

1- (1) عن المفضل بن عمر الجعفي قال: سألت الصادق عليه السلام: من غسّل فاطمة؟ فقال: ذاك أمير المؤمنين... فإنّها صديقة فلم يكن يغسلها إلا صديق (أصول الكافي 1:459، الباب 117، ح 15، مناقب آل أبي طالب 3:413).

صبري، وعفا عن سيدة العالمين تجلّدي،... قد استرجعت الوديعه، وأخذت الرّهينه، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهد، وهمّ لا- يبرح قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمدّ مقيح (1) وهمّ مهيج! سرعان ما فرّق بيننا، وإلي الله أشكو، وستنبك ابنتك بتظافر امتك علي هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلي بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله... سلام مودّع لا قال ولا سئم. فإن انصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، واهأ، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً ولأعولت إعوالم الثكلي علي جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر، وإلي الله - يا رسول الله - المشتكي، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلي الله عليك، وعليها السلام والرضوان" (2).

نفسى علي زفرتها محبوسه يا ليتها خرجت مع الزّفات

لا خير بعدك في الحياة وإنّما أبكي مخافة أن تطول حياتي (3)

ص: 146

1- (1) الكمد: الحزن الشديد، والقيح: مادّة الجرح بلا دم.

2- (2) الكافي 1: 458، الحديث 3 باب مولد الزهراء عليها السلام، أمالي الطوسي: 109 الحديث 166 عن المفيد في أماليه، وفي بحار الأنوار 43: 159-199، و لمزيد المعرفة حول ما جري علي الزهراء بعد أبيها وكيفية شهادتها راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 84، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه 5: 13، وكتاب الإمامة والسياسة لابن قتبه 1: 12.

3- (3) بيت الأحزان: 129، من الرثاء المنسوب لأمير المؤمنين للزهراء

القبس الثامن: الأقوال في وفاة الزهراء عليها السلام و محلّ دفنها

إختلف المؤرخون في المدة التي عاشتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلي الله عليه و آله، بعد اتفاهم علي أنّ وفاتها عليها السلام كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة، علي عدة أقوال والمعروف منها ثلاثة:

القول الأول: بقيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها أربعين ليلة، ثمّ قبضت من يومها، ودفنت ليلاً، وهذا القول هو أقدم ما بأيدينا من تواريخ وفاتها عليها السلام ما جاء عن سليم بن قيس عن ابن عباس من دون تعيين اليوم والشهر لوفاتها(1).

والقول الثاني: أنّها عاشت بعده صلي الله عليه و آله (75 يوماً)، ويتوافق مع (13 جمادي الأولي) تقريباً(2).

والقول الثالث وهو المشهور: أنّها عاشت بعده صلي الله عليه و آله (95 يوماً)، ويتوافق مع (3 جمادي الآخرة)، وقد رواه الطبري الإمامي في كتابه (دلائل الإمامة) بإسناده، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: "قبضت فاطمة عليها السلام في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة" (3)، وإليه ذهب المفيد في "مسارّ الشيعة" (4) حيث ذهب إلي وفاة النبي صلي الله عليه و آله في 28 من صفر، فيكون خبر بقائها (95 يوماً) متفقاً مع خبر الثالث من جمادي الآخرة، وتابع المفيد، الشيخ الطبرسي في "إعلام الوري" (5).

ص:147

1- (1) كتاب سليم بن قيس 2:870 ونقله الفريابي في تاريخ أهل البيت: 72، وعنه في مناقب آل أبي طالب 3:406، والأربلي في كشف الغمة 2:126، ويقول الشيخ اليوسفي الغروي في موسوعته: «يبقي خبر سليم هو الأول والوحيد في الأربعين يوماً». (موسوعة التاريخ الإسلامي 4:158، في الحاشية).

2- (2) مجمع الزوائد 9:166.

3- (3) راجع: الكافي 1:442، دلائل الإمامة للطبري: 167، كشف الغمة 1:53، وبحار الأنوار 43:79.

4- (4) مسارّ الشيعة في المجموعة النفيسة: 31.

5- (5) إعلام الوري 1:300.

القول الثاني: أَنَّ الزهراء عليها السلام دفنت في الروضة، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّمَا قَالَ: "بَيْنَ قَبْرِي وَ مَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ لِأَنَّ قَبْرَهَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَ الْمَنْبَرِ... (1)".

القول الثالث: أَنَّهَا دفنت في البقيع، لقد روي الطبري الإمامي عن محمد بن همام مرسلًا قال: فغسلها أمير المؤمنين عليه السلام وأخرجها إلي البقيع... وأصبح البقيع وفيه أربعون قبراً جُددًا (2)، وروي: أَنَّهُ سَوَّى قَبْرَهَا مَسْتَوِيًا مَعَ الْأَرْضِ، وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَشَّ أَرْبَعِينَ قَبْرًا، حَتَّى لَا يَتَبَيَّنَ قَبْرُهَا (3)، ونقل الإربلي عن الصدوق، خبراً مرسلًا قال: فغسلوها وكفّنها وحنّطوها، وصلّوا عليها ودفنوها بالبقيع (4).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 149

1- (1) راجع: بحار الأنوار 196:97 باب 5، زيارة فاطمة.

2- (2) دلائل الإمامة: 46.

3- (3) مناقب آل أبي طالب 3:413.

4- (4) كشف الغمة 2:126.

المصباح الثالث: قبسات من أنوار الإمام علي عليه السلام

إشارة

ص:151

الإمام علي عليه السلام وليد الكعبة وشهيد المحراب

يكفي لأي إنسان منصف أن يُلقي نظرة سريعة علي حياة ومواقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليخرج بنتيجة واضحة من أنّ هذا الرجل العظيم ذو شخصية فذة وفريدة لا يقاس به أحد بعد رسول الله صلي الله عليه وآله، وكانت حياته مملوءة بالمواقف المشرفة من البطولات والتضحيات في سبيل الله ونصرة رسول الله صلي الله عليه وآله، ففي العهد المكي ومن بداية البعثة النبوية كان علي بن أبي طالب عليه السلام أوّل من آمن بالنبى محمد صلي الله عليه وآله ورسالته الخالدة وهو في العقد الأوّل من عمره، ثمّ شاركه في السنوات الثلاث من الدعوة السريّة وأزره في العلنية التي بدأت بالأقربين في قضية يوم الإنذار، و حضر عليه السلام معه صلي الله عليه وآله في شعب أبي طالب وسافر معه إلي الطائف، وقد انتهت أدواره عليه السلام المكية بمنامه عليه السلام في فراش النبي صلي الله عليه وآله ليسلم صلي الله عليه وآله من الأعداء، وذلك عند هجرته صلي الله عليه وآله إلي يثرب، ثمّ التحاق الإمام عليه السلام به في يثرب ليستمرّ في مؤازرته ونصرته لرسول الله صلي الله عليه وآله.

وفي العهد المدني لا ريب أنّ مشاركته الفاعلة في الغزوات والمواطن الخطرة التي قلّ أن يثبت فيها أحد، تُعدّ الأبرز والأهم فكان يواجه تلك الأخطار التي ارتعدت منها الفرائص وخفقت عندها القلوب فأصبح المثل الأعلى في هذه الساحة التي لولاه لما استقام الدين الحنيف، بداية من غزوة بدر الكبرى إلي آخر غزواته صلي الله عليه وآله ما عدي غزوة

تبوك التي جعله خليفة لنفسه علي المدينة، وقد أسهمت تلك الأدوار والمواقف في ترسيخ اسس هذا الكيان الرسالي وبناء الحضارة الإسلامية.

وبانتهاء العهد المدني بوفاة الرسول صلي الله عليه وآله يأتي عهد الخلفاء حيث عُرف الإمام خلاله بالمسالمة والصبر وفق ما تقتضيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، حيث يقول عليه السلام: "... لأسلمنَّ ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة..." (1)، فرغم أن الإمام عليه السلام كان يري محله من الخلافة محل القطب من الرحي ولكن سالم وصبر وفي العين قذي وفي الحلق شجي، علي حد تعبيره، (2) مدة ربع قرن، وفي هذه الفترة اجتهد الإمام عليه السلام في جمع القرآن الكريم مشعل هداية الأمة الإسلامية استمراراً لمهام الرسالة في تلك الظروف العصيبة، ولم يقف مكتوف اليد أمام التطورات المتسارعة التي كانت الأمة تشهدا بل ساهم في إدارة شؤونها بكل إخلاص، إلي أن حان الوقت لكي تعود الأمة إلي رشدها وتعرف إمامها فالتجأت إليه تسلّم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب الصعاب فحمل عبء الخلافة وقيادة الأمة بكلّ جدارة وحكمة خلال نصف عقد، حارب فيها الناكثين والقاسطين والمارقين وأقام العدل بين الناس وأحيا السنّة وأعاد للإسلام عزّته وشوكته ورسالته المحمدية الأصيلة.

وهكذا نسير مع تاريخ حياة هذا الإمام العظيم ودوره الرائد في الإسلام حتي تنتهي إلي شهادته يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان من السنة الأربعين للهجرة حيث كان يصلي لربه في محراب مسجد الكوفة، فكفاه فضلاً وشرفاً أن يكون وليد الكعبة وشهيد المحراب، وإليك قبسات من تلك السيرة النيرة بحسب التسلسل التاريخي للحوادث:

ص: 154

1- (1) نهج البلاغة: خ 3، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس. (انظر موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 306)

2- (2) في خطبته الشقشقية المعروفة في نهج البلاغة.

ولد الإمام علي عليه السلام في اليوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب في السنة العاشرة قبل البعثة بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وأبوه عبدمناف المكنى بأبي طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فعلي عليه السلام هاشمي الأب والأم وكان أول من ولد من هاشميين.

وكانت ولادة الإمام علي عليه السلام في مكة المكرمة في البيت الحرام داخل الكعبة الشريفة، وهي منقبة لم تكن لأحد قبله ولم تتفق لأحد بعده، إكراماً وتعظيماً له من الله تعالى،⁽¹⁾. وقد تطرق السيد الحميري من شعراء القرن الثاني إلي هذه المفخرة بإنشاده:

ولدت في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

طابت وطاب وليدها والمولد طابت وطاب وليدها والمولد

وإليك بيان هذه الواقعة من النصوص التاريخية:

عن سعيد بن جبيرة قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزّي بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: "رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بني البيت العتيق، فبحق الذي بني هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي". قال يزيد بن قعنب، فرأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والترق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن

ص:155

1- (1) راجع خصائص الأئمة، للشريف الرضي: 39، الإرشاد 1:51، والغدير للأميني 6:22.

ذلك من أمر الله عز وجل، ثمَّ خرجت بعد الرابع، ويدها أمير المؤمنين عليه السلام،....، وأسرع البشير إلي أبي طالب وأهل بيته فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم، وتقدّم من بينهم محمد المصطفى صلي الله عليه وآله فضمّه إلي صدره، وحمله إلي بيت أبي طالب - حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجة في دار عمّه منذ زواجه - وانقده في ذهن أبي طالب أن يسمي وليده "علياً" وهكذا سمّاه، وأقام أبو طالب وليمة علي شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام(1).

الإمام علي عليه السلام ربيب النبي صلي الله عليه وآله

كان النبي الأكرم صلي الله عليه وآله يتردّد كثيراً علي دار عمّه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجة وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل علياً عليه السلام بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويحمله علي صدره، ويحرّك مهده عند نومه إلي غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية(2).

وكان من نعم الله عزّ وجل علي أمير المؤمنين عليه السلام وما صنع الله له وأراد به الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله للعباس - وكان من أيسر بني هاشم - " يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد تري ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله آخذ من بيته واحداً فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم، فانطلقا حتّي أتيا أباطالبا فقالا له: إنّا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّي ينكشف عنّا الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلي الله عليه وآله علياً عليه السلام فضمّه إليه وكان عمره يومئذ ستة أعوام،(3)

ص:156

1- (1) أمالي الصدوق: 114، علل الشرائع 1:164، وفي بحار الأنوار 18:35.

2- (2) راجع بحار الأنوار 43:35.

3- (3) ويوم تكفل ابوطالب النبي صلي الله عليه وآله كان عمره صلي الله عليه وآله ستة سنوات أيضاً.

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وآله بعد أن اختار علياً عليه السلام: "قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً (1)". فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلي الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي عليه السلام فأمن به وصدّقه، وأخذ العباس جعفرًا، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغني عنه (2).

وهكذا آن لعلي عليه السلام أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف محمد رسول الله صلي الله عليه وآله حيث نشأ وترعرع في ظل أخلاقه السماوية السامية، ونهل من ينابيع مودّته وحنانه، وربّاه صلي الله عليه وآله وفقاً لما علّمه ربّه تعالي، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلي أبعاد التربية التي حظي بها من لدن مربيه الأعظم النبي الأكرم صلي الله عليه وآله، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة: "... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَيْ صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَيَشْمُنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقَمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسُدُّ لِي بِطَرِيقِ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَأُ أُمَّهُ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءِ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَجَعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّي وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَأَنْتَ لَعَلِي خَيْرٌ... (3)".

ص: 157

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1:15، نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

2- (2) راجع شرح ابن أبي الحديد 13:198، كشف الغمة 1:104.

3- (3) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة رقم 192.

القبس الثاني: الإمام علي عليه السلام أوّل المؤمنين بالنبي صلي الله عليه وآله

إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام والذي تربّي في حجر الرسول صلي الله عليه وآله لم يسجد لصنم قط، ولم يُشرك بالله طرفة عين، وعندما نزل الوحي علي رسول الله صلي الله عليه وآله كان علي عليه السلام إلي جانبه، وكان أوّل من آمن برسالته صلي الله عليه وآله في السنة الأولى للبعثة كما شهدت بذلك المصادر التاريخية المعتبرة(1).

وعن العباس بن عبد المطلب أنّه سمع عمر بن الخطاب وهو يقول: كفّوا عن ذكر علي بن أبي طالب إلا بخير، فإنّي سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: "في علي ثلاث خصال، وددت أن لي واحدة منهن، كل واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، وذلك أنني كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله إذ ضرب النبي صلي الله عليه وآله علي كتف علي بن أبي طالب وقال: يا علي، أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، كذب من زعم أنّه يحبني وهو مبغضك" (2)، كما روي عن سلمان الفارسي أنّه قال: أوّل هذه الأمة وروداً علي نبيها صلي الله عليه وآله الحوض، أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام(3).

ص:158

1- (1) من مصادر حديث «أنّ علي بن أبي طالب أول من أسلم»: سنن البيهقي 6:206، مسند أبي حنيفة: 173 رقم 368، تاريخ الطبري 2:55، الكامل في التاريخ 2:57، أسد الغابة 4:16، تاريخ ابن خلدون 3:715، السيرة الحلبية 1:432، مروج الذهب 2:283، الإصابة في معرفة الصحابة 2:507.

2- (2) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 126، وتاريخ دمشق لابن عساكر 1:331.

3- (3) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة 3:29، وتاريخ الطبري 2:55 وفيه: علي أوّل من أسلم، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر 1:3236، 65 ذكر أنّ علياً أوّل من أسلم.

وعن أنس بن مالك قال: أنزلت النبوة علي رسول الله صلي الله عليه وآله يوم الاثنين وصلي علي عليه السلام يوم الثلاثاء(1)، وقد صرح الإمام عليه السلام بأنه أول من صلي بعد رسول الله صلي الله عليه وآله قائلاً: "لم يسبقني إلا رسول الله بالصلاة"(2).

وإذ اتفق المؤرخون علي أن أمير المؤمنين عليه السلام أول الناس إسلاماً؛ فقد اختلفوا في سنه حين أعلن إسلامه، والخوض في تحديد عمر الإمام عليه السلام حين إسلامه لا يجدي نفعاً بعد أن عرفنا أنه لم يكفر حتي يسلم ولم يشرك حتي يؤمن، ولقد قال سلام الله عليه: "ولدت علي الفطرة" ومن هنا اتفقت كلمة المحدثين جميعاً علي احترام هذه الفضيلة وتقديسها بقولهم له حين ذكره "علي كرم الله وجهه".

قال الأستاذ العقاد وهو يتحدث عن الإمام علي عليه السلام: لقد ولد مسلماً علي التحقيق إذا نحن نظرنا إلي ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه علي الإسلام، ولم يعرف قط عبادة الأصنام، فهو قد تربى في البيت الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية، وعرف العبادة من صلاة النبي صلي الله عليه وآله وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأمه(3).

و جاء في تفسير قوله تعالى: (وَازْكُوعُوا مَعَ الرَّكَّعِينَ) (4) عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله صلي الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وهما أول من صلي وركع(5).

ص:159

-
- 1- (1) تاريخ دمشق لابن عساكر: 41:1، والكامل في التاريخ 58:2، وتاريخ الطبري 55:2، وسنن الترمذي 5:600 ح 3735.
 - 2- (2) نهج البلاغة: الخطبة 131. وشرح نهج البلاغة 8:263 الخطبة 131. بحار الأنوار 34:110 ب 31.
 - 3- (3) عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: 43، وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه الغدير 3:220-236 ما يربو علي 66 حديثاً في أسبقية إسلام الإمام علي عليه السلام.
 - 4- (4) سورة البقرة: 43.
 - 5- (5) شواهد التنزيل للحسكاني 1:85.

ولم يؤمر الرسول صلي الله عليه وآله بإعلان رسالته حتي ثلاث سنوات بعد البعثة، ولم يؤمن به خلال هذه الفترة السريّة من الدّعوة إلا القليل وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أوّل المؤمنين برسول الله صلي الله عليه وآله وصلّي معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى.

وفي السنة الرابعة لمّا نزلت هذه الآية علي رسول الله صلي الله عليه وآله (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) 1 ، دعا علي عليه السلام بأمر النبي صلي الله عليه وآله أربعين شخصاً من أقربائه، منهم أبو لهب، والعباس، وحمزة، وأعدّ طعاماً لا يكفي إلا لشخص واحد، ولكن شبع الجميع بهذا الطعام بإرادة الله، دون أن ينقص منه شيء، وحين أراد النبي صلي الله عليه وآله دعوتهم للإسلام قال أبو لهب (لقد سحركم محمد) وقد أدي هذا الكلام لتفرق الجميع. فاضطر النبي صلي الله عليه وآله لدعوتهم في يوم آخر، وبعد تناول الطعام، تكلم الرسول صلي الله عليه وآله فقال يا بني عبد المطلب: إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازرنني علي هذا الأمر علي أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، قال فأحجم القوم عنها جميعاً إلا علياً عليه السلام، فإنّه نهض، مستجيباً لنداء النبي صلي الله عليه وآله، وكرّر النبي صلي الله عليه وآله ذلك ثلاث مرّات، وفي كل مرة لم ينهض أحد إلا علي عليه السلام، وبعد ذلك قال النبي صلي الله عليه وآله: " إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا" ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع(1).

ص:160

1- (2) راجع سيرة ابن هشام 1:245، تاريخ الطبري 3:1171، مجمع البيان 7:206، الغدير 3:220-240.

في الليلة التي عزم فيها النبي صلي الله عليه وآله علي الهجرة إلي المدينة، في الأول من ربيع الأول السنة الثالثة عشر للبعثة حيث أخبره ربه بمكيدة قريش لقتله، وأمره أن يأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه، فما كان من علي عليه السلام غير أن سأله: أوتسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال صلي الله عليه وآله: نعم، فأهوي إلي الأرض ساجداً شكراً لله، ونام علي فراش النبي صلي الله عليه وآله واشتمل ببرده الحضرمي، فخرج رسول الله صلي الله عليه وآله (1).

وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، وهم يحسبونه رسول الله صلي الله عليه وآله، وعلي عليه السلام يتضور - أي يتلوي ويتقلب - وقد لفَّ رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، فهجموا عليه، فلمَّا بصر بهم علي عليه السلام قد انتصوا السيوف، وأقبلوا عليه، وثب في وجوههم فأجفلوا أمامه، وتبصروه فإذا علي عليه السلام، فقالوا: وإِنَّكَ لعلي؟ قال: أنا علي، قالوا: فما فعل صاحبك، فقال: وهل جعلتموني عليه حارساً(2).

وقد ورد: أنَّ الله تعالى أوحى إلي جبرائيل وميكائيل: إنِّي آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختر كلاهما الحياة، فأوحى الله إليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، آخيت بينه وبين محمد صلي الله عليه وآله، فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ إهبطا إلي الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرئيل ينادي: بخِ بخِ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله به الملائكة، فأنزل الله تعالى الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي

ص: 161

1- (1) السيرة الحلبية 2:34، كما كان علي عليه السلام من قبل يُسارع لإمتثال أوامر والده ويضطجع في فراش النبي صلي الله عليه وآله، لمَّا كان في الشعب، (راجع البداية والنهاية لابن كثير 3:، و 84 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 13:256).

2- (2) السيرة الحلبية 2:35، ومجمع الفوائد 9:120.

نَفْسُهُ ابْتِغَاءَ مَرَضَاتِ اللَّهِ(1). وقال الإسكافي: " وقد روي المفسرون كلهم أَنَّ الآية نزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت علي الفراش (1)".

وقد أنكر ابن تيمية نزول هذه الآية في مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلي الله عليه وآله، فقال علي ما نقله عنه الحلبي في سيرته إنَّه قد حصلت له الطمأنينة بقول النَّبِيِّ الصادق صلي الله عليه وآله له: " لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم "، فلم يكن فيه فداء النفس، ولا إيثار بالحياة، والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدينة بالاتفاق، وقد قيل: إنَّها نزلت في صهيب لَمَّا هاجر(2). وقد رد علي قوله الكثير من الأعلام وخلصته:

أولاً: إنَّ ما ذكره من قول النبي صلي الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين مبيته: " لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم "، غير موجود في الرواية، نعم ذكر النبي صلي الله عليه وآله ذلك له بعد ما خرج وصاحبه من غار ثور باتجاه المدينة وأمر علياً أن يعود إلي مكَّة ليؤدي الأمانات إلي أهلها ويأتيه بالفواطم، وعليه فيكون فداؤه للنبي بنفسه واضحاً.

وثانياً: إنَّ سورة البقرة وإن كانت مدينة، ولكن هذه الآية باعتراف الجميع مكية، ومجرد كون هذه الآية مكية لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدينة، لأن الحكم يكون للغالب.

وثالثاً: إنَّ نزول الآية في صهيب غير صحيح، لأنَّ الحادثة التي يروونها فيه، عارية عن الصحة، للاختلاف الكبير في نقلها ومضمونها، ومن أراد الوقوف علي المزيد من تفاصيلها فليراجع (الإصابة) في ترجمة صهيب(3).

ص: 162

1- (2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 13: 262.

2- (3) السيرة الحلبيية 2: 27.

3- (4) راجع السيرة الحلبيية 2: 27، 23.

وصل النبي صلي الله عليه وآله في هجرته من مكة إلى قرية قباء من ضواحي يثرب وكان ذلك يوم الثاني عشر من ربيع الأول من سنة ثلاث عشرة من المبعث فأقام فيها عدة أيام منتظراً قدوم ابن عمه وأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أمره أن يلتحق به هو مع الفواطم، وكان قد ألتحّ أبو بكر عليه لكي يدخل المدينة في ليلته إلا أن النبي صلي الله عليه وآله قال له: " ما أنا بداخلها حتي يقدم ابن عمي وأخي وابنتي "، يعني علياً وفاطمة عليه السلام. ولمّا أمسي فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل علي بعض الأنصار، وبقي النبي صلي الله عليه وآله في قباء نازلاً علي كلثوم ابن الهدم، ينتظر لحوق الإمام علي عليه السلام والفواطم به ليدخلوا المدينة معاً(1).

وخرج الإمام علي عليه السلام من مكة في الرابع من شهر ربيع الأول السنة الثالثة عشر للبعثة بالفواطم، وهنّ: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أم علي عليه السلام، وفاطمة بنت الزبير، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولي رسول الله صلي الله عليه وآله وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره عليه السلام بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: " أربع عليك، فإنّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال لي: يا علي أما إنّهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه " (2). وأدركهم الطلب قرب ضجنان، وهم سبع فوارس متلثمون، وثامنهم مولي للحارث بن أمية يدعي جناحاً، فأنزل علي عليه السلام النسوة، وأقبل علي القوم منتضياً السيف، فأمره بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك. فقال عليه السلام: فإنّي منطلق إلي ابن عمي رسول الله صلي الله عليه وآله بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه، وأهريق دمه فليتبعني، أو فليدن مني، ثمّ أقبل علي صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطاياكما. ثمّ سار فنزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته،

ص: 163

1- (1) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلي الله عليه وآله 4: 88.

2- (2) هذه الكلمة قالها النبي صلي الله عليه وآله له بعد خروجه من غار ثور لا عند مبيته كما توهمه ابن تيمية.

ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، فعبدوا الله تلك الليلة قياماً وعوداً وعلي جنوبهم حتي طلع الفجر، فصلّي بهم علي عليه السلام صلاة الفجر، ثمّ سار بهم، فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل حتي قدم قباء.

ولمّا بلغ النبي صلي الله عليه وآله قدوم علي عليه السلام، قال: ادعوا لي عليّ، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي صلي الله عليه وآله، فلمّا رآه اعتقه، وبكي رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فقال صلي الله عليه وآله: " يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلي الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبك والذي نفسي بيده إلاّ مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ولا يبغضك إلاّ منافق أو كافر"، ثمّ بعد ذلك دخل النبي صلي الله عليه وآله وعلي ومن معه إلي المدينة(1).

يقول المقرئزي: قدم رسول الله صلي الله عليه وآله قباء في الثاني عشر من ربيع الأوّل، والتحق به علي عليه السلام في منتصف ذلك الشهر نفسه(2)، ويؤيد هذا القول ما ذكره الطبري في (تاريخه) إذ كتب يقول: أقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها حتّي أدّي عن رسول الله صلي الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده إلي الناس(3).

ص:164

-
- 1- (1) راجع تفاصيل هذه القضية في أمالي الطوسي 2:83، ورواه ابن شهر آشوب في المناقب 1:183، والطبرسي في إعلام الوري: 190، وذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ 2:106، وراجع بحار الأنوار 19:64.
 - 2- (2) إمتاع الأسماع للمقرئزي: 48.
 - 3- (3) راجع تاريخ الطبري 2:382.

في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان أول من برز للقتال عتبة وأخوه شيبه وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادي عتبة أو شيبه: يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا. فندب إليهم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً قائلاً: "قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم..." فتبارز الثلاثة، وقتل علي الوليد، وجاء فوجد حمزة معتقاً شيبه بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر شيبه، فاعترضه علي عليه السلام بالسيف فطيّر نصف رأس شيبه، وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وعلق عبيدة هامته، فجاء علي عليه السلام فأجهز علي عتبة، وعلي هذا فيكون علي عليه السلام قد شرك في قتل الثلاثة(2).

وبدأت المعركة بعد المبارزة الفردية، فأخذ النبي صلي الله عليه وآله كفاً من الحصباء فرماها في وجوه المشركين فما بقي فرد منهم إلا امتلأت عينه منه، ثم أخذ المسلمون يقتلون ويأسرون، وقد قُتل زعماؤهم وقُتل أبوجهل وأمية وقُتل من المشركين سبعين رجلاً... وأسر العباس بن عبدالمطلب عم النبي، وعقيل بن أبي طالب، واستشهد من المسلمين أحد عشر، وقيل: أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما أنه لم يؤسر من المسلمين أحد، كما أنهم قد غنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وقيل ثلاثين، ومتاعاً وسلاحاً... (3).

ص: 165

1- (1) غزوة بدر الصغرى كانت في ربيع الأول السنة الثانية للهجرة، أوفي جمادى الآخرة، حيث غزي رسول الله صلي الله عليه وآله كرز بن جابر الفهري من مشركي قريش، وكان مع رسول الله صلي الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام راجع: (مغازي الواقدي 1: 12، وسيرة ابن هشام 2: 251 واختصر الخبر الطبرسي في اعلام الوري 1: 164).

2- (2) المناقب لابن شهر آشوب 3: 119.

3- (3) الكامل في التاريخ 2: 118، المغازي للواقدي 1: 152.

وأخيراً انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى وأشار القرآن إلي هذا الانتصار بقوله: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) 1 .

وكان لعلي عليه السلام الدور الأساس في هذه المعركة وانتصارها حيث كان ثلثي قتلي المشركين بسيفه، وإنَّ أهل الغزوات أجمعوا علي أنَّ جملة من قتل يوم بدر سبعون رجلاً قتل الإمام علي عليه السلام منهم إحدى وعشرين نسمة باتفاق الناقلين، وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم (1).

ثلاثة آلاف منقبة لعلي في ليلة

إشْتَدَّ الْعَطَشُ بِالْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي مَنْطِقَةِ بَدْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ مِنْكُمْ يَمْضِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الْبَيْتِ فَيَسْتَسْقِي لَنَا؟ فَصَمْتُوا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَيَّ ذَلِكَ، فَأَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرْبَةً وَأَنْطَلَقَ، وَكَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ ظِلْمَاءُ، ذَاتَ رِيحٍ وَهَوَاءٍ حَتَّى وَرَدَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَجِدْ دَلْوًا يَسْتَسْقِي بِهِ فَنَزَلَ بِنَفْسِهِ فِي الْبَيْتِ وَمَلَأَ الْقَرْبَةَ، وَأَخَذَ فِي الرَّجْوَعِ، فَعَصَفَتْ عَاصِفَةٌ، فَجَلَسَ حَتَّى سَكَنْتَ، ثُمَّ قَامَ يَسِيرًا وَإِذَا بِعَاصِفَةٍ ثَانِيَةٍ فَجَلَسَ حَتَّى هَدَأَتْ، ثُمَّ قَامَ يَسِيرًا، وَإِذَا بِعَاصِفَةٍ ثَالِثَةٍ فَجَلَسَ حَتَّى زَالَتْ، ثُمَّ قَامَ وَسَلَّكَ طَرِيقَهُ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَأَلَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْبَيْتِ فَأَخْبَرَهُ بِالْعَوَاصِفِ الثَّلَاثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَهَلْ عَلِمْتَ مَا هِيَ تِلْكَ الْعَوَاصِفُ يَا عَلِيُّ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْعَوَاصِفَةُ الْأُولَى جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَعَهُ أَلْفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَلَّمَ عَلَيْكَ وَسَلَّمُوا، وَالثَّانِيَةُ كَانَتْ مِيكَائِيلُ وَمَعَهُ أَلْفٌ مَلِكٌ عَلَيْكَ وَسَلَّمُوا، وَالثَّالِثَةُ كَانَتْ إِسْرَافِيلُ وَمَعَهُ أَلْفٌ مَلِكٌ عَلَيْكَ وَسَلَّمُوا، وَكُلُّهُمْ هَبَطُوا مَدَدًا لَنَا (2)، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى يُشِيرُ مَنْ قَالَ: كَانَتْ

ص: 166

1- (2) راجع مغازي الواقدي 1: 152، وأنساب الأشراف 1: 296.

2- (3) بحار الأنوار 19: 305، ح 48.

لعلِّي ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وفي هذا نزلت الآية الكريمة: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ) 1 .

ص: 167

كان الإمام علي عليه السلام في المدينة وقد بلغ عمره أربع وعشرين سنة فلا بدَّ له من الزَّواج وبدء الحياة المشتركة عملاً بكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وآله فكان أوَّل زواج له بفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلي الله عليه وآله:

زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام

كانت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلي الله عليه وآله قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدَّم إلي خطبتها الكثير من الصحابة إلاَّ أنَّ رسول الله صلي الله عليه وآله قد صرَّحَ بأنَّه ينتظر فيها قضاء الله إلي أن تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، لخطبتها من رسول الله صلي الله عليه وآله، وكان الإختيار الأول لعلي عليه السلام للزَّواج، فقال له: " يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علي رسلك حتَّى أخرج إليك "، فلمَّا دخل النبي صلي الله عليه وآله علي فاطمة عليها السلام، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت ولم تولَّ وجهها، ولم يرَ فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: " الله أكبر، سكوتها إقرارها "، فخرج إلي علي عليه السلام وموافقة الزهراء عليها السلام بادية علي قسانم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة، وقال رسول الله صلي الله عليه وآله لعلي: يا علي هل معك ما ازوجك به؟ فقال عليه السلام: فذاك أبي وأمِّي، والله لا يخفي عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي. فقال صلي الله عليه وآله: يا علي، أمَّا سيفك فلا غني بك عنه تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به علي نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع وائتني بثمنه(1).

ص:168

باع الإمام علي عليه السلام الدرع (1) بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة، وجاء بالدرهم وطرحها بين يدي النبي صلي الله عليه و آله، ثم إن النبي صلي الله عليه و آله قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم رده بعد ذلك إلي علي عليه السلام قبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف، ودفع النبي صلي الله عليه و آله الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة عليها السلام متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لمّا طرح بين يدي النبي صلي الله عليه و آله أخذ يقلبها بيده، ثم رفع رأسه إلي السماء، وقال: "اللهم بارك لقوم جُلّ آنتهم الخزف"

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: أن النبي صلي الله عليه و آله دعا بلالاً فقال: يا بلال، إنني قد زوجت ابنتي ابن عمّي، وأنا أحب أن يكون من سِنَّةِ أُمَّتِي إطعام الطعام عند النكاح، فانت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعليّ أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآتني بها. فانطلق ففعل ما أمره، ثم أتاه بقصعة، فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله صلي الله عليه و آله في رأسها، ثم قال: أدخل عليّ الناس زفة زفة،... "فجعل الناس يردون كلما فرغت زفة وردت أخرى حتّي فرغ الناس (2).

هذا وقد عقد الإمام علي عليه السلام علي فاطمة الزهراء في أواخر شهر صفر السنة الثانية للهجرة، وبعد عشرة أشهر وفي الأوّل من ذي الحجة من تلك السنة بني عليها وتزوجها، وكان ثمره هذا القران الميمون الإمامين الحسن والحسين، والسيدة زينب الكبرى، وزينب الصغرى (أمّ كلثوم)، ومحسن السقط (3).

ص: 169

1- (1) كانت تسمي هذه الدرع ب - (الحطيمة) لأنها كانت من صنع بني حطمة.

2- (2) بحار الأنوار 43:130، ح 32.

3- (3) راجع تفاصيل قضية عقد الزهراء وزواجها، وعدد أولادها في: روضة الكافي: 180، تاريخ الطبري 2: 410 و 485، بحار الأنوار 43:182-132، وموسوعة التاريخ الإسلامي 2: 96 و 211.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي صلي الله عليه وآله معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلي أهمها وهي:

أولاً: إختيار علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام وإن كان من قبل السماء بقوله صلي الله عليه وآله: "إن الله أمرني بأن أزوجه فاطمة من علي" (1) لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدل ذلك بوضوح علي أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس الذي يجب أن تبني عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها. ولعل في الكلام الذي روي عن النبي صلي الله عليه وآله: يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي (2) إشارة إلي لزوم انتخاب الأصلاح. وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام "لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة ما كان لها كفؤ علي ظهر الأرض من آدم ومن دونه" (3).

ثانياً: السنن النبوية التي طبقت في تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

سائر زواجات الإمام علي عليه السلام وأولاده

لم يتزوج أمير المؤمنين عليه السلام بامرأة قط ما دامت فاطمة الزهراء بنت رسول الله قدس سره كانت علي قيد الحياة، كما إن النبي صلي الله عليه وآله لم يتزوج بامرأة أخرى ما دامت خديجة عليها السلام كانت علي قيد الحياة، ولكن بعد تسع ليال (4) من وفاة السيدة الزهراء عليها السلام

ص: 170

1- (1) ذخائر العقبى: 70.

2- (2) الطبقات الكبرى 8: 24.

3- (3) الكافي 1: 461، باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام.

4- (4) مناقب آل أبي طالب، للحلي الساروي المازندراني 3: 351 عن قوت القلوب للمكي، وقيل: بل كان

وعملاً بوصيتها عليها السلام تزوّج الإمام علي عليه السلام بأمامة بنت أختها زينب(1)، والظاهر لم ينجب منها ولداً. وبعدها تزوّج أمير المؤمنين عليه السلام بعدة نساء في طوال حياته وكان عدد أولاده من جميع نساته علي رواية الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد(2) سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى، أربعة منهم من زوجته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلي الله عليه وآله وقد مرّ ذكرهم.

وخامس أولاده عليه السلام هو محمد الحنفية المكنى بأبي القاسم و أمه خولة الحنفية بنت جعفر بن قيس(3).

والسادس والسابع من أولاده عليه السلام: عمراً طرف(4) و رقية الكبرى، وولدا توأمين، و أمهما صهباء الثعلبية، وهي أم حبيب بنت عباد بن ربيعة.

والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من أولاده عليه السلام: أبو الفضل العباس، و جعفر، و عثمان، و عبد الله الأكبر، و قد استشهدوا جميعاً بكر بلاء، و أمهم أم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابي(5).

ص: 171

- 1- (1) تزوّجت زينب بابي العاص بن وائل الأموي قبل البعثة وقبل تحريم الزواج مع الكفار، فولدت منه أمامة.
- 2- (2) الإرشاد: باب ذكر أولاد أمير المؤمنين وعددهم وأسمائهم، وراجع: (منتهاي الآمال 1: الباب 2، الفصل 6).
- 3- (3) محمد الحنفية: قد ولد في زمن حكومة عمر بن الخطاب، و كان رجلاً عالماً شجاعاً قوياً، شارك أباه حروبه الثلاث الجمل و صفين والنهروان، و توفي في زمن عبد الملك بن مروان و كان عمره ستاً و خمسين سنة، و اختلف في محل وفاته ودفنه، قيل: في الطائف و قيل: بالمدينة. و اعتقدت الكيسانية بإمامته و أنّه هو المهدي الذي يظهر في آخر الزمان وحيّ يرزق الي أن يظهر، و قد انقرضت هذه الفرقة.
- 4- (4) عمراً طرف: كنيته أبو القاسم، و يقال له الأطراف لأنّ شرافته من طرف واحد وهو الأب، و قيل لعمر بن عليّ بن الحسين، عمر الأشرف، لأنّ شرافته من جانب الأب و من جانب الأم.
- 5- (5) أم البنين وأولادها الأربع: يُذكر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ندب أخاه عقيلاً - الذي كان عالماً بأنسب العرب

والثاني عشر و الثالث عشر من أولاده عليه السلام: محمد الأصغر (أبو بكر)، و عبد الله، و قد استشهدا بكربلاء، و أمهما ليلى بنت مسعود الدارمئة. والرابع عشر من أولاده عليه السلام: يحيى، و أمه اسماء بنت عميس.

والخامس عشر و السادس عشر من أولاده عليه السلام: ام الحسن و رملة، و أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي. والسابع و الثامن و التاسع عشر من أولاده عليه السلام: نفيسة و زينب الصغرى و رقية الصغرى زوجة مسلم بن عقيل، و أمهن أم سعيد بنت عروة.

أما بقية بنات أمير المؤمنين عليه السلام من العشرين الي السابع و العشرين فهنّ: ام هاني و ام الكرام و جمانة (ام جعفر) و امامة و ام سلمة و ميمونة و خديجة و فاطمة، لأمهات شتّى (1).

ص:172

1- (1) الإرشاد: باب ذكر أولاد أمير المؤمنين و عددهم و أسمائهم، وراجع: (منتهى الآمال 1: الباب 2، الفصل 6).

في غزوة أحد

في السَّابع من شهر شوال السنة الثالثة للهجرة علي ما هو المشهور كانت غزوة أحد وقال القمي في تفسيره: كان سبب هذه الغزوة أن قريشاً لمَّا رجعت من بدر إلي مكَّة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء يبيكين علي قتلاكم فإنَّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقه والعداوة لمحمد ويشمت بنا هو وأصحابه، فلمَّا أرادوا أن يغزوا رسول الله صلي الله عليه وآله إلي أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكَّة في ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحسَّنهم علي حرب رسول الله صلي الله عليه وآله، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة، فلمَّا بلغ رسول الله صلي الله عليه وآله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أنَّ الله قد أخبره: أنَّ قريشاً قد تجمَّعت تريد المدينة(1).

قال الطبرسي: وأصبح رسول الله صلي الله عليه وآله فتهيأ للقتال، وجعل علي راية المهاجرين علياً عليه السلام، وعلي راية الأنصار سعد بن عباد، وقعد رسول الله صلي الله عليه وآله في راية الأنصار(2).

قال القمي في تفسيره: وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العدوي، فبرز ونادي: يا محمد ترعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلي النار، ونجهزكم بأسيافنا إلي الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول لنا خيول ولكم نصول

فأثبت لننظر أيُّنا المقتول وأيُّنا أولي بما تقول

ص:173

1- (1) تفسير القمي 1:110.

2- (2) إعلام الوري 1:176.

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال طلحة: قد علمت أنه لا يجسر علي أحد غيرك، فشدَّ عليه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالترس، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام علي فخذه فقطعهما جميعاً، فسقط علي ظهره وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلَّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً. وأخذ الراية أبو سعيد فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلي الأرض. فأخذها مثناع فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلي الأرض، إلي أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة فسقطت الراية إلي الأرض (1).

هزيمة المسلمين و وقوف الإمام عليه السلام

حمل الأنصار علي مشركي قريش فانهمزوا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله في سوادهم، وانحطَّ خالد بن الوليد في مئتي فارس فلقني عبد الله بن جبير وأصحابه فوق الجبل فاستقبلوهم بالسَّهام فردّوا. ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلي أصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله: تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا وبقني نحن بلا غنيمه؟! فقال لهم عبد الله: اتقوا الله فإنَّ رسول الله صلي الله عليه وآله قد تقدّم إلينا أن لا نبرح. فلم يقبلوا منه وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتي أدخلوا مراكزهم، وبقني عبد الله بن جبير في إثني عشر رجلاً. وانحطَّ خالد بن الوليد علي عبد الله بن جبير وقد فرَّ أصحابه وبقني في نفر قليل، فقتلوهم علي باب الشعب، واستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف، وانهمز المسلمون هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه، فلمَّا رأى رسول الله صلي الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال:

"إني أنا رسول الله فإلي أين تقرّون عن الله ورسوله". ولم يبق مع الرسول صلي الله عليه وآله إلا أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجاجة، وكلما حملت طائفة علي الرسول صلي الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عنه ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه، فلما انقطع سيفه جاء إلي الرسول فقال: يا رسول الله صلي الله عليه وآله إن الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي، فدفع إليه الرسول سيفه "ذا الفقار" وقال: قاتل بهذا. فلم يكن يحمل علي رسول الله صلي الله عليه وآله أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رآوه رجعوا، وانحاز الرسول صلي الله عليه وآله إلي ناحية أحد فوقف، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة. وسمعوا مناديًا ينادي من السماء: "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي"، ونزل جبرئيل علي الرسول صلي الله عليه وآله وقال: هذه والله المواساة يا محمد. فقال الرسول صلي الله عليه وآله: لأنني منه وهو مني، فقال جبرئيل: وأنا منكما(1).

واستشهد في هذه الغزوة عددٌ من الصحابة منهم مصعب ابن عمير، وحنظلة غسيل الملائكة، وعمرو بن الجموح، واستشهد عمّ النبي صلي الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بيد "وحشي" الذي كان عبداً حبشياً لجبير بن مطعم، وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطينك رضاك. يقول وحشي: أمّا محمد فلا أقدر عليه، وأمّا علي فرأيت رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيت يهدّ الناس هدأً، فمرّ بي فوطأ علي جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهزرتها ورميتها بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم،

وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثلوا به، ورسول الله صلي الله عليه وآله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره(2).

ص:175

1- (1) تفسير القمي 1:112.

2- (2) تفسير القمي: 116.

في اليوم الثالث من شهر شوال السنة الخامسة للهجرة وقعت غزوة الخندق وكان سببها إن جماعة من اليهود خرجوا من المدينة حتي قدموا مكة إلي أبي سفيان لعلمهم بعداوتة لرسول الله صلي الله عليه وآله وتسرعه إلي قتاله، فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النضير) وسألوه المعونة علي قتاله، فنشطت قريش لمّا دعوهم إليه من حرب رسول الله صلي الله عليه وآله، وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوّكم فهذه اليهود تقاتله معكم ولا- تنفكّ عنكم حتي يؤتي علي جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي صلي الله عليه وآله، ثمّ خرج اليهود من مكة إلي غطفان وقيس عيلان، فدعوههم إلي حرب رسول الله صلي الله عليه وآله وضمنوا لهم النصر والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم علي ذلك(1).

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع، واجتمعت قريش معهم، وذكرهم ابن شهر آشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف(2).

وبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وآله، فاستشار أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجالدة)، فنحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه. فإنّا كنا - معاشر العجم في بلاد فارس - إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخندق، فيكون الحرب

1- (1) راجع إعلام الوري 1:190، ومجمع البيان 8:533.

2- (2) المناقب 1:197.

من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل علي رسول الله صلي الله عليه وآله فقال: أشار سلمان بصواب، وبدأ رسول الله صلي الله عليه وآله بحفر الخندق بنفسه فحفر في موضع المهاجرين، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتي عرق رسول الله صلي الله عليه وآله وعيي، فلما نظر الناس إلي رسول الله صلي الله عليه وآله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب، وفرغ رسول الله صلي الله عليه وآله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ووادي العقيق، وفي عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف، وهم المعنيون بقوله سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا) 1 يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق (إِذْ جَاءَتْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ) وهم عيينة بن حصن في أهل نجد (وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ) 2 وهم أبو سفيان في قريش، وواجهتهم قريظة (1).

قال الطبرسي: وخرج رسول الله صلي الله عليه وآله والمسلمون حتي جعلوا ظهورهم إلي سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الحصون (2).

برز الإيمان كله إلي الشرك كله

وجعل المشركون ينظرون إلي الخندق فيتهيّبون القدوم ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون ويدعون المسلمين: ألا هلمّوا للقتال والمبارزة، وأقاموا علي ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة، فلما طال ذلك ندبوا من ينتدب منهم إلي اقتحام الخندق، وكان أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن

ص: 177

1- (3) التبيان 8:320. وراجع الخبر في تفسير القمي 2:176.

2- (4) مجمع البيان 8:535.

عبد ودّ الذي طفر بفرسه الخندق إلي جانب رسول الله صلي الله عليه وآله، وركز رمحه إلي الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز

إني كذلك، لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز إنَّ الشجاعة في الفتى

والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: من له؟ فلم يجبه أحد، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله. فقال: يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل. فقال علي عليه السلام: وأنا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: أدن مني، فدنا منه، فعمّمه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: اذهب وقاتل بهذا. ثمّ دعا له فقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته(1).

وذكر الكراجكي: أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال ثلاث مرات: أيكم يبرز إلي عمرو وأضمن له علي الله الجنة؟! وفي كل مرّة يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم. فاستدعاه وعمّمه بيده، فلمّا برز قال صلي الله عليه وآله: "برز الإيمان كلّه إلي الشرك كلّه". فمرّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه، وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز ذو نيّة وبصيرة، والصدق منجي كل فائز

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقي صوتها بعد الهزاهز(2)

ص: 178

1- (1) تفسير القمي 2: 183.

2- (2) راجع مجمع البيان 8: 538.

فقال له عمرو: من أنت؟ قال عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب. فقال عمرو: والله إن أبك كان لي صديقاً قديماً وإنِّي أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلي أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت، فقال له علي عليه السلام: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتي دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة، فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذاً قسمة ضيزي. فقال علي عليه السلام: دع هذا يا عمرو، وإنِّي سمعت منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ علي أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إلي واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجيني إلي واحدة. قال: هات يا علي، قال عليه السلام: أحدها أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله صلي الله عليه وآله. قال عمرو: نَحَّ عَنِّي هذه فاسأل الثانية. فقال: أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله صلي الله عليه وآله فإن يك صادقاً فأنتم أعلي به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فقال: لا- تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشُد الشعراء في أشعارها، أني جئبت ورجعت علي عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم. فقال علي عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إلي، فإنك راكب وأنا راجل، حتّي انابذك. فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها(1)، فنزل عن فرسه، وضرب وجهه حتي نفر، وأقبل علي علي عليه السلام مصلتاً سيفه، فتجادلا ساعة، ثمّ اختلفا بضربتين، فضرب عمرو علياً علي أمّ رأسه - وعليه البيضة - فقدّها وأثر السيف في هامته، وضربه علي عليه السلام فوق طوق الدرع فرمي برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشف إلاّ وهم يرون علياً عليه السلام يمسح سيفه علي ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً(2).

ص:179

1- (1) تفسير القمي 2:183.

2- (2) شرح الأخبار 1:296.

وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قُتل علي بن أبي طالب. ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام علي صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه، فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردَّ عنه حذيفة، فقال له النبي صلي الله عليه وآله: مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته، فسأله النبي صلي الله عليه وآله عن سبب وقفته؟ فقال عليه السلام: قد كان شتم امي، وتقل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلتني في الله، فقال له عمر: فهلاً سلبت درعه فإنها تساوي ثلاثة آلاف وليس في العرب مثلها؟ فقال عليه السلام: إنني استحييت أن أكشف ابن عمي (1).

و تلقى النبي صلي الله عليه وآله علياً فمسح الغبار عن عينيه وقال له: " لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع امة محمد لرجح عملك علي عملهم"، وقال صلي الله عليه وآله: " لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين" (2).

ص:180

1- (1) مناقب آل أبي طالب 2:117، كنز الفوائد 138، وبحار الأنوار 20:215.

2- (2) الإقبال: 467.

(1)

وتسمي أيضاً وقعة وادي الرمل، (2) وكان سببها أن في السنة السادسة للهجرة اجتمعوا عدداً من الأعراب في وادي الرمل لغزو المدينة علي حين غفلة من أهلها، فوفد أعرابي علي نبي الله وأخبره بالأمر، وخرج أمير المؤمنين ومعه لواء النبي صلي الله عليه وآله بعد أن خرج الآخرون من الصحابة، ورجعوا عنهم خائبين (3). فمضي عليه السلام نحو القوم، يكمن النهار ويسير الليل، حتي وافي القوم بسحر، وصلّي بأصحابه صلاة الغداة، وصفّهم صفوفاً واتكأ علي سيفه وانقضّ بمن معه علي القوم علي حين غفلة منهم، وقال: "يا هؤلاء، أنا رسول رسول الله، أن تقولوا: لا إله الا الله محمد رسول الله، والا ضربتكم بالسيف".

فقالوا له: ارجع كما رجعت صاحبك، قال: "أنا أرجع؟! لا والله حتّي تسلّموا، أو لأضربنكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب"، فاضطرب القوم.

ولمّا انشق عمود الصبح صلي بالناس بغلس (4) ثمّ أغار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتي وطأتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتّي قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، واستباح أموالهم، وأقبل بالأساري والأموال معه... وما رزقهم الله من أهل وادي اليباس... وما غنم المسلمون مثلها قط، إلا أن يكون من خير، فانها مثل ذلك. وأنزل

ص: 181

1- (1) ذات السلاسل من أرض بني عُذرة إلي جهة الشام علي ماء بأرض جُدام يقال له السّلسل، وبذلك سمّيت الغزوة: ذات السلاسل. راجع: (الطبقات الكبرى 2:94 و الخرائج والجرائح 1:167 و 257).

2- (2) حيث يسكن فيها قوم من العرب يقال أنّهم بني سُلَيم، وهم قريب من الحرّة، راجع: (تفسير القمي 2:434، و الإرشاد للمفيد 1:113، و بحار الأنوار 21:67).

3- (3) انظر: الكامل في التاريخ 2:110، وإعلام الوري 1:382، في من خرج وعاد خائباً.

4- (4) الغلّس: الظلام في آخر الليل، والغسق في أوله.

اللّٰه تبارك وتعالى في ذلك اليوم سورة" وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" يعني بالعاديّات الخيل تعدو بالرجال، والضبح صيححتها في أعنتها ولجُمها(1).

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله صلي الله عليه وآله بما فتح الله لعلي عليه السلام وجماعة المسلمين. فصعد رسول الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله علي المسلمين، وأعلمهم أنه لم يُصَب منهم إلا رجلاً، ونزل، ثم خرج يستقبل علياً في جمع من أهل المدينة من المسلمين إلي ثلاثة أميال من المدينة، فلمّا رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابّته ونزل النبي صلي الله عليه وآله حتّى التزمه وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلي علي عليه السلام، حيث نزل رسول الله صلي الله عليه وآله(2).

وقام له المسلمون صفّين مع رسول الله صلي الله عليه وآله، فلمّا بصر بالنبي صلي الله عليه وآله ترجّل عن فرسه وأهوي إلي قدميه يقبّلهما، فقال له: اركب، فإنّ الله تعالى ورسوله عنك راضيان! فبكي أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً. فقال له النبي صلي الله عليه وآله: يا عليّ، لو لا أنّي اشفق أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصراني في المسيح عيسي بن مريم، لقلت فيك - اليوم - مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك(3).

ص:182

1- (1) تفسير فرات الكوفي: 602، الحديث 761 والطوسي في الأمالي: 407، الحديث 913.

2- (2) تفسير القمي 2:434، ويبدو عنه في تفسير فرات الكوفي 599، الحديث 761.

3- (3) الإرشاد، للشيخ المفيد 1:113، إعلام الوري 1:382.

حين شجّع يهود خيبر جميع القبائل العربية علي محاربة الحكومة الإسلامية، والقضاء عليها، واستطاع جيش الأحزاب المشترك بمساعدة يهود خيبر أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة، واستتصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري، من نوعه في ذلك العصر، فكانت خيانتهم ولؤمهم يدعو النبي صلي الله عليه وآله أن يقضي علي بؤرة المؤامرة، ومركز الفساد والخطر، وأن يجرّد سكّانها جميعاً من السلاح، كل ذلك لما كان منهم من خيانة العهد، ونقض المعاهدة التي أجراها النبي صلي الله عليه وآله مع جميع اليهود القاطنين حول المدينة. ومن هنا رأي رسول الله صلي الله عليه وآله إنَّ من الحكمة، بل ومن الضرورة بمكان أن يطفى شرارة هذا الخطر إلي الأبد، ولهذا فقد أمر صلي الله عليه وآله المسلمين بالتهيؤ لغزو خيبر آخر مراكز اليهود في الجزيرة العربية، وقال لأصحابه: " لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد وأما الغنيمة فلا"، فاستخلف رسول الله صلي الله عليه وآله علي المدينة نميلة بن عبد الله الليثي، ولقد خرج مع النبي صلي الله عليه وآله إلي خيبر في شهر رجب السنّة السابعة للهجرة مع ما يقارب من ألف وستمئة مقاتل، بينهم مائتا فارس، وعندما أشرف صلي الله عليه وآله علي خيبر قال داعياً ربه: " اللهم ربّ السماوات وما أظللن، وربّ الأرضين وما أقلن، وربّ الشياطين وما أضللن، وربّ الرياح وما أذرين، فإنّا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها، وشرّ أهلها، وشرّ ما فيها"⁽¹⁾.

وعلي الرغم من كلّ الحصانة الكبيرة علي الحصون السبع، فقد استطاع المسلمون فتح أكثر الحصون، وكان أول حصن فُتح هو (ناعم) ثمّ (القموص) الذي كان يرأسه أبناء أبي الحقيق، وأسرت فيه (صفية بنت حُبي بن أخطب)، التي صارت فيما بعد من

زوجات رسول الله صلي الله عليه وآله، ثمّ فتح (الكتيبة) وبعده (النظاة)... واستعصت باقي الحصون كسلاّم والوطيح علي المسلمين، فبعث رسول الله صلي الله عليه وآله أبا بكر وأعطاه رايته البيضاء علي رأس جماعة من المقاتلين، ولكنّه سرعان ما رجع، ولم يفتح واحداً منها، وكان كل من أبي بكر والجيش يلقي اللّوم علي الآخر، فبعث النبي صلي الله عليه وآله في اليوم الآخر عمر بن الخطاب، فسرعان ما عاد كصاحبه (1)، فأغضب النبي صلي الله عليه وآله ذلك، فجمع الناس وقال لهم: "لأعطينّ الراية غداً إلي رجل يحب الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله علي يديه، كزّار غير فرّار" (2).

أنا الذي سمّني امي حيدرة

بات الأصحاب وكل واحد منهم يتمني أن يكون صاحب هذا الوسام الخالد، وفي الصباح نادي النبي صلي الله عليه وآله: أين علي؟ فقيل: يا رسول الله به رمد، وهو راقد بناحية، فقال صلي الله عليه وآله: إئتوني بعلي، فأمر رسول الله صلي الله عليه وآله يده الشريفه علي عيني علي عليه السلام ودعا له بخير فعوفي من ساعته، ثمّ دفع اللّواء إلي علي عليه السلام، وقال له: اذهب ولا تلتفت، فوقف علي عليه السلام ومن دون أن يلتفت، قال لرسول الله صلي الله عليه وآله: وعلي ماذا أقاتلهم، قال صلي الله عليه وآله: علي الإسلام أو الجزية (3).

لمّا وصل علي عليه السلام إلي الحصون كان قد ارتدي درعاً فويّاً، وحمل ذا الفقار، وأخذ يهرول بشجاعة منقطعة النظير والجند خلفه، حتّي ركز راية النبي البيضاء علي

ص: 184

1- (1) راجع: تاريخ الطبري 2:300، والسيرة الحلبية 2:35.

2- (2) الخرائج 1:158، شرح نهج البلاغة 13:186، بحار الأنوار 21:2 ب 22، وهذه العبارة مشهورة بين المؤرخين، ذكرتها أغلب كتب التاريخ والحديث.

3- (3) السيرة الحلبية 2:37.

الأرض تحت الحصن، فلمَّا رأى اليهود دنوه نحو الحصن أخذ يخرج كبار صناديدهم، وكان أوَّل من خرج إليه أخو مرحب ويدعي الحارث، فتقدم إلي علي عليه السلام وصوته يدوي في ساحة القتال، بحيث تأخَّر من كان خلف علي عليه السلام من الجند فزعاً وخوفاً، ولكن سرعان ما جندله أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه ورمي به جثة هامدة علي الأرض، فغضب مرحب (بطل خيبر المعروف) لقتل أخيه، فخرج من الحصن وهو غارق في السَّلاح، قد لبس درعاً يمانياً، - وقيل داودياً، ووضع علي رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصَّة، وتقدَّم نحو علي عليه السلام كالفحل الصَّوول يرتجز، ويقول:

قد عَلِمْتُ خيبرُني مرحبُ إن غلب الدهرُ فإني أغلبُ

شاكِي السَّلاح بطلُ مجربُ والقرنُ عندي بالدِّما مخضَّبُ

فأجابه علي عليه السلام مرتجزاً:

أنا الذي سمَّتي امي حيدرة عَبل الذراعين غَليظُ القيصرة

ضرعاًمُ أجام وليثُ قسورة كليث غاباتِ كرية المنظرة

فأخذوا يتبادلان الضربات بالسيوف، وقعقتها تثير الرعب والفرع في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الإسلام القاطع علي المفرق من رأس مرحب قدَّتْ خوذته نصفين ونزلت علي رأسه وشقته نصفين إلي أسنانه. لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث أفزعت أكثر من خرج مع مرحب من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأوا إلي الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلة حتى قتلهم جميعاً، ثمَّ لاحق الفارين منهم حتي باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، وجاءته السهام تترى فقلع باباً علي الحصن وأخذ

يتترس به عن نفسه، فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتى فتح الله علي يديه، ثمّ ألقاه من يديه حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الإسلام، ومنهم أبو رافع مولي رسول الله صلي الله عليه وآله أن يلقبوا ذلك الباب، أو يحركوه من مكانه فلم يقدرُوا علي ذلك (1).

يقول اليعقوبي في (تاريخه): إنّ الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من الصخر، وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين، وكان هذا الباب يفتحه (22) رجلاً، ويغلقه مثلهم (2). وفي هذا يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج:

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكف أربعون وأربع

وقد نقل المؤرّخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر، وخصوصياته، ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السلام في هذا الفتح، وجميعها لا تتمشي ولا تتيسر مع القدرة البشرية العادية، وفي هذا الصدد يقول علي عليه السلام: " ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بقاء ربّها مطمئنة راضية" (3).

وعاد علي عليه السلام إلي النبي صلي الله عليه وآله منتصراً ظافراً، وفي هذه الأثناء وصل جعفر بمن معه من المهاجرين من الحبشة، فاستقبله النبي صلي الله عليه وآله وقال: " ما أدري بأيّهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدم جعفر" (4).

لقد كان في مقدور النبي صلي الله عليه وآله، كأى فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعاً، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم علي اعتناق الإسلام، لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم،

ص: 186

1- (1) تاريخ الطبري 2: 94، عن سيرة ابن هشام 2: 349، وعنه في تاريخ الخميس 2: 47.

2- (2) تاريخ اليعقوبي 2: 46.

3- (3) بحار الأنوار 21: 40.

4- (4) التهذيب 3: 186 ب 20، شرح نهج البلاغة 4: 128، بحار الأنوار 21: 23، ب 22.

والبقاء علي ما كانوا يعتقدونه من أصول دينهم وفروعه. وأما الجزية(1) فقد كان لقاء دفاع الحكومة الإسلامية عنهم، وحمائيتهم من الأعداء، وتوفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم وأنفسهم من وظائف المسلمين. ولقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم (خيبر) علي قطعة من التوراة، فطلبت اليهود من النبي صلي الله عليه وآله أن يعيدها إليهم، فأمر رسول الله صلي الله عليه وآله مسؤول بيت المال بإعادتها إليهم(2)، وهذا يكشف عن احترام رسول الله صلي الله عليه وآله للشرائع الأخرى.

وفي قبال كل هذه الألفاظ لم تكف اليهود عن خيانتها وكيدها، بل ظلت تخطط للإيقاع برسول الله صلي الله عليه وآله وأصحابه، وإلحاق الأذى بهم. وإلي يومنا هذا واليهود وكيانهم اللاشعري الغاصب يتآمرون علي المسلمين في كل أنحاء العالم، وظلمهم وتعديهم علي الشعبين المقاومين الفلسطيني واللبناني في السنوات الأخيرة لا يخفي علي أحد.

حوائط فدك

(3)

روي الطبرسي عن أبان عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: " لَمَّا فرغ رسول الله صلي الله عليه وآله من خيبر عقد لواءً يريد أن يبعث به إلي حوائط فدك،... وفي آخر خبر الطبرسي قال: فصالحهم علي أن يحقن دماءهم، فكانت حوائط فدك لرسول الله صلي الله عليه وآله خاصاً خالصاً. ثم قال: فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله - عزّوجلّ - يأمرُك أن تؤتي ذا القربى حقه. فقال: يا جبرئيل ومن قرابتي وما حقه؟ قال: هي فاطمة، فأعطها ما لله ولرسوله في حوائط فدك. قال: فدعا رسول الله صلي الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً... "(4).

ص: 187

1- (1) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة.

2- (2) المغازي 2: 680، امتاع الاسماع 1: 323.

3- (3) بين فدك وبين المدينة يومان، كما في معجم البلدان 6: 342. وتبعد عن المدينة نحو 140 كم.

4- (4) اعلام الوري 1: 209، تفسير القمي 2: 18 وروي العياشي في تفسيره 2: 287 أربعة أخبار في ذلك، وفي شرح النهج 16: 268. وفي الدر المنثور 4: 177. هذا والآية هي السادسة والعشرون من سورة الإسراء.

رجعت أسماء بنت عميس الخثعمية المهاجرة إلي الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فقدموا علي رسول الله صلى الله عليه وآله بخير بُعيد فتحه، فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وقال: " ما أدري بأيهما أنا أسرُّ بفتح خبير أم بقدم جعفر "(1). وفي منصرف النبي صلى الله عليه وآله من فتح خبير، وفي منزل الصَّهَاء هذا، روت أسماء بنت عميس: أنَّ النبي صلى الله عليه وآله بعد صلاة العصر استلقي ورأسه في حجر علي عليه السلام - وهو لم يصلِ العصر - فاعترت النبي صلى الله عليه وآله حالة الوحي، فلم يوقظه علي عليه السلام ولم يضع رأسه من حجره ليصلي العصر حتي غربت الشمس، واستيقظ النبي صلى الله عليه وآله، وكان يعلم أنَّ علياً عليه السلام لم يكن يصلي العصر، فقال له: أصليتَ يا علي؟ قال: لا. فجعل النبي صلى الله عليه وآله يدعو: اللهم إنَّه (علي) كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس! قالت أسماء: فرأيتها طلعت بعدما غربت حتَّى وقعت علي الجبل والأرض حتي أدَّى علي عليه السلام صلاته فغربت(2). فقال حسَّان بن ثابت في ذلك:

إنَّ عليَّ بن أبي طالب ردَّت له الشمس من المغرب(3)

ص:188

-
- 1- (1) التهذيب 3:186 ب 20، شرح نهج البلاغة 4:128، بحار الأنوار 21:23، ب 22.
- 2- (2) الكافي 4:561 ح 7 عن الصادق عليه السلام عن أسماء، ورواه في الفقيه 1:130 ح 11 وانظر مصادره في فضائل الخمسة 5:112-119 وكتاب: ردِّ الشمس للطريحي.
- 3- (3) الخرائج والجرائح 2:499 ح 13. وحادثة ردِّ الشمس بعد غروبها لعلِّي، وقعت في موضع مسجد الفضيل، (راجع كتاب ردِّ الشمس للطريحي: 94). و مسجد الفضيل يقع في جنوب مشربة أم إبراهيم في الشارع الموصل بين شارع العوالي وخط الحزام العام باتجاه مستشفى المدينة الوطني، كما في مجلة ميقات الحج 7:275.

إشارة

في العشرين من شهر رمضان المبارك للسنة الثامنة من الهجرة فتح الله تعالى لرسوله مكة، وكان فتحاً مبيناً ومؤزراً علي طواغيت قريش وشركهم، ويمكننا القول بأن فتح مكة كان مرحلة متطورة من الصراع بين الحق والباطل، إذ بدخول مكة تحت حكم الله الواحد، بدأت المدن الأخرى والقري تدخل في الإسلام، من دون سفك دماء، وقد أشار القرآن إلي آثار ونتائج هذا الفتح العظيم بقوله تعالى: (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) 1 ، وقوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) 2 .

وقد كان للإمام علي عليه السلام الدور البارز في تحقيق هذا الفتح والنصر المؤزر، وليس دور الإمام علي عليه السلام بارزاً في فتح مكة فحسب، بل في كل الحروب التي خاضها مع النبي صلي الله عليه وآله كان له الدور الأكبر في صناعة النصر، بل في بعضها كان له تمام الدور في صناعته، كما ذكرنا ذلك في بدر والخندق وخيبر و...، ولكننا نقول ذلك في فتح مكة لمكان المناسبة فحسب. وفيما يلي نستعرض جملة من هذه الأدوار، وهناك غيرها تركناها لغاية الاختصار.

الدور الأول: أخذ الراية من سعد

كان هدف النبي صلي الله عليه وآله وما ينشده في مجمل تحركاته نحو مكة حذراً من أن تسفك الدماء في حرم الله الآمن، وأن تفتح مكة بدون قتال، وفعلاً لمّا علم أبو سفيان

بخروجهم كانوا قد وصلوا إلى مقربة من مكة فخرج إلي النبي صلي الله عليه وآله ليساومه ولكن دون جدوي، فالنبي صلي الله عليه وآله قد عزم علي فتحها، فلم يجد بداً من أن يحمي نفسه باعتناقه الإسلام، فلمَّا وصل النبي صلي الله عليه وآله وأصحابه أبواب مكة أخذت الحمية سعد بن عبادة الأنصاري، وهو يمرّ أمام أبي سفيان، فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم تسبي الحرمة.

فأخذ الكثير من المسلمين يردّد ما قاله سعد، وكان هذا الشعار من شأنه تهيج المشركين للقتال حتي لو أدّي ذلك إلي قتلهم، إذ العرب لا تتحمل دخول دارها فضلاً عن ذلّها بذلك، كما من شأنه تشجيع المسلمين للنيل من المشركين خصوصاً مسلمي مكة الذين ذاقوا ألوان العذاب والبلاء علي أيدي قريش، وكل ذلك يتنافي مع هدف النبي صلي الله عليه وآله من عدم سفك الدماء في حرم الله الآمن، فوصل شعار سعد إلي النبي صلي الله عليه وآله فقال لأ-مير المؤمنين: "يا علي أدرك سعدا وخذ الراية منه وأدخل أنت بها مكة"، فأدركه أمير المؤمنين، فأخذ الراية منه ودخل بها مكة، ولم يمتنع عليه سعد، بل دفعها إليه. ولم ير رسول الله صلي الله عليه وآله أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوي الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الشيخ المفيد: "واعلم أنّه لورام ذلك غير علي عليه السلام، لا تمتنع عليه سعد، وكان في امتناعه فساد التدبير، واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين" (1).

وهذا الدّور لعلي عليه السلام لا يحتاج إلي تعليق، لأنّه من الواضح أنّ أخذ الراية من سعد لا يتمّ إلاّ برسول الله صلي الله عليه وآله حيث لا يتنازل سعد وهو زعيم الأنصار إلاّ للنبي صلي الله عليه وآله، ولمّا كان سعد يعرف أنّ علياً هو الرجل الثاني في الإسلام، سلّم الراية إليه بلا تنازع، فأخذ الإمام علي عليه السلام الراية ونادي بأمر من النبي صلي الله عليه وآله: "اليوم يوم المرحمة، اليوم تحمي الحرمة".

ص:190

بما أن مكّة المكرمة كانت مجمع عبادة العرب، والكعبة مركز تجمع أصنامهم، فكان لابد من تحطيم المظاهر الصنمية وقلعها من الأذهان، وتحطيم كل المظاهر الصنمية الموجودة في الكعبة وفي جوارها.

قال الإمام الرضا عليه السلام: وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة عندما فتح النبي صلي الله عليه وآله مكّة فمر بها وجعل يطعنها بمخصرة في يده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً، فجعلت تكب لوجهها(1). وفي رواية ابن شهر آشوب: إنّ الإمام علياً عليه السلام صعد علي أكتاف النبي صلي الله عليه وآله وكسر الأصنام الموجودة علي ظهر الكعبة(2).

هذه بعض أدوار علي عليه السلام في فتح مكة وإرساء الإسلام فيها وما حولها، وهكذا فقد أوقف حياته عليه السلام في خدمة الإسلام والنبي صلي الله عليه وآله، واستمر من بعد رسول الله صلي الله عليه وآله يعقب المجرمين، ويقطع أذبار المرتدين.

ص: 191

1- (1) بحار الأنوار 67:39 ح 20.

2- (2) بحار الأنوار 61:39 ح 15.

القبس الحادي عشر: الإمام علي عليه السلام في أرض طي

لقد كان رسول الله صلي الله عليه وآله يعرف من قبل أن في قبيلة طيء آل حاتم الطائي، صنماً كبيراً يُسمَّى الفُلس يُقدَّس، ومن هنا بعث صلي الله عليه وآله، علي بن أبي طالب عليه السلام علي رأس مائة وخمسين فارس إلي أرض طيء، وأمره بأن يحطّم صنمهم، ويهدم بيته، ففي ربيع الآخر سنة تسع خرج علي عليه السلام الي بني طيء آل حاتم الطائي، وكان لزعيمهم عدي بن حاتم الطائي عينٌ بالمدينة، فلمّا علم بخبر السريّة أخبر عدياً فهرب إلي الشام، فاحتمل بأهله وولده، وخلف اخته سفانة في الحيّ، وسلك طريق الشام ليلحق بأهل دينه من النصاري(1)، حيث كان ركوسياً من النصاري(2). وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام في ربيع الآخر السنة التاسعة للهجرة بسريته من المدينة حتّى وصل إلي قبيلة طيء وقد أدرك قائد السرية أن هذه القبيلة ستقاوم جنود الإسلام، وأنّ الأمر لن يتم من دون قتال، ولهذا حمل بأفراده علي موضع صنمهم الفُلس، وهو في بيت وقد ألبسوه ثياباً وثلاثة دروع وجعلوا معه سيوفاً ثلاثة تسمّى: الرسوب والمخدم واليماني، فهدمه وخرّب بيته، وقتل من قتل من رجالهم وسبي من سبي من الرجال والنساء وكان من السبايا اخت عدي بن حاتم ونساءً معها من آل حاتم، ثم قدموا بهم الي المدينة فأنزلت اخت عدي سفانة دار رملة بنت الحارث، وكساه رسول الله وأعطاها ناقةً ونفقةً وخرجت الي الشام فالتحقت بأخيها(3).

ص:192

1- (1) راجع: مغازي الواقدي 2:988، السيرة لابن اسحاق 4:225.

2- (2) كان يقال لقوم بين النصاري والصابئين: الركوسيين.

3- (3) راجع: مغازي الواقدي 2:985.

قال عديّ: فبينما أنا في أهلي وإذا بظعينة تؤمّ صوبنا حتي وقفت علي فإذا هي ابنة حاتم اختي [سفانة] فأخذت تقول لي: الظالم القاطع! احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك! فقلت لها: اي اخية لا تقولي إلاّ خيراً فوالله مالي من عذر! لقد صنعت ما قلت ثمّ سألتها عن رسول الله فقلت لها: ما ترين في أمر هذا الرجل؟! قالت: والله أري أن تلحق به سريعاً، فان يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تدلّ في عزّ اليمن وأنت أنت. فقبلت قولها ثمّ خرجت حتي قدمت المدينة علي رسول الله في مسجده فسلمت عليه. ثم قال لي: من الرجل؟ فقلت: عديّ بن حاتم. فانطلق بي الي بيته... إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته لحاجتها، وأخذت تكلمه في حاجتها طويلاً وهو واقف لها! فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك!

ولمّا دخل بي بيته [وأنا كافر] تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقفذها الي وقال لي: إجلس علي هذه. فقلت: بل إجلس عليها أنت، فقال: بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله بالأرض! فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك!

ثم قال لي: ايه يا عديّ بن حاتم، الم تكن ركوسياً؟! قلت: بلي. قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قلت: بلي. قال: فانّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك! قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل!

ثمّ قال: يا عدي، لعلك إنّما يمنعك من دخول هذا الدين: ما تري من حاجتهم؟! فوالله ليوشك أنّ يفيض المال فيهم حتّي لا يوجد من يأخذه! ولعلك إنّما يمنعك من الدخول فيه: ما تري من قلّة عددهم وكثرة عدوهم؟! فوالله ليوشك أنّ تسمع بالمرأة تخرج من القادسية علي بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف! ولعلك إنّما يمنعك من الدخول فيه: أنّك تري أنّ الملك والسلطان في غيرهم؟! وايم الله ليوشك أنّ تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم! قال عدي: فأسلمت (1).

ص:193

1- (1) ابن اسحاق في السيرة 4:225 واختصر خبره الطبرسي في اعلام الوري 1:252.

القِس الثاني عشر: علي عليه السلام يبلغ سورة براءة في الحج

أرسل النبي صلي الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام في اليوم الثالث من السنة التاسعة للهجرة إلي مكة بالآيات الأولى من سورة التوبة ليقرأها علي كَفَّار مَكَّة، فركب أمير المؤمنين عليه السلام ناقه رسول الله صلي الله عليه وآله العَضْبَاء (القِصْوَاء) (1) ولحق بأبي بكر بندي الحُلَيْفَة وأخذها منه، وعاد أبو بكر إلي النبي صلي الله عليه وآله في المدينة مستفسراً عن الأمر (2).

قال المفيد في "الارشاد": فلما رآه فزع من لحوقه به، فاستقبله وقال له: يا أبا الحسن، فيم جئت؟ أسائر معي أنت؟! أم لغير ذلك؟ فقال علي عليه السلام: إن رسول الله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إلي، فقال أبو بكر: بل أرجع إلي، وعاد إلي النبي صلي الله عليه وآله، فلمَّا دخل عليه قال له: يا رسول الله، إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليّ، فلمَّا توجَّهت له رددتني عنه، مالي؟ أنزل فيّ قرآن؟ فقال صلي الله عليه وآله: لا، ولكنَّ الأَمِينَ هبط إليّ عن الله جلَّ جلاله، بأنَّه: لا يؤدِّي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعلي منِّي، فلا يؤدِّي عنِّي إلا علي (3). وروي القمي عن علي عليه السلام قال: إنَّ رسول الله صلي الله عليه وآله أمرني أن أبلغ عن الله: أن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام، وأن أقرأ عليهم: (بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَيَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) فأحلَّ الله للمشركين الذين حجَّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلي مأمَنهم، ثم يُقتلون حيث وُجدوا (4).

ص: 194

1- (1) الناقه العَضْبَاء: القصيرة اليمين، وكانت مشقوفة الاذن. مجمع البحرين، وروي الواقدي في مغازي 2: 1077: أن الناقه كانت القِصْوَاء.

2- (2) تفسير فرات الكوفي: 158 ح 17 عن الصادق عليه السلام: بلغ الجحفة، وراجع بحار الأنوار 35: 305.

3- (3) الارشاد 1: 65، 66، ومناقب الحلبي عن ابن عباس 2: 126.

4- (4) تفسير القمي 1: 282، مجمع البيان 5: 7 عن الحاكم الحسكاني.

وانطلق علي عليه السلام حتي قدم مكة، ثم وافي عرفات، ثم رجع الي جَمْع المزدلفة ثم الي مني، فذبح وحلق، ثم صعد علي الجبل المُشرف المعروف بالشِّعْب فأذّن ثلاث مرات: يا أيها الناس، ألا تسمعون، إني رسول رسول الله اليكم، ثم قرأ: (بِرَاءةً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسَيَحْضُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) الي تسع آيات من أولها الي قوله: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). ثم لمع بسيفه فكرّرها وأسمع الناس. فقال الناس: من هذا الذي ينادي في الناس؟ فقال من عرفه من الناس: ما كان ليجتري علي هذا غير عشيرة محمّد، وهذا ابن عمّ محمّد علي بن أبي طالب! فناداه بعضهم: أبلغ ابن عمك: أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعنًا بالرمح (1).

ولم يُوحِ الي رسول الله صلي الله عليه وآله شيء في أمر علي عليه السلام وما كان منه، وأبطأ عنه خبره، وكان عليه السلام في رجوعه مقتصدًا في سيره. فاغتم لذلك النبي صلي الله عليه وآله غمًّا شديدًا حتي رُئي ذلك في وجهه، فقال بعضهم لأبي ذر: قد تري ما برسول الله، وقد نعلم منزلتك منه، فنحن نحبّ أن تعلم لنا أمره، فسأل أبو ذر النبي عن ذلك، فقال: ما نُعيت إليّ نفسي، وما وجدت في امتي إلا خيراً، وما بي مرض، ولكن من شدة وجدي لعليّ بن أبي طالب وابطاء الوحي عليّ في أمره. فاستأذنه ابو ذر ليخرج من المدينة في حاجته فأذن له.

فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب ناقة مقبلا فإذا هو علي عليه السلام، فاستقبله والتزمه وقبله وقال: بأبي أنت وأمي، اقصد في مسيرك حتي اكون أنا الذي ابشّر رسول الله، فان رسول الله من أمرك

في غم شديد. فأنعم له علي عليه السلام. فانطلق أبو ذر مسرعاً حتي أتى النبي فقال له: البشري. قال: وما بشراك يا أبا ذر؟ قال: قدم علي بن أبي طالب. فقال له: لك بذلك الجنة، ثم ركب النبي صلي الله عليه وآله وركب معه الناس. فلما رآه علي عليه السلام أناخ ناقته، ونزل رسول الله، فتلقاه والتزمه وعانقه ووضع خده علي منكب علي، وبكي النبي صلي الله عليه وآله فرحاً بقدومه وبكي معه علي عليه السلام ثم قال له رسول الله: ما صنعت بأبي أنت وأمي، فان الوحي ابطن علي في أمرك؟ فأخبره بما صنع، فقال رسول الله: كان الله عز وجل أعلم بك مني حين أمرني بارسالك(1).

والحادثة تشير بوضوح إلي فضل أمير المؤمنين عليه السلام عند الله عز وجل وعند رسوله صلي الله عليه وآله وقد ورد في بعض النصوص كما في (مسند أحمد بن حنبل): أن علياً عليه السلام قال: يا رسول الله صلي الله عليه وآله لست خطيباً، فقال النبي صلي الله عليه وآله: لا محيص عن ذلك، فيما أن أذهب بها أو تذهب بها، فقال علي عليه السلام: إذا كان ولا بد فأنا أذهب بها، فقال له النبي صلي الله عليه وآله: انطلق بها فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك(2)، كما أنه تشير إلي الأمور التالية: أولاً: الأهمية الخاصة لهذه الآيات الشريفة وما تتضمنه من إمهال الكفار والمشركين فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذي الحجة وتنتهي باليوم العاشر من شهر ربيع الأول للسنة العاشرة.

ثانياً: إن الأمر الإلهي بالبراءة من المشركين أعلن من خلال آيات من سورة براءة (التوبة) إعلاناً عاماً أمام الناس كافة: (مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)3. فقد تصرف الوحي والرسول صلي الله عليه وآله مع المشركين كما

ص:196

1- (1) الاقبال 2:38.

2- (2) مسند أحمد بن حنبل 1:331.

تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم وموآثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتآمر سراً مع أعداء الإسلام.

بيان وتوضيح: إن البراءة في الآية المذكورة أعلاها لا تختص بمشركي الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة، وهذه الآية تعلن عن أوضح موقف سياسي تجاه المشركين وأعداء الإسلام، ولذا امر الإمام الخميني رحمه الله ان تقام مراسم البراءة في كل عام من موسم الحج، وكان رحمه الله من خلال بياناته السنوية التي كان يوجهها الي الحجاج في موسم الحج علي وجوب اهتمام المسلمين بالأمر السياسي للعالم الإسلامي، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيحاً لمسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص.

وبالتدرج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت سيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يرددون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من الإستكبار العالمي خصوصاً أمريكا وإسرائيل باعتبارهما من أهم مصاديق البارزة للشرك والكفر العالمي، وتدعو المسلمين الي الوحدة حول المشتركات والمصالح العامة للأمة الإسلامية.

ص: 197

القبة الثالث عشر: علي بن أبي طالب عليه السلام في اليمن

أرسل النبي صلي الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام إلى اليمن مرتين الأولى في السنة التاسعة للهجرة، والثانية في شهر رمضان في السنة العاشرة للهجرة وإليك بيان الواقعتين باختصار.

استمرراً في نشر الإسلام أرسل النبي صلي الله عليه وآله إلى اليمن خالد بن الوليد وجمعاً من الصحابة ليدعوا قبيلة همدان إلى الإسلام، وظل خالد نحواً من ستة أشهر دون أن يحقق نجاحاً، فلم يتمكن من إقناع همدان في اعتناق الإسلام، فبعث إلي النبي يخبره بعدم إجابة القوم له وانصرفهم عنه، عند ذلك بعث النبي صلي الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وطلب منه أن يُعيد خالدًا إلى المدينة ويحل محله في مهمته، ويبقي معه من يشاء من المجموعة المرسلة مع خالد.

وروي عن البراء بن عازب الذي كان مع خالد وبقي في سرية علي عليه السلام: كنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن رسول الله صلي الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام وأمره أن يقفل خالدًا ويكون مكانه، فلما دنونا من القوم؛ خرجوا إلينا وصلي بنا علي عليه السلام ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلي الله عليه وآله بإسلامهم، فأسلمت همدان جميعاً وأرسل علي عليه السلام إلى رسول الله صلي الله عليه وآله بالخبر السار، فخر رسول الله ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلام علي همدان(1).

وروي المفيد عن البراء بن عازب قال: بلغ الخبر همدان فتجمعوا له، فصلى بنا علي عليه السلام الفجر، ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلي الله عليه وآله، فأسلم كل همدان في يوم واحد. وكتب أمير المؤمنين بذلك الي رسول الله صلي الله عليه وآله، فلما قرئ كتابه ابتهج واستبشر وخرّ ساجداً شكراً لله عزّ وجل ثم رفع رأسه

ص:198

1- (1) الكامل في التاريخ لابن الأثير 2:300، والسيرة النبوية لابن كثير 4:201.

فجلس، وقال: السلام علي همدان، السلام علي همدان، وبعد إسلام همدان تتابع أهل اليمن علي الإسلام(1).

وروي: أن النبي صلي الله عليه وآله أرسل علياً في مهمة ثانية إلي اليمن ليدعو مذحج إلي الإسلام، وكان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة وكان معه ثلاثمائة فارس، وعقد رسول الله له اللواء وعممه بيده، وأوصاه، وقال له: يا علي، لا تقاتلن أحداً حتي تدعوه إلي الإسلام، وإيم الله لنن يهدي الله علي يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت(2).

فلما دخل إلي بلاد مذحج؛ دعاهم إلي الإسلام فأبوا عليه ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فأعد علي عليه السلام أصحابه للقتال، وهجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً ففرقوا وانهزموا فتركهم، ثم دعاهم إلي الإسلام ثانية فأجابوه لذلك، وبايعه عدد من رؤسائهم، وقالوا: له نحن علي من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

ثم إن علياً جمع الغنائم فأخرج منها الخمس وقسم الباقي علي أصحابه، وبلغه خبر خروج النبي صلي الله عليه وآله إلي مكة لأداء فريضة الحج، فتعجل عليه السلام السير ليلتحق بالنبي صلي الله عليه وآله في مكة، وروي أن بعض من كان في سرية علي عليه السلام اشتكي من شدته في إعطاء الحق، فلما سمع النبي صلي الله عليه وآله ذلك قال: أيها الناس، لا تشتكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله من أن يشتكي منه(3).

ص:199

-
- 1- (1) الارشاد 62:1. ونحوه في التنبيه والاشراف: 238. وعليه فإسلام أهل اليمن تتابع بعد إسلام همدان، وإسلام همدان كان علي يد علي عليه السلام في شهر رمضان، وابن الأثير ذكر ذلك في السنة العاشرة، وأشار اليه المجلسي في بحار الأنوار 363:21.
 - 2- (2) الكافي 8:5 ب 1 ح 14 و: 36 ب 14 ح 4، والفقهاء 2:173 ب 67 ح 2، والتهذيب 6:141 ب 62 ح 2.
 - 3- (3) سيرة ابن هشام 4:603، والسيرة النبوية لابن كثير 4:205.

وعن عمرو بن شاس الأسلمي أنه قال: كنت مع علي عليه السلام في خيله التي بعثه بها رسول الله صلى الله عليه وآله إلي اليمن، فوجدت في نفسي عليه (1)، فلما قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد، فلما رأيته أنظر علي عينيه نظر غلي حتى جلست إليه، فقال: إيه يا عمرو، لقد آذيتني، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام من أن أؤذي رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: " من آذى علياً فقد آذاني " (2).

وبعد ما أتمَّ الإمام علي عليه السلام المهمة في اليمن التحق بالنبي صلى الله عليه وآله في مكة لأداء مناسك الحج وهي حجة الوداع التي نصب النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي خليفة من بعد إتمام المناسك وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في غدير خم وسيأتي تفصيل ذلك.

ص: 200

1- (1) المستدرک علی الصحیحین 3: 134.

2- (2) السيرة النبوية لابن كثير 4: 202.

أجمع رسول الله صلي الله عليه وآله الخروج إلي الحجّ في سنة عشرٍ من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتّمون به في حجّته تلك التي يطلق عليها حجةّ البلاغ، وحجّة الكمال، وحجّة التمام(2)، وحجّة الوداع، حيث لم يحجّ غيرها منذ هاجر إلي أن توفاه الله سبحانه.

وروي الطبرسي في "الاحتجاج" بسنده عن الباقر عليه السلام قال: أتى جبرئيل رسول الله صلي الله عليه وآله وقال له: يا محمد، إنّ الله جلّ اسمه يقرنك السلام ويقول لك: إنّني لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجّتي، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج أن تبلغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة بعدك؛ فإني لم اخل أرضي من حجة ولن اخلها أبداً، فإنّ الله جلّ ثناؤه يأمرك أن تبلغ قومك الحجّ وتحجّ ويحجّ معك من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضرة والأطراف والأعراب، فتعلمهم من معالم حجّتهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك علي مثل الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع(3).

ص: 201

- 1- (1) اقتباساً وتلخيصاً من كتاب (الغدیر) للمؤلف، من إصدار المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام والذي صدر أيضاً باسم ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة، من قبل مؤسسة الغدير العالمية، ومكتب الإمام الخامنئي في سورية.
- 2- (2) الغدير، للأمني 1: 9، إنّ الوجه في تسمية حجة البلاغ هو نزول الآية 67 من سورة المائدة، كما أنّ الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول الآية الثالثة من سورة المائدة.
- 3- (3) الاحتجاج 1: 68.

وروي الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: أقام رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة عشر سنين لم يحج، ثم كتب الي من بلغه كتابه ممن دخل في الاسلام أن رسول الله يريد الحج، يؤذنههم بذلك، ليحج من أطاق الحج، فأقبل الناس (1).

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة واستعمل علي المدينة أبا دجاجة الأنصاري أو سباع بن عرفة الغفاري، وبلغ من حج مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون (2).

وصل النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة يوم الاثنين في مَرِّ الظُّهْران فلم يبرح منها حتى غربت الشمس فرحل إلى الثنيتين: كُدي وكداء، فصلى المغرب والعشاء وتعشي وبات بينهما، وكان ذلك في آخر اليوم الرابع من ذي الحجة، وكان صلى الله عليه وآله قد كتب علياً عليه السلام بالتوجه الي الحج من اليمن، ولم يذكر له نوع الحج الذي قد عزم عليه، فخرج أمير المؤمنين بمن معه من العسكر الذي صحبه الي اليمن، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدياً، ومعه الحُل (3) ولما بلغ يلملم عقد نبيته نبيّة النبي وقال: اللهم إهلالاً كإهلال نبيك، فلما قارب رسول الله صلى الله عليه وآله مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن، فلما كان بالفتق قرب الطائف خلف علي أصحابه أبا رافع القبطي وتقدمهم للقاء النبي صلى الله عليه وآله، فأدركه وقد أشرف علي مكة، فسلم وأخبره بما صنع وأنه سارع للقاءه قبل الجيش. فسَدَّر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وابتهج بلقائه وكان محرماً فسأله: بم أهلت يا علي؟ فقال عليه السلام: يا رسول الله، إنك لم تكتب إلي بإهلالك ولا عرفتيه، فعقدت نبيتي بنيتك وقلت: اللهم إهلالاً كإهلال نبيك. وسَدَّمت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة،

ص: 202

1- (1) الكافي 4: 245، الحديث 4، 7، والتهذيب 5: 454، الحديث 1588.

2- (2) السيرة النبوية لابن هشام 4: 248، الاحتجاج 1: 68. وراجع بحار الانوار 21: 39.

3- (3) قال المفيد: كانت جزية نصاري نجران. وقال الواقدي: إنها كانت خمس الغنائم، (مغازي الواقدي 2: 1097).

فقال رسول الله: الله أكبر، فقد سئمت أنا ستاً وستين، وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهدبي، فأقم علي إحرامك، وعُد الي جيشك، فعجل بهم إلي حتي نجتمع بمكة إن شاء الله(1).

نزول آية الولاية في مكة

نقل ابن طاووس عن حذيفة بن اليمان قال: كنا مع النبي صلي الله عليه وآله إذ وافى علي عليه السلام من اليمن الي مكة، ثم توجه علي عليه السلام يوماً يصلي الي الكعبة، فلما ركع أتاه سائل فتصدق عليه بحلقة خاتمه، فكبر رسول الله وقرأ علينا ما أنزل الله تعالي في ذلك من قوله سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) 2

واقعة غدير خم

لما قضى رسول الله صلي الله عليه وآله مناسكه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع، وصل إلي غدير خم قرب الجحفة علي بعد (185 كم) من مكة، والتي تشعب فيها طرق المديين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، فنزل جبرائيل إلي الرسول الأمين عليه السلام بقوله: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) 3، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة علي كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله صلي الله عليه وآله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهي عن

ص: 203

1- (1) راجع مغازي الواقدي 2: 1080. وفي بحار الأنوار 21: 390، عن فروع الكافي 4: 245 و 1: 234.

سَمُرَات (1) خمس متقاربات دَوَّحات عظام أن لا ينزل تحتهنَّ أحد، حتي إذا أخذ القوم منازلهم، فقمَّ ما تحتهنَّ، حتي إذا نودي بالصلاة - صلاة الظهر - عمد إليهنَّ، فصلي بالناس تحتهنَّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه علي رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدَّة الرمضاء. وظلَّ لرسول الله صلي الله عليه وآله بثوب علي شجرة سمرة من الشمس، فلمَّا انصرف صلي الله عليه وآله من صلاته، قام خطيباً وسط القوم علي أقتاب الإبل، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، (2) فقال صلي الله عليه وآله: "... أمَّا بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعمر نبيَّ إلاَّ مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعي فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟".

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال صلي الله عليه وآله: " أستم تشهدون أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنَّته حق وناره حق، وأنَّ الموت حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور؟".

قالوا: بلي نشهد بذلك. قال صلي الله عليه وآله: " اللهم اشهد"، ثمَّ قال: " أيها الناس ألا تسمعون؟" قالوا: نعم.

قال صلي الله عليه وآله: " فإني فرط (3) علي الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإنَّ عرضه ما بين صنعاء وبُصري (4)، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين (5)."

ص: 204

1- (1) سَمُرَات، جمع سمرة: شجرة الطلح.

2- (2) الهيثمي في مجمع الزوائد 9: 106، وتاريخ آل زرارة لابن غالب الزراري 2: 84.

3- (3) الفَرَط: المتقدم قومه الي الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم 1: 45.

4- (4) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصري: قصبه كورة حوران من أعمال دمشق.

5- (5) الثقل: كل شيء خطير نفيس. راجع تاج العروس للزبيدي 7: 245.

فنادي مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال صلي الله عليه وآله: "الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير تبأني أنهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا".

ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها حتي رُوي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال صلي الله عليه وآله: "أيها الناس من أولي الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال صلي الله عليه وآله: "إنّ الله مولاي، وأنا مولاي المؤمنين، وأنا أولي بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه"، يقولها ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرات (1).

ثمّ قال صلي الله عليه وآله: "اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا- فليبلغ الشاهد الغائب". ثمّ لم يفترقوا حتي نزل أمين وحي الله بقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)2.

يقول فضيلة الشيخ هادي اليوسفي في موسوعته التاريخية: إنّ أقدم كتاب فيما بأيدينا مما سبق الي رواية نزول آية الإكمال في هذا المجال هو كتاب سليم بن قيس الهلالي العامري (م ق 80 هـ) عن أبي سعيد الخدري قال في حديثه عن النبي صلي الله عليه وآله في يوم غدير خم: فلم ينزل حتي نزلت الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)3. فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: الله أكبر علي إكمال الدين وإتمام النعمة ورضي الربّ برسالتي وبولاية عليّ من بعدي(2).

ص: 205

1- (1) مسند أحمد بن حنبل 4: 281.

2- (4) كتاب سليم بن قيس 2: 828، ورواه العياشي في تفسيره 1: 292 ح 20 و 22 والسيوطي في الانتقان 1:

فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله، ائذن لي لأقول في عليّ أبياتاً، فقال صلي الله عليه وآله: "قل، علي بركة الله". فقال حسّان: يا مشيخة قريش، اسمعوا قولِي بشهادة من رسول الله:

ألم تعلموا أنّ النبي محمداً لدي دَوْحٌ حُمٌّ حين قام منادياً

وقد جاءه جبريل من عند ربّه بأنك معصوم فلا تك وانياً

وبلّغهم ما أنزل الله ربّهم وإن أنت لم تفعل وحاذرت باغياً

عليك، فما بلّغتهم عن إلههم رسالته، إن كنت تخشي الأعدايا

فقام به إذ ذاك رافع كفه بيمني يديه معلى الصوت عالياً

فقال لهم: من كنت مولاه منكم وكان لقولي حافظاً ليس ناسياً

فمولاه من بعدي عليّ، وإنني به لكم دون البرية راضياً

فياربّ من والي عليّاً فواله وكُن للذي عادي عليّاً معادياً

ويا ربّ فانصر ناصريه لنصرهم إمام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا

ويا ربّ فاخذل خاذليه وكن لهم إذا وقفوا يوم الحساب مكافياً⁽¹⁾

وروي الكليني عن الباقر عليه السلام قال: قال صلي الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: "لا يزال معك روح القدس ما ذبيت عنّا"⁽²⁾ أو قال: "يا حسّان لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك"⁽³⁾.

ص: 206

1- (1) سليم بن قيس 2: 828، 829، وزاد عليه الأميني في الغدير 2: 34 أكثر من عشرين مصدراً من الخاصة وأكثر من عشرة مصادر من غيرهم للقصيدة، والعجب أنّها لم تذكر في ديوان حسّان بن ثابت! كما ينقل فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي في المجلد الثالث من موسوعته التّاريخية.

2- (2) روضة الكافي: 89 ح 75. وعن الصادق عليه السلام في جامع الأخبار: 11، كما في بحار الأنوار 37: 166.

3- (3) الارشاد 1: 177، ويقول فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي في المجلد الثالث من موسوعته التّاريخية: «انما

ثمَّ قال النبي صلي الله عليه وآله: يا قوم هتُّوني، هتُّوني إنَّ الله خصَّني بالنبوة وخصَّ أهل بيتي بالإمامة(1). وفي خبر "جامع الأخبار": فجاء أصحابه الي أمير المؤمنين وهنؤوه بالولاية، وأوّل من قال له كان عمر بن الخطاب قال له: يا علي، أصبحت مولاي ومولي كل مؤمن ومؤمنة(2).

وقال المفيد: فصلي الظهر... ثم أمر عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة بإزاء خيمته صلي الله عليه وآله، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّئوه بالمقام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين. ففعل الناس ذلك... ثمَّ أمر أزواجه ونساء المؤمنين أن يدخلن عليه فيسلّمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن(3).

هذا مجمل القول في الواقعة التاريخية لقضية غدیر خم. ويكفي أهمية هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مائة وعشرة من الصحابة(4).

الإستشهاد بواقعة الغدير

قد استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الواقعة العظيمة أمام الناس كافة في زمن خلافته عدة مرات، منها ما روي عن زيد بن أرقم قال: نشد علي الناس في المسجد فقال: أنشد

ص: 207

-
- 1- (1) مناقب آل أبي طالب 3: 45، 46.
 - 2- (2) جامع الأخبار: 10، وعنه في بحار الأنوار 166: 37 و نقله الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب 3: 433. وفصل نقله الأميني في الغدير 1: 272 عن ستين مصدراً.
 - 3- (3) الارشاد 1: 176. ويقول فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي في المجلد الثالث من موسوعة التاريخ الإسلامي: «و لم أعر علي مصدر معتبر لخبر الطست وغمس ايديهن فيه».
 - 4- (4) الغدير 1: 61 و 314.

الله رجلاً سمع النبي صلي الله عليه وآله يقول: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" فقام اثنا عشر بدرياً، ستة من الجانب الأيمن، وستة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك. قال زيد بن أرقم: " وكنت أنا فيمن سمع ذلك فكتمته، فذهب الله ببصري "، وكان يتندم علي ما فاتته من الشهادة ويستغفر(1).

ومن ذلك أيضاً ما روي عن طلحة بن عميرة قال: نشد عليّ الناس في قول النبي صلي الله عليه وآله: " من كنت مولاه فعلي مولاه " فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أنس، قال: لبيك، قال: " ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟" فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: " اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض - أو بوضح - لا تواريه العمامة" قال طلحة بن عميرة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه(2).

عيد الغدير في التاريخ الإسلامي

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقي واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والأفئدة، ويكتب عنه الكتاب الإسلاميون في كل عصر وزمان، ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة، في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ والشعراء في قصائدهم، ويعتبرونها من فضائل الإمام علي عليه السلام الذي لا يتطرق إليها أي شك أو ريب.

ص: 208

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4:74.

2- (2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4:74، 19:217، المعارف لابن قتيبة: 320.

إنّ من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى ودوام هذا الحدث العظيم هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها(1) ، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فسوف تبقى هذه الحادثة حيّة في العقول والقلوب.

إنّ أبناء المجتمع الإسلامي في العصور السالفة، لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً من الأعياد الإسلامية الكبرى. وقد عدّه أبو ريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد(2).

وقد روي عن أبي هريرة أنّه قال: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ كتب الله له صيام ستين شهراً (أو سنة)، وهو يوم غدیر خم؛ لمّا أخذ النبي صلي الله عليه وآله بيد علي فقال: " مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، اللَّهُمَّ والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره " ، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولي كل مسلم ومسلمة(3). والثعالبي أيضاً قد اعتبر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين(4).

إنّ عهد هذا العيد الإسلامي وجذوره ترجع إلي نفس يوم الغدير؛ لأنّ النبي صلي الله عليه وآله أمر المهاجرين والأنصار بل أمر زوجاته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول علي علي عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أوّل من صافق النبي صلي الله عليه وآله وعلياً عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثمّ باقي المهاجرين والأنصار، ثمّ باقي الناس(5).

ص: 209

1- (1) المائدة: 3 و 67.

2- (2) ترجمة الآثار الباقية: 395، الغدير 1: 267.

3- (3) راجع تاريخ دمشق 2: 75 و 575. وتاريخ بغداد 8: 290.

4- (4) ثمار القلوب: 511.

5- (5) راجع الغدير 1: 270. رواه عن أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي.

زعم بعض أن النبي صلي الله عليه وآله لم يقصد من عمله وممّا قاله في يوم الغدير أن ينصبّ عليّاً عليه السلام وليّاً، بمعني كونه قائداً للمسلمين وخليفة له من بعده، وإنّما أراد أن يبيّن فضله ومنزلته، فإنّ كلمة الولي تستعمل أيضاً بمعني الناصر والصديق والحبيب، ولا ضرورة لحملها علي الأولوية بالتصرّف لتكون بمعني القائد والحاكم والمتولي لأمر المسلمين.

ولكن ملاحظة ظروف هذا الحدث التاريخي التي صنعها الرسول صلي الله عليه وآله لا تدع مجالاً لهذا التأويل، وتجعله زعماً بلا دليل؛ فإنّ منع الألوّف المؤلفة عن المسير وحسبهم في رمضاء الهجير، والاهتمام بإرجاع من تقدّم منهم وإلحاق من تأخّر عنهم، وأمرهم بأن يبذلوا الشاهد منهم الغائب عنهم، ونعي نفسه المباركة إليهم، وأخذ الإقرار منهم بالتوحيد والرسالة والمعاد، وأنّه الأولي بهم من أنفسهم، إنّما ينسجم كلّ هذا مع قصده صلي الله عليه وآله لبيان أمر مهمّ جدّاً، فإنّ كلّ إنسان يفهم أنّه صلي الله عليه وآله من هذا الاستعداد والإعداد إنّما كان يقصد أمراً مهمّاً في غاية الأهمية، ويرتبط به مصير الأمتة أيّما ارتباط.

هذا فضلاً عن تهديد الله سبحانه له بأنّه إن لم يبلغ هذا الأمر المهم فكأنّه لم يبلغ رسالته التي جاهد لها ليل نهار طيلة ثلاثة وعشرين عاماً... ويا تري ما هو هذا الأمر المهم الذي وعده الله بأنّه يعصمه من الناس حين يبلغه؟ ومن هم الناس الذين يحتاج الرسول صلي الله عليه وآله إلي أن يعصمه الله تعالي منهم لو بلغ ما امر به؟

وهكذا نعرف أنّ أيّ تأويل لهذا الحديث الصريح في معناه، إنّما يستهدف قائله الفرار من الحجّة البالغة التي أكّدها الرسول صلي الله عليه وآله و آله بصريح كلامه في مجال تعيين القيادة النابتة عنه علي الأمتة المسلمة من بعده، وإنّه لم يترك أمر الخلافة الخطير ولم

يُهمل بيان حكم هذا الموقع السياسي الجليل في مثل تلك الفرصة التاريخية التي كانت أمامه يوم الغدير.

والذي يثبت زيف وبطلان هذا التأويل هو فهم الصحابة الكبار لهذا النص - من أمثال أبي بكر وعمر وحسان بن ثابت وغيرهم ممن حضروا هذه الواقعة التاريخية بأنفسهم - وسمعوا من النبي صلي الله عليه وآله ذلك ووعوه وفهموا منه أنه كان يعني القيادة للأمة والتصرف في أمورهم لا غير، وقد تعزز فهمهم هذا بمواقف فعلية من قبلهم حسب هذا الفهم.

بيان وتحليل لواقعة الغدير

الإسلام دينٌ عالمي، وشريعة خاتمة تتضمن كل ما تحتاجه البشرية في الحياة، وقد كانت قيادة الأمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم صلي الله عليه وآله ما دام حياً، ولا يمكن للشريعة الخالدة أن تهمل أمر القيادة العليا للأمة بعد النبي صلي الله عليه وآله، وتوكل هذا الأمر إلي الصُدف والأهواء والرغبات أو إلي الاجتهادات الشخصية للصحابة الذين تختلف آراؤهم واجتهاداتهم واتجاهاتهم حيث ينتهي الأمر حينئذ بلا ريب إلي الاختلاف والتشتت وانهيار الدولة الإسلامية بشكل عام، ولا يمكن للرسول الخاتم لمسيرة الأنبياء جميعاً أن يهمل هذا الأمر الخطير.

ومن هنا كان التنصيب من سيد المرسلين صلي الله عليه وآله علي من يتحمّل مسؤولية القيادة من بعده أمراً طبيعياً ولازماً ومتوقفاً للمسلمين جميعاً. فمن هذا الذي نصّ الرسول صلي الله عليه وآله علي أنه القائد للأمة الإسلامية من بعده؟ ومتي نصّ الرسول صلي الله عليه وآله علي ذلك؟ وكيف تمّ هذا التنصيب منه؟

إنّ أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يعتقدون بأنّ القيادة العليا للأمة الإسلامية وخلافة الرسول صلي الله عليه وآله منصب ربّاني ينصّ عليه الرسول صلي الله عليه وآله وأله بأمر من الله تعالي ولم يتركه الله

ورسوله إلي الانتخاب الشعبي والرأي العام، وقد اختار الله ورسوله أفضل أفراد الأمة بعد الرسول صلي الله عليه وآله وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد نصَّ علي إمامته وقيادته للأمة من بعده، منذ بدايات الدعوة الإسلامية وظلَّ يواصل طرحها ويمهِّد لها خلال العهدين المكي والمدني بدءاً بيوم الإنذار وإلي يوم رجوعه من حجة الوداع بل وبشكل خاص في الثامن عشر من ذي الحجة السنة 10 للهجرة بعد إنذار إلهي صريح وفيما بعد ذلك وحتى في يوم ارتحاله صلي الله عليه وآله.

بينما يري الخط الذي استلم الحكم بعد الرسول صلي الله عليه وآله أنَّ الخلافة لم تكن منصباً ربّانياً ولا حاجة للتخصيص فيها، بل يمكن لأن تقرر من قبل المسلمين حتي عدد قليل منهم لتكون الخلافة لهذا الشخص أو ذلك.

إنَّ الأوضاع السياسية داخل الدولة الإسلامية وخارجها قبيل وفاة النبي صلي الله عليه وآله كانت تتطلب أن يعيّن النبي صلي الله عليه وآله أله بأمر من الله تعالي خليفة له من بعده؛ إذ المنافقون وأهل الكتاب في داخل أراضي الدولة الإسلامية من جهة، والدولة البيزنطية وسائر القوي المشركة خارج الدولة الإسلامية من جهة أخري كانوا يشكّلون عدة مراكز للخطر الداهم ضد المسلمين.

إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلي صحة نظرية " ضرورة التخصيص علي القائد بعد رسول الله صلي الله عليه وآله " وتحققها وعمل الرسول صلي الله عليه وآله بها.

ومن هنا نعرف السرّ في طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، يوم لم يكن قد انضوي تحت راية رسالته سوي عدد قليل جداً ممّن أعلن إسلامه وآمن برسالة ربّه. كما نعرف السرّ في مواصلة طرحها من قبله صلي الله عليه وآله والتذكير بها طوال حياته وحتى الساعات الأخيرة منها. وقد كان أبرزها يوم الثامن عشر من ذي الحجة السنة (10) للهجرة، الذي عرف فيما بعد بيوم الغدير، أو يوم غدِير خُم.

الإمام علي عليه السلام عند وفاة النبي صلي الله عليه وآله

بعد انتهاء موسم الحج سنة العاشرة من الهجرة الذي عرف واشتهر بحجة الوداع رجع النبي صلي الله عليه وآله من مكة المكرمة إلي المدينة فقضى فيها بقية أيامه وكانت شهران وتزيد قليلاً، وفي هذه الفترة عبأ جيش أسامة وضمَّ إليه وجوه الصحابة وأبقي علياً عليه السلام معه إلا أن الكثير منهم استتكفوا فشدد عليهم الأمر بالرحيل معه فخرجوا حياءً ثمَّ عادوا محتجين بخشيتهم عليه وذلك لمرضه صلي الله عليه وآله، وحين اجتمعوا عنده قال لهم بعد أن وبَّخهم علي عدم إنفاذ جيش أسامة قال لهم: "إيتوني بدواة وكتف، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً"، فقام بعض من حضر يلتمس دواةً وكتفًا، فقال له عمر الخطاب: إرجع فإنَّ الرجل يهجر، وقد استبدلها بعض من أراد أن يخفَّف عن عمر بكلمة (غلبه الوجد)، حيث روي بأنَّ عمر قال: إنَّ رسول الله قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسينا كتاب الله!1.

وكم كانت الأمة بحاجة ماسّة إلي كتاب الرسول صلي الله عليه وآله هذا، حتي أنَّ ابن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك ويقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلي الله عليه وآله، اشتهرت بعد ذلك برزية يوم الخميس(2).

وكان علي عليه السلام حينذاك لا يفارق رسول الله صلي الله عليه وآله إلا لضرورة أو للقيام ببعض شئون رسول الله صلي الله عليه وآله، وفي آخر ساعاته صلي الله عليه وآله أفاق فلم يجد علياً عليه السلام فقال النبي صلي الله عليه وآله: " ادعوا لي أخي وصاحبي"(3) فقالت أم سلمة: " ادعوا له علياً إنَّه لا يريد غيره، فلمَّا دنا علي منه أوماً إليه

ص:213

1- (1) روي الحديث في بحار الأنوار 70:30 بنحو طرق عن صحيح البخاري كتاب العلم، وبثلاثة طرق عن صحيح مسلم، منها عن جابر بن عبد الله الأنصاري وسائرهما عن ابن عباس، والطبري 3:192.

2- (2) الطبقات الكبرى 2:244، صحيح البخاري 1:22، كتاب العلم.

3- (3) بحار الأنوار 22:469.

فَأَكْبَّ عَلَيْهِ فَنَاجَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَوِيلًا، فَقِيلَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا الَّذِي أَوْعَزَ إِلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَفْتَحُ لِي كُلَّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ وَأَوْصَانِي بِمَا أَنَا قَائِمٌ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ" (1).

ثُمَّ فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "يَا عَلِيُّ ضَعْ رَأْسِي فِي حَجْرِكَ فَقَدْ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِذَا فَاضَتْ نَفْسِي فَتَنَاوَلْهَا بِيَدِكَ وَاسْمَحْ بِهَا وَجْهَكَ". فَوَضَعَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْسَهُ عَلِيَّ صَدْرَهُ، وَجَعَلَ يَدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ حَنَكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ فَاضَتْ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَبَّى نِدَاءَ رَبِّهِ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ إِحْدِي عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً (2).

يَقُولُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: "لَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأْسَهُ لِعَلِيِّ صَدْرِي، وَلَقَدْ وَلِيَتْ غَسْلَهُ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي" (3)...

وَرَوَى الْمَفِيدُ: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ غَسْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَدْعَى الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ فَعَصَّبَ عَلِيَّ عَيْنَيْهِ وَأَمْرَهُ أَنْ يَنَاقِلَهُ الْمَاءَ لِيُغْسَلَهُ، ثُمَّ شَقَّ قَمِيصَهُ مِنْ جَيْبِهِ حَتَّى سَدَّرَتْهُ، وَتَوَلَّى غَسْلَهُ وَتَحْنِيطَهُ وَتَكْفِينَهُ (4). ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ عَشْرَةَ عَشْرَةَ فَيَصَلُّونَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ فِدَارٍ وَحَوْلَهُ وَوَقَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَسْطِهِمْ فَقَرَأَ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) 5. فَيَقْرَءُونَ كَمَا يَقْرَأُ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ الْعَوَالِي (5).

ص: 214

-
- 1- (1) بحار الأنوار 22: 470.
 - 2- (2) راجع: الارشاد 1: 189، قصص الأنبياء للراوندي.
 - 3- (3) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام رقم 197. وفي الارشاد 1: 187، وروي ابن اسحاق عن عائشة: أنه قبض في حجري بين سحري ونحري فقامت أضرب وجهي 4: 305.
 - 4- (4) الارشاد 1: 178 ورواه ابن اسحاق في السيرة 4: 312.
 - 5- (5) الأحزاب: 56.

وكان المسلمون في المسجد يخوضون في من يؤمّهم في الصلاة عليه، وأين يدفن؟! فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم: " إن رسول الله صلي الله عليه وآله إمامنا حياً أو ميتاً"، فدخل إليه فوج إثر فوج فيصلون عليه بغير إمام فيصرفون، ثمّ أردف عليه السلام قائلاً: " وإنّ الله تعالي لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإنّي دافنه في حجرته التي قبض فيها"، فسلمّ القوم لذلك ورضوا به(1). ثمّ نزل علي عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله صلي الله عليه وآله ووضع خدّه علي الأرض موجّهاً الي القبلة عن يمينه، ثمّ وضع اللبّن علي اللحد، ثمّ خرج وهال عليه التراب(2)، ورفعته من الأرض قدر شبر وأربع أصابع ورشّ عليه الماء(3).

واستثمرت قريش ومعهم الأوس والخزرج انشغال علي عليه السلام وبني هاشم بتجهيز رسول الله صلي الله عليه وآله والعزاء فاجتمعوا في السقيفة، وانتهى الأمر إلي مبايعة أبي بكر بالخلافة ثمّ ألزموا الناس البيعة فاعترضهم بعض الصحابة، وكان منهم سهل بن حنيف حيث قال: " يا معشر قريش أشهد لقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وآله في مسجده وقد أخذ بيد علي وقال: يا أيها الناس هذا إمامكم بعدي ووصيي في حياتي وبعد وفاتي... فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله" وقال لهم أبو أيوب الأنصاري: اتقوا الله عباد الله، ثمّ قال سمعت النبي صلي الله عليه وآله يقول: " أهل بيتي أئمتكم بعدي، ويومئ إلي علي عليه السلام ويقول: هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله ومنصور من نصره"(4)، وقام غيرهما من الصحابة ونقلوا ما سمعوا من رسول الله صلي الله عليه وآله منهم أبو الهيثم بن التيهان وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وغيرهم، إلا أن قريش لم تستجب لهم.

ص: 215

1- (1) راجع: الطبقات الكبرى 2: 53، والإرشاد للمفيد 1: 187، وأعيان الشيعة 1: 295.

2- (2) الارشاد 1: 188.

3- (3) قرب الاسناد: 136 ح 555.

4- (4) بحار الأنوار 28: 201.

وخرج علي عليه السلام للمسلمين وأخبرهم أنه الأحق بالخلافة واحتج عليهم بأمر إلا أنهم حاولوا إرغامه علي البيعة فاعتزلهم بعد أن حشم المسلمين علي نصرته والوقوف معه، وحين اعتزلهم جمع القرآن ورتبه بحسب النزول وذيّله بتفسير ما غمض من آياته. وظلّ علي عليه السلام مهادناً للخلفاء وكان مرجعاً لهم، كلّما استعصي عليهم أمر يتصل بالدين أو إدارة الحكم حتي قال عمر في أكثر من ثلاثمائة مورد "لولا علي لهلك عمر"⁽¹⁾.

من وصايا النبي للإمام علي عليه السلام

روي عن سلمان الفارسي عنه صلي الله عليه وآله قال: يا علي، إنك ستلقي بعدي من قريش شدة من تظاهروا عليك وظلمهم لك، فإن وجدت أعواناً عليهم فجاهدهم، وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكفّ يدك، ولا تلق بيدك إلي التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ قال لأخيه موسى: (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي)². وروي عنه عن علي عليه السلام قال: أخبرني رسول الله صلي الله عليه وآله قال: يبايع الناس أبا بكر في ظلّة بني ساعدة بعد تخصصهم بحقنا وحقنا⁽²⁾.

ص: 216

1- (1) الكافي 7: 423. شرح نهج البلاغة 1: 18، 140. بحار الأنوار 30: 675، ب 9.

2- (3) كتاب سليم بن قيس 2: 579.

لَمَّا وجد أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الأمة قد تقاعست عن نصرته والثبات علي موقفها الذي أبدته بحضور الرسول صلي الله عليه وآله في يوم الغدير، وجد أنَّه بين أمرين لا ثالث لهما، فإمَّا أن يرفع السيف مطالباً بحقِّه المشروع فيصاب الإسلام الذي دافع عنه طيلة حياته مع رسول الله صلي الله عليه وآله بكل غال ونفيس، أو يكظم غيظه ويصبر حفاظاً علي كرامة الدين ومصالحة للإسلام والمسلمين، قال عليه السلام: "وظفت أرثي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر علي طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، فرأيت أن الصبر علي هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذي، وفي الحلق شجى، أري تراثي نهياً" (1)، وقال أيضاً عليه السلام: "لأسالمنَّ ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلاَّ علي خاصَّة... ولئلاَّ يصاب الدين بما تكون مصيبته علي أعظم من إمرتكم هذه..." (2)

إنَّنا نقرأ في موقفه العظيم الشجاع هذا ما يوازي موقفه البطولية الكبيرة في الدفاع عن الدين بين يدي رسول الله صلي الله عليه وآله، فليس الصبر في مثل هذه المواقف المصيرية الصعبة بأقل من موقفه عليه السلام مع عمرو بن عبدود المشرك ومرحب اليهودي، لقد صبر الإمام علي عليه السلام مدة خمسة وعشرين سنة عن حقِّه في الخلافة والحاكمية علي الأمة الإسلامية ولقد أعان الخلفاء الثلاثة في الحكم لأجل مصلحة الإسلام العليا، إلي أن قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان و بقيت المدينة أيَّاماً بعد قتله والناس يلتمسون علياً عليه السلام للقيام بالأمر وفيهم وجوه من الأنصار والمهاجرين منهم طلحة وزبير وقالوا لعلي عليه السلام: قد تري ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القرى، فهات نبايعك! فقال عليه السلام: "دعوني

ص: 217

-
- 1- (1) نهج البلاغة: خ 3، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنَّما هو حديث شجون مع ابن عباس. راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 306).
- 2- (2) نهج البلاغة: خ 3، الخطبة الشقشقية.

والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول... إن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، إلا أنّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، واعلموا أنّي إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم!"(1).

وظلّ يأيي الإمام علي عليه السلام بقبول الخلافة حتي ازدحم الناس وألحوا عليه بقبولها، فقبلها وبايعوه وكان ذلك يوم 25 ذي الحجة، السنة 35 هـ -، ولولا أن تمّت الحجة علي الإمام علي عليه السلام لما قبلها، وكان قبوله للخلافة فقط لأجل الدّفاع عن المظلوم وإقامة العدل في المجتمع، وقد صرح بذلك في حديثه مع ابن عباس المعروف بخطبة الشقشقية، فقال عليه السلام: "... أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصرو ما أخذ الله علي العلماء أولياء الأمر أن لا يقرّوا علي كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها علي غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألقيتم دنياكم هذه عندي أهد من عفة عنز!..."(2).

ص: 218

1- (1) ونقله الرضوي في نهج البلاغة، الخطبة 92، وعن الطبري في الكامل وعنه في بحار الأنوار 8:32. وانظر التعليق عليه في المجلد الرابع من موسوعة التاريخ الإسلامي، وأنّ هذه الكلمة لا مصدر لها إلا الطبري عن سيف بن عمر التميمي الزنديق مرسلًا.

2- (2) نهج البلاغة: خ 3، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس، والذي تكلم الإمام به بعد شهادة محمد بن أبي بكر في قرية الرّحبة التي تبعد عن الكوفة بأربعة فراسخ نحو القادسية، وكان رجل من أهل السواد (العراق)، قد حضر عند الإمام عليه السلام ومعه كتاب إليه، فتوقّف الإمام عليه السلام عن كلامه وتناول الكتاب وقراه، فلمّا فرغ منه قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين؛ لو أطردت مقاتلك من حيث أقضيت! فقال عليه السلام: هيهات - يابن عباس - تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت، وشبّه الإمام كلامه بالشقشقة التي تخرج من فم الإبل وهي علامة علي غضب الإبل وهياجه، فإذا فتر غضبها وهياجه قرّت، كذلك فتر ما هاج في الإمام من الحزن والألم. وكان ابن عباس يقول: فما أسفت علي كلام كأسفي علي كلام أمير المؤمنين إذ لم يبلغ به حيث أراد. راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 5:306، نقلاً عن علل الشرائع ومعاني الأخبار، وإرشاد المفيد).

ويري أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الحكم والمنصب والخلافة ليس إلا وسيلة يستخدمها الحاكم لخدمة الناس وإحقاق الحق، ودحض الباطل لا أنه غاية لدرّ الأرباح، وقد التزم الإمام بهذه الرؤية إلى أبعد الحدود حتى نراه يجتنب عن إعطاء المهام الحساسة كالولاية وبيت المال إلى المتعطّشين للسلطة كطلحة والزبير، ولهذا السبب فقد أجبوا نائرة الفتن، ورفعوا لواء العصيان ضد الإمام عليه السلام، ولذا كان يقول عليه السلام: " اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك "(1).

المبايعون لعلي والمتخلفون عنه

روي الطبري عن أهل الكوفة كانوا يقولون: كان مالك الأشتر أوّل من بايع عليّاً، فقام إليه وأخذ بيده فقبضها! فقال: أبعد ثلاثة (أيام)! ثمّ بايعه (2)، ثمّ قام والتفت إلى الناس وقال لهم: أيّها الناس، هذا وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنته الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل (3).

وروي المفيد عن الثقفى بسنده عن زيد بن أسلم الأنصاري قال: ثمّ بايعه الناس علي المنبر، أوّلهم طلحة بن عبيد الله صعد المنبر فصفق علي يد عليّ بيده وهي شلاء (من يوم أحد) فقال رجل أسدي: إنا لله وإنا إليه راجعون، أوّل يد صفقت علي يده

ص: 219

1- (1) نهج البلاغة: الخطبة 131.

2- (2) الطبري 4: 433، وجاء في الإمامة والسياسة: 46.

3- (3) تاريخ يعقوبي 2: 179.

شلاء! يوشك أن لا يتم هذا الأمر، ثمَّ بايع الزبير، وبايعه الناس بعدهما(1). وكان الذي يأخذ عليهم البيعة: عمَّار بن ياسر وأبو الهيثم ابن التيهان، وهما يقولان لهم: نبايعكم علي طاعة الله وسنة رسوله، وإن لم نفِّ لكم فلا طاعة لنا عليكم، ولا بيعة في أعناقكم، والقرآن اماننا وامامكم(2).

ووصف علي عليه السلام تلك البيعة بوصفل جميل فقال: " جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتهم، ومددتموها فقبضتها، ثمَّ تداكتم علي تداكُّ الهيم علي حياضها يوم ورودها، وازدحمت علي حتي ظننت أنَّ بعضكم قاتل بعضاً أو أنَّكم قاتلي، وحتى انقطع النعل وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيتي أن حُمل إليها الصغير وخرج إليها الكبير،... فبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مختيرين"(3).

وقام قوم من الأنصار فتكلّموا... فكان أوّل من تكلم خطيبهم ثابت بن قيس الأنصاري، قام فقال: " يا أمير المؤمنين؛ والله لئن كانوا تقدّموك في الولاية فما تقدّموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنتم لا يخفي موضعك ولا يُجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلي أحد مع علمك. وقام صعصعة بن صوحان العبدي فقال: يا أمير المؤمنين؛ والله لقد زيّنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها"(4).

ص: 220

1- (1) الجمل للمفيد: 130.

2- (2) أمالي الطوسي: 727، الحديث 1530، م 44.

3- (3) أمالي الطوسي: 718، الحديث 1518 عن الباقر عليه السلام.

4- (4) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 4: 435.

وامتنع قوم عن البيعة لعلي عليه السلام من القرشيين وأصحاب الوجاهات والطامعين بالحكم، فهم يحقدون عليه إما حسداً وإما انتقاماً لزعامته ونفوذه وجاهه يرغبون فيها فكان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخفي أن مرد ذلك كله لأن علياً عليه السلام لم يهادن أحداً علي حساب الإسلام، أو يستعمل قرشاً واحداً من بيت المال في غير موضعه، فكان من الطبيعي أن تعترضه المشاكل من هنا وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس علي كتاب الله وستة رسوله وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل.

قال المسعودي: قعد عن بيعته جماعة عثمانية خرجوا عن أمره، منهم: أهبان (وهب) بن صيفي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن عمر، وقدامة بن مظعون (المطعون بشرب الخمر) والمغيرة بن شعبة. ومن الأنصار: أبو سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وزيد بن ثابت، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، والنعمان بن بشير، ومحمد بن مسلمة ومسلمة بن خالد، وحسان بن ثابت وكعب بن مالك الشاعران. ثم نقل عن أبي مخنف: أن هذين وآخرين من العثمانية أتوا علياً عليه السلام، وتكلم كعب بن عجرة كلاماً كثيراً قال فيه: يا أمير المؤمنين، من أعتب فليس مسيئاً، وخير كفر محاه عذر... ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعاً (1) وعليه فهم متخلفون عن القتال لا البيعة (2).

وبعد البيعة بدأ أمير المؤمنين عليه السلام من يومه الأول للخلافة يجتد قواه للإصلاح ويقوم ما أعوج من شؤون الناس، فإذا هو يعزل الولاة من عمال عثمان واحداً بعد واحد، وهو لا يري فيهم من يصلح للبقاء في عمله، إلا القليل، ولذا كانت بيعة الناس لأمر المؤمنين عليه السلام بمنزلة صاعقة حلت بقريش وكل من يكف العداة للإسلام،

ص: 221

1- (1) مروج الذهب 2: 353، 354، المعيار والموازنة للإسكافي: 106.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 4: 439.

فحكومة الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله صلي الله عليه وآله التي أذلت الظلم والعدوان والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة والحق والفضيلة.

معطيات خلافة الإمام علي عليه السلام

سيرة الإمام علي عليه السلام متعدّدة الأبعاد والجوانب، فمن العسير بمكان الإمام بها جميعاً غير أننا اخترنا جانباً مهماً، وبعداً عميقاً في شخصيته المباركة ألا وهو معطيات حكومته التي أسسها علي أنقاض من سبقه، حيث أنّ الاضطرابات السياسية والاقتصادية عصفت بالمسلمين إلي أن ثاروا علي ولاتهم، وبعدها اتجه الناس نحو الإمام علي عليه السلام، وبايعوه بالخلافة علي المسلمين.

وهذا الحكم الذي مارسه الإمام علي عليه السلام علي الرغم من قصر عمره إلا أنّه كان نموذجاً كاملاً للحكومة الإسلامية التي أشاد صرحها النبي صلي الله عليه وآله في المدينة، وعلي الرغم من أنّه عليه السلام لم يصل إلي كافة أهدافه الاصلاحية التي نادي بها، نتيجة المؤامرات الداخلية التي حيكت ضده إلا أنّه استطاع بدون شك أن يطرح نموذجاً ناجحاً للحكومة، وفق تعاليم الإسلام ومعاييره، وكانت جميع الثورات التي ثارت علي الدولتين الأموية والعباسية للوصول إلي حكومة الإمام علي عليه السلام، وإلي عدالته التي تذوّقها المسلمون فترة من الزمن، ثمّ غابت عنهم شمسها لتقصيرهم وجهلهم.

وفيما يلي لمحة سريعة للخطوط العريضة والمعطيات العامة لسيرته عليه السلام في الحكم والتي ما عرف المسلمون بعد رسول الله صلي الله عليه وآله مثلها أبداً:

أولاً: من خلال أقوال الإمام علي عليه السلام الكثيرة يؤكد أنّ قبوله للخلافة فقط لأجل إجراء العدالة الاجتماعية في المجتمع، ومكافحة الفوارق الطبقيّة التي تجذّرت في نفوس الناس، نتيجة للحكم السابق، فقد قال عليه السلام: "أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا... ما أخذ الله علي العلماء أن لا يقاروا علي كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها علي

غاربها" (1). وقال عليه السلام عندما رد علي المسلمين قطائع عثمان: " والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق" (2).

وثانياً: يري أمير المؤمنين عليه السلام أن الحكم والمنصب ليس إلا- وسيلة يستخدمها الحاكم لخدمة الناس وإحقاق الحق، ودحض الباطل لا أنه غاية لدرّ الأرباح، وقد إلتم الإمام بهذه الرؤية إلي أبعد الحدود حتي نراه يجتنب عن إعطاء المهام الحساسة كالولاية وبيت المال إلي المتعطّشين للسلطة كطلحة والزبير، ولهذا السبب فقد أجبوا نائرة الفتن، ورفعوا لواء العصيان ضد الإمام عليه السلام، وقال عليه السلام: " اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لند المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك" (3).

وثالثاً: "كانت لأمير المؤمنين عليه السلام رؤيا عميقة في زهادة الحاكم وعيشة البساطة والعزوف عن الدنيا، ولقد كان عزوفه عن الدنيا وزخارفها من أبرز خصائصه الذاتية، وسيرته الحكومية فقد كتب إلي عامله علي البصرة عثمان بن حنيف، وقد بلغه أنه دعي إلي وليمة قوم من أهلها فمضني إليها، فقال له: "ألا- وإن إمامكم قد اكتفي من دنياه بطمريه ثوبين خرقين، ومن طعامه بقرصيه،... فوالله ما كنت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفرأ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً (أي ثوباً آخر)، ولا حزت من أرضها شبراً... ولو شئت لاهتديت الطريق إلي مصفي هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلي تخير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا

ص: 223

1- (1) نهج البلاغة: الخطبة 3.

2- (2) نهج البلاغة: 99.

3- (3) نهج البلاغة: خ 131.

طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي، وأكباد حري، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنُّ إلي القدِّ

أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش" (1).

ورابعاً: علي الرغم من أن الإمام عليه السلام كان ينصب عمالاً وولاءةً صالحين وكفوئين، إلا أنه كان لا يحرمهم من نصائحه ومواعظه، علي الرغم من انشغاله في الحوادث المتكاثرة عليه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً، كما كان له عيون علي الولاية في مناطقهم ينقلون إليه كل مخالفة ولو جزئية للوالي فسرعان ما يبدأ بالتقريع والتوبيخ والتهديد في بعض الأحيان لقمعها ومعالجتها، راجع قسم الكتب في (نهج البلاغة) تري ما كتبه لمالك الأشتر، ولمحمد بن أبي بكر، وعثمان بن حنيف، ولزياد بن أبيه، ولغيرهم.

وخامساً: كان الإمام عليه السلام يراعي الأصول والضوابط في تعامله حتّي مع أعدائه ومخالفيه، دون أن يصادر حرياتهم، أو يدهنهم إلا إذا فعلوا ما يستوجب ذلك، ففي الأشهر الأولى من خلافته همّ طلحة والزبير بالخروج، من المدينة، بعد أن يسا منه في الحصول علي الولاية، وأقبل علي الإمام، وقالوا: إنا نريد العمرة. فأذن لهما بالخروج فقال عليه السلام لبعض أصحابه: "والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة" (2).

و لم يقرّ معاوية من اليوم الأوّل لخلافته علي ولاية الشام، علي الرغم من أنّ البعض اقترح عليه إقراره إلي حين، ثمّ عزله في وقت أمكن، إلا أنّ علياً عليه السلام لم يكن ليدهن

ص:224

1- (1) نهج البلاغة: كتاب 45.

2- (2) تاريخ يعقوبي 2:180.

الباطل علي الحق، ولا يتوسل به عليه، إذ لم يكن أمير المؤمنين علي منوال الزعماء والرؤساء حيث عندهم الغاية تبرر الوسيلة، وقد كتب إلي معاوية بعد ما طلب الأخير إبقاءه علي الشام، قال عليه السلام: "... وحاشي لله أن تلي للمسلمين بعدي صدرأ أو وردأ، أو أجري لك علي أحد منهم عقداً أو عهداً" (1).

وقد كان كل من طلحة والزبير يري نفسه قريناً لأمير المؤمنين عليه السلام، بعدما رشّحهما عمر للخلافة فكان يتوقع كل منهما أن يلي حكومة جزء كبير من البلاد الإسلامية علي أقل تقدير، وكان معاوية يتصرّف في الشام تصرف الحاكم المطلق المتفرد والطامع في الخلافة، من هنا اجتمعت آراؤهم وأهواؤهم علي إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم العادل للإمام عليه السلام (2).

ولم يكن تمرّد بعض الفئات من المسلمين علي حكم الإمام عليّ عليه السلام غريباً؛ فقد أخبره النبي صلي الله عليه وآله بذلك، وعهد إليه بقتالهم في قوله صلي الله عليه وآله: "يا علي ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي" (3). فبعد مقتل الخليفة عثمان ومبايعة المسلمين الإمام علياً عليه السلام، جعل أولئك الذين تمنوا الموت للخليفة عثمان، وحرضوا الناس ضده حتي أودوا بحياته، جعلهم متحدين يطالبون بدمه، خرجوا إلي مكة بحجّة العمرة ومنها إلي البصرة وفيها وقعت حرب الجمل في الخامس عشر من شهر جمادي الأولي أو الثانية سنة 36 للهجرة حيث خلّفت نتائج سلبية علي واقع المجتمع الاسلامي وشاعت الأحقاد بين المسلمين، وفتحت باب الحرب والإقتال فيما بينهم، فأطلّ معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة الانحراف، فشنّ حرب صيفين علي الإمام بعد مضي سنة من حرب الجمل، وتلاها حرب الخوارج علي الإمام في النهروان وقد وقعتا في شهر صفر

ص: 225

1- (1) نهج البلاغة: كتاب 65.

2- (2) راجع: تاريخ بغداد 8: 340، مجمع الزوائد 9: 235، وكنز العمال 6: 82.

3- (3) شرح نهج البلاغة 18: 23، ب 65، بحار الأنوار 31: 435، ب 27، وج 311: 32، ب 7.

ووقد أشار الإمام إلي تلك الحروب الثلاث في خطبته المعروفة بالشقشقية "...فلَمَّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وقسطت أُخري، ومرق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) 1، بلي والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن حليت دنياهم في أعينهم وراقهم زبرجها!"(1).

ص:226

1- (2) نهج البلاغة: خ 3، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس، راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 5:306).

بعد مقتل عثمان ومبايعة المسلمين للإمام علي عليه السلام، اخذت الأمور مجري آخر، حيث أن عدالة أمير المؤمنين عليه السلام وتمسكه بالإسلام المحمدي الأصيل كانت لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز، وملكوا العبيد والإماء وامتلكوا الضياع وبنوا القصور من أموال المسلمين، فقاموا متحدين لمقاومة عدالة الإمام عليه السلام التي لا تكتفي بحرمانهم مما ألقوه ومن استمراهم للنهب، بل ستأخذ منهم حتى تلك الأموال التي نالوها بطريقة غير مشروعة، وجعل أولئك الذين تمنوا الموت لعثمان، وحرصوا الناس ضده حتى أودوا بحياته، جعلهم يطالبون بدمه، حيث اتفق طلحة والزبير ومعهما عائشة زوج النبي صلي الله عليه وآله، وخرجوا إلي البصرة لجمع الأنصار وإثارة الفتنة، خروجاً علي إمام زمانهم.

وقد بذل الإمام عليه السلام جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأل جهداً في بذل النصيح لهم، وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه إحدى نصائحه لطلحة والزبير إذ يقول:

"أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما إني لم أرد الناس حتي أراذوني ولم أبايعهم حتي بايعوني وأنكما ممن أراذني وبايعني وإن العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لعرض حاضر فإن كنتما بايعتما طائعين فارجعا وتوبا إلي الله من قريب وإن كنتما بايعتما كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراكما المعصية... وقد زعمتما أنني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام"⁽¹⁾.

ص: 227

وفي البصرة - المكان الذي دار فيه القتال - استمرَّ الإمام علي عليه السلام يبذل نصحه من أجل حقن الدماء فأرسل إلي الناكثين يدعوهم للصلح، والتقي بالزبير، وذكره بما قال النبي عليه السلام يوم قال: لا يدع ابن أبي طالب زهوه. فقال له النبي صلي الله عليه وآله: "... مهلاً يا زبير ليس بعلي زهوه، ولتخرجنَّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟!!" (1) فقال الزبير للإمام: بلي ولكنني نسيت ذلك، وبعد أن تذكر ما ذكره الإمام به، انصرف إلي خارج البصرة، ولم يحارب، فقتله ابن جرموز ودفنه في وادي السباع.

وبعد أن فشلت المحاولات لإخماد الفتنة التي أثارها الناكثون في البصرة تفجَّرَ الموقف وأعلن القتال بين جيش الإمام علي عليه السلام وجيش الناكثين، لكن الإمام ظلَّ ملتزماً بالصبر والأناة، وبما امتاز به من الروح الإنسانية، موضَّحاً لجماعته أحكام الشريعة الإسلامية في حق البغاة، ثمَّ دعا ربه متسجيراً من الفتنة.

أما عن مصير طلحة فقد جاءه سهم عند الهزيمة لا يُعرف راميهِ فجرحه ثمَّ مات، وأسفرت هذه الفتنة عن قتل (10 آلاف) من جيش الناكثين و (5 آلاف) من جيش الإمام عليه السلام، وقد جرت المعركة في (10 جمادي الأولي)، وقيل العاشر من جمادي الثانية سنة (36 هـ -) وسميت بحرب الجمل لأنَّ عائشة كانت تركب فيها جملًا.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بانتصار ساحق علي أهل الجمل أعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين فيها، وإنَّه حقاً موقف جسَّد فيه روح العفو والصفح، ومبادلة الإساءة بالإحسان، ثمَّ واصل الإمام عليه السلام خطواته الإنسانية إزاء الناكثين، إذ قام بإعادة عائشة إلي المدينة المنورة معززةً مُكرَّمةً علي الرغم من موقفها المعاند لأمير المؤمنين عليه السلام.

وبعد أن أنهى أمير المؤمنين عليه السلام حرب الجمل، تحرَّك نحو الكوفة ليتخذها مقرّاً له بعد أن بعث برسالة أوضح لأهل الكوفة فيها تفاصيل الأحداث.

ص: 228

بعد أن أنهى أمير المؤمنين علي عليه السلام حرب الجمل، وهدأت الأوضاع في البصرة تحرك عليه السلام نحو الكوفة واتخذها مقراً لحكومته وكان ذلك في الثاني عشر من شهر رجب السنة 36 للهجرة(1). وكان لإختيار الإمام عليه السلام الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباباً عديدة منها:

- 1 - توسع رقعة العالم الإسلامي، ولا بد أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين الحكومة في التحرك نحو جميع نقاط العالم، وموقع الكوفة استراتيجي إلي حد كبير بالنسبة إلي هذه الجهة.
- 2 - تقع الكوفة في تماس مع ولاية الشام التي يتحصن فيها معاوية بن أبي سفيان معلناً التمرد دون باقي أقطار العالم الإسلامي، فيكون وجود الإمام عليه السلام في الكوفة ضرورياً لقمع تمرد الشام، ولتهيئة السريعة أمام أي اعتداءٍ محتمل من قبل الشام.
- 3 - إن الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام عليه السلام في القضاء علي فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها، فكان عليه السلام يري فيهم مادةً صالحةً لمجتمع إسلامي سليم وقوي بإمكانه أن يربهم لينطلق بهم إلي العالم أجمع.
- 4 - إن الظروف السياسية المتوترة والناجمة عن مقتل عثمان، وحرب أصحاب الجمل جعلت الإمام يستقر في الكوفة ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة التي يحكمها، وخاصة العراق ويمنع من حدوث انشقاقات محتملة في المجتمع الإسلامي بشكل عام.

ص:229

كان ابتداء القتال بصفّين في أوّل يوم من صفر سنة (37 للهجرة)، وذلك عند نهر الفرات في وادي صفين قرب الرّقة، ويذكر المؤرخون أنّه لمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام علي المسير لقتال معاوية ومن معه من أهل الشام، خطب في أصحابه، وممّا جاء في كلامه بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة علي رسوله صلي الله عليه وآله: "... اتقوا الله - عباد الله - وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإنّ الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإنّ الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقّي، ناكثاً لبيعتي، طاعناً في دين الله عز وجل..... فالعجب من معاوية بن أبي سفيان، ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة ويزعم أنّه أحقّ بها مني، جرأة منه علي الله وعلي رسوله، بغير حقّ له فيها ولا حجة، لم يبايعه عليها المهاجرون، ولا سلّم له الأنصار والمسلمون..." (1).

وخطب الإمام خطبة أخرى في جيشه فقال: "إنّ الله عزّ وجل قد دلّكم علي تجارة تنجيكم من العذاب، وتُشفي بكم علي الخير: إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، وأخبركم بالذي يحبّ فقال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) 2... وإيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة فلا تسلمون من سيف الآخرة! استعينوا بالصدق والصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر" (2).

ص: 230

1- (1) الإرشاد 1: 263.

2- (3) وقعة صفين: 235-236، والكافي 5: 39، والإرشاد للمفيد 1: 265-266.

وقد كشف معاوية عن نواياه العدائية، عندما بادر إلي الاستيلاء علي الماء، وحال بينه وبين أهل العراق، فأضرب بهم العطش، فأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام: "إنا لم نأت هذه الأرض لنسيطر علي الماء والكلأ، ولو سبقناكم إليه، لا نمنعكم منه".

ولكن لم تجد هذه الكلمات آذاناً صاغية من الطرف المقابل، ما اضطرّ علياً عليه السلام إلي استعمال القوة لإنقاذ عشرات الألوف ممّن كان معه من الموت عطشاً، فأرسل الأشتر رضي الله عنه في كتيبة من عسكره فأظهروا من البسالة ما أبهر جيش معاوية وأجبرهم علي الانسحاب، فاستعاد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الماء من أهل الشام، وهنا ظهرت سماحة الإمام عليه السلام حيث حاول بعض أصحابه إقناعه أن يقابل أهل الشام بالمثل ويمنع عنهم الماء، فأبي عليه السلام عليهم أشدّ الإباء(1)، فبقي الجيشان ينهلان من الماء علي قدم المساواة، واستمرت جهود الإمام عليه السلام في حلّ النزاع سلمياً كما يظهر ذلك من أكثر المرويات في هذا المجال، ولكن جهود الإمام عليه السلام ذهبت سديّ، بعد أن واصل أصحاب معاوية استفزازاتهم، وغاراتهم حتي أوقعوا في أصحاب الإمام عدداً من القتلي، عندها أذن الإمام بالقتال العام من مطلع الفجر ليوم الخميس التاسع من صفر حيث بادر الإمام بصلاة الفجر، ثمّ خرج بالناس فزحف بهم ودعا بدعاء طويل وقال في آخره: "إن أظهرتنا علي عدوّنا فجبّنا البغي وسدّدنا للحقّ وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة"(2)، وفي هذا اليوم اشتدّ الحرب واستشهد عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وهاشم المرقال وعصابة من القرّاء وغيرهم.

وأرسل الإمام عليه السلام إلي معاوية: أن ابرز لي وأعف الفريقين من القتال، فأبينا قتل صاحبه كان له الأمر، وعلم ابن العاص بذلك فقال: لقد أنصفك الرجل! فقال معاوية:

ص: 231

1- (1) مروج الذهب 2:384، شرح النهج لابن أبي الحديد 3:320، والكامل في التاريخ 3:283.

2- (2) وقعة صفين: 232.

إني لأكره أن أبارز الشجاع الأهوج، لعلك طمعت فيهايا عمرو! ثم أرسل إلي أهل الكوفة والبصرة أن يحملوا، فحمل الناس من كل جانب فاقتلوا قتالا شديداً، ثم حملت خيل علي عليه السلام علي صفوف أهل الشام فقوّضت صفوفهم(1).

شهادة الصحابي عمار رضي الله عنه

(2)

كان عمار بن ياسر رضي الله عنه من السابقين الأولين هاجر الهجرتين إلي الحبشة والمدينة وصلي إلي القبلتين وشهد بدرًا واليمامة وأبلي فيهما بلاءً حسناً وكان هو وأمه ممتن عذبوا في الله فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، فنزل فيه: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) 3. وقال رسول الله صلي الله عليه وآله كما رواه ابن حجر في الإصابة: "من عادي عماراً أعاده الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله"(3). وقيل لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية (يعني عماراً) فإنه لن يفارق الحق حتي يموت. ولمّا كان يوم صفين خرج عمار إلي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: "يا أبا رسول الله أتأذن لي في القتال. فقال عليه السلام: "مهلاً رحمك الله". فلمّا كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاده ثالثاً فبكي أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه عمار فقال: "يا أمير المؤمنين إنّه اليوم الذي وصفه لي رسول الله صلي الله عليه وآله"، فنزل أمير المؤمنين عليه السلام عن بغلته وعانق عماراً وودّعه وبكي ثم قال: "يا أبا اليقظان جزاك الله عنّا وعن نبيك خيراً فنعم الأخ كنت

ص: 232

1- (1) وقعة صفين: 388.

2- (2) إستشهد عمار في معركة صفين في (9 / صفر / السنة 37 هـ -)، واليوم فقد تحوّل مكان استشهاده رضي الله عنه إلي مزار يؤمّه المحبّون، وذلك في مدينة الرقة السورية في منطقة صفين، وقد حاز هذا المقام اهتماماً بالغاً من قبل الجمهورية الإسلامية حيث تمّ بناؤه وتشبيده علي أحسن ما يكون، ليكون معلماً لمظلوميته ومظلومية مولاة أمير المؤمنين عليه السلام.

3- (4) وقعة صفين: 341، بحار الأنوار 31: 196.

ونعم الصاحب كنت "، ثمّ ركب عمّار وبرز إلي القتال وكان قد جاوز التسعين، وأنشأ يقول:

نحن ضربناكم علي تنزيله فاليوم نضربكم علي تأويله(1)

واشتدّ به العطش فاستقي فأتي إليه بلبن فشربه، ثمّ قال: " هكذا عهد إلي رسول الله صلي الله عليه وآله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن"، وحمل عليه أبو العادية الفزاري فطعنه برمحه واحتزّ رأسه ابن جون السكسكي، وقال المسعودي: وكان قتلُه عند المساء، ولم يغسله علي عليه السلام وصلي عليه ودفنه في صقّين(2).

وتواترت الأحاديث عن النبي صلي الله عليه وآله " إن عمّاراً تقتله الفئة الباغية " فلما قُتل عمّار ارتعدت فرائص خلق كثير، فدخل عمرو بن العاص علي معاوية، وقال له: يا أمير، قد هاج الناس واضطربوا! قال: لماذا؟ قال: لقتل عمّار بن ياسر، قال معاوية: قُتل عمّار فماذا؟! قال: ليس قال رسول الله صلي الله عليه وآله: " عمّار تقتله الفئة الباغية"؟! فقال معاوية: إنَّما قتله من جاء به إلي الحرب، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص حاضراً فقال: فكذلك حمزة يوم أحد إنَّما قتله النبي صلي الله عليه وآله. فالتفت معاوية إلي عمرو، وقال له: نحّ عتّا ابنك هذا المؤسوس الذي لا يدري ما يقول(3).

ونقل ابن قتيبة عن معاوية تأويلاً آخر أشنع من هذا المعني للباغية، قال: ثمّ التفت معاوية إلي أهل الشام فقال لهم: إنَّما نحن الفئة الباغية التي تبغي دم عثمان(4)، أي تطالب به.

ص: 233

1- (1) وقعة صفين: 341.

2- (2) مروج الذهب: 2: 381.

3- (3) الفتوح لابن الأعمش الكوفي: 3: 268.

4- (4) الإمامة والسياسة: 126.

تفاجأ معاوية ومن معه من بسالة أصحاب الإمام عليه السلام في الدفاع عن الحق، وفيهم أكبر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونتيجة لذلك انهيار عسكر معاوية، وأوشك جيش العراق أن يحتل مضارب معاوية ويقبض عليه حياً حتَّى إنَّه دعا بفرسه لينجو، فتذكر مستشاره عمرو ابن العاص، فلجأ إليه لينقذه من هذه الورطة فأشار عليه برفع المصاحف علي أسنَّة الرماح فكان ما أراد وارتفعت الأصوات من ناحية عسكر معاوية: "يا أهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم فهلّمُّوا إلي العمل به"، فانطلقت الحيلة علي ضعاف النفوس والخونة المنبثين في جيش علي عليه السلام، وضموا أصواتهم إلي أصوات أصحاب معاوية لمنع علي عليه السلام وأصحابه المخلصين من الاستمرار في القتال والقضاء علي رأس الفتنة، وخطب أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله فقال لأصحابه: "... عباد الله! امضوا علي حَقِّكم وصدقكم وقاتل عدوكم، فإنَّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط... ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثمَّ رجالاً فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال، وَيَحْكُمُ! والله ما رفعوها إلَّا خديعةً ووهناً ومكيدهً، إنَّها كلمة حقِّ يراد بها باطل،... " وكان في ساحة المعركة مالك الأشر يقاتل ببسالة ويقين حتَّى كاد أن يصل إلي معاوية فقالوا لأمير المؤمنين: ابعث الي الأشر ليأتيك... ولكنَّ الأشر لم يثن عن عزمه في القتال، لأنَّه يعلم أنَّ الأمر خدعة فهَدَّوه بقتل الإمام عليه السلام، فعاد الأشر يؤنَّبهم فقال لهم: " يا أصحاب الجباه السود كُنَّا نظن أنَّ صلاتكم زهادة الي الدنيا وشوق إلي لقاء الله، فلا أري فراركم إلَّا إلي الدنيا من الموت خُدعتم والله فانخدعتم ودُعيتم إلي وضع الحرب فأجبتكم". وإزاء هذا الوضع الخطير، لم يجد أمير المؤمنين عليه السلام أمامه إلا خيارين أحلاهما مر: إمَّا المضي بالقتال، وهذا يعني أنَّه سيقاتل ثلاثة أرباع جيشه وأهل الشام بأجمعهم، وإمَّا

القبول بالتحكيم وهو أهون الشرين وقد أدلي عليه السلام بما مني به بقوله: " لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت بالأمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً" (1)

مرحلة التحكيم

لم تكن مرحلة التحكيم بأيسر من مرحلة القتال علي أمير المؤمنين عليه السلام. فبعد أن اجتمعت كلمة أهل الشام علي اختيار عمرو بن العاص كمندوب لهم للتفاوض، اختلف أهل العراق مع علي عليه السلام علي اختيار مندوب لهم، فقد كان رأيه عليه السلام وعدة من أصحابه اختيار أحد الثلاثة عبد الله بن عباس، أو مالك الأشر، أو الأحنف بن قيس، وكانوا من أفضل المرشحين، ولكن الكثرة الغالبة من ضعاف النفوس التي انطلت عليهم خديعة رفع المصاحف، رفضوا هؤلاء الثلاثة وأصروا علي ترشيح أبي موسى الأشعري، فخشي الإمام أن تدب الفتنة مرة أخرى في صفوف جيشه فاضطرَّ لقبول مرشحهم، ولكن قال لهم الامام عليه السلام: " إنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إنني لا أري أن أولي أبا موسى فإنه ليس بثقة، قد فارقتي وخذّل الناس عني (بالكوفة في حرب الجمل)".

وعند اجتماع الطرفين للاتفاق علي بنود التحكيم ظهرت نوايا معاوية المبيتة، عندما رفض إدراج صفة أمير المؤمنين خلف اسم الإمام عليه السلام حيث جاء في الكتب المعتمدة أنّهم حينما شرعوا في كتابة بنود الاتفاق كتب الكاتب: " هذا ما تقاضي عليه أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان"، فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، ولا تسمّه بإمرة المؤمنين، فإنّما هذا أمير هؤلاء وليس بأمرنا، فقال له الأحنف بن قيس: لا تمح هذا

ص:235

1- (1) نهج البلاغة الخطبة 208، وراجع وقعة صفين: 481، وتاريخ الطبري: 4:34.

الاسم، فإني أتخوَّف إن محوته لا- يرجع إليك أبداً. فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار، فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل والله إنِّي لكاتب رسول الله صلي الله عليه وآله يوم الحديبية وقد أملي علي: هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال له سهيل: امح رسول الله، فإننا لا نقر لك بذلك، ولا نشهد لك بذلك، اكتب اسمك واسم أبيك، فامتنعت من محوه"، فقال النبي صلي الله عليه وآله: "امحه يا علي، وستدعي إلي مثلها فتجيب وأنت علي مضمض...".

وتم الكتاب بين الطرفين ووقعه من كل منهما عشرة من قاداتهم ووجهائهم، ويتلخص مضمونه بأن يقفوا عند أحكام الله ويرجعوا إلي حكم الكتاب فيما يختلفون فيه، وإلي سنة رسول الله صلي الله عليه وآله فيما لم يجدوا حكمه في الكتاب، والتزم علي ومعاوية ومن يتبعهما بما يحكم به الحكماء، وأن يجتمع الحكماء في مكان بين الشام والحجاز يدعي (دومة الجندل)، وأن لا يحضر معهما إلا من أرادوه.

هذا وانتهت وقعة صفين وقد أُصيب من أهل العراق في صفين خمسة وعشرون ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً وقام الناس لدفن قتلاهم(1).

الحكماء في دومة الجندل

حان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، وهو شهر رمضان، فأرسل الإمام عليه السلام أربعمئة رجل عليهم شريح بن هاني، وبعث معهم عبد الله بن عباس ليصلي بهم ويولي امورهم وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة رجل

ص:236

1- (1) راجع: وقعة صفين: 558، ومثله في تاريخ خليفة: 117، وكذلك في أنساب الأشراف 2:322، ومروج الذهب 2:394 عن أبي مخنف وغيره.

من أهل الشام حتي توافوا في دومة الجندل، واجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص، والأول يحمل الغباء السياسي وضعف الانتماء العقائدي وقلة الولاء لإمامه علي عليه السلام والثاني هو الماكر المخادع ذو السجية الغادرة والطامع إلي إقصاء خط أهل البيت عليهم السلام تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك وشركته مع الطليق ابن الطليق معاوية. ولم يطل الاجتماع طويلاً حتي اتفق الإثنان في اجتماع مغلق علي خلع الإمام علي عليه السلام ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين، واختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

وبادر ابن عباس محدراً الأشعري، فقال له: ويحك، والله إنني لأظنه قد خدعك إن اتفقتما علي أمر، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تكلم أنت بعده، فإنّ عمراً رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب وخلع الإمام علياً عليه السلام، ثمّ انبري عمرو فخطب وأكد خلع الإمام عليه السلام وثبت معاوية لولاية الأمر (1)، وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر، وعاد إليه أهل الشام يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، وأمّا أهل العراق فغرقوا في الفتنة وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، وهرب أبو موسى إلي مكّة، ورجع ابن عباس وشريح إلي الإمام علي عليه السلام.

وتشير بعض الروايات إلي أن إقصاء أمير المؤمنين عن الخلافة كان أمراً مفروغاً منه لدي الطرفين، ولكن الخلاف كان علي البديل، فقد اقترح أبو موسى الأشعري عبد الله بن عمر بن الخطاب، فردّ عليه ابن العاص بأنّ عثمان بن عفان قتل مظلوماً و معاوية وليه، ومضى ابن العاص يغريه بالسلطة إن هو وافق معه علي أن تكون الخلافة

ص: 237

1- (1)، تاريخ الطبري 4: 52، ومروج الذهب 2: 411، و الكامل في التاريخ 3: 322

لمعاوية، وبعد حوار طويل بين الطرفين استطاع ابن العاص أن يخدعه فأظهر له موافقته علي إقصائهما معاً وترك الأمر للمسلمين يختارون لأنفسهم من يريدون، وكان ما أراده ابن العاص فخلع أبو موسى علياً وأثبت ابن العاص معاوية، وانتهت مهزلة التحكيم علي هذا النحو كما يرويها المؤرخون(1).

الإمام علي عليه السلام في الكوفة

أقام الإمام في صفين بعد إعلان الهدنة وكتابة بنود الاتفاق يومين أو ثلاثة مشغولاً بتهدئة الخواطر والنفوس، ودفن القتلي من أصحابه، ثم خرج بعدها متوجّهاً إلي الكوفة، فدخل الإمام عليه السلام فرأى لوعة وبكاء، قد سادت جميع أرجائها حزناً علي من قتل في صفين، واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام عليه السلام، ولم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء، وجعلوا أميرهم علي القتال شيث بن ربيعي، وعلي الصلاة عبد الله بن الكواء الشكري، وخلعوا بيعة الإمام عليه السلام يدعون الي جعل الأمر شورى بين المسلمين... وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة المودعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا وقالوا: لا حكم إلا لله، واتخذوه شعاراً لهم رغم أنهم هم الذين أصرّوا علي الإمام عليه السلام لقبول التحكيم، وقد سعي أمير المؤمنين لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس وأمره أن لا يعجل في الخوض معهم في جدال وخصومة، ولحقه الإمام عليه السلام فكلّمهم وحاججهم وفتّد كلّ دعاويهم، فاستجابوا له ودخلوا معه الي الكوفة ولكن استمروا بأفكارهم وعداوتهم لأمر المؤمنين عليه السلام حيث اجتمعوا في النهروان للقيام ضده(2).

ص: 238

-
- 1- (1) راجع: وقعة صفين: 499، تاريخ الطبري 4: 36، وشرح النهج لابن أبي الحديد: 3: 320
 - 2- (2) راجع تاريخ الطبري 4: 54، و الكامل في التاريخ 3: 426.

الخوارج هم المارقون عن الدين والذين أنكروا التحكيم الذي وقع بعد معركة صفين، فاعترفوا بخطئهم في قبول التحكيم وأعلنوا توبتهم وجاءوا إلي أمير المؤمنين عليه السلام يطلبون منه أن يتراجع ويتوب كما تابوا، فلم يستجب لطلبهم لأنه لم يخطئ إنما خالفوا أمره الذي تابوا إليه الآن، فانفصلوا عنه قبل أن يدخل الكوفة في مكان يدعي حروراء، ومن أجل ذلك سمّاهم المؤرخون بالحرورية، وسمّوا بالخوارج لأنهم خرجوا علي إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أخبر النبي صلي الله عليه وآله عنهم ووصفهم بالمارقين عن الدين بقوله: " يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن ولا يجاوز حلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية" (2)، وقد رفعوا الخوارج شعار " لا- حكم إلا- لله"، وقد حاورهم أمير المؤمنين عليه السلام بالتي هي أحسن وفنّد معتقداتهم وآراءهم، إلا أنّهم لم يصغوا إلي توجيهات أمير المؤمنين عليه السلام واستمرّوا في غيهم، وتعاضم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلي معسكر الإمام علي عليه السلام، ورأوا استباحة دمائهم! (3).

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام عازماً علي عدم التعرّض لهم ابتداءً، ليمنحهم فرصة التفكير بما أقدموا عليه عسي أن يعودوا إلي الرأي السديد، فخاطبهم الإمام عليه السلام بعد أن كانت مخالفتهم سياسية، ولم تتعدى القيام بعمليات عسكرية بقوله: " أما أنّ لكم عندنا

ص:239

-
- 1- (1) النهروان موقع بين بغداد وحلوان في العراق قبل بعقوبة إلي خانقين، وفيها جرت الوقعة المعروفة بين الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج في (9 / صفر / السنة 38 هـ-).
 - 2- (2) انظر: البداية والنهاية 321:7، صحيح البخاري 21:9 باب ترك قتال الخوارج، وصحيح مسلم 2:744 الحديث 1064.
 - 3- (3) راجع: سيرة الأئمة الاثني عشر 1:441.

ثلاثاً ما صحبتهمونا: لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتي تبدوونا" (1).

ولكن هذه الفئة الخارجة عن الطاعة المارقة عن الدين تمادت في غيها فقامت بقتل الأبرياء وتهديد أمن الناس، وقد قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب وبقروا بطن زوجته الحامل، كما قتلوا نسوة من طي، وعندما أرسل إليهم الإمام عليه السلام الحارث بن مرة العبدي ليتعرف علي حقيقة موقفهم، قتلوا رسول أمير المؤمنين عليه السلام، (2) وقد جمّعوا قواتهم في النهروان لحرب أمير المؤمنين عليه السلام، وعندما قرّر الإمام عليه السلام مواجهتهم فرجع من الأنبار (حيث كان اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام) وتوجه إليهم والتقي الجيشان في النهروان فأمر الإمام عليه السلام أصحابه بالكف عنهم حتي هم يبدووا القتال، فهجم الخوارج علي جيش الإمام وتنادوا من كل جانب: "لا حكم إلا لله... الروح، الروح إلي الجنة"، وشهروا، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام، وشدّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه فما هي إلا سويغات حتي قُتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا أقل من عشرة ولم يقتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا أقل من عشرة أشخاص، وهذا من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الواقعة حيث أخبر أصحابه قبل المعركة بأنّه لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة، وكان الأمر كما أخبرهم، فلم يقتل من أصحابه إلا تسعة ولم ينج منهم إلا تسعة أو ثمانية، كما روي ذلك أكثر المؤرخين (3).

وهنا يروي المؤرخون حديث المُخدج المعروف ب - (ذي الثدية)، أحد قتلي الخوارج في هذه المعركة، حيث كان النبي صلي الله عليه و آله قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الخوارج وقتل المُخدج معهم، لذلك فإنّه بعد انتهاء المعركة فتش الإمام عليه السلام عنه وألح

ص: 240

1- (1) تاريخ الأمم والملوك 6: 41 حوادث سنة 37.

2- (2) راجع: تاريخ الطبري 4: 57، البداية والنهاية 7: 286.

3- (3) نهج البلاغة الخطبة 59، ومروج الذهب 2: 385، والبداية والنهاية 7: 319.

في طلبه حتي وجده بين القتلي فقال عليه السلام: " الله أكبر ما كذبت ولا كذبت " (1). فكانت من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام الباهرة التي أبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكارهون.

الخوارج يتآمرون علي قتل علي عليه السلام

اضطرَّ الإمام علي عليه السلام إلي تقبُّل التحكيم، ورفض الخوارج التحكيم، ولم يرضوا بالعود إلي حرب الظالم معاوية ووزيره الآثم ابن العاص، حيث استعدَّ الإمام ل حربهما، فخرج الخوارج من طاعة الإمام عليه السلام، ممَّا اضطرَّ الإمام عليه السلام إلي قتالهم. وكان من الخوارج الأخضر بن الشَّجَنَة ومعه ابنه وقُتْلا في النهروان في صفر سنة (38 هـ -)، وبقيت للأخضر ابنته قطام، وكانت ذات مسحة من الجمال دون الكمال، وبقي منهم عبدالرحمان بن عمرو المرادي المذحجي المعروف بابن ملجم (2)، وشبيب بن بُجْرة أو نجدة التميمي، و عمرو بن بكر التميمي، والبُرْكَ بن عبد الله الصريمي، ولم يكن يأمن المرادي في الكوفة فهرب منها إلي مكَّة، وهؤلاء التقوا في موسم الحج لسنة تسع وثلاثين (39 هـ -)، فلمَّا انقضى الموسم تلاقوا بمكَّة واتفقوا علي قتل الإمام عليه السلام ومعاوية وعمرو بن العاص، فقال عبد الرحمان بن عمرو الحميري التجوبي (ابن ملجم المرادي) أنا أكفيكم أمر علي! وقال البُرْكَ وهو الحجاج بن عبد الله الصريمي: أنا أقتل معاوية، وكان معهم من بني حارثة بن كعب مولا هم الفارسي زادويه أو دادويه وقد

ص: 241

-
- 1- (1) رواه المفيد في الإرشاد 1: 371، وراجع شرح نهج البلاغة 2: 276، ونقله المجلسي في بحار الأنوار 41: 283.
- 2- (2) ملجم بالكسر أي ملجم الخيل بمعنى الفارس، وليس بالفتح بمعنى الحيوان، فالعربي لا يسمي إلا بالمفترسة والسباع والحيوانات الكاسرة، يزعمون تشجيعاً. وفتح الجيم خطأ شائع. ونقل البلاذري، عن الكلبي أن أصله من حمير وتحالفوا مع مراد وقيل لهم: تجوبي راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 404).

تسمي عربياً عمرو بن بكر، فقال: أنا أقتل عمرو بن العاص. ثم مكثوا متجاورين بمكة حتى اعتمروا عمرة رجب سنة أربعين، ثم اتفقوا علي يوم التاسع عشر من شهر رمضان يكون فيه وقوع القتل بهؤلاء الثلاثة، ثم سار كل واحد منهم في طريقه، فجاء البرك إلى الشام وضرب معاوية علي أليته ففلقتها ولم يقتل فأخذ إلي معاوية فقال البرك: يا معاوية إن لك عندي بشارة! قال: وما هي؟ فأخبره بقتل علي في هذه الليلة، وقال له: احبسني عندك فإن قُتل فأنت ولي ما تراه في أمري وإن لم يُقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي فأقتله، ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم في ما تراه! فحبسه حتى يأتيه خبر علي عليه السلام (1). وكما نجا معاوية من الهلكة، كذلك أيضاً نجا صاحبه ابن العاص، والموعود هو الموعود، وقتل مكانه عند الصلاة خارجة بن حذافة العامري القرشي! وقتل عمرو التميمي قصاصاً في اليوم التالي (2).

وقدم ابن ملجم الكوفة إلي أصحابه في العشرين من شعبان سنة أربعين ونزل علي الأشعث بن قيس الكندي شهراً فواطهم علي قتل الإمام علي عليه السلام! وكان من أصحابه رجل من تيم الرباب، وكان قد قتل منهم يوم النهروان عشرة منهم الأخضر بن شحنة وابنه وقد بقي من الأخضر ابنته قطام وكانت ذات مسحة من الجمال. وزار المرادي ذلك الرجل من تيم فصادف عنده قطام فلما رآها اشتد إعجابه بها حتى التبت بعقله ونسي حاجته التي جاء لها، وخطبها فقالت له: لا أتزوجك حتى تشفي لي! قال لها: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف ديناراً وعبداً وقينة (جارية)، وقتل علي بن أبي طالب! فقال لها: هو مهر لك، وما أقدمني إليه إلا ما سألتيني من قتل علي بن أبي طالب! فلك ما

ص: 242

-
- 1- (1) الإمامة والسياسة 1: 159، وأنساب الأشراف 2: 389، الحديث 548. وراجع (موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 404).
 - 2- (2) راجع: تاريخ اليعقوبي 2: 212. الإمامة والسياسة 1: 159، مروج الذهب 2: 411، الإرشاد 1: 19، مقاتل الطالبين: 18. تاريخ الطبري 5: 144.

سألت! قالت: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك علي ذلك ويقوّيك. ثمّ فاتحت في ذلك وردان بن مجالد أو مجاشع بن وردان بن علقمة من قومها فأجابها إلي ذلك. وذهب المرادي إلي رجل من بني الأشجع من تميم كان علي رأي الخوارج يدعي شبيب بن بجرة، فقال له: يا شبيب، هل لك أن تساعدني علي قتل عليّ بن أبي طالب! ولم يزل يُكلّمه حتّي أجابه، وأخبراً قطام بذلك، وأخبرتهم أنّها تضرب قبة (خيمة) للاعتكاف في شهر رمضان في المسجد الأعظم، ولمّا كانت ليلة الأربعاء أو ليلة الجمعة التاسع عشر من شهر رمضان جاء المرادي إلي قطام وقال لها: هذه الليلة التي واعدت فيها أن أقتل عليّاً! (1).

ص:243

1- (1) راجع: تاريخ اليعقوبي 2:212. الإمامة والسياسة 1:159، مروج الذهب 2:411، مقاتل الطالبين: 18. تاريخ الطبري 5:144.

في الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان المبارك من سنة أربعين ليلة الأربعاء أو الجمعة (1) كان الإمام عليه السلام في دار ابنته أم كلثوم، (2) فقدّمت له فطوره في طبق فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن فاتر، وملح، فأمر الإمام عليه السلام ابنته أن ترفع اللبن وقال لها: "يا بنية أتريدين أن يطول وقوف أبوك بين يدي الله فتلونين له الطعام"، وأفطر بالخبز والملح ولم يشرب من اللبن شيئاً، لأنّ في الملح كفاية، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله وقام إلي الصلاة، ولم يزل راکعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرّعاً إلي الله تعالى، وسهر الإمام عليه السلام في ليلة مقتله التاسع عشر من شهر رمضان بل وأسهر أهله، وكان من عادته سابقاً أن يخرج إلي المسجد لصلاة الليل، ففي تلك الليلة لم يخرج علي عادته، وكان يكثر الخروج من البيت إلي صحن الدار فينظر في أطراف السماء ويقول عليه السلام: "والله ما كذبت ولا كُذبت! وإنّها الليلة التي وُعدت بها"، (3) ثمّ رقد هنيهة وانتبه مرعوباً، وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً علي قدميه، وهو يقول: "اللهم بارك لنا في لقاءك"، ويكثر من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، ثمّ صلي حتي ذهب بعض الليل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه وهو جالس، فانتبه من نومته مرعوباً فقال لأولاده: "إنني رأيت الساعة رسول الله صلي الله عليه وآله في منامي، وهو يقول لي: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها، فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنك عندنا في العشر الآخر من رمضان فهلم إلينا فما عندنا خير

ص: 244

1- (1) مقاتل الطالبين: 20 عن أبي مخنف، وما اختاره المفيد في الإرشاد 1: 19.

2- (2) الإرشاد 1: 16 عن الحسن البصري! وفيه: ابنته أم كلثوم! وقد توفيت في عهد عثمان، فهي زينب والتي كانت تكني بأم كلثوم.

3- (3) الإرشاد 1: 16.

لك وأبقي "، فلمَّا سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا، ثمَّ أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، قالت أم كلثوم: لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ثمَّ يخرج ساعة بعد ساعة، يقلب طرفه في السماء، وينظر في الكواكب وهو يقول: "والله ما كذبت ولا كذبت وإنما الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله"، ثمَّ يعود إلي مصلاه ويقول: اللهم بارك لي في الموت، ويكثر من قول: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ولا- حول ولا- قوة إلا- بالله العلي العظيم"، ويصلي علي النبي صلي الله عليه وآله، ويستغفر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم فلمَّا رأته في تلك الليلة قلقاً متملماً كثيراً الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت: يا أبتاه مالي أراك في هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال عليه السلام: يا بنية إنَّ أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ثمَّ قال: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ". فقلت: يا أبتاه، ما لك تنعي نفسك منذ الليلة؟ قال: "بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل"، قالت أم كلثوم: فبكيت فقال لي: "يا بنية لا تبكي فإنني لم أقل ذلك إلا بما عهد إلي النبي صلي الله عليه وآله"، ثمَّ إنه نعس وطوي ساعة، ثم استيقظ من نومه وقال عليه السلام: "يا بنية إذا قرب الأذان فأعلميني"، ثمَّ رجع إلي ما كان عليه أوَّل الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلي الله سبحانه وتعالى، قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب الأذان فلمَّا لاح الوقت أتيته ومعني إناء فيه ماء، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح الباب ثمَّ نزل إلي الدار وفيها إوز قد أهدي إلي أخي الحسين عليه السلام فلمَّا نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه، وكن قبل تلك الليلة لم يصحن، فقال عليه السلام "لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح"،⁽¹⁾ وفي غداة غد يظهر القضاء، فقلت يا أبتاه هكذا تتطير، فقال عليه السلام "بنية ما ممَّا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به، ولكن

ص: 245

قول جري علي لساني"، ثم قال: "يا بنية حبست ما ليس له لسان ولا يقدر علي الكلام فإذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض" فلما وصل إلي الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول:

حيازيمك(1) للموت فإن الموت لا يبيدك ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك

كما أضحكك الدهر كذلك الدهر يبيدك(2)

ثم قال عليه السلام: "اللهم بارك لنا في الموت، اللهم بارك لي في لقاءك"، قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ الليلة، قال: "يا بنية ما هو بنعاء، ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً"، ثم فتح الباب وخرج، قالت أم كلثوم: فجننت إلي أخي الحسن عليه السلام فقلت: يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فالحق، فقام الحسن بن علي عليه السلام وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع.

أمّا عدو الله عبد الرحمن بن ملجم الذي كان علي رأي الخوارج، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قُتل أبوها وأخوها وزوجها، في النهروان، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداء لأمير المؤمنين عليه السلام، وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشترطت عليه أن يقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وطلبت منه ثلاثة آلاف ديناراً وعبدًا وقينة (جارية):

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة ألف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم

ص: 246

1- (1) هنا زيادة كلمة: اشد، وهي زيادة علي الوزن الشعري وليس من الضروري، بل هي مضمرة مقدّرة. (انظر موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 410).

2- (2) الإرشاد 1: 16، وأنساب الأشراف 2: 400 الحديث 572.

و جاء عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة، وبات في المسجد ينتظر طلوع الفجر، ومجيء الإمام للصلاة، وهو يفكر بالجريمة العظمي التي قصد ارتكابها، ومعه رجلان شبيب بن بجرة ووردان بن مجالد (أومجاشع بن وردان) يساعده علي قتل الإمام عليه السلام(1). وكانت قطام قد أعدت لثلاثتهم ثلاث قطع من الحرير فأخرجتها وألقنها إليهم ليعصّبوا صدورهم، تقوية وتشجيعاً كما كان يُقال، فتعصّبوا بها، وتقلّدوا سيوفهم. وكان سيف المراديّ سيفاً خاصاً حيث اشتراه بألف (درهم) وسمّه بألف درهم(2)!

فزت ورب الكعبة

سار الإمام علي عليه السلام إلي مسجد الكوفة وأنّجه إلي المحراب وقام يصلي، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام المجرم الشقي لإنجاز جريمته الكبرى! وأقبل يمشي حتي وقف يزاء الاسطوانة التي كان الإمام عليه السلام يصلي عندها فأمهله حتي صلي الركعة الأولى، وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين، وأخذ السيف وهزّه، ثمّ ضربه علي رأسه الشريف، وهو يقول الحكم لله لا لك يا علي، ولا لأصحابك!، وسمّ مع الإمام يقول: لا يفوتنكم الرجل. وهرب القتلة نحو الباب يفزّون، وتبادر الناس لأخذهم(3) ونادي الإمام عليه السلام: فزت وربّ الكعبة(4). وتقدّم الحسن عليه السلام

ص: 247

-
- 1- (1) راجع: تاريخ الطبري 5: 144-145.
 - 2- (2) مقاتل الطالبين: 22 عن أبي مخنف، والطبري 5: 146، وفي مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: 39: أنّه كان سيفاً صغيراً.
 - 3- (3) مقاتل الطالبين: 21، وتاريخ الطبري 5: 146 عن أبي مخنف.
 - 4- (4) أنساب الأشراف 2: 400، الحديث 572 عن المدائني، وفي: 390، الحديث 568 عنه عن الشعبي، ومناقب الحلبي 3: 357. يقول العلامة الشيخ اليوسفي الغروي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي 5:

فصلي بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام صلي إيماءاً من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته، يميل تارة ويسكن اخري.

وأجرم ابن ملجم إجرامه في الظلام وخرج من المسجد الجامع مخترباً سيفه، وخرج نافع بن عتبة المنبهي أو رجل من همدان(1) من أهله إلي المسجد وانتهي إلي باب كندة منه فإذا هو بابن ملجم خارجاً مخترباً سيفه، فعلم بجرمه، وكان طيلسانه بيده أو قتيبة فضربها علي وجهه وهجم عليه فانتزع السيف من يده، ثم قادوه إلي المسجد، وانصرف الناس من صلاتهم فتواثبوا إليه كأنهم السباع ينادونه: يا عدو الله ما صنعت! لقد قتلت خير الناس وأهلك الأمة! وهو ساكت لا ينطق بكلمة! والناس في ضوضاء يقولون: قتل أمير المؤمنين! حتى أوقفوه بين يديه فقال عليه السلام: احبسوه، فإن أمت من جراحتي هذه فهو في أيديكم، نفس بنفس فاقتلوه، وإن أعش وأبرأ أري فيه رأيي(2)!

ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة، وحشر الناس حتي المخدرات خرجن من خدورهن إلي الجامع ينظرون إلي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره، وقد شدَّ الضربة وهي بعدها تشخب دمماً

ص:248

1- (1) الارشاد 1:21، وقيل: أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب وهو صاحب القتيبة، (مقاتل الطالبين: 21).

2- (2) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: 37، الحديث 14 و 15 و 16، وأنساب الأشراف 2:397، الحديث 561.

ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمى السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده والحسن يبكي، فقال له الإمام عليه السلام: "يا بني ما هذا البكاء، يا بني لا روع علي أليك بعد اليوم؟ يا بني أتجزع علي أليك، وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً ويقتل أخوك بالسيف؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما؟"، ثم أمر أن يحملوه إلي منزله فلمّا اقتربوا من منزل الإمام عليه السلام خرجت زينب فنظرت إلي أبيها أمير المؤمنين عليه السلام محمول علي الأكتاف فنادت: "وا أبتاه واعلياه"⁽¹⁾.

ليلة شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة (40 للهجرة) هي ليلة استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إثر الضربة بالسيف المسموم التي ضربه ابن ملجم علي أمّ رأسه في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وبقي الإمام في فراشه ثلاثة ليالي وكان قد اصفرّ لونه، ولمّا قرب أجله أخذ يوصي أهله وأصحابه بجملة من الوصايا، وقد أوصي الإمام إلي ابنه الحسن وأشهد عليه أهل بيته وجميع ولده ومنهم الحسين ومحمد بن الحنفية، ورؤساء شيعة، وهي وصايا لكل أتباعه وشيعته.

لقد روي سليم بن قيس الهلالي العامري في كتابه⁽²⁾ أنّه شهد الإمام عليه السلام حين دفع إلي الحسن سلاحه وكتبه وقال له: "يا بُني، إنّ رسول الله صلي الله عليه وآله كما أوصي إلي ودفع إلي كتبه وسلاحه أمرني أن أوصي إليك وأدفع كتبي وسلاحي إليك، وأمرني أن أمرك إذا حضرك

ص:249

-
- 1- (1) للإطلاع علي خبر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بالتفصيل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة 6:115 وج 20:284، والمناقب لابن شهر آشوب 3:310، وج 4:93، روضة الواعظين: 132، بحار الأنوار 42:275، الباب 127.
 - 2- (2) كتاب سليم بن قيس 2:924، الحديث 69، وفي نهج البلاغة ك 47، وفي فروع الكافي 7:51 عن الإمام الكاظم عليه السلام كما عنه في بحار الأنوار 42:248.

الموت أن تدفعها إلي أخيك الحسين، وكان ممن حضر مع الحسين ابنه علي بن الحسين صغيراً فأقبل علي عليه السلام علي الحسين وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلي ابنك هذا وأخذ بيد ابنه علي بن الحسين عليه السلام، وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلي ابنك محمد، فقرأه من رسول الله ومني السلام. ثم عاد إلي ابنه الحسن عليه السلام وقال له: يا بُنَيَّ، أنت وليّ الأمر وليّ الدم بعدي، فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة مكان ضربة، ولا تمثّل به، ثم قال له: اكتب(1): "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصي به علي بن أبي طالب: أوصي أنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله (أرسلَ رَسُولُهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)2 ثم (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)3.

ثم أوصيك يا حسن، وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين - بتقوي الله ربكم (فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)4، (واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا)5 فإنّي سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: "صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصوم، وإنّ البغضة حائلة الدين وفساد ذات البين" ولا قوة إلاّ بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم بهوّن الله عليكم الحساب.

والله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم، ولا تُضيعوا من بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: "من عال يتيماً حتّي يستغني أوجب الله له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار".

ص:250

1- (1) أملي الوصية الإمام عليه السلام علي الحاضرين وكتبها كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، (مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: 48، الحديث 31 عن الكلبي عن الباقر عليه السلام.

والله الله في القرآن لا يسبِّقكم بالعمل به غيركم. والله الله في جيرانكم، فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أوصي بهم... والله الله في ذرية نبيكم، فلا يُظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون علي الدفع عنهم!

والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤروا محدثاً! فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أوصي بهم، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث!

والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم! ولا تخافن في الله لومة لائم فيكفيكم الله وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله. ولا تتركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيوئي الله الأمر أشراركم فتدعون فلا يستجاب لكم!

يا بُني، عليكم بالتواصل والتبازل والتباز، وإياكم والنفاق والتقاطع، والتدابر والتفرق، و (تَعَاوَنُوا عَلَي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) 1 . حفظكم الله من "أهل بيت" وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام" (1).

ولمّا حضرته الوفاة قال للحسن والحسين: إذا أنا متّ (فضعاني) علي سريري واحملا مؤخّر السرير فإنكما تكفيان مقدّمه (حتي تبلغا) بي الغريين (2) فتريان صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحترفوا فيها، فإنكما تجدان فيها (خشبة) ساجة، فادفنا فيها (3).

ص: 251

1- (2) كتاب سليم بن قيس 2: 924-927، الحديث 69، وفي نهج البلاغة ك 47، وفي فروع الكافي 7: 51 عن الإمام الكاظم عليه السلام كما عنه في بحار الأنوار 42: 248.

2- (3) الغريان تشية الغريّ وهو فعيل بمعنى المفعول من الغري أي الطلاء والصبغ، وهما قبران قائمان لنديمي المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة المقتولين بأمره سكراناً، قبل الإسلام، معجم البلدان 4: 198. والنسبة إليها: الغروي، واصطلاح بها علي أهل العلم منها، واصبح واشتهر الغري إسماً آخر للنجف الأشرف. راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 427)

3- (4) الإرشاد 1: 23.

ثمَّ عرق جبين الإمام عليه السلام وسكن أنينه، فقالت زينب: يا أبا عرق جبينك، وسكن أنينك، قال عليه السلام: يا بنية سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "إنَّ المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته عرق جبينه، وسكن أنينه"، فقامت زينب وألقت بنفسها علي صدر أبيها، وقالت: يا أبا حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمع منك، فقال عليه السلام: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكانني بك ونساء أهلك سبايا بهذا البلد فصبراً فصبراً.

ثمَّ نظر إلي أولاده فرأهم تكاد تزهق أرواحهم من شدة البكاء والنحيب فقال لهم: "أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولا حق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله كما وعدني فإذا أنا مت يا أبا محمد، فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثمَّ ضعني علي سريري، ولا يتقدّم أحد منكم علي مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، وصلي علي يا بني حسن وكبر علي سبعا واعلم أنه لا يحل ذلك علي أحد غيري إلا علي رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت علي فنجح السرير عن موضعه، ثمَّ اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً منقوباً، وساحة منقوبة، فضعني فيها ثمَّ اشرح اللحد باللبن، وأهل التراب علي، ثمَّ غيَّب قبري" (1).

وهكذا أخذ الإمام يودّع أولاده الواحد بعد الآخر، ثمَّ اغمي عليه ساعة وأفاق، وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وعمي حمزة وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون، ولمّا دنت وفاته قال يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأنكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هاهنا، وهاهنا فاصبراً حتي يحكم الله، وهو خير الحاكمين، ثمَّ قال يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوي

ص: 252

الله والصبر علي بلائه، ثمّ أدار عينيه في أولاده وأهل بيته وقال استودعكم الله جميعاً، وحفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم وكفي بالله خليفة.

شهادة الإمام علي عليه السلام وتجهيزه ودفنه

(1)

لم يزل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان يعالج سكرات الموت إثر الضربة بالسيف المسموم، وهو بتلك الحال يسبح الله ويذكر الله تعالى كثيراً، ثمّ استقبل القبلة وقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رفقا بي ملائكة ربي"، ثمّ عرق جبينه وسكن أنيه، وغمض عينيه، ومد رجله ويديه، وقضى نحبه شهيداً(2).

ولمّا أصبح الصّباح أقبل الناس رجالاً ونساء نحو بيت الإمام عليه السلام، وهم ينادون وإماننا، واعلياه، فارتجّت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب، فكان ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله صلي الله عليه وآله، قال محمد بن الحنفية: ثمّ أخذنا بجهازه ليلاً، وكان

ص: 253

1- (1) للإطلاع علي خبر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بالتفصيل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة 6: 115 و ج 20: 284، والمناقب لابن شهر آشوب 3: 310، و ج 4: 93، روضة الواعظين: 132، بحار الأنوار 42: 275، الباب 127.

2- (2) قال اليعقوبي: أقام الإمام عليه السلام بعد ضربته يومين، وتوفي في أوّل ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين، ومن شهور العجم (اليوناني) في كانون الثاني، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وغسله الحسن عليه السلام بيده، وصلى عليه وكبّر سبعاً وقال: أما إنّه لا يُكَبَّر (سبعاً) علي أحد بعده، ودفن (بظهر) الكوفة في موضع يقال له الغريّ، (تاريخ اليعقوبي 2: 212)، وقال ابن قتيبة: وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، وكفّن في ثلاثة أثواب بلا قميص، وصلى عليه ابنه الحسن. وعمّي قبره مخافة أن تنبشه الخوارج، (الإمامة والسياسة 2: 161)، وروي أبو الفرج الاصفهاني في كتابه مقاتل الطالبين: 25، بسنده عن أبي مخنف: أنّه عليه السلام توفي في ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان، ودفن... عند صلاة الصبح. راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 5: 429).

الحسن عليه السلام يغسله، والحسين عليه السلام يصب الماء عليه، وكان لا يحتاج إلي من يقبله، بل كان ينقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم نادي الإمام الحسن عليه السلام أخته زينب وقال يا أختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله صلي الله عليه وآله، ثم لفوه بخمسة أثواب ووضعوه علي السرير، وأخذ الحسن عليه السلام يصلي علي أبيه عليه السلام بالناس، وحمل السرير هو والحسين قدس سره وسائر بني هاشم، وتوجه به حسب وصية أمير المؤمنين حتي وصلوا إلي الغريين (النجف)، فوضع مقدم السرير، فوضع الحسنان مؤخره، ثم وجدوا حجراً كتب عليه: "هذا ما ادّخره آدم ونوح للعبد الصالح علي بن أبي طالب" فلمّا كشفوا عن القبر وأرادوا إنزاله سمعوا هاتماً يقول: أنزلوه إلي التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلي حبيبه، وانتهي الدفن قبل الفجر وأخفوا قبره كما أوصي به، لأنّه عليه السلام كان يعلم عداوة الخوارج والأعداء له، وكان القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وخواصّ شيعتهم إلي أيام هارون الرشيد(1).

وبلغ نعي الإمام عليه السلام في الشّام إلي معاوية وهو متّكئ في مجلسه، فاستوي جالساً والتفت إلي مغنيته وقال لها: يا جارية غنيّني فاليوم قرّرت عيني، ولعلّ هذا أثار أبا الأسود الدؤلي البصري فقال معرّضاً به:

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرّرت عيون الشامتينا

قتلتهم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفينا(2)

نعم قد قتلوا من كان خير الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وآله، وكان أباً حنوناً لهذه الأمة(3)،

ص: 254

1- (1) راجع بحار الأنوار 295:42، ح 58.

2- (2) تاريخ الطبري 5:150-151، وفي ديوانه: 32، أنساب الأشراف 2:409، الحديث 592.

3- (3) حيث قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «أنا وعلي أبو هذه الأمة» (عيون أخبار الرضا 2:85 ب 22، كمال الدين 1:261 ب 24).

وقد فجعت وتيَّمت هذه الأمة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام في شهر الصيام، فيحق لجميع المسلمين بالأخص الموالين لعلي عليه السلام أن يبكوا عليه، لأنهم فقدوا إماماً عادلاً صادقاً برّاً تقيّاً:

ألا يا عين جودي فاسعدينا ألا فأبكي أمير المؤمنين

إمام صادق برّ تقيّ فقيه قد حوي علماً وديناً

وكنا قبل مقتله بخير نرى المولي رسول الله فينا

فلا والله لا أنسي علياً وحسن صلاته في الراكعينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طراً أجمعينا(1)

ص: 255

1- (1) من قصيدة تنسب إلي أبي الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، (تاريخ الطبري 5: 150، أنساب الأشراف 2: 409، الحديث 592).

قبس الختام: مقتطفات من القصيدة الكوثرية

هذه القصيدة من أروع وأشهر ما قيل في مدح الإمام علي عليه السلام وسبب شهرتها علي ما يبدو هو مدي الإبداع الفني الأسلوب الذي يبدو واضحاً علي قسما القصيدة، واسمها من أجمل التسميات للقصائد.

والقصيدة الكوثرية التي نظمها الشاعر السيد رضا الهندي سميت بالكوثرية نظراً لما جاء في البيت الثاني منها وهو قوله:

قَد قَالَ لثَغْرِكَ صَانِعُهُ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثِرَ)

والقصيدة الكوثرية تبدأ أولاً بمدح الرسول صلي الله عليه وآله ومن ثم تنتهي إلي الغرض الأساس فيها وهو مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بأسلوب شيق.

أَمْفَلَجُ (1) ثَغْرِكَ أَمْ جَوْهَرُ وَرَحِيْقُ رِضَابِكَ (2) أَمْ سُكَّرُ

قَد قَالَ لثَغْرِكَ صَانِعُهُ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثِرَ)

وَالخَالُ بِخَدِّكَ أَمْ مِسْكٌ نَقَطْتَ بِهِ الْوَرْدَ الْأَحْمَرُ

أَمْ ذَاكَ الخَالُ بِذَاكَ الخَدِّ فَتَيْتُ النَّدَّ (3) عَلِيٍّ مَجْمَرُ

عَجَباً مِنْ جَمْرَتِهِ تَذَكُّو (4) وَبِهَا لَا يَحْتَرِقُ العَنْبَرُ

ص: 256

1- (1) المفلج من الأسنان: المنفرجة.

2- (2) الرضاب: اللعاب.

3- (3) الند: عودٌ عطراً يتبخر به.

4- (4) تذكو: تتوقد وتلتهب.

يا مَنْ تَبَدُّو لِي وَفَرَّتُهُ (1) فِي صُبْحِ مَحْيَاةٍ (2) الْأَزْهَرِ

فَأَجْنُ بِهِ ب - (الليل إذا يغشي) و (الصُّبح إذا أسفر)

يا مَنْ قَدْ أَنْكَرَ مِنْ آيَاتِ أَبِي حَسَنِ مَا لَا يُنْكَرُ

إِنْ كُنْتَ لِجَهْلِكَ بِالْأَيَّامِ جَحَدْتَ مَقَامَ أَبِي شُبَيْرٍ

فَأَسْأَلُ بَدْرًا وَأَسْأَلُ أَحَدًا وَسَلِّ الْأَحْزَابَ وَسَلِّ خَبِيرَ

مَنْ دَبَّرَ فِيهَا الْأَمْرَ وَمَنْ أَرَدِي الْأَبْطَالَ وَمَنْ دَمَّرَ؟

مَنْ هَدَّ حُصُونَ الشَّرِكِ وَمَنْ شَادَ الْإِسْلَامَ وَمَنْ عَمَّرَ؟

مَنْ قَدَّمَ طَهَ وَعَلِيَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَهُ أَمَّرَ؟

قَاسُوكَ أبا حَسَنِ بِسِوَالِكَ وَهَلْ بِالطَّوْدِ يُقَاسُ الذَّرُّ (3)

مَنْ غَيْرُكَ يُدْعَى لِلْحَرْبِ وَلِلْمِحْرَابِ وَلِلْمِنِيرِ؟

أَفْعَالُ الْخَيْرِ إِذَا انْتَشَرَتْ فِي النَّاسِ فَأَنْتَ لَهَا مَصْدَرُ

وَإِذَا ذُكِرَ الْمَعْرُوفُ فَمَا لِسِوَالِكَ بِهِ شَيْءٌ يُذْكَرُ

أَحْيَيْتَ الدِّينَ بِأَبْيَضَ (4) قَدْ أَوْدَعْتَ بِهِ الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ

قُطْبًا لِلْحَرْبِ يُدِيرُ الضَّرْبَ وَيَجْلُو الْكَرْبَ بِيَوْمِ الْكَرْزِ

ص: 257

1- (1) الوفرة: شعر الرأس الكثيف.

2- (2) المحيياً: جبهة الوجه.

3- (3) الذر: الدقائق الصغيرة.

4- (4) أبيض: صفة من صفات السيف.

فَأُصَدِّعُ بِالْأَمْرِ فَنَاصِرُكَ الْبِتَّارُ وَشَانُكَ الْأَبْتَرُ

أَنْتَ الْمُهْتَمُّ بِحِفْظِ الدِّينِ وَغَيْرِكَ بِالدُّنْيَا يَغْتَرُّ

أَفْعَالُكَ مَا كَانَتْ فِيهَا إِلَّا ذِكْرِي لِمَنْ أَذْكَرُ

حُجْبًا أَلْزَمْتَ بِهَا الْخُصْمَاءَ وَتَبْصِيرَةً لِمَنْ اسْتَبْصَرَ

آيَاتُ جَلَالِكَ لَا تُحْصِي وَصِفَاتُ كَمَالِكَ لَا تُحْصِرُ

مَنْ طَوَّلَ فِيكَ مَدَائِحَهُ عَنِ أَدْنَى وَاجِبِهَا قَصَّرَ (1)

فَأَقْبَلْ يَا كَعْبَةَ آمَالِي مِنْ هُدَى مَدِيحِي مَا اسْتَيْسَرَ

ص: 258

1- (1) قَصَّرَ: لَمْ يُوَدِّ الْوَاجِبَ.

ولد الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة المنورة في ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة علي القول المشهور⁽¹⁾، ولمّا أذيع نبأ ولادته المباركة، ووصل الخبر إلي الرّسول الأكرم صلي الله عليه وآله فرح فرحاً شديداً، وسارع إلي بيت ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ليهنئها بوليدها الجديد وبيارك لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا وصل صلي الله عليه وآله إلي البيت نادي: "يا أسماء⁽²⁾ ها تيني ابني..." قامت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ودفعته إلي النبي صلي الله عليه وآله في خرقة صفراء فرمي النبي صلي الله عليه وآله بها وقال: "ألم أعهد إليكم أن لا تلّفوا المولود في خرقة صفراء؟"، وأمر أن يُلّف في خرقة بيضاء، وقام صلي الله عليه وآله بإجراء مراسم الولادة علي مولوده المبارك، فأذّن في اذنه اليميني، وأقام في اليسري وفي الخبر: "أنّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم"، ثمّ التفت إلي أمير المؤمنين عليه السلام فقال صلي الله عليه وآله له: "هل سمّيت الوليد المبارك؟"، فأجاب الإمام عليه السلام: "ما كنت لأسبقك يا رسول الله"، فقال صلي الله عليه وآله: "وما كنت لأسبق ربي...". وما هي إلاّ لحظات فأوحى الله تبارك وتعالى إلي جبرائيل: أنّه قد ولد

ص: 261

1- (1) اصول الكافي 1: 461، الارشاد 2: 5، التنبيه والاشراف: 210، تاريخ الطبري 2: 537.

2- (2) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الولّادة الخطّابة، وليست أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطّيار لعدم حضورها آنذاك في المدينة قبل فتح خيبر (راجع موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2: 249).

لمحمد صلي الله عليه وآله ابن فاهبط فقرأه السلام وهنئه وقل له: إِنَّ عَلِيًّا مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَسَمَّهَ بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ، قَالَ: وَمَا كَانَ اسْمُهُ؟ قَالَ: شُبَّرٌ، قَالَ: لِسَانِي عَرَبِيٌّ! قَالَ: سَمَّهَ الْحَسْنَ، فَسَمَّاهُ الْحَسْنَ، وَحَقًّا إِنَّهُ إِسْمٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، وَكَفَى بِهِ جَمَالًا وَحَسَنًا أَنْ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ لِيَدُلَّ جَمَالَ لَفْظِهِ عَلِيَّ جَمَالَ مَعْنَاهُ وَحَسَنَهُ.

وبعد سبعة أيام علي ولادة الحسن عليه السلام عَقَّ النَّبِيُّ عَنِ الْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ كِبْشًا، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حِينَ ذَبَحَهَا: "عَقِيْقَةُ عَنِ الْحَسَنِ، اللَّهُمَّ عَظْمَهَا بِعَظْمِهِ، لَحْمَهَا بِلَحْمِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا وَقَاءً لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ"، وَأَعْطَى الْقَابِلَةَ مِنْهَا الْفَنَخْذَ، وَصَارَ فَعَلُهُ هَذَا سَنَةً لِأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَصْبَحَتِ الْعَقِيْقَةُ مِنَ الْمَسْتَحَبَّاتِ الْأَكِيدَةِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَلَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأْسَ سَبْطِهِ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ، وَتَصَدَّقَ بِزَنْتِهِ فَضَّةً عَلِيَّ الْمَسَاكِينِ وَطَلَى رَأْسَهُ بِالْخُلُوقِ، وَهُوَ طَيْبٌ مَرَكَّبٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ، عَلِيٌّ خِلَافَ الْعَادَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَيْثُ كَانُوا يَطْلُونُ رَأْسَ الصَّبِيِّ بِالْدَّمِ، (1) وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَيْضًا أُجْرِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ الْخِتَانُ، وَكَتَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبُو مُحَمَّدٍ وَلَا كُنْيَةَ لَهُ غَيْرَهَا، وَبِهَذَا انْتَهَتْ جَمِيعُ مَرَامِسِ الْوَلَادَةِ الَّتِي أُجْرَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيٌّ سَبْطَهُ الْأَكْبَرَ الْإِمَامَ الْحَسْنَ الزَّكِيَّ الْمَجْتَبِيَّ (2).

نفحة الطهر والقداسة فاحت بشذاها شمائل الأنبياء

ولد المجتبي الزكي فأهلاً بوليد الزكية الحوراء

هوريحانة الرسول وروح من سجايه عاطر الأشداء

قد نما فوق صدره وتغذا من هداه فكان خير نماء

وهو سبط الهادي وفرع علي من علي ونبعة الزهراء

ص: 262

1- (1) إِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَطْلُونُ رَأْسَ الْوَلِيدِ بِالْدَّمِ لِيَصْبِحَ دَمَوِيًّا جَرِينًا! فَنَسَخَهُ الْإِسْلَامَ.

2- (2) رَاجِعْ: تَارِيخَ الْخَمِيْسِ 1: 470، أَمَالِي الصَّدُوقِ: 116، عِيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا 2: 25.

عن الغزالي في إحياء العلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للحسن: " أشبهت خلقي وخلقِي " (1) ، فكان عليه السلام كجده في الأخلاق والصفات الحسنة من العبادة وحسن معاشرته الناس والسخاء والكرم والعفو، والتجاوز عن الآخرين وغيرها من الفضائل الأخلاقية والصفات الحميدة.

وروي المبرّد وغيره موقفاً مشرفاً من سيرة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام، أنه مرّ به شخص وجعل يسبّ الإمام ويشتمه حتى أنهى كلامه بكل ما فيه من صلف وفضاظة، فعند ذلك سلّم عليه الإمام الحسن عليه السلام وابتسم إليه وتكلّم معه بأسلوب هادئ، ينمّ عن سماحة وكرم متجاهلاً كلّ ما سمع وما رأى، وقال عليه السلام: " أيّها الشيخ، أظنك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو أنّك سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رَحْلَكَ إلينا وكنت ضيفاً إلي وقت ارتحالك كان أعودَ عليك لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً " فلَمَّا سمع الرجل كلامه بكى ثمّ قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته (2).

وكيف لا يكون كذلك، وهو من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، قد نشأ في بيت الوحي، وترنّى في مدرسة التوحيد، فالرسول صلى الله عليه وآله تولّى تربيته وأفاض عليه بمكرّمات نفسه، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام غذّاه بحكمه، والزهراء البتول غرست في

1- (1) المناقب 4:20، بحار الأنوار 43:214، ب 12.

2- (2) مناقب آل ابي طالب 4:19، بحار الأنوار 43:344، ب 16.

نفسه الفضيلة والكمال، وبذلك سمّت روحه فكانت مثلاً لخلق النبي صلي الله عليه وآله، فهو من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير، وأمر المسلمين بمودتهم واطاعتهم، ونزلت الآيات العديدة في فضلهم وتحدث الرسول صلي الله عليه وآله الكثير في فضلهم، وحبّهم، منه قوله صلي الله عليه وآله: "أحبّ أهل بيتي الحسن والحسين قدس سره"، بل بلغ من حبّه صلي الله عليه وآله لهما قدس سره: أنّه يقطع خطبته في المسجد وينزل عن المنبر ليحتضنهما. (1)

وهكذا قطع الإمام الحسن عليه السلام شوطاً من طفولته مع جده صلي الله عليه وآله، يري منه الحنان والعطف، ويشعر بالسعادة والعزة، لكن لم تدم له هذه الحالة الهائلة، فقد آن للرسول صلي الله عليه وآله أن ينتقل إلي حظيرة القدس، ونزل عليه القرآن بقوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) 2، فمات جده الرسول صلي الله عليه وآله وله من العمر سبع سنين وستة أشهر، وحينما مضى النبي صلي الله عليه وآله إلي جنة المأوي، وسمت روحه إلي الرفيق الأعلي، انثالت الفتن علي المسلمين تترأ كقطع الليل المظلم، وحدث بعده ما حدث، من إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام عن حقّه ومنصبه الإلهي، والمعاناة التي عصفت به خلال فترة ما قبل خلافته وكل ذلك يجري، والإمام الحسن عليه السلام يشارك أباه أمير المؤمنين الصبر، إلي أن تولي الأمر أبوه علي ابن أبي طالب عليه السلام فلأزمه طيلة حياته، وشهد معه حروبه الثلاث، الجمل، وصفين، والنهران، وقام بالأمر بعد شهادة أبيه وله سبعة وثلاثون سنة، فحكم ستة أشهر وخمسة أيام جرت أواخرها حرباً بينه وبين معاوية ابتداءها معاوية، ثم اضطر الإمام عليه السلام لمصالحته سنة إحدی وأربعين، وتنازل عن الخلافة لمعاوية بحسب شروط الصلح.

ص: 264

1- (1) راجع: تاريخ ابن عساكر 4: 205، الغدير 7: 124.

وعلي رواية الشيخ المفيد في الإرشاد(1) كان للإمام الحسن عليه السلام خمسة عشر ولداً، ذكراً وأنثى، والكبير من الذكور هو زيد وأمه أم بشير بنت أبي مسعود عقبه الخزرجي، وأربعة من الذكور حضروا يوم عاشوراء وهم: الحسن المعروف " بالحسن المثني " (2) وأمه خولة بنت منظور الفزارية. و أبو بكر (عبدالله الأكبر)، والقاسم و أمهما جارية اسمها رملة، واستشهدا مع عمّهما الحسين يوم عاشوراء، (3) والفتي الرابع من أبناء الحسن الذي حضر كربلاء هو عبدالله الأصغر وكان يبلغ من العمر أحد عشر عاماً وقال بعض المؤرخين أن أمه هي زينب بنت سليل (سبيع) بن عبدالله وقد استشهد في حزن عمّه يوم عاشوراء(4).

ومن بنات الإمام الحسن عليه السلام التي امتازت بالجلالة وكانت زوج الإمام زين العابدين هي أم عبدالله(5).

ولا يخفي أن السادة الحسينيين يتصلون بالإمام الحسن عليه السلام بواسطة إبنه زيد(6) ،

ص: 265

1- (1) الإرشاد: 282، باب ذكر ولد الحسن بن علي.

2- (2) الحسن المثني: قد حضر يوم عاشوراء، وكان يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، وأثنى بالجروح ولكن لم يستشهد، وفي المدينة تزوج بفاطمة ابنة عمّه الحسين عليه السلام ورزق منها عبدالله المحض وإبراهيم، والحسن المثلث، وزينب، وأم كلثوم، ونقل ان الخليفة الأموي الخامس عبدالملك أمر بدس السم إلي الحسن المثني وكان في سن الخامسة والثلاثين وقبره الشريف في مقبرة البقيع راجع: (الارشاد: 360، أعيان الشيعة 5:43).

3- (3) مقاتل الطالبين: 57، وراجع: بحار الانوار 36:45

4- (4) راجع: اللهوف: 122، تذكرة الخواص: 215.

5- (5) وقد رزق الإمام زين العابدين من أم عبدالله الإمام الباقر عليه السلام، كما سيأتي ذكره. ولمعرفة سائر أبناء الحسن عليه السلام ذكوراً وأنثاءً عليك بمراجعة: منتهي الآمال 1: الباب 4، الفصل 6.

6- (6) زيد بن الحسن وأحفاده: كان زيد جليل القدر، ومن أحفاده المحدث المشهور عبدالعظيم الحسيني المدفون بري، فهو عبدالعظيم بن عبدالله بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وفي فضل زيارته ورد

1- (1) أبناء وأحفاد الحسن المثنى: لقد أعقب الحسن المثنى عشرة أبناء بين ذكور وأناث خمسة منهم من زوجته الأولى فاطمة بنت عمّه الحسين عليه السلام وهم: عبدالله المحض، إبراهيم، الحسن المثلث، زينب، وأمّ كلثوم. وكان عبدالله المحض شبيها برسول الله صلي الله عليه وآله و آلّه و شيخ بني هاشم، وقد توفي في سجن المنصور الدوانيقي، وكان لعبدالله ستة أولاد ذكور: محمد الملقب بالنفس الزكية، المقتول في المدينة سنة (145) للهجرة، وإبراهيم قتيل باخمري في الكوفة، وموسى الملقب بجون، ويحيى الذي ثار في الديلم وقتله الرشيد، و سليمان الذي قتل مع الحسين بن عليّ في وقعة فخ، والسادس من أولاد عبد الله المحض، هو إدريس وقد شهد وقعة فخ وبعد مقتل الحسين بن عليّ فرّ إلي فاس في المغرب وهناك بايعه الناس وأخيراً قتل بالسّم بأمر من هارون الرشيد، وترك ولدًا في بطن أمّه أسموه إدريساً علي اسم والده، وكان أدارسة المغرب، والفاطميين في مصر الذين حكموا تلك البلاد من نسله. و من أبناء الحسن المثنى، إبراهيم، ولقب بالغمر لكثرة جوده وشرفه، وكان يشبه رسول الله صلي الله عليه وآله، وتوفي في سجن المنصور وقبره في الكوفة، و من أبناء

2- (2) كما ذكره الشيخ عباس القمي في كتابه: (منتهى الآمال 1: الباب 4، الفصل 6).

لَمَّا استلم الإمام الحسن عليه السلام زمام أمور المسلمين بعد شهادة أبيه سنة 41 هـ -، كتب إلي معاوية بلزوم البيعة للإمام وإطاعته، فأجابه معاوية بأن يتنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة له ضمن شروط ووعد له بعود منها أن تكون الخلافة من بعده للحسن عليه السلام، فردَّ عليه الإمام واكتفي في جوابه بهذه الكلمات: "أما بعد، فقد وصل إلي كتابك تذكر فيه ما ذكرت فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله والسلام" (1). فلَمَّا وصل الكتاب إلي الشام وقرأه معاوية فهم منه أنّ الإمام لا يبدأ الخصام فلا بدّ أن يبدأ هو، فكتب نسخة واحدة إلي عمّاله علي النواحي وطلب منهم أن يستعدّوا للحرب وممّا جاء في الكتاب: "...فأقبلوا إلي حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عمّدتكم،..." "فاجتمعت العساكر إليه، فسار قاصداً إلي العراق (2) حتّي بلغ مَنبج (3) علي الفرات، فلَمَّا وصل معاوية إلي جسر مَنبج جاء خبره الحسن عليه السلام فنادي مناديه: الصلاة جامعة! وقال الإمام لأصحابه: إذا رضيتم جماعة الناس فأعلموني. وأقبل الناس يجتمعون حتّي رضوا جماعتهم فتقدّم سعيد بن قيس الهمداني للإمام بالخروج إليهم، فخرج إليهم حتّي صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثمّ قال لهم: "أما بعد، فإنّ الله كتب الجهاد علي خلقه وسمّاه كرهاً! ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (4) فلستم - أيّها الناس - نائلين ما تحبّون إلّا

ص: 268

1- (1) مقاتل الطالبين: 38، مناقب آل أبي طالب 4: 37.

2- (2) ومسير معاوية إلي العراق لحرب الحسن عليه السلام كان بعد قتل الإمام علي عليه السلام بأربعة أشهر راجع: (تاريخ اليعقوبي 214:2)

3- (3) مَنبج: مدينة في شرقي حلب إلي العراق بعشرة فراسخ (55 كم) بناها كسري لَمَّا غلب علي الروم في الشام، فهي معرّبة عن الفارسية، كما في معجم البلدان 5: 205.

بالصبر علي ما تكرهون. إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه: أنّنا كُنّا أزعنا علي المسير فتحرك لذلك، فاخرجوا - رحمكم الله - إلي معسكركم بالنخيلة حتي نري وترون وننظر وتنظرون". فسكتوا وما تكلم منهم أحد ولا أجابه أحدهم بحرف! فلمّا رأي ذلك عدّي بن حاتم الطائي قام فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم! أين المسلمون؟!... ثمّ التفت إلي الإمام عليه السلام وقال له:....، فقد سمعنا مقاتلك، وانتهينا إلي أمرك، وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت. ثمّ قال: وهذا وجهي إلي معسكري،... وخرج عدّي من المسجد، ومضى إلي النخيلة، فكان هو أوّل من عسكر من الناس.

فقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومقل بن قيس الرياحي، وزباد بن خصّفة التيمي، فأثبوا الناس وحرّضوهم، وكلموا الإمام بمثل كلام عدّي بن حاتم بالقبول والإجابة لأمره. وقال لهم الإمام عليه السلام: " صدقتم - رحمكم الله - ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول، والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً!" ثمّ نزل، وبعث الإمام حُجر بن عدي إلي عمّاله ليأمرهم والناس بالتهيؤ للمسير للشام(1).

هذا وقد أشغل الإمام عن أمر موسم الحجّ لتلك السنة، وبلغه أنّ معاوية وليّ الموسم أخاه عتبة، وعاد أبوهريرة إلي المدينة يصلّي بهم موالياً لمعاوية! وعليه فالحرمان أصبحا لمعاوية بلا مقاومة(2).

غدروا بالحسن وهو في المدائن

قال الشيخ المفيد: كان (الإمام) قد أنفذ قيس بن سعد (رضي الله عنه) مع عبيد الله بن

ص:269

1- (1) مقاتل الطالبين: 39، ومختصره في أنساب الأشراف للبلاذري 3:35، ومختصره في تنزيه الأنبياء: 170، و تلخيص الشافي 4:174.

2- (2) راجع: تاريخ الطبري 5:160.

العباس عند مسيره من الكوفة، وجعله أميراً علي الجماعة وقال له: إن اصبحت فالأمير قيس بن سعد. فوصل كتاب ابن سعد هذا يخبره: أنّهم نزلوا معاوية بقرية يقال لها: اخنوخية بإزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلي عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف (مليون) درهم، يعجّل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة! فانسلّ عبيد الله بن العباس في خاصّته في الليل إلي معسكر معاوية، وأصبح الناس وقد فقدوا أميرهم فصّلّي هو بهم! فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له... ولم يبقّ معه من يأمن غوائله إلاّ خاصّة من شيعته وشيعة أبيه... وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلي معاوية في السرّ بالطاعة، واستحثّوه علي السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّه من عسكرهم، أو الفتك به(1).

وجعل وجوه أهل العراق يتسلّلون إلي معاوية فيبايعونه، وجعل قبائل أهل العراق يتوجّهون إلي معاوية، قبيلة بعد قبيلة حتّي خفّ عسكر ابن سعد، فلمّا رأى ذلك قيس كتب إلي الحسن عليه السلام يخبره بما هو فيه(2).

وروي ابن الأَعمش قال: فلمّا قرأ الحسن عليه السلام الكتاب أرسل فدعا إليه وجوه من معه من عامة أصحابه وقال لهم: يا أهل العراق! ما أصنع بجماعتكم معي، وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأنّ أهل الشرف منكم قد صاروا إلي معاوية! أما والله ما هذا بمنكر منكم، لأنّكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفّين علي تحكيم الحكّمين، فلمّا أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم عليه، ثمّ دعاكم إلي قتال معاوية ثانية فتوانيتم عنه حتّي

ص:270

1- (1) الإرشاد 2:12.

2- (2) راجع أنساب الأشراف 3:41، الفتوح 4:157.

صار إلي ما صار إليه من كرامة الله إياه. ثم إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت ببيعتمكم وخرجت في وجهي هذا والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلي ما كان! فحسبي منكم لا تغروني(1).

هذا وحال الإمام الحسن عليه السلام ليس بحسن بل هو جريح طريح، وهو يري الغدر والخذلان في جيشه فبعد ما استشار بعض أصحابه وأهل بيته خاصة ابن عمّه عبدالله بن جعفر وأخيه الحسين عليه السلام عزم علي أن يصالح معاوية ويتنازل عن الخلافة له ضمن شروط، فكتب من فوره ذلك إلي معاوية: "أمّا بعد، فإن خَطبي انتهى إلي اليأس من حقّ احبيه وباطل اميته! وخطبك خطب من انتهي إلي مراده! وانني اعتزل هذا الأمر (الخلافة) وأخليه لك، وإن كان تخليتي إياه شرّاً لك في معادك، ولي شروط أشرطها، لا تبهضتّك إن وفيت لي بها بعهد، ولا تخفّ إن غدرت. وستندم - يا معاوية - كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحقّ حين لا ينفع الندم، والسلام" وكتب الشروط في كتاب آخر يمتّيه بالوفاء وترك الغدر(2).

ص: 271

1- (1) الفتوح 4: 157.

2- (2) علل الشرائع 1: 260، الباب 160.

لاشك إن الحرب والجهاد والصلح والهدنة ليست من الثوابت في الإسلام، بل تتبع الشرائط والأزمان، والهدف من الحرب والصلح، هو لحفظ الإسلام وعزة المسلمين، والقتال مع أهل البغي الذي أشارت الآية إليه في قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْحَبُ أَلْحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتْ فَأَصْحَبُ لِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)1، هو أيضاً للدفاع عن الإسلام وحقوق المسلمين، ولا شك أن معاوية ويزيد كانا من أهل البغي فيجب محاربتهم، إلا أنه إذا كان بالصلح والسلم تتحقق المصلحة الإسلامية، فلاشك أن الصلح والسلم يقدمان علي الحرب، والقرآن الكريم أشار إلي ذلك بقوله تعالى: (وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ)2، وقال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسُّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)3.

وهناك نماذج في صدر الإسلام من صلح الرسول صلي الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام تؤكد ذلك، فقد كان الرسول صلي الله عليه وآله في مكة ثلاث عشرة سنة ولم يحارب إلي أن هاجر إلي المدينة، ونزلت الآية: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)4. وفي السنة السادسة من الهجرة كان صلح الحديبية بين الرسول صلي الله عليه وآله والمشركين، كما كان الإمام علي عليه السلام جليس بيته لمدة خمس وعشرين سنة سالم القوم لحفظ كيان الإسلام ووحدة المسلمين، وأما في الوقت الذي يري المصلحة في الحرب فهو عليه السلام يخوض الحروب والمعارك الثلاثة، ضد الناكثين للعهد والمارقين في صفين، والخوارج في النهروان.

وقد كان صلح الإمام الحسن عليه السلام مورد سؤال في الماضي والحاضر، وقياساً مع ثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام، ويتصور البعض أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان سلمياً والإمام الحسين عليه السلام كان حربياً، ولكن في الحقيقة إن شرائط الزمان الذي كان يعيش فيه الإمام الحسن عليه السلام غير شرائط زمان الإمام الحسين عليه السلام، فلو كان الإمام الحسين عليه السلام مكان الإمام الحسن لصلح معاوية، بل كان الحسين عليه السلام مع الحسن عليه السلام عندما أبرم الصلح ولم يعترض علي أخيه، ولم يرض من أصحابه الاعتراض عليه، بل كان يصوب فعل أخيه ويقنع قاصري العقول به وبمصلحته كما أنه لو كان الإمام الحسن عليه السلام مكان الحسين عليه السلام لحارب يزيد بن معاوية، وقد أشار جدهما المصطفى إلي هذه الحقيقة مشيراً الحسن والحسين إلي بقوله صلي الله عليه وآله: "ابنای هذان إمامان قاما أو قعدا" (1).

ففي زمن الإمام الحسن عليه السلام المصلحة الإسلامية كانت تقتضي الصلح مع معاوية، وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام كانت المصلحة تقتضي الحرب والجهاد ضد يزيد بن معاوية، وهذا التفاوت في الزمان والشرائط كانت من وجوه ثلاث:

1 - كان الإمام الحسن عليه السلام في مسند الخلافة ومعاوية حاكماً، ولم يطلب معاوية من الإمام الحسن البيعة بعد الصلح. أمّا في زمن الإمام الحسين عليه السلام كان يزيد خليفة، وطلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايعه، ومثل الإمام الحسين عليه السلام كيف يبايع يزيد، وإن أدّى ذلك إلي الحرب والشهادة.

2 - إن عدد جيش الإمام الحسن عليه السلام، كان يقارب عدد جيش معاوية إلا أن الكوفة في زمانه عليه السلام كانت متفرقة وممزقة، وقد قام الإمام عليه السلام للحرب، ولكن خذله معظم القادة والجنود من الجيش، واستسلموا لجيش معاوية، واضطر الإمام عليه السلام

ص: 273

1- (1) مناقب آل أبي طالب 3: 367، بحار الأنوار 16: 306، ب 11.

لصلح، أما بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام فإنَّ أهل الكوفة هم الذين دعوه لينصروه فوجب عليه أن يجيبهم لكي لا يلوموه ويلومه التاريخ بعد ذلك.

3 - كان يزيد بعكس معاوية يتجاهر بالفسق والفجور، فعلي مثل الإمام الحسين أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وإن لم يكن له ناصرٌ ومعين، ولم يكن معاوية كذلك، بل كان متظاهراً بالتدين، وقد خفي أمره علي الناس، فالنهوض في وجهه لا يعد عند الكثيرين جهاداً أو أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

لقد كان الكثير من المسلمين البسطاء يرون في معاوية الحاكم الإسلامي الذي يجب طاعته، ويلزم احترامه، إثر تلك الأحاديث التي حشدها بعض الصحابة والتابعين لبيان موقعية معاوية والتصاقه بالإسلام، وقربه الشرعي من نبيه الكريم، وإنه خال المؤمنين وهكذا كانت تري الناس معاوية من زاوية هؤلاء الرواة، وما يضعونه من فضائل في حقه.

هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها، هي من أهم أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، والإمام الحسن عليه السلام مع هذه الظروف، ولأجل المصلحة الإسلامية العامة، وحفظ دماء المسلمين وبالأخص شيعة، صالح معاوية ضمن شروط لوعمل بها معاوية لأطاحت بحكمه، ولكن كما قال هو بنفسه بعد معاهدة الصلح "إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عدات فان كل ما هنالك تحت قدمي هاتين". فنقض معاوية العهد والشروط التي كانت بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام التي كان من أهم بنودها:

شروط الصلح وبنودها

1 - تنازل الإمام عليه السلام عن الأمر إلي معاوية بشرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الراشدين و أن لا يُسمِّي معاوية بأمر المؤمنين.

2 - يرجع الحكم بعد معاوية إلي الحسن، وإذا لم يكن فيرجع إلي أخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد به إلي أحد.

3 - لا يحق لمعاوية أن يلعن علياً عقيب الصلاة وعلي المنابر وفي المحافل، وعليه أن يذكره بخير.

4 - بيت المال الذي في الكوفة يستثني من التسليم لمعاوية، ويجب علي معاوية إعطاء مليونين درهم في السنة إلي الحسن عليه السلام، مليون لبني هاشم ومليون لعوائل شهداء الجمل وصفين.

5 - وكان فيما اشترطه الإمام الحسن عليه السلام، أن لا يتعقب علي شيعته شيئاً، ويؤمنهم ولا يتعرض لأحدهم بسوء، ويوصل لكل ذي حق حقه.

ويكفيينا من تصريحات الحسن عليه السلام، ما قاله أكثر من مرة لأجل إفهام شيعته سبب صلحه مع معاوية: "ما تدرون ما فعلت والله، للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس"، وما قاله عليه السلام مرة أخرى لبشير الهمداني وهو أحد رؤساء شيعته في الكوفة -: "ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل". (1)

وكانت المعاهدة في النصف من جمادي الأولى، سنة 41 للهجرة علي أصح الروايات، وما كان هدف معاوية في صلحه مع الحسن عليه السلام، إلا الاستيلاء علي الملك كما صرح بذلك بعد الصلح بقوله: "رضينا بها ملكاً". (2)

وكما روي أبو الفرج الأموي، بسنده عن عبد الرحمان بن شريك، أن معاوية خطب بعد معاهدة الصلح وقال: "إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، فإنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأنتم عليكم! وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون" ثم قال شريك في حديثه: إن هذا لهو التهتك! وروي أيضاً بسنده، عن أبي

ص: 275

1- (1) تاريخ اليعقوبي 2: 192.

2- (2) شرح نهج البلاغة لابن ابن الحديد 4: 13.

إسحاق السبيعي الهمداني أنه قال في خطبته: "ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به" ثم قال أبو إسحاق: وكان غداراً والله (1).

ص: 276

1- (1) مقاتل الطالبين: 45، ومثله في الإرشاد 2: 14.

لَمَّا تَمَّ الأمر لمعاوية عشر سنين، عزم أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، فنظر في نفسه فرأى أثقل الناس عليه مؤونة هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وسعد ابن أبي وقاص الزهري، أما الحسن عليه السلام فلن تعدل الناس عنه إلي يزيد، لأنه ابن بنت رسول الله صلي الله عليه وآله، وأما سعد فإنه من الصحابة الستة أصحاب الشوري، فسعي إلي التخلص منهما بكل وسيلة حتي يخلو له الأمر عن منازعه ينازعه في ذلك، فأرسل إلي سعد رجلاً فدسَّ إليه سمًّا فمات، ثمَّ عزم علي التخلص من الحسن عليه السلام، ودعا معاوية مروان بن الحكم إلي إقناع جعدة بأن تسقي الحسن السمَّ بشرية من العسل (2)، وضمن لها أن يزوجه بابنه يزيد، وأرسل إليها مئة ألف درهم (3).

بقيت جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي تتحين الفرص لقتل الحسن عليه السلام حتي كان ذلك اليوم الذي قدم فيه الإمام عليه السلام إلي منزله وكان صائماً في يوم صائف شديد الحر، فقدّمت إليه طعاماً فيه لبن ممزوج بعسل قد أَلقت فيه سُمًّا، فلَمَّا شربه الحسن أحسَّ بالسَّم، فالتفت إلي جعدة وقال لها: "قتلتيني يا عدوة الله، قتلك الله، وأيم الله لا تصيبين مني خلفاً، ولقد غرّك وسخر بك فالله مخزيه ومخزيك". وفي هذا قال الإمام الصادق عليه السلام: "إنَّ الأشعث شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن، وابنه محمّد شرك في دم الحسين عليه السلام" (4).

- 1- (1) راجع: قصة إستشهاده بكاملها في تاريخ اليعقوبي 2: 225، مقاتل الطالبين: 48، روضة الكافي: 147، الحديث 187.
- 2- (2) وقد اشتهرت كلمة معاوية: «إنَّ لله جنوداً من عسل»، بعد قتله مالك الأشر بالسم الذي دسّه في العسل.
- 3- (3) الإرشاد 2: 15 والخبر هو ما في مقاتل الطالبين: 48 وعنه نقل المفيد.
- 4- (4) راجع أصول الكافي 1: 462، الإرشاد 2: 15.

وقال جنادة بن أبي أمية(1): دخلت علي الحسن بن علي في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف فيه الدم قطعة قطعة من السمّ الذي سقاه معاوية، فقلت له: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا اعالج الموت؟! ثم التفت إليّ فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله صلي الله عليه وآله: أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليّ وفاطمة، ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول! ثم رفع الطست، وبكي، فقلت له: عظمي يابن رسول الله. قال: نعم، (يا جنادة) استعدّ لسفرك، وحصلّ زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت علي يومك الذي أنت فيه. واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك! واعلم أن في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً وفي الشبهات عتاباً. فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة! خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر إذا أخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير. واعمل لديّك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إليّ عزّاً طاعة الله عزّ وجل... (2).

شهادة الإمام الحسن عليه السلام وتجهيزه ودفنه

إنّ الإمام الحسن عليه السلام قام في مرضه أربعين يوماً، فلمّا تحقق من دنوّ أجله استدعي

ص: 278

-
- 1- (1) جنادة بن أبي أمية، عدّته كتب تراجم الصحابة منهم ولم يرو عنه في كتبنا إلاّ حديث نبوي واحد في «أمالي الطوسي»، مما لا صراحة فيه بصحابتّه، ولم يذكر في أيّ خبر مع عليّ والحسن، ويذكر في قواد معاوية لغزو الروم في البحر في عام (56 هـ - و 59 هـ) ومات في سنة 80 هـ - انظر: (موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 5، عهد الإمام الحسن).
- 2- (2) بحار الأنوار 138:44 عن كفاية الأثر في النصّ علي الأئمة الاثني عشر للخزّاز القمي الرازي، وراجع أعيان الشيعة 4:85.

أخاه الحسين ونصبه علماً للناس، ودفع إليه كتب رسول الله صلي الله عليه وآله وسلاحه، وكتب أمير المؤمنين عليه السلام وسلاحه، وأوصاه بوصاياه، ومما جاء في وصيته: "...، وأن تدفني مع رسول الله صلي الله عليه وآله فأني أحقُّ به وببيته، فإن أبوا عليك فأنشدك الله وبالقرابة التي قرب الله منك والرحم الماسة من رسول الله صلي الله عليه وآله أن لا يهراق من أمري محجمة من دم حتي نلقي رسول الله فتخصمهم..." (1).

وثقل حال الإمام الحسن عليه السلام واشتدَّ به الوجد فأخذ يعاني آلام الإحتضار، فالتفت إلي أهله قائلاً: "أخرجوني إلي صحن الدار أنظر في ملكوت السماء"، فحملوه إلي صحن الدار، فلما استقرَّ به رفع رأسه إلي السماء وأخذ يناجي ربَّه ويتضرع إليه، وأخذ يتلو آي الذكر الحكيم ويتهل إلي الله ويناجيه حتَّى فاضت نفسه الزكية إلي جنة المأوي، وسمت إلي الرفيق الأعلى.

وقال الكليني: مضى الحسن عليه السلام في آخر شهر صفر من سنة (49 هـ -) وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر (2) واختار المفيد أنه كان له (48) سنة وتوفي في صفر سنة (50 هـ -) (3) بلا- تعيين اليوم. واختار الطبرسي: ليلتين بقيتا من صفر (4) ، وتبعه ابن شهر آشوب المازندراني (5) وعليه العمل في بلاد فارس والعجم غالباً. واختار الكفعمي السابع من شهر صفر، وعليه العمل في الشيعة العرب غالباً.

وأخذ الإمام الحسين عليه السلام في تجهيز أخيه الحسن عليه السلام، وقد أعانه علي ذلك أخواه محمد بن الحنفية وأبوالفضل العباس، وعبدالله بن عباس وعبد الرحمن بن جعفر وعلي

ص: 279

1- (1) راجع: الطبقات الكبرى 8: ترجمة الإمام الحسن، الحديث 152، وأعيان الشيعة 4: 79.

2- (2) أصول الكافي 1: 461.

3- (3) الإرشاد 2: 15.

4- (4) إعلام الوري 1: 403 وفي عمره وافق الكليني وفي عام الوفاة المفيد.

5- (5) مناقب آل أبي طالب 4: 34 وفي عمره وافق الكليني وفي عام الوفاة وافق المفيد.

بن عبدالله بن عباس، فغسَّله وكفَّنه وحنَّطه، وبعد الفراغ من تجهيزه؛ أمر عليه السلام بحمل الجثمان المقدَّس إلي مسجد الرسول لأجل الصلاة عليه، فلمَّا توجَّه به الحسين عليه السلام إلي قبر جدِّه رسول الله صلي الله عليه وآله ليجدَّد به عهداً؛ لحقهم مروان وجعل يقول: أيَّدفنُ عثمانُ في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف، وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني امية فبادر ابن عباس إلي مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت فإنا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله صلي الله عليه وآله لكننا نريد أن نجدَّد به عهداً بزيارته ثم نردّه إلي جدّته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها بوصيته بذلك،...، وقال الإمام الحسين عليه السلام للقوم: "والله لو لا عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا اهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها... " ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد" (1).

ولمَّا دفن الحسن عليه السلام وقف أخوه محمد بن الحنفية علي قبره وقال: لئن عزَّت حياتك لقد هدَّت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمَّنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمَّن بدنك...، ثمَّ أنشأ يقول:

أُدهن رأسي أم أطيب محاسني وخذك معفور وأنت سليل

أشرب ماء المزن من غير مائه وقد ضمن الأحشاء منك لهيب

سأبكيك ما ناحت حمامة أيكه وما اخضرَّ في دوح الحجاز قضيب

ص: 280

1- (1) راجع الإرشاد للمفيد: 279، تاريخ ابن عساكر 8: 228، ومنتهي الآمال 1: 325، الباب الرابع، الفصل الرابع.

غريب وأطراف الديار تحوطه ألا كلّ من تحت التراب غريب(1)

و لسان حاله أخيه الحسين عليه السلام وهو جالس علي قبره الشريف:

بكائي طويل والدّموع غزيرة وقبرك قلبي والمزار قريب

غريب وأطراف البيوت تحوطه ألا كلّ من تحت التراب غريب

وليس حريباً من اصيب بماله ولكنّ من واري أخاه حريب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص:281

1- (1) تاريخ اليعقوبي 2:225، مروج الذهب 2:428.

القبس الأول: ميلاد الحسين عليه السلام وإجراء السنن

المشهور بين علماء الإمامية أنّ الإمام الحسين عليه السلام ولد في يوم الخميس الثالث من شعبان، من السنة الرابعة للهجرة في المدينة(1) ، لقد روي الطوسي عن القاسم بن العلاء الهمداني وكيل العسكري عليه السلام قال: خرج اليه من الناحية المقدسة: أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان(2) واختاره المفيد في " مسارّ الشيعة"(3).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: حدّثني أسماء (بنت عميس)(4) قالت: لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسن وولدت... وكان بعد حول ولدت الحسين وجاء النبيّ صلي الله عليه وآله فقال: يا

ص:285

-
- 1- (1) الإرشاد: 18، مقاتل الطالبين: 78، اسد الغابة 2:18، تأريخ ابن عساكر 14:313، وثمّة مؤرّخون أشاروا الي أنّ ولادته عليه السلام كانت في السنة الثالثة (اصول الكافي 1:463، والاستيعاب 1:377).
 - 2- (2) مصباح المتهدج: 757. وانظر خاتمة قاموس الرجال 12:10.
 - 3- (3) مسارّ الشيعة: 37.
 - 4- (4) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الولّادة الخطّابة، وليست أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطّيار لعدم حضورها آنذاك في المدينة، قبل فتح خيبر، وإنّما الخلط من الرواة راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2:249).

أسماء هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في اذنه اليمني وأقام في اليسري ووضعه في حجره فبكى! فقلت: بأبي أنت وأمي ممّ بكأوك؟ قال: علي ابني هذا.

قلت: إنّه وُلد الساعة يا رسول الله! فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي! ثمّ قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنّها قريبة عهد بولادته. ثمّ قال لعليّ: أيّ شيء سمّيت ابني هذا؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله.

فقال النبيّ: ولا أسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ ثمّ هبط جبرئيل فقال: يا محمّد، العليّ الأعليّ يقرّوك السّلام ويقول لك: عليّ منك كهارون من موسى، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون. قال النبيّ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شُبَيْر. قال النبيّ: لساني عربيّ. قال جبرئيل: سمّه الحسين (1)، فلمّا كان يوم سابعه عقّ عنه النبيّ بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثمّ حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضّة) وطلّي رأسه بالخلوق. وقال: يا أسماء، الدّم فعل الجاهليّة (2).

وهكذا أجرى رسول الله صلي الله عليه وآله للحسين عليه السّلام السبط ما أجرى لأخيه الحسن السبط من مراسم.

ص: 286

1- (1) كما سمّي من قبل أخاه حسناً، ويقول المؤرخون: لم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الإسمين حتي تسمّي أبناءها بهما، وإنّما سماهما النبي بهما بوحى من السماء. راجع (المناقب 3: 50، تاريخ الخلفاء: 188).

2- (2) أمالي الطوسي: 367 ح 781، وراجع: عيون أخبار الرضا 2: 25، إعلام الوري 1: 427.

لُقّب الإمام الحسين عليه السلام بالسبط، وسيد شباب أهل الجنة، وكان يكتني بأبي عبد الله، وكنّاه الناس من بعد شهادته بسيد الشهداء، وأبي الأحرار(1).

ولقد استلم الإمام الحسين عليه السلام الإمامة بعد شهادة أخيه الحسن عليه السلام سنة 50 للهجرة، واستمرت إلي سنة 61 هجرية، فكانت لمدة 10 سنوات وأشهر، وقد نص علي إمامته وإمامة أخيه الحسن الرسول صلي الله عليه وآله بقوله: "إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا"(2).

وعاش الإمام الحسين عليه السلام برفقة جدّه المصطفي صلي الله عليه وآله ما يزيد عن خمس سنوات، وكان يشرف بنفسه علي رعايته، وعاش مع امه فاطمة عليها السلام قرابة السّت سنوات، وقضي ما يزيد علي (35 سنة) مع أبيه الإمام علي عليه السلام وقد اشترك في حروبه الثلاثة، الجمل وصفين والنهران، وبعد أبيه رافق أخاه الحسن عشر سنوات، وعاصر عليه السلام خليفتي من الخلفاء الأمويين: معاوية بن أبي سفيان، ودامت عشر سنوات، ويزيد بن معاوية، ودامت ست أشهر.

و برواية علي بن عيسى الإربلي(3) أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان له عشر أولاد، ستة أبناء وأربع بنات، والأبناء هم: علي الأكبر وأمّ ليلي بنت أبي مرة بن عروة الثقفي،(4)

ص: 287

1- (1) الإرشاد: 103، الفصول المهمة: 176، المناقب 4: 717. ودلائل الإمامة: 73.

2- (2) الإرشاد 2: 30.

3- (3) رواه علي بن عيسى الإربلي عن كمال الدين للصدوق (كشف الغمة في معرفة الأئمة 2: 214)، وذكر ابن شهر آشوب أنّ للإمام الحسين عليه السلام تسعة أبناء، ستة ذكور وثلاثة أنث (المناقب: 3: 257).

4- (4) وأمّ ليلي هي ميمونة بنت أبي سفيان فعلي الأكبر من جهة أمّه ثقفي اموي، ولم يرد في كتب المقاتل ذكر لكون ليلي في كربلاء فلو كانت فلا بدّ أن يرهاها شيعة أبي سفيان لقرابتها منه، والأقوي أنّها بقيت في المدينة راجع: (منتهي الآمال 1: 651).

علي الأوسط (زين العابدين) وأمه شهربانو أو شاه زنان بنت يزيد جرد، وبقي نسل الإمام الحسين منه عليه السلام، علي الأصغر و أمه ام اسحاق، عبدالله (1) وأمه الرباب بنت امرء القيس، (2) محمد، جعفر (3)، والبنات هنّ: زينب (أم كلثوم)، سكينه (4) وأمه الرباب بنت امرئ القيس، والبنات الأخرى فاطمة بنت ام اسحاق، (5) ولم يذكر كمال الدين اسم إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام، وقد تكون فاطمة الصغرى وقد تكون رقية، وهؤلاء كلهم

ص: 288

1- (1) بحث تاريخي: يري بعض المؤرخين كالمرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه (نفس المهموم)، أنّ الطفل الرضيع الشهيد في كربلاء هو عبدالله، ويرى بعض آخر ان الطفل الرضيع هو علي الأصغر، فقيل بشأن علي الأصغر ان امه كانت تسمى ام اسحاق وقد ولد في كربلاء في ظهر يوم عاشوراء وبعد ساعة من الولادة استشهد في حجر أبيه بسهم رماه عبدالله بن عقبة الغنوي أو هاني بن ثبيت الحضرمي، وقيل بشأن عبدالله أنّ أمّه كانت الرباب بنت امرء القيس وقد ولد في المدينة والمشهور أنّه كان يبلغ من العمر في يوم عاشوراء ستة أشهر وقتل وهو في يد أبيه بسهم رماه حرمة بن كاهل الأسدي، وبناء علي هذا يدل اختلاف الاسم والام والسنّ ومحل الولادة، علي استشهد طفلين رضيعين في كربلاء في يوم عاشوراء والله هو العالم.

2- (2) الرباب: تلك المرأة الوفية للحسين، والتي لم تبق بعد واقعة الطف إلا عاماً، ثم ماتت حزناً علي زوجها وإمامها، راجع: (الأغاني 14:160، ونقله عنه في نفس المهموم: 528).

3- (3) أمّ جعفر من قبيلة قضائية وقد توفي زمن حياة والده في المدينة، ويذكر للحسين محسن السقط لإحدى زوجاته لا يعرف اسمها كانت معه في كربلاء وكانت حاملاً واسقطت حملها في طريقها إلي الشام عند جبل الجوشق بالقرب من مدينة حلب راجع: (منتهي الآمال 1:588).

4- (4) بقيت سكينه بعد واقعة الطف في المدينة عابدة زاهدة، وقد غمرها الحزن علي أبيها وأهلها حتي أدركتها الوفاة، في يوم الخميس (5 ربيع الأول سنة 117 هـ -)، ودفنت في المدينة، فكانت تعد من المعمرين، راجع: (أعيان الشيعة 3:492، نفس المهموم: 530).

5- (5) بعد رجوع فاطمة من الأسر إلي المدينة تزوّجت في أوائل سن العاشرة من عمرها بإبن عمّها الحسن بن الحسن عليه السلام والمعروف بالحسن المثني، وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، وقد حضر عاشوراء وجرح ولكن لم يستشهد، وكانت فاطمة بارعة بالكمال والجمال وتوفيت في المدينة سنة 117 هـ -، فكانت تعد من المعمرين راجع: (منتهي الآمال 1:652).

حضرُوا واقعة كربلاء ما عدي فاطمة الصغري العليّة، فبعضهم استشهد وبقي بعضهم حيّاً.

الإمام الحسين عليه السلام ومقدمات الثورة

لم تتح الظروف السياسية في عهد معاوية لإعلان الإمام الحسين عليه السلام ثورته ضد الحكم الأموي الفاسد المحارب لله ورسوله، لوجود أخيه الإمام الحسن عليه السلام ولزوم إطاعته ومنها احترام بنود صلحه مع معاوية، ولكن لا يعني ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام سكت عن ممارسات معاوية المخالفة للإسلام، بل كان يبذل قصاري جهده في الوقوف ضد كل تصرفاته الظالمة، ويعارض حكمه بشتي الوسائل والأساليب وإليك نماذج منها:

1 - إظهار فسق معاوية ومخالفاته العظيمة للإسلام أمام الملأ، وخصوصاً في مواسم الحج(1).

2 - الرد علي معاوية في قتله لحجر بن عدي الكندي وأصحابه، وعمرو بن الحمق، والحضرمي، وقتل كل من كان علي ولاية علي عليه السلام(2).

3 - الرد علي معاوية في إدعائه زياد بن أبيه، وبسطه يده علي رقاب المسلمين يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم(3).

4 - الرد علي معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد حيث خالف معاوية المعاهدة بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام والتي تصرّح بأنّ الحكم بعد معاوية للحسن عليه السلام وإذا مات الحسن فالأخيه الحسين عليه السلام(4).

ص: 289

1- (1) كتاب سليم بن قيس الهلالي: 206، تحف العقول: 237، الاحتجاج: 161.

2- (2) راجع: رسالته إلي معاوية في كتابي الإمامة والسياسة 1: 180، والاحتجاج للطبرسي 2: 161.

3- (3) الإمامة والسياسة 1: 180، والاحتجاج للطبرسي 2: 161.

4- (4) راجع: خطبته في ذلك، الإمامة والسياسة 1: 184.

لمّا مات معاوية سنة ستين من الهجرة وانتقل الحكم الأموي إلي ابنه يزيد و تحوّل بلاط يزيد إلي مركز يشكّل أنواع الفساد وارتكاب المحرمات، وقد طلب يزيد من عامل معاوية علي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين عليه السلام أو يضرب عنقه، عندها قام الإمام عليه السلام بثورته ورفض بيعته قائلاً: "إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنّا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح و تصبحون ونظر و تنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة"⁽¹⁾.

والتقي الإمام الحسين عليه السلام بمروان بن الحكم في صبيحة تلك الليلة التي أعلن فيها رفضه لبيعة يزيد، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين من الهجرة، فبادره مروان قائلاً: بايع أمير المؤمنين يزيد فإنّه خير لك في دينك ودنياك، فردّ عليه الإمام عليه السلام قائلاً: "علي الإسلام السّلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد... سمعت جدّي رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة علي آل أبي سفيان وعلي الطلقاء وأبناء الطلقاء فإذا رأيتم معاوية علي منبري فابقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة علي منبر جدّي فلم يفعلوا ما امروا به"⁽²⁾.

وذكر المؤرّخون أنّ الإمام الحسين عليه السلام أقام في منزله تلك الليلة، واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد وامتناعه عليهم، وخرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجّهاً إلي مكّة، فلمّا أصبح الوليد سرّح في أثره الرجال فبعث ركباً من

1- (1) إعلام الوري 1: 435، مقتل الحسين للمقرّم: 144.

2- (2) إعلام الوري 1: 435، اللهوف علي قتلي الطفوف: 11.

موالي بني امية في ثمانين راكباً، فطلبوه ولم يدركوه فرجعوا، فلمّا كان آخر نهار يوم السبت بعث الرجال إلي الحسين عليه السلام ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية، فقال لهم الحسين عليه السلام: اصبحوا ثمّ ترون ونري. فكفّوا تلك الليلة عنه ولم يلحوا عليه، فخرج الحسين عليه السلام من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب(1) متوجّهاً نحو مكّة ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجلّ أهل بيته إلاّ محمد بن الحنفية، فسار الحسين عليه السلام إلي مكّة وهو يقرأ (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) 2.

وصايا الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة

لقد كتب الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من المدينة عدّة وصايا منها: وصيته لأم المؤمنين امّ سلمة حيث أوصاها بما يرتبط بإمامة الإمام من بعده، لقد روي الطوسي عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو جعفر عليه السلام: "لما توجه الحسين عليه السلام الي العراق ودفع إلي امّ سلمة زوجة النبيّ صلي الله عليه و آله الوصية والكتب وغير ذلك قال لها: "إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي اليه ما قد دفعت إليك"، فلما قتل الحسين عليه السلام أتى عليّ بن الحسين عليه السلام ام سلمة فدفعت إليه كلّ شيء أعطهاها الحسين عليه السلام"(2).

وروي أنّه لمّا عزم الإمام عليه السلام علي الخروج من المدينة أتته ام سلمة (رضي الله عنها) فقالت: "يا بني لا تحزني بخروجك إلي العراق، فإنّي سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلا"، فقال لها: "يا أمّاه وأنا والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه،

ص: 291

- 1- (1) الإرشاد 2:35. وعلي رواية الطبري (5:353) خرج الحسين عليه السلام من المدينة ليلة الأحد التاسع والعشرين من شهر رجب.
- 2- (3) الغيبة للطوسي: 118 حديث 148، وإثبات الهداة 5:214.

وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي ادفن فيها، وإنِّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرايتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّاه اريك حفرتي ومضجعي...، يا أمّاه قد شاء الله عزّوجلّ أن يراني مقتولاً مذبحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يري حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبحين مظلومين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معيناً.

وفي رواية اخري: قالت أمّ سلمة: وعندي تربة دفعها إلي جدّك في قارورة، فقال: "والله إنّي مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلي العراق يقتلوني أيضاً" ثمّ أخذ تربةً فجعلها في قارورة وأعطها إياها، وقال: "اجعلها مع قارورة جدّي فإذا فاضتاً دماً فاعلمي أنّي قد قتلت" (1).

ومنها: وصية لأخيه محمد بن الحنفية هذا نصّها: "هذا ما أوصي به الحسين بن عليّ إلي أخيه محمد بن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، وأنّ الجنة حق والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشيراً ولا بطيراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، اريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولي بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين" (2).

إذاً انطلق الإمام الحسين عليه السلام بثورته من المدينة لطلب الإصلاح في أمة جدّه وبشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيمكننا القول، بأنّ عنصر الإصلاح في أمة

ص: 292

-
- 1- (1) راجع: بحار الأنوار 331:44، العوالم: 17:180، ينابيع المودة: 405.
- 2- (2) مقتل الحسين للمقرّم: 156. عن مقتل الخوارزمي عن الفتوح لابن الأعمش الكوفي في 310 هـ - وفي مابعد: بسيرة جدّي: والخلفاء الراشدين بعدي وأبي عليّ ابن أبي طالب. ولقب الراشدين إنّما شاع في القرن الثالث للهجرة.

رسول الله صلى الله عليه وآله، ومحاربة الفساد والظلم، وحفظ الدين من الإنحراف الخطير عن مبادئه الأصيلة هو الذي حرَّك الإمام الحسين عليه السلام ليثور علي الطاغية يزيد بن معاوية، لما وجدته من إنحراف خطير وفساد كبير وتردّي في المجتمع الإسلامي، وقد رأي بأنَّ تحقق الإصلاح في المجتمع والدين يكون عبر العمل بذلك المبدأ القرآني وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتَّمسك بسيرة النبي وأهل بيته.

دخل الإمام الحسين عليه السلام مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان أي ليلة ذكري مولده عليه السلام فأقام فيها في بيت العباس بن عبدالمطلب (1)، أو في شِعْبِ عَلِيِّ (2)، واستغرقت إقامته عليه السلام في مكة أكثر من أربعة أشهر، (شعبان، رمضان، شوال وذاالقعدة) وإلى الثامن من ذي الحجة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يأخذون عنه الأحكام ويتعلمون منه الحلال والحرام، ولم يتعرّض له أمير مكة يحيى بن حكيم بسوء وترك الإمام عليه السلام وشأنه، وكان ابن الزبير بها قد لزم الكعبة، فهو قائم يصلّي عامّة النهار، ويطوف، ويأتي حسيناً عليه السلام فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة؛ ولا يزال يشير عليه برأيه، وكان أثقل خلق الله عليه الإمام عليه السلام! لأنّه عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام الإمام عليه السلام بالبلد، وأنّ حسيناً عليه السلام أعظم في أعينهم وأنفسهم وأطوع في الناس منه (3).

وبلغ خبر ابن الزبير والحسين عليه السلام إلي يزيد فتخوّف من ضعف الوليد ويحيى بن حكيم فبعث عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق أميراً علي المدينة ومكة والطائف والحج وذلك في شهر رمضان (4).

ص:294

1- (1) تأريخ ابن عساكر 13:68.

2- (2) الأخبار الطوال: 209.

3- (3) تأريخ الطبري 5:351، والإرشاد 2:36،

4- (4) تأريخ ابن الخياط: 144. وراجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 6:64.

الإمام الحسين عليه السلام في مكة واشتهر في مختلف الأقطار امتناعه عن البيعة، فأتجهت إليه الأنظار وبخاصة أهل الكوفة، فقد كانوا يومذاك من أشد الناس نقمةً علي يزيد وأكثرهم ميلاً إلي الإمام عليه السلام فاجتمعوا في دار سليمان ابن صرد الخزاعي فقام فيهم خطيباً فقال: "إن معاوية قد هلك، وإن حسينا قد قبض علي القوم ببيعته، وقد خرج إلي مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه، فاكتبوا إليه وأعلموه، وإن خفتهم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ قدس سره من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك،...، إنه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك علي الحق،...". ثم كتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن زويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي: "أما بعد، فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت فاقدم علي جند لك مجتدة، والسلام" (1).

وهكذا تابعت كتب الكوفيين كالسيل إلي الإمام الحسين عليه السلام وهي تدعوه الي المسير والقدوم إليهم لإنقاذهم من ظلم الأمويين وبطشهم، وكانت بعض تلك الرسائل تُحمّله المسؤولية أمام الله والأمة إن تأخر عن إجابتهم، فأجابهم الإمام الحسين عليه السلام: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلي الملاء من المؤمنين والمسلمين: أما بعد، فإنّ

هانئاً وسعيداً قَدِمَا علي بكتبكم، وكانا آخر من قَدِمَ علي من رسلكم، وقد فهمتُ كلَّ الذي اقتصصتم وذكركم، ومقالة جُلِّكم: أنه ليس علينا إمام، فأقبلُ لعلَّ الله أن يجمعنا بك علي الحقِّ والهدى، وإنِّي باعث إليكم أخي وابنَ عمِّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأيُ ملئكم وذوي الحجي والفضل منكم علي مثل ما قدمتُ به رسلُكم، وقرأتُ في كتبكم فإني أقدمُ إليكم وشيكاً إن شاء الله،... (1).

وفي النصف من شهر رمضان انطلق مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبدالله السلولي وعبدالله وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي إلي الكوفة، فعرجوا علي المدينة فصليَّ مسلم في مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله وودَّع مَنْ أَحَبَّ من أهله وواصل مسيره الي الكوفة. وبعد أن وصل مسلم بن عقيل إلي الكوفة، نزل في دار المختار بن أبي عبيدة (2)، وقيل: نزل في بيت مسلم بن عوسجة (3)، وقيل: في بيت هاني بن عروة (4).

وعندما علم الكوفيون بوصول مبعوث الحسين عليه السلام إلي مدينتهم؛ ازدحموا للقائه وبيعته، وحسب قول بعض المؤرِّخين فقد أقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون وبايعه الناس، حتي بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، وبعد أن لاحظ مسلم كثرة الأنصار؛ بادر بالكتابة إلي الإمام عليه السلام وسأله القدوم. وقد جاء في رسالة مسلم للإمام عليه السلام: "أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله،

ص: 296

1- (1) إعلام الوري 1: 436، ومقتل الحسين للخوارزمي 1: 195.

2- (2) الإرشاد 2: 41، الفتوح 5: 36، وإعلام الوري 1: 437.

3- (3) الإصابة 1: 332.

4- (4) تهذيب التهذيب 2: 349.

وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلُّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هويّ" (1).

وقلّق يزيد كثيراً من الأخبار التي وصلتته من الكوفة، وهي تتحدّث عن موقف الكوفيّين من الحكم الأموي ومبايعتهم للإمام الحسين عليه السلام فاستشاريزيد السيرجون النصراني فأشار عليه بتولية عبيدالله علي الكوفة ففعل وخرج عبيدالله من البصرة متوجّهاً إلي الكوفة ولمّا وصلها أخذ الناس أخذاً شديداً وخوفهم من جند الشّام ففرّقهم عن مسلم بن عقيل فخذلوه حتي انتهى الأمر إلي استشهاده هو وهاني بن عروة رئيس قبيلة مذحج بسبب إيوائه مسلم، فجروا جسدهما في أسواق الكوفة، وكان ذلك في يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر ذي الحجة أي: يوم عرفة، سنة ستين للهجرة(2).

ص:297

1- (1) راجع: مناقب آل أبي طالب 4:90، وتذكرة الخواص: 220.

2- (2) راجع: تاريخ الطبري 6:224.

القبس الخامس: الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة

بعد تواتر رسائل أهل العراق إلي الإمام الحسين عليه السلام وعلمه ببيعة الناس لمسلم بن عقيل قرّر الإمام أن يسير إليهم، ولمّا أراد الحسين عليه السلام الخروج من مكة طاف بالبيت وسعي بين الصفا والمروة وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرةً، لأنّه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يُقبض عليه بمكة فيُنقذ به إلي يزيد بن معاوية، فخرج عليه السلام مبادراً بأهله وولده ومن انضمّ إليه من شيعته، ولم يكن خبر مسلم قد بلغه(1).

وعند خروج الإمام عليه السلام من مكة التقى به ابن عباس الذي كان في مكة و محمد بن الحنفية الذي وصلها في الليلة التي أراد الإمام الخروج في صبيحتها إلي العراق وأخذاً ينصحان الإمام بعدم الخروج من مكة وممّا جاء في كلام ابن الحنفية: "...يا أخي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، ويساورني خوف أن يكون حالك حال من مضى، فإن أردت أن تقيم في الحرم فإنك أعز من بالحرم وأمنعهم". فأجابه الإمام عليه السلام: "خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية، فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت" فقال محمد ابن الحنفية: "فإن خفت ذلك فسر إلي اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمانع الناس به، ولا يقدر عليك أحد"، قال الحسين عليه السلام: "أنظر فيما قلت". ولمّا كان وقت السحر بلغه شخوصه إلي العراق وكان يتوضأ فبكى، وأسرع محمد إلي أخيه فأخذ بزمام ناقته وقال له: "يا أخي، ألم تعدني فيما سألتك؟" قال الإمام عليه السلام: "بلي ولكنّي أتاني رسول الله صلي الله عليه وآله بعد ما فارقتك وقال لي: يا حسين، اخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلًا"، فقال

ص: 298

محمد: فما معني حمل هؤلاء النساء والأطفال، وأنت خارج علي مثل هذا الحال؟ فأجابه الإمام عليه السلام: "قد شاء الله أن يراهن سبايا"
(1).

ولمّا عزم الإمام عليه السلام علي المسير إلي الكوفة شاع في الناس فبلغ ابن عباس فأتى إلي الإمام عليه السلام وقال له: يا بن عمّ؛ قد أرجف الناس أنك سائر إلي العراق! فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال: إنّي قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين (السابع أو الثامن لذي الحجة) إن شاء الله.

فقال ابن عباس: فإني اعيدك بالله من ذلك!..... فإني أخاف عليك في هذا الوجه (العراق) الهلاك والاستئصال! فإنّ أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم! أقم بهذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز. فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم. فإن أبيت إلا أن تخرج فسير إلي اليمن، فإنّ بها حصوناً وشعباً، وهي أرض عريضة طويلة، وتبث دعائك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ (!) في عافية! فقال له الحسين عليه السلام: "يا بن عمّ؛ إنّي والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكنّي أزمعت علي المسير! فقال ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسانك وصبيبتك! فوالله إنّي لخائف أن تُقتل" (2).

وذكر المؤرخون أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا أراد الخروج من مكّة ألقى خطاباً فيها، جاء فيه: "خُطّ الموتُ علي وُلدِ آدم مَخَطّ القلادة علي جيد الفتاة، وما أولهني إلي أسلافي اشتياق يعقوب إلي يوسف، وخُير لي مصرعُ أنا لاقية، كآتي بأوصالي تقطّعها عُسلانُ الفلواتِ بين النواويس وكربلاء، فيملاّننّ منّي أكراشاً جوفاً وأجربةً سدّغياً، لا- محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر علي بلائه ويوفّينا أجور الصابرين...، مَنْ

ص: 299

1- (1) اللهوف علي قتلي الطفوف: 27، وبحار الأنوار 44: 364.

2- (2) تاريخ الطبري 5: 383 عن أبي مخنف.

كان باذلاً فينا مهجته وموطناً علي لقاء الله نفسه فَلْيَرْحَلْ معنا، فَإِنِّي راحل مُصْبِحاً إِن شاء الله تعالى" (1).

وعند خروجه من مكة كتب الإمام عليه السلام الي بني هاشم في يثرب رسالةً يدعوهم فيها إلي الفرصة الأخيرة لنصرته فقد جاء فيها بعد البسملة: "من الحسين بن عليّ إلي أخيه محمد ومن قبله من بني هاشم: أمّا بعد، فَإِنَّهُ من لحق بي منكم استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام" (2).

وروي الكليني عن الصادق عليه السلام قال: اعتمر الحسين عليه السلام في ذي الحجة ثمّ راح يوم التروية إلي العراق (3). وقال المفيد: أحلّ من إحرامه عمرة ولم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يُقبض عليه بمكة فيُنْفَذَ إلي يزيد، فخرج مبادراً بأهله وولده ومن انضمّ إليه من شيعته، يوم خروج مسلم في الكوفة (4).

ص: 300

1- (1) كشف الغمة 2: 204.

2- (2) مناقب آل أبي طالب 4: 76، بصائر الدرجات: 481، ودلائل الإمامة: 77.

3- (3) فروع الكافي 4: 535، الحديث 4، وعنه في وسائل الشيعة 14: الباب 7 من أبواب العمرة، الحديث 3.

4- (4) الإرشاد 2: 67، وعنه في إعلام الوري 1: 445.

خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة يوم الثامن من شهر ذي الحجة يوم التروية قاصداً العراق، ولمّا وافي الإمام عليه السلام الحاجر من بطن ذي الرّمّة - وهو أحد منازل الحجّ من طريق البادية - كتب كتاباً لشيعته من أهل الكوفة يعلمهم بالقدوم إليهم، ولم يكن عليه السلام قد وصله خبر شهادة ابن عقيل، وممّا جاء في الكتاب: "...أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يُخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم علي نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يُحسن لنا الصنيع، وأن يُثيبكم علي ذلك أعظم الأجر، وقد شَخَصْتُ اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضمين من ذي الحجّة يوم التروية،..."(1).

وقد بعث الإمام عليه السلام الكتاب بيد قيس بن مُسهر الصيداوي، وانطلق قيس برسالة الإمام نحو الكوفة، وحينما وصل القادسية اعتقله الحصين بن نمير، فبعث به إلى عبيدالله بن زياد، فأمر عبيدالله أن يُرمي به من فوق القصر، فرموا به فتقطّع(2).

وواصل الإمام الحسين عليه السلام المسير جهة الكوفة، وقد اخبر في الطريق في موضع يدعي "زرود" باستشهاد مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، و اخبر في موضع يدعي "زباله" باستشهاد رسوله إلي مسلم عبدالله بن يقطر وهكذا راحت تتوارد علي الإمام أبناء الانتكاسة، وشعر بالخذلان ونقض العهد، فوقف في أصحابه وأهل بيته يبلغهم بما استجدّ من الحوادث، ويضع أمامهم الحقائق، ليكونوا علي بصيرة من الأمر، فقال لهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل

ص:301

1- (1) الإرشاد 70:2، البداية والنهاية 8:181، وبحار الأنوار 44:369.

2- (2) الإرشاد 71:2، مثير الأحزان: 42، و البداية والنهاية 8:181.

وهانيء بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتُنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس معه ذمام"⁽¹⁾.

وواصل الإمام الحسين عليه السلام المسير جهة الكوفة وفي قرب جبل ذي حُسَم (2) لبني طيئ وقبيل الزوال التقي الحر بن يزيد الرياحي التميمي بالإمام عليه السلام وقطع عليه الطريق.

لقاء الحرّ بالإمام الحسين عليه السلام

بينما الإمام الحسين يسير نحو الكوفة وقبيل الزوال وقرب جبل ذي حُسَم لبني طيئ طلع عليه الحرّ بن يزيد الرياحي التميمي اليربوعي مع ألف فارس، حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهر، فقال الحسين لفتيانهِ: اسقوا القوم واروهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً. فقام فتيانهِ وسقوا القوم وخيولهم حتّى أروهم، وحضر الظهر فأقام الإمام الصلاة وصلّى خلفه من كان حاضراً ومنهم الحرّ وجنوده وبعد الصلاة انصرف الحرّ إلي خيمة ضربت له مع أصحابه، وعاد سائرهم إلي صفوفهم فجلسوا في ظلال الخيول حتّى كان وقت العصر، وتهيأ أصحاب الحسين عليه السلام للرحيل، ثمّ خرج وأمر مؤذنه فأذن للعصر ثمّ أقام، ثمّ استقدم الإمام فصلّي بهم وسلّم ثمّ انصرف بوجهه إلي القوم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وممّا قال لهم: "...، ونحن "أهل البيت" أولي بولاية هذا الأ-مر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم! والسائرين فيكم بالجور والعدوان! وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقّنا وكان رأيكم علي غير

ص:302

1- (1) الإرشاد 2:75، البداية والنهاية 8:182، وأعيان الشيعة 1:595.

2- (2) يقع جبل ذي حُسَم في ضواحي الحيرة وكان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يصطاد فيه.

ما أتتني به كتبكم وقدمت عليّ به رسلكم انصرفت عنكم!". ثمّ التفت إلي أصحابه وقال لهم: "قوموا فاركبوا". فقاموا وركبوا وركبت نساؤهم، وذهبوا لينصرفوا راجعين وتوقف الحرّ بخيله بينهم وبين الرجوع! فقال له الحسين عليه السلام: "تكلتكَ أمّك ما تريد؟!".

فقال الحرّ: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو علي مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمّه بالثكل كائناً من كان! ولكن - والله - مالي إلي ذكر أمّك من سبيل إلا - بأحسن ما تقدر عليه!... ولما كثر الكلام بينهما قال له الحرّ: إني لم أوامر بقتالك، وإنما أمرت أن لا افارقك حتي أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً تكون نصفاً بيني وبينك: لا تدخلك الكوفة ولا تردّك إلي المدينة، حتي أكتب إلي ابن زياد... فلعلّ الله أن يأتيني بأمر يرزقني فيه العافية من أن أتلي بشيء من أمرك! فتياسر الإمام عليه السلام عن طريق العذيب والقادسية (1).

وقبل أن يسير الإمام خطب في أصحابه وممّا قال: "...ألا ترون إلي الحقّ لا يعمل به! وإلي الباطل لا يُتناهي عنه! ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّقاً! فإني لا أري الموت إلاّ شهادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً"، ثمّ سار الإمام ويسايره الحرّ حتي وصلوا إلي البيضة، وفيها خطب الإمام عليه السلام فحمد الله وأثني عليه ثمّ قال: "أيّها الناس؛ إنّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال: "من رأي سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً علي الله أن يدخله مدخله"، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان! وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود! واستأثروا بالفيء! وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلال الله! وأنا أحقّ من غيري! وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتمكم أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني! فإن تمتمت عليّ

ص: 303

1- (1) بين المكان الذي وقف فيه الإمام عليه السلام وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً (77 كم تقريباً).

بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم في أسوة. وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر! لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم! والمغرور من اغترّ بكم! فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَي نَفْسِهِ) 1 . وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "(1). ثم سار وأخذ الحرّ يسايره وقال له: يا حسين! إني اذكرك الله في نفسك! فإني أشهد (أري) لئن قاتلت لتقاتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أري! فقال له الحسين عليه السلام: "أبالموت تخوّفني! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه لقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلي الله عليه وآله فقال له أين تذهب؟ فإنك مقتول! فقال له:

سأمضي وما بالموت عار علي الفتى إذا ما نوي حقاً وجاهد مسلماً

وآسي الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشوراً يغش ويرغما

فإن عشت لم أندم، وإن مت لم ألم كفي بك ذلاً أن تعيش وترغما(2)

فلما سمع الحرّ ذلك منه كأنه أيس منه فتنّحى عنه بأصحابه ناحية، متّجهين إلي عذيب الهجانات، ثم مضى الحسين عليه السلام حتي انتهى إلي قصر بني مقاتل، ومن ذلك المكان وفي آخر الليل أمر الإمام عليه السلام أصحابه بالاستقاء من الماء، فلما استقوا أمرهم بالرحيل فارتحلوا من قصر بني مقاتل وساروا ساعة، وخفق الإمام عليه السلام برأسه خفقة ثم انتبه فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. قال ذلك مرّتين أو ثلاثاً،

ص:304

1- (2) تاريخ الطبري 5:403، عن أبي مخنف الكوفي، وليست في الإرشاد!

2- (3) الإرشاد 2:81.

وكان إلي جانبه ابنه علي عليه السلام علي فرسه فأقبل إليه وقال مثل قوله ثم قال: يا أبة جعلتُ فذاك ممّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال عليه السلام: يا بُنيّ: إنّي خفقت برأسي خفقة، فعنّ (ظهر) لي فارس علي فرس فقال: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم! فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا! فقال علي: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا علي الحق؟! قال: بلي، والذي إليه مرجع العباد! فقال علي: يا أبت إذن لا نبالي أن نموت مُحقّقين! فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده(1).

ثمّ لمّا أصبح نزل فصلّي ثمّ عبّجّل الركوب، وأخذ يتياسر بأصحابه عن الكوفة، حتّى انتهوا إلي مجموعة من قري الطفّ وهي: نينوي و الغاضرية و شُفّيّة، فقالوا للحر: دعنا نزل عند نينوي أو عند الغاضرية أو عند شُفّيّة. فقال: لا والله لا أستطيع ذلك!

وكان من قري الطفّ هناك علي شاطئ الفرات قرية حصينة يعرفها زهير البجلي فقال للإمام عليه السلام: سر بنا إلي هذه القرية فإنّها حصينة علي شاطئ الفرات فنزلها، فإن منعونا قاتلناهم! فقتالهم أهون علينا من قتال من يجيء من بعدهم! فسأله الإمام: وأيّة قرية هي؟ قال: هي العقر. فقال الحسين عليه السلام: "اللهم إنّي أعوذ بك من العقر!"، ثمّ نزلها وكان ذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين وكانت قرية العقر من قري منطقة الطفّ وكوربابل فاشتهرت بكربلاء، وقد ذكرها الحسين عليه السلام في إحدى خطبه: "وكأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء" (2).

ص: 305

1- (1) تاريخ الطبري 5: 407، عن أبي مخنف الكوفي، الإرشاد 2: 82.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 6: 128.

لَمَّا وصل الحسين عليه السلام المكان الذي جمع به الحر، قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلاء. فقال عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء. ثم قال: هذا موضع كرب وبلاء فانزلوا، ها هنا محط رحلتنا ومسفك دماننا، وهنا محل قبورنا، بهذا حدّثني جدي رسول الله صلي الله عليه وآله. فنزلوا جميعاً ونزل الحر بنفسه وجيشه قبالة الحسين عليه السلام، ثم كتب إلي عبيد الله بن زياد وأعلمه بنزول الحسين عليه السلام بأرض كربلاء(2).

ولمّا علم ابن زياد بنزول الحسين عليه السلام بكربلاء كتب إليه يقول: أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخمير أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلي حكمي وحكم يزيد بن معاوية، والسلام.

فلمّا ورد كتابه علي الحسين عليه السلام وقرأه رماه من يده ثمّ قال: لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

فقال الرسول: جواب الكتاب أبا عبد الله؟ فقال عليه السلام: "ما له عندي جواب لأنّه قد حقّت عليه كلمة العذاب". فرجع الرسول إليه فأخبره بذلك، فغضب عدو الله من ذلك أشد الغضب، والتفت إلي عمر بن سعد وأمره بقتال الحسين عليه السلام، فاستعفي عمر من ذلك، وقد كان ابن زياد ولاه الرّي قبل ذلك فقال له: فأررد إلينا عهدنا. فاستمهله عمر

ص: 306

1- (1) إنّ كربلاء اسم قديم في التاريخ، يرجع إلي عهد البابليين، وقد استطاع الباحثون التوصل إلي لفظة (كربلاء) من نحت الكلمة وتحليلها اللغوي، فقيل أنها منحوتة من كلمة (كور بابل) العربية، وهي عبارة عن مجموعة قري بابلية قديمة، منها (نينوي) و (الغاضرية)، و (عقربابل) و (النوايس).

2- (2) اللهوف علي قتلي الطفوف: 70، وكشف الغمة 2: 225.

بن سعد يوماً فأمهله، فاستشار نصحاءه فكلّهم نهاه، وبات ليلته مفكراً في أمره، ويردد هذه الأبيات:

أترك ملك الريّ والريّ منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الريّ قرّة عين

وأخيراً قبل عمر بن سعد أن يقاتل الحسين عليه السلام مقابل ملك الريّ، فأقبل في ذلك الجيش حتى نزل نينوي، وفي يوم السابع من محرم بعث خمس مائة فارس مع عمرو بن الحجاج، فنزلوا علي الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيام.

تاسوعاء محرم الحرام

في عصر التاسع من محرم نادي عمر بن سعد: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري، فركب أصحابه واقتربوا نحو خيم الحسين عليه السلام والحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه علي ركبتيه وسمعت أخته زينب الضنجة، فدنت من أخيها فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: "إني رأيت رسول الله الساعة في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا". فلطمت أخته ونادت بالويل، فقال لها الحسين عليه السلام: "ليس لك الويل يا أختي اسكتي رحمك الله"

ولمّا توجه الجند نحو الحسين عليه السلام قال له العباس بن علي عليه السلام: يا أخي قد أتاك القوم، قال فنهض ثمّ قال: "يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتي تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم وتسالهم عما جاءهم". فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟.

قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا علي حكمه أو نناجزكم.

قال: فلا تعجلوا حتي أرجع إلي أبي عبدالله فأعرض عليه ما ذكرتم. فانصرف العباس راجعاً إلي الحسين عليه السلام، ولمّا وصل إلي أخيه الحسين عليه السلام أخبره بما قال القوم، فقال عليه السلام: "إرجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلي غدوة وتدفعهم عنا العشيّة لعنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار". فمضى العباس إلي القوم ورجع من عندهم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد فقام حيث يسمع الصوت، فقال: إنا قد أجلناكم إلي غد فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلي أميرنا عبيد الله بن زياد وإن أبيتم فلسنا تارككم! ثم انصرف(1).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام فقال: "تأسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه، وأيقنوا أنّه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمدّه أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب"(2).

وجمع الحسين عليه السلام أصحابه قرب المساء قبل مقتله بليلة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: "أثني علي الله أحسن الثناء وأحمده علي السراء والضراء، اللهم إني أحمدك علي أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين. أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفي ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لأظن لنا يوماً دنا من هؤلاء الأعداء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في

ص:308

1- (1) راجع: الإرشاد للمفيد: 213، وتاريخ الطبري 318:7، عن الكلبي عن أبي مخنف الكوفي.

2- (2) الكافي 4:147.

سوادكم ومدائنكم حتي يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني للهوا عن طلب غيري".

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟ لنبقي بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليه السلام واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: "يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم". قالوا: سبحان الله فما يقول الناس لنا! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنينا وعمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندرى ما صنعوا لا والله لا نفعل ذلك ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتي نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وقام زهير بن القين وقال: والله ليت أني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت، حتّي اقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك! وقال آخرون من أصحابه: والله لا تفارقك! ولكن أنفسنا لك الفداء! نتيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قُتلنا كُنا وفينا وقضينا ما علينا! وتكلم جماعة أصحابه في وجه واحد بكلام يشبه بعضه بعضاً (1).

ليلة عاشوراء من محرم

كان الإمام الحسين في ليلة عاشوراء في خيمته وناول سيفه إلي حُوي (2).

ص: 309

-
- 1- (1) الإرشاد للمفيد: 214، عن الكلبي عن أبي مخنف الكوفي المتوفي في 157 هـ - بسنده عن الإمام السجاد عليه السلام.
 - 2- (2) كان حُوي مولي لأبي ذر و انتهى بعد وفاة أبي ذر إلي دار عليّ ثم الحسنين عليهم السلام، فكان يوم عاشوراء مع الحسين عليه السلام.

يعالجه ويصلحه، والإمام يرّد هذه الأبيات:

يا دهر أفُّ لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيلٍ والدهر لا يقنع بالبديل

وإنّما الأمر إليّ الجليل وكلّ حيّ سالك سبيلي

وأعادها مرّتين أو ثلاثاً. روي أبو مخنف عن السجّاد عليه السلام: أنّه كان جالساً عندئذ في خيمة مجاورة وعنده عمّته زينب تمرّضه وهي حاسرة، وفهم هو كلام أبيه وعرف ما أراد وعلم أنّ البلاء قد نزل! وخنقته عبرته ولكنّه ردّها ولزم السكون. قال: فأما عمّتي فإنّها لما سمعت ما سمعت لم تملك نفسها دون أن وثبت إليه تجرّ ثوبها حتّى انتهت إليه في خيمته، (ولعل المولي خرج) فنادت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة امّي! وعليّ أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثّمال الباقي!

فقال لها الحسين عليه السلام: يا اخيّة! لا يذهبنّ بحلمك الشيطان!

فقالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقتلت نفسي فذاك!

فقال لها: "لو ترك القطا لنام!"

فقالت: يا ويلتي! أفنّغصب نفسك اغتصاباً! فذلك أفرح لقلبي وأشدّ علي نفسي!

ولطمت وجهها! وأهوت إليّ جيها فشقتّه وخرّت مغشياً عليها!

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ علي وجهها الماء (1) ولمّا أفاقت قال لها:

يا اخيّة! اتقي الله! وتعزّي بعزاء الله! واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلا وجه الله، الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث

ص: 310

1- (1) لعلّه كان من آخر ما أدّخره من الماء الذي استقوه ليلة السابع، (راجع موسوعة التاريخ الإسلامي 6: 144).

الخلق فيعودون وهو فرد وحده. أبي خير مني وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله اسوة! يا أخية! إنني أقسم عليك فأبزي قسمي: لا تشقي عليّ جيباً! ولا تخمشي عليّ وجهاً! ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت! ثمّ (أخذ بيدها) وجاء بها حتّيّ أجلسها عندي(1).

الإمام وأصحابه ليلة عاشوراء

خرج الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء إلي أصحابه فأمرهم أن يقلعوا الخيم ويقربوا بعضها من بعض حتّيّ تتداخل أطناب بعضها في بعض ويجعلوا موقفهم بينها من وجه عدوهم.

وأن يجمعوا ما أمكنهم من حطب وقصب إلي ماورائهم، وكان وراءهم مكان منخفض كساقية، فأمرهم أن يحفروه في ساعة من الليل حتّيّ يجعلوه كالخندق، ثمّ يلقوا فيه ذلك الحطب والقصب، حتّيّ إذا عدا عليهم الأعداء يلقون فيه النار كي لا يؤتوا من ورائهم ويقاتلوا القوم من وجه واحد. ثمّ قاموا الليل كلّهم يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون، ويقرؤون القرآن(2).

ص: 311

-
- 1- (1) تاريخ الطبري 420:5، عن أبي مخنف الكوفي، الإرشاد 2:93.
 - 2- (2) تاريخ الطبري 420:5، عن أبي مخنف الكوفي، الإرشاد 2:95.

بدأ الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء مع أصحابه بصفتهم للقتال، قائلاً: إنَّ الله قد أذن بقتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال، فاستشهد في الحملة الأولى خمسين رجلاً من أصحابه. وبعد ذلك بدأ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يبرزون الواحد تلو الآخر، حتي استشهدوا جميعاً، وبعد الأوصياء برز آل بيته عليهم السلام ابتداءً بعلي الأكبر، وانتهاءً بالعباس عليه السلام.

وأخيراً لم يبق إلا رضيع للحسين عليه السلام اسمه عبد الله، حيث كان يعاني الضمأ، فجاء به الحسين عليه السلام إلي القوم، وقال عليه السلام: "إن كان للكبار ذنب فما ذنب هذا الطفل اسقوه ماءً". فكان جواب القوم أن رماه حرملة بسهم وذبحه من الوريد إلي الوريد وهو في حضن أبيه.

ونظر الحسين عليه السلام الي ما حوله، ومدَّ ببصره إلي أقصى الميدان فلم يرَ أحداً من أصحابه وأهل بيته إلا وهو يسبح بدم الشهادة، مقطَّع الأوصال والأعضاء، والتفت يميناً وشمالاً ولم يرَ أحداً يذُبُّ عن حرم رسول الله فأخذ ينادي هل من ذابَّ يذُبُّ عنا؟ فخرج الإمام زين العابدين عليه السلام من الفسطاط وكان مريضاً لا يقدر أن يحمل سيفه وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع. فقال: "يا عمَّتا! ذريني اقاتل بين يدي ابن رسول الله صلي الله عليه وآله"، وإذا بالحسين عليه السلام ينادي: "يا ام كلثوم! خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد صلي الله عليه وآله" (1).

ص:312

ولمَّا رأى القوم وحدة الحسين عليه السلام تقدَّم إليه شمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه، فأحاطوا به فأسرع منهم رجل يقال له مالك بن النسر الكندي فشم الحسين عليه السلام وضربه علي رأسه بالسيف وكان عليه قلنسوة فقطعها حتي وصل إلي رأسه فأدماه فامتلاَّت القلنسوة دما، فقال له الحسين عليه السلام: " لا أكلت بيمينك ولا شربت بها وحشرك الله مع القوم الظالمين ". ثم ألقى القلنسوة ودعا بخارقة فشدَّ بها رأسه واستدعي قلنسوة اخري فلبسها واعتمَّ عليها، ورجع عنه شمر بن ذي الجوشن ومن كان معه إلي مواضعهم، فمكث هنيئة ثم عاد وعادوا إليه وأحاطوا به"⁽¹⁾.

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضي جناناً منه، أن كانت الرجالة لتشدَّ عليه فيشدَّ عليها بسيفه فتكشف عن شماله انكشاف المعزي إذا شدَّ فيها الذئب"⁽²⁾.

ولمَّا عجزوا عن مقاتلته، استدعي شمر الفرسان فصاروا في ظهور الرجالة، وأمر الرماة أن يرموه فرشقوه بالسهام حتي صار جسمه كالقنفذ فأحجم عنهم، ونادي شمر بن ذي الجوشن الفرسان والرجالة فقال: ويحكم! ماتتظرون بالرجل؟ ثكلتكم أمهاتكم، فحملوا عليه من كل جانب. فحملوا عليه من كل جانب فضربه زُرعة بن شريك علي كتفه اليسري فقطعها، وضربه آخر منهم علي عاتقه فكبأمنها لوجهه، وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح فصرعه، وبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي فنزل ليحتزَّ رأسه فأرعد فقال له الشمر: فتَّ الله في عضدك، مالك ترعد؟

ص:313

1- (1) الإرشاد 2:110، إعلام الوري 1:467.

2- (2) الإرشاد 2:111، إعلام الوري 1:468.

ثُمَّ صَاحَ ابْنُ سَعْدٍ بِأَصْحَابِهِ: انزِلُوا إِلَيْهِ وَأَرِيحُوهُ، فَبَدَرَ إِلَيْهِ الشَّمْرُ فَرَفَسَهُ بِرِجْلِهِ، وَجَلَسَ عَلَيَّ صَدْرَهُ، وَقَبَضَ عَلَيَّ شَيْبَتِي الْمُقَدَّسَةَ، وَصَدَّرَهُ بِالسَّيْفِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ضَرْبَةً، وَاحْتَرَّتْ رَأْسَهُ الْمُقَدَّسُ مِنَ الْقَفَا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ خَوْلِي بَنُ يَزِيدٍ فَقَالَ: إِحْمِلْهُ إِلَيَّ أَمِيرَ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَيَّ سَلْبَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (1).

دفن شهدا كربلاء

في اليوم الثالث عشر من المحرم أقبل الإمام السجاد عليه السلام لدفن أبيه الحسين عليه السلام (2)، وسائر شهدا كربلاء، ولمَّا أقبل عليه السلام وجد بني أسد مجتمعين عند القتلي متحيرين لا يدرون ما يصنعون ولم يهتدوا إلي معرفتهم وقد فرَّق القوم بين رؤوسهم وأبدانهم، وربَّما يسألون من أهلهم وعشيرتهم، فأخبرهم عليه السلام عمَّا جاء إليه من مواراة هذه الأجساد الطاهرة وأوقفهم علي أسمائهم كما عرفهم بالهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعيول وسالت الدموع منهم كل مسيل، ونشرت الأسديات الشعور ولطمن الخدود، ثمَّ مشي الإمام زين العابدين إلي جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءً عالياً وأتى إلي موضع القبر ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق، فبسط كفيه تحت ظهره، وقال عليه السلام: "بسم الله وفي سبيل الله وعلي ملة رسول الله صدق الله ورسوله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم"، وأنزله وحده ولم يشاركه بنو أسد فيه وقال لهم: إنَّ معي من يعينني، ولمَّا أقره في لحدده وضع خده علي منحرة الشريف قائلاً:

ص: 314

1- (1) المقتل للخوارزمي 2: 36، مقتل العوالم: 100.

2- (2) لأنَّ المشهور عند الإمامية أنَّ الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله، وقد صادق علي هذه المقولة الشيخ المفيد في (المقالات: 84)، والمجلسي في مرآة العقول 1: 373. وراجع: إثبات الوصية، للمسعودي: 173.

"طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر، فإن الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهد والحزن سرمد،...". وكتب علي القبر: " هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً".

ثم مشى إلى عمه العباس عليه السلام... ووقع عليه يلثم نحره المقدس قائلاً: "علي الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته... "وشق له ضريحاً وأنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبني أسد: إنَّ معي من يعينني. وقد ترك مساعاً لبني أسد بمشاركته في مواراة الشهداء وعين لهم موضعين وأمرهم أن يحفروا حفرتين، ووضع في الأول بني هاشم وفي الثانية الأصحاب(1).

ص:315

1- (1) مقتل الحسين، للمقرم: 320.

لقد ورد استحباب زيارة النبي صلي الله عليه وآله والائمة من أهل البيت وذريتهم جميعاً، ولكن نجد أنّ الامام الحسين عليه السلام، يختصّ بعدد أكبر من الروايات في مقام التأكيد لزيارته، والثواب العظيم المترتب عليها، حيث وردت الروايات العديدة من النبي صلي الله عليه وآله والائمة من أهل بيته في التأكيد علي زيارته من قريب ومن بعيد وفي الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة والأزمنة المباركة مثل يوم عرفه والأشهر الثلاثة رجب وشعبان وشهر رمضان خصوصاً ليالي القدر منه و أيام العيد ويوم عاشوراء ومنها التأكيد علي زيارته في يوم الأربعاء من مقتله الشريف حيث جعلت من علامات المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام، وقد جاء في بعضها أنّ زيارته أفضل من زيارة بقية الائمة المتأخرين عنه عليه السلام.

وقد قام المسلمون خصوصاً شيعة أهل البيت عليهم السلام لهذا العمل طوال سنين وان كلفهم الأموال والنفوس في هذا السبيل، فيزورونه بالزيارات المطلقة العامة التي يمكن أن يزار بها في كل وقت، وكذلك بأوقات مخصوصة ونصوص مروية بأسانيد متعددة.

وقد جاء في المجاميع الخاصة بالزيارات (1) الاوقات المخصوصة لزيارة الامام الحسين عليه السلام، حسب التسلسل الزمني لها في السنة القمرية الهجرية، ولها نصوص خاصة بها:

1 - زيارة عاشوراء، في اليوم العاشر من محرم الحرام.

ص:316

1- (1) يمكن مراجعة النصوص الخاصة بهذه الزيارات في الباب الثالث من كتاب مفاتيح الجنان، باب الزيارات، وقد ذكرها متسلسلة ولكن بدأ بزيارة الاول من رجب، كما أن العلامة المجلسي قد وضع فصلاً واسعاً من كتابه بحار الانوار يتضمن مجموع ما ورد في زيارته عليه السلام.

2 - زيارة الاربعين، في اليوم العشرين من صفر، وكان اول من زارالحسين بها هو جابر.

3 - زيارة الاول من رجب، ولها نص خاص بها تشترك فيه مع زيارة النصف من شعبان.

4 - زيارة النصف من رجب في ليلته ويومه، ونصها يشترك مع زيارة الاول من رجب.

5 - زيارته في يوم مولده الشريف الثالث من شعبان، ولها نص خاص.

6 - زيارة ليلة النصف من شعبان ويومه، ونصها هو زيارة الاول من رجب.

7 - زيارة ليالي القدر (19 و 21 و 23) من رمضان.

8 - زيارة ليلتي العيدين الفطر والاضحي، ويومهما.

9 - زيارة يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة، وهي من أهمّ الزيارات.

ويضاف إلي هذه الزيارات المخصوصة نصوص للزيارات المطلقة التي يزار بها الامام الحسين عليه السلام في الاوقات المختلفة عن قرب أو بُعد، وقد ذكر العلامة القمي في مفاتيح الجنان سبعة نصوص لها، أشهرها زيارة وارث المعروفة(1).

وتختص من بين هذه الزيارات زيارتا ليلة النصف من شعبان ويوم عرفة بأهمية خاصة من حيث الثواب والأجر الذي وردت النصوص فيهما أنّهما أفضل من الحج والعمرة المستحبة، وأنّ الله سبحانه وتعالى ينظر بالرحمة والمغفرة إلي زوار الامام الحسين عليه السلام قبل أن ينظر إلي الواقفين في عرفات. وكذلك زيارتا عاشوراء والاربعين من حيث الاهتمام بمراسم العزاء فيهما حيث تقام مجالس العزاء الكبيرة وتخرج المواكب المنظمة الكثيرة

ص:317

1- (1) راجع: الباب الثالث من كتاب مفاتيح الجنان، باب الزيارات.

وتوجد آداب عامة ومفصلة لزيارة الامام الحسين عليه السلام، وأعمال يؤديها الزائر في حرمه الشريف، أهمها أن يكون الانسان علي طهارة معنوية وهي الوضوء، وطهارة بدنه وثيابه من النجاسات، وكذلك الدعاء والاجتهاد في الاقبال علي الله فيه والذكر والحمد والشكر له تعالي، والالتزام بجميع الاداب التي لابد للانسان أن يلتزم بها في حضور الامام وحياته، وهي آداب عامة لزيارة النبي صلي الله عليه وآله وبقية الائمة عليهم السلام(1).

ص:318

1- (1) بحار الانوار 134:97، مفاتيح الجنان: باب الزيارات.

وا حسيناہ ذبيحاً من قفا وا حسيناہ غسيلاً بالدماء

ذكر المحدث الشيخ عباس القمي رحمه الله في كتابه نفس المهموم (1): أن السيد نصر الله الحائري ذكر في ديوانه نقلاً عن بعض الثقات من أهل البحرين أن بعض الأخيار رأى فاطمة الزهراء عليها السلام في الرؤيا مع لمة من النساء وهنَّ ينحنَّ علي الحسين المظلوم عليه السلام بهذا البيت المذكور، فذيله السيد نصر الله بالأبيات التالية للمرحوم السيد الشريف الرضي رحمه الله:

وا حسيناہ ذبيحاً من قفا وا حسيناہ غسيلاً بالدماء

وا ذبيحاً يتلطي عطشاً وأبوه صاحب الحوض غدا

واقتيلاً حرقوا خيمته وهي للدين الحنيفة وعاء

وا صريعاً عالج الموت بلا شدِّ لحين ولا مدِّ ردا

غسلوه بدم الطعن وما كفنوه غير بوعاء الثري

قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكسا

يا رسول الله يا فاطمة يا أمير المؤمنين المرتضي

عظم الله لك الأجر بمن كظ أحشاء الظما حتي قضي

يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتلي وسبا

ص: 319

لَرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَنْظَرًا لِلْحَشِيِّ شَجْوًا وَلِلْعَيْنِ قَدِي

وَأَخْرَجَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

ص: 320

ولد الإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام في الخامس من شهر شعبان سنة (36 للهجرة) يوم فتح البصرة علي القول المشهور عند علماء الإمامية، وأمه شاه زنان (أو شهربانو) بنت يزدجرد، آخر ملوك الفرس، ومن أشهر القابه زين العابدين والسجاد لكثرة عبادته وسجوده لله تعالى(1).

قد تزوج الإمام السجاد في زمن أبيه بابنة عمه فاطمة (أمّ عبدالله) بنت الإمام الحسن عليه السلام، وأنجب منها الإمام الباقر عليه السلام وكان الإمام الباقر أول مولود يولد بين الحسن والحسين عليه السلام، وبقية ولد علي بن الحسين من امهات الأولاد وهم أربعة عشر: عبد الله الباهر(2)، الحسن، الحسين، عمراشرف(3).

ص:323

1- (1) راجع: الإرشاد 2:137، ومناقب آل أبي طالب 4:189، والإقبال: 621.

2- (2) عبد الله الباهر: المعروف بالحسن والجمال والبهاء، وقيل انّ أمّه هي أم الامام الباقر، (أمّ عبد الله) لا ام ولد، ومن أحفاد عبد الله الباهر، محمد شريف حيث كان سيداً فاضلاً جليل القدر، وله في قم بقعة و مزار في محلة السلطان محمد شريف المعروفة به، في شارع الانقلاب، و دفن أبوه عليّ و جدّاه محمد و حمزة في مقبرة بابلان راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 6، الفصل 7).

3- (3) عمر الأشرف: ذلك بالنسبة الي عمر الأطراف ابن أمير المؤمنين عليه السلام فانّ هذا لما نال فضيلة النسب الي الزهراء البتول عليها السلام و أمير المؤمنين عليه السلام كان أشرف من الثاني الذي سمّي بالأطرف لأن

زيد الشهيد، (1) الحسين الأصغر، عبد الرحمن، سليمان، عليّ، (وكان أصغر ولده)، خديجة، محمد الأصغر، فاطمة، عليّة، أم كلثوم (2).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصّرر من الدنانير والدرهم حتي يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم ينيل من يخرج إليه. فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنّ علياً عليه السلام كان يفعل ذلك (3).

وقال سفيان الثوري: جاء رجل إلي علي بن الحسين عليه السلام فقال: إن فلاناً وقع فيك وآذاك، فقال له: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه، - وهو يري أنّه سينتصر لنفسه - فلما أتاه، قال له: يا هذا إن كان ما قلته فيّ حقاً فالله تعالى يغفر لي، وإن كان ما قلته فيّ باطلاً، فالله تعالى يغفر لك (4).

ص: 324

1- (1) قال الشيخ المفيد: و كان زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام عين اخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، و كان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً و ظهر بالسيف يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر و يطلب بثارات الحسين عليه السلام. (راجع الإرشاد: باب ذكر أولاد علي بن الحسين). وقد ثار زيد علي هشام بن عبد الملك في الكوفة إلي أن استشهد، و ثار من بعده ابنه يحيي الذي خرج في أوائل خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك دفعاً لظلم بني أمية وأخيراً استشهد في خراسان، و دفن جسده بجوزجان الواقعة في أفغانستان وأخذ رأسه إلي الوليد في دمشق راجع منتهي الآمال 2: الباب 6، الفصل 7.

2- (2) راجع: الإرشاد: باب ذكر أولاد علي بن الحسين، و منتهي الآمال 2: 59، الباب 6، الفصل 7.

3- (3) الكافي 1: 468، ح 4.

4- (4) الفصول المهمة: 184.

ولما اخرج بنو أمية من المدينة إلي الشام في واقعة الحرة أوي إليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان، فقد كان مروان لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية من المدينة، كلّم عبد الله بن عمر أن يغيب أهله عنده، فأبى أن يفعل، فكلم مروان علي بن الحسين، فقال له: يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرماً تكون مع حرمك، فقال عليه السلام: أفعل، فبعث بحرمه إلي علي بن الحسين عليه السلام فخرج بحرمه وحرم مروان حتي وضعهم بينبع بالبغبيغة... وهذا منتهي مكارم الأخلاق، والمجازاة علي الإساءة بالإحسان، فبنوا أمية الذين سبوا نساء الإمام وأدخلوهم الشام بتلك الحالة المزرية، وقتلوا آله في كربلاء، يقابلهم الإمام بصون حرم أعدائه، في لحظة الممكنة من الانتقام، وهذا خلق الأنبياء والصدّيقين والأبرار.

وذكر المفيد في (الإرشاد)(1) القصيدة المشهورة التي ذكر فيها الفرزدق فضائل الامام السجاد عليه السلام وعرفه للحجاج، بعد أن رأي أن هشام بن عبد الملك يظهر له تجاهلاً وهو يري تدافع الناس للوصول إليه، وهو يسعى لاستلام الحجر الأسود في ركن الكعبة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم

ص:325

تمتد الأدعية بأنواعها وأساليبها المختلفة للتناسب مع جميع شؤون الإنسان وأبعاده، فهي تستنزل دموع حياتنا في لحظات الإنابة إلي الله الغفور الرحيم، وتجسد تضرعنا إليه، وترفع أيدينا الملتزمة إلي مالك الوجود، ونعفر جباهنا بالتراب استكانة له، وتبصرنا عجزنا وضعفنا وفقرا وذلتنا تجاهه جلت عظمته، وتكشف لنا قدرته المطلقة، وحكمته البالغة ورحمته الواسعة. فالصحيفة السجادية، ودعاء كميل، ودعاء عرفة، ودعاء أبي حمزة الثمالي، ودعاء مكارم الأخلاق، ورسالة الحقوق، هي تجليات من بحار هذه الأنوار.

فهذا الإمام السجاد عليه السلام في دروسه الرائعة التي بثها من خلال الدعاء في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، كوّنت مناهجاً قويمية تصلح البشر في سرهم وعلانيتهم، وفي سكونهم وحركاتهم، وفي أبطي البواطن من ميولهم وعواطفهم، وفي أظهر الظواهر من أخلاقهم ومظاهرهم وأعمالهم وأقوالهم. ففي الصحيفة ورسالة الحقوق ركائز تربية ومناهج تثقيفية وطرق تعليمية.

إن أدعية الإمام السجاد عليه السلام ورسالة الحقوق، تحمل رسالة جليلة قويمية تجري مع الفطرة في بساطتها ومع البرهان في قوته ومع حقائق الكون في ثباتها واضطرابها.

عرض موجز لرسالة الحقوق

ترجع أهم حقوق الإنسان العامة إلي حقين هما: المساواة والحرية، وقد ادعت الأمم الغربية، أنّ العالم الإنساني مدين لها بتقرير هذين الحقين.

والحق أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورته وأوسع نطاق. وأن الأمم الإسلامية في عهد الرسول صلي الله عليه وآله والخلفاء من بعده كانت أسبق الأمم في السير عليها.

فهذه رسالة الحقوق، القانون الخالد، الذي أوصي به الإمام زين العابدين عليه السلام تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة ومن حقائق الوجود والإنسانية. فلنمرّ مروراً سريعاً، علي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام بديابجتها النظرية البليغة التي لم تفصل بين السماء والأرض كما تفعل إعلانات حقوق الإنسان العالمية اليوم، بل راحت تؤكد علي تغيير المحتوي الداخلي للإنسان الذي به ومنه تنطلق إرادات التغيير نحو عالم أفضل وأكمل.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في ديباجته لرسالة الحقوق هذه: "اعلم رحمك الله، إن لله عليك حقوقاً محيطت بك، في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، وآلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك، ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلي قدمك، علي اختلاف جوارحك، فجعّل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفركك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.

ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك، إلي غير ذلك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أنمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أنمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس أمام، وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج، وما ملكت من الإيمان، وحقوق رحمك متصلّة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك ثم الأقرب فالأقرب، والأول فالأول.

ثم حق مولاك، المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذنتك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليفك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جري لك علي يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال، وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله علي قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووقفه وسدده...⁽¹⁾.

لقد احتوت هذه الفقرات المشرقة من كلام الإمام عليه السلام علي عرض موجز للحقوق الأصيلة التي قنّنها عليه السلام للإنسان المسلم.

ص: 328

1- (1) نقلاً من كتاب (الصحيفة السجادية الكاملة)، تقديم الأستاذ علي أنصاريان، ط المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية بدمشق، سورية، 1419 هـ -.

القبس الثاني: علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء والكوفة

كان الإمام السجاد عليه السلام قد عاش مأساة الطف بكل تفاصيلها، وكان قد كابد فيها صعوبة المحن، من العطش والجوع والضرب، الذي فرضته قيادة جيش يزيد، وكان تأثيره عليه بليغاً لشدة مرضه الذي نزل به، فلقد ابتلي عليه السلام بمرض شديد جعله طريح الفراش منعه حتى من الجهاد بين يدي والده الإمام عليه السلام وقد أوعز الكثير من المحققين ذلك إلي حكمة من الله تعالى لبقاء الإمام بعد أبيه مواصلاً مسيرة الإمامة والقيادة للأمة الإسلامية، ولكن علي الرغم من ذلك، فلما سمع واعية الحسين عليه السلام، قام عليه السلام يتكبيء علي سيفه لينصره عليه السلام، فأمر الحسين عليه السلام أخته زينب أن أرجعيه لئلا ينقطع نسل آل محمد عليهم السلام.

وبعد انقضاء مأساة الطف، وتخيم الأحزان علي آل البيت عليهم السلام بقتل الحسين عليه السلام وآله وأصحابه بدأت مأساة الإمام زين العابدين عليه السلام وبدأت معها رسالته المكملة لرسالة الحسين والمبينة لأهداف هذه الثورة المباركة، فكان علي الإمام أن يوضح للمسلمين سرّ قيام الإمام بالثورة علي حكومة يزيد، ولولا ذلك لضاعت كل الجهود التي بذلت لهذه الثورة، ولضاع دم الحسين في كثير من بقاع الأرض، وبدأ هذه الرسالة من الكوفة أول محطة أسره هو وأهل بيته. حيث خطب الإمام السّجاد عليه السلام عندما أدخلوهم إلي الكوفة وكانت خطبته توبيخاً لأهلها الذين كاتبوا الحسين وخذلوه ليوقفهم علي عظيم الجرم الذي اقترفوه، وليشعل نار الندم والثورة علي ذات كل واحد منهم، وفعلاً أثر خطاب الإمام بأهلها، ومما جاء في خطبته عليه السلام: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات بغير ذحل ولا تراث، أنا ابن من انتهك حرمة وسلب نعيمه، وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً وكفي بذلك فخراً، أيها الناس ناشدتكُم الله هل

تعلمون أنكم كتبتم إلي أبي وخدمتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟ فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلي رسول الله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وهتكتم حرمتي فلستم من أمتي" (1).

وعندما أدخلوا الإمام السجاد عليه السلام في الكوفة علي ابن زياد سأله من أنت؟ فقال: "أنا علي بن الحسين!"، فقال له: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال علي عليه السلام: "قد كان لي أخ يسمي علياً قتلته الناس"، فقال ابن زياد: بل الله قتلته، فقال علي بن الحسين عليه السلام: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) 2.

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرة لجوابي وفيك بقية للرد علي؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه (2)، فتعلقت به عمته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دماننا، واعتنقته وقالت: لا والله لا افارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها علي عليه السلام: اسكتي يا عمّة حتي اكلمه، ثم أقبل عليه فقال: أباقتل تهددني يا ابن زياد؟ أمّا علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟ ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا إلي دار بجنب المسجد الأعظم، ولمّا أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، ولمّا فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلي باب القصر (3).

وكان خطاب الإمام عليه السلام والحوار الذي جري بينه وبين ابن زياد قد شكّل هزة عنيفةً أحييت ضمائر أهل الكوفة، وأخذوا يبكون ويندمون ويتلاومون حتّي كادت

ص: 330

1- (1) بحار الأنوار 45: 139.

2- (3) وقعة الطف: 262، الإرشاد للمفيد: 244.

3- (4) مقتل الخوارزمي 2: 43، اللهوف: 145.

تقوم الثورة ضد حكومة ابن زياد، فخاف من ذلك فأسرع في حمل الإمام وأهله إلى الشام، بعد مراسلة بينه وبين يزيد.

ص:331

كان الإمام عليه السلام في الطريق إلي الشام لم يأل جهداً في بثّ أهداف نهضة الحسين عليه السلام في كل بلد أوقرية يمر بها الركب، حيث ركّز الإمام في بياناته وخطاباته علي التعريف بأنّ المقتول بكر بلاء هو إمام ابن إمام جدّه النبي صلي الله عليه وآله، وقد توجّح الإمام بيان حقيقة واقعة كربلاء وأهدافها عند دخوله الشام، هذا البلد الذي لم يتعرف أهله علي الإسلام إلا عن طريق آل أمية، فكان أوّل ولاته بعد فتحه علي يد خالد بن الوليد، هو يزيد بن أبي سفيان، ثمّ بعد موته وُلّي الخليفة الثاني عمر علي الشام الولد الآخر لأبي سفيان معاوية، ثمّ وُلّي معاوية عليها ابنه يزيد، فلم يكن أهل الشام يعرفون أهل البيت علي حقيقتهم إلا القليل، وكان الكثير منهم يحقد علي الإمام علي عليه السلام وأولاده، لما تشبعت أذهانهم من افتراءات وسموم وتضليلات حاكتها أيدي الأمويين!

ومن هنا ليس أمراً عجبياً أن نقرأ في كتب التاريخ أنّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجاد عليه السلام عند دخول سببايا آل محمّد صلي الله عليه وآله الشام وقال له: الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم.

فقال له الإمام عليه السلام: يا شيخ أقرأت القرآن؟

فقال الشيخ: بلي. فقال له الإمام عليه السلام: أقرأت (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الْمَوْدَّةُ فِي الْقُرْبَى) 1؟ فقال الشيخ: بلي. فقال له الإمام عليه السلام: فنحن القربي، يا شيخ!

ثمّ قال له: فهل قرأت: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ) 2؟

قال: قد قرأت ذلك. قال عليه السلام: فنحن القربي يا شيخ،

وهل قرأت هذه الآية: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ) 1؟ قال: نعم. قال الإمام عليه السلام: نحن القربي.

يا شيخ! وهل قرأت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)؟

قال الشيخ: بلي. قال له الإمام عليه السلام: نحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة.

قال الشيخ: بالله إنكم هم!؟

قال الإمام عليه السلام: تالله إننا لنحن هم من غير شكٍّ وحقٍّ جدنا رسول الله صلي الله عليه وآله إننا لنحن هم. فبكي الشيخ ورمي عمامته، ثم رفع رأسه إلي السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد (1)

وهذه البلاد المنيعة علي الأئمة عليه السلام وشيعتهم، دخلها الإمام عليه السلام بمحض إرادة بني أمية فهم الذين جاؤوا به إليها، وكان هدفهم المبالغة في توهين وذل الإمام، ولكن (وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) 3، فإن دخول الإمام في الشام وخطابه فيها قد عرّف للناس حقيقة أهل البيت، وعرفهم من هو علي بن أبي طالب، الذي لطالما تمادوا في سبّه.

خطاب الإمام السّجاد عليه السلام في الشام

لمّا أجلسوا أساري أهل البيت عليه السلام في الجامع أوعز يزيد إلي خطيب دمشق أن يصعد المنبر ويبالغ في ذمّ الحسين وأبيه قدس سره، ويمدح معاوية، فانبري اليه الإمام زين

ص: 333

1- (2) راجع مقتل الحسين عليه السلام الخوارزمي 2: 61، واللهوف: 100.

العابدين عليه السلام فصاح به: "ويلك أيها الخاطب، إشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبواً مقعدك من النار"، وأتجه الإمام نحو يزيد فقال له: "يا يزيد أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهنّ لله رضيّ، ولهؤلاء الجالسين أجرٌ وثواب..."، وبهت الحاضرون وعجبوا من هذا الفتى العليل الذي ردّ علي الخطيب والأمير وهو أسير، فرفض يزيد إجابته، وألحّ عليه الجالسون بالسماح له فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان! فقالوا: وما قدر ما يُحسن هذا؟! فقال: إنّه من أهل بيت قد زوّوا العلم زقاً! فلم يزلوا به حتّى أذن له بالصعود، فلم يجد بُدّاً من إجابتهم فسمح له، واعتلى الإمام أعواد المنبر، فبعد الحمد والثناء لله والصلوات علي النبي بدأ خطابه عليه السلام بالتعريف بمن هم أهل البيت، فقال: "أيها الناس أعطينا ستاً وفُضّلنا سبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفضاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنّ منّا النبي المختار محمد صلي الله عليه وآله ومنّا الصديق، ومنّا الطيار، ومنّا أسد الله وأسود رسول الله، ومنّا سيدة نساء العالمين، ومنّا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين، ومنّا المهدي" (1).

وأخذ بعد ذلك يعرف نفسه علي ضوء التعريف بجده رسول الله، وجده علي بن أبي طالب عليه السلام، وجدته الزهراء، وأبيه الحسين عليه السلام، ليعرّف الناس بحقيقة علي عليه السلام وأولاده، فقال عليه السلام: "أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومني، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء... أنا ابن من حُمل علي البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلي سدرة المنتهي، أنا ابن من دنا فتدلّي فكان قاب قوسين أو أدني، أنا ابن من صلّي بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى الله الجليل إليه ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفي،

ص:334

أنا ابن علي المرتضي،... "ولم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتي ضجّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشام وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون، فأوعز يزيد إلي المؤدّن أن يؤدّن ليقطع علي الإمام كلامه، فصاح المؤدّن "الله أكبر" فالتفت إليه الامام فقال له: "كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله"، فلمّا قال المؤدّن: أشهد أن لا إله إلاّ الله قال الإمام عليه السلام: "شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي"، ولمّا قال المؤدّن: أشهد أنّ محمداً رسول الله التفت الإمام إلي يزيد فقال له: "يا يزيد! محمّد هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلت: أنّه جدّي فلم قتلت عترته؟! (1)".

واستمر الإمام في خطابه يعرّف بمظلوميته وثورته الهادفة، فما كان إلا أن ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وبدأت هتافات اللعن علي يزيد والبراءة من عمله... فبعد أن زين الناس الشام حتي يحسب الغريب أن فيها عيداً، انقلب الفرح حزناً، والزينة سواداً، وكان أوّل انتصار لدم الحسين عليه السلام. إنّ أول مجلس أقيم في الشام لأحياء ذكرى الحسين في بيت يزيد، واشتركت بنات أمية في النياحة والبكاء مع نساء العترة الطاهرة، حتي أنّ هنداً زوجة يزيد كانت قد ضربت السواد في حجر القصر. وعلي إثر خطاب الإمام بدأ أهل الشام بالتحرك، فخاف يزيد من انقلاب الأمر عليه وأخذ يعتذر إلي الناس بأنّ ابن زياد هو الذي قتل الحسين عليه السلام ثمّ عجل بترحيل الإمام مع ثقله إلي المدينة، وعهد إلي النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله صلي الله عليه وآله وعقائل الرسالة فيردّهنّ إلي المدينة وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة (2).

ص: 335

1- (1) راجع: مناقب آل أبي طالب 4: 181، وفي بحار الأنوار 45: 139.

2- (2) راجع: وقعة الطف لأبي مخنف: 272، وتاريخ الطبري 5: 462، والارشاد 2: 122.

القبس الرابع: الإمام السّجاد عليه السلام في طريقه إلى المدينة

بعد موافقة يزيد علي رجوع الشّبايا إلى المدينة وحمل الرؤوس معهم ولا سيّما رأس الحسين عليه السلام، قالوا لدليلهم النعمان بن بشير: مرّ بنا علي طريق العراق إلى كربلاء. فمرّ بهم فزاروا قبور الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام ودفنوا رؤوسهم عندهم، ثمّ عرّجوا علي مدينة جدّهم رسول الله صلي الله عليه وآله (1).

قال ابن نما: ولما ورد عيال الحسين عليه السلام إلى كربلاء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد، فتلاقوا بالحنن والاكنتاب والنوح علي ذلك المصاب (2) ولعلّه عنه أخذ ابن طاووس وزاد: فتلاقوا بالبكاء والحنن واللطم، وأقاموا المآتم المقرّحة للأكبّاد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا علي ذلك أيّاماً (3)، ولعلّه لذلك أمر الصادق عليه السلام صفوان بن مهران الجمّال بأن يزور الحسين عليه السلام في الأربعين ضحي (4). وعدّها العسكري عليه السلام من علامات (5)

ص: 336

- 1- (1) قال أبو رريحان البيروني (م 440 هـ -) في كتابه: الآثار الباقية عن القرون الخالية: 331: «وفي العشرين (من شهر صفر سنة 60 هـ -) زيارة الأربعين، وهم حرم (الحسين عليه السلام) بعد انصرافهم من الشام، وردّوا رأس الحسين عليه السلام إلى مجتمه حتّي دفن مع جثته» وهو أقدم كتاب في هذا الباب. راجع (موسوعة التاريخ الإسلامي 6: 217).
- 2- (2) مثير الأحزان لابن نما: 59 وهو أقدم نصّ بهذا المعني.
- 3- (3) كتاب الملهوف علي قتلي الطفوف: 176، ولعلّه يشير إلى المثير في الإقبال لما قال: «ووجدت (في غير المصباح): أنّهم وصلوا كربلاء في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر» واستبعاده مردود بردود السيد القاضي في: تحقيق أربعين الحسين عليه السلام راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 6: 217).
- 4- (4) التهذيب 6: 113، الحديث 201. ومصباح المتهدّد 2: 730.
- 5- (5) التهذيب 6: 52، الحديث 122، ومصباح المتهدّد: 730، وأصلها عشرة في الهداية الكبرى للخصيبي مسنداً.

المؤمنين. ثم انفصلوا من كربلاء نحو المدينة حتّى قربوا منها فنزلوا، وقال الإمام لبشير بن حذام: "يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر علي شيء منه؟ قال: بلي يا بن رسول الله إنّي لشاعر. فقال له: فادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام، فركب فرسه إلي المدينة حتّى بلغ المسجد النبوي الشريف فرفع صوته قائلاً:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين! فادمعي مدرأئ

الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه علي القناة يُدار

فاجتمع الناس حوله فقال لهم: هذا علي بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم اعرفّكم مكانه. قال: فلم أر يوماً أمرّ علي المسلمين منه! ولم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم! وخرجن النساء يدعون بالويل والثبور، ويضربن الخدود ويخمشن الوجوه، وفيهنّ جوارى نائحات ينحن علي الحسين عليه السلام. ثمّ عرفّهم مكان نزولهم، فبادروه، ولما رآه الناس ارتفعت أصواتهم بالبكاء، وحنين النسوان والجواري، وتقدّم إليه الناس من كلّ ناحية يعزّونه بأبيه. ثمّ أوما إليهم بيده أن اسكتوا ثمّ خطبهم وممّا جاء في خطبته:

"...أيّها القوم! إنّ الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليّة، وثلمة في الإسلام عظيمة: قُتل أبو عبد الله الحسين وعترته، وسُبيت نساؤه وصبيته! وداروا برأسه في البلدان، من فوق عالي السنان! وهذه الرزية التي لا مثلها رزية! أيّها الناس! فأيّ رجالات منكم يُسرون بعد قتله؟! أم آية عين تحبس دمعها وتضنّ (تبخل) عن انهمالها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

يا أيّها الناس! أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصمّ؟!!

أيها الناس! أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين، وشاسعين عن الأمصار، كأنا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلمناها (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) 1 والله لو أن النبي تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا علي ما فعلوا بنا! فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها وأفجعها، وأكظّها وأفضعها، وأمرها وأفدحها! فعند الله نحتسب ما أصابنا وما بلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام" (1).

وكانت في السبايا، فاطمة ابنة الحسين عليه السلام من أمّ إسحاق (2). فلمّا عادت إلي المدينة زارها أخوها إبراهيم بن طلحة، وكأنّه اغتمها فرصة للشماتة بعليّ بن الحسين قدس سره فتجرّأ بسوء الأدب وقال له: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟! فذكره الإمام بما ذكر به يزيد في كلامه له بالشام قال: إذا أردت أن تعلم من غلب فإذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم (3) فيعرف الغالب بالباقي ذكره فيهما!

لقد جسّد خطاب الإمام واقعة كربلاء علي حقيقتها حيث ركّز علي المظلومية التي لحقت بأهل بيته عليهم السلام في قتل الحسين بن عليّ عليه السلام، وأسريهم، فاستنهض الإمام أهل المدينة، ضدّ الظلم والجبروت الأموي فثاروا علي واليها عثمان بن محمد بن أبي

ص: 338

1- (2) كتاب الملهوف علي قتلي الطفوف لابن طاووس: 177، وفي بحار الأنوار 148:45.

2- (3) كانت أمّ إسحاق زوجة الحسن عليه السلام وكانت حسنة السلوك معه، فأوصي أخاه الحسين عليه السلام أن يتزوّجها من بعده، فتزوّجها فرزق منها ابنته فاطمة. راجع: (المعارف لابن قتيبة): 233. و (أنساب الأشراف 3: 78، الحديث 84).

3- (4) أمالي الطوسي: 677، المجلس 37، الحديث 11 بسنده عن الصادق عليه السلام، هذا ولا نجد في أبناء طلحة إبراهيم، وإنما هو ابن محمد بن طلحة القتيل يوم الجمل، كما في المعارف لابن قتيبة: 231-233 وعليه فهو ابن أخي أمّ إسحاق وهي عمّته.

سفيان فخلعوه من الإمارة وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل علي خلع يزيد وولّوه عليهم(1).

واستمر الإمام عليه السلام في المدينة بتوعية الناس بما فعل بنو امية باهل بيت رسول الله صلي الله عليه وآله واخذ يبين اهداف نهضة ابيه الحسين عليه السلام ونتائجها وبهذا قد أكمل الإمام علي بن الحسين عليه السلام ما بدأ به أبوه، ولولا هذه الجهود، والجهود التي بذلتها عمته زينب عليها السلام في هذا المجال لضاع عند الكثير اهداف ثورة أبيه الحسين في كربلاء.

ومما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام في بيان مظلومية أبيه الحسين واهل بيته عليه السلام هو اقامة مجالس العزاء في المدينة وكان لا يزل باكياً ليله ونهاره، وكان عليه السلام إذا أخذ الإناء ليشرب الماء تذكّر عطش أبيه ومن معه فيبكي حتي يمزجه من دموعه، فإذا قيل له في ذلك يقول: "كيف لا أبكي وقد مُنِعَ أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش والسباع"(2) ، وقال له بعض مواليه (لعلّه أبوحمزة الثمالي): إنني أخاف عليك أن تكون من الهالكين من كثرة البكاء، فقال له الإمام عليه السلام: "يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلي الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون إنَّ يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنه حيُّ فبكي عليه حتي ابيضت عيناه من الحزن و إنني نظرت إلي أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني واني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلي عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلي خيمة..."(3).

لقد حضرالإمام كربلاء ورأى بأمر عينيه مأساة الطف بكل تفاصيلها و بعد واقعة الطف ورجوعه إلي المدينة المنورة عاش الإمام عليه السلام فيها تمام حياته إلي جانب قبر

ص:339

1- (1) الطبري 5:480 وعنه في الكامل في التاريخ 4:103.

2- (2) بحار الأنوار 46:108 عن مناقب آل أبي طالب 4:179.

3- (3) بحار الأنوار 46:108، مقتل الحسين، للمقرم: 377.

جده مدة (35 سنة) يلجأ إليه الناس، ويفزعون إليه لامور دنياهم وأخراهم، واخذ يدعو الي دين جده بسلوكه العملي كان اشهرها إنشغاله بالدعاء، وقد ترك لنا تراثاً غنياً وعظيماً في هذا المجال، تجلّت في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق تحتوي علي أمّهات المعارف الاسلامية من المناهج التربوية والتثقيفية والتعليمية، يمكن ان يستفيد منها جميع البشر علي مرّ العصور.

ص:340

منذ مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه بدأت الثورات ضد الحكم الأموي تتوالى، وكأنّ دم الحسين عليه السلام قد استصرخهم، وكان كل المناهضين للحكم الأموي ومهما اختلفوا يتخذون آل بيت النبي صلي الله عليه وآله رمزاً وشعاراً لحركاتهم، وكان من بين تلك الثورات التي وقعت في عهد الإمام السّجاد، انتفاضة أهل المدينة، أو واقعة الحرة، في شهر صفر سنة 63 هـ -، وقيام المختار الثقفي سنة 64 هـ -، من أشهر تلك الثورات وكان للإمام السّجاد فيها أدوراً نستعرضها باختصار:

الإمام السجاد عليه السلام و واقعة الحرة

وبعد مقتل الحسين عليه السلام اضطرت الأوضاع علي يزيد في المدينة، وفي كل أرجاء الدولة الإسلامية فأراد والي المدينة محمد بن أبي سفيان، أن يكسب رضا أهلها فأرسل وفداً من أبناء المهاجرين والأنصار ومنهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، إلي دمشق ليشهدوا الخليفة، وينالوا نصيبهم من هداياه، فلما وصلوا رأوا الخليفة يشرب الخمر ويضرب أمامه بالدفوف، وفي سلوكه ما يشين ويقبح، فلما رجعوا من الشام إلي المدينة، أظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، فلمّا سمع أهل المدينة ذلك خلعوا محمد بن أبي سفيان عامل يزيد في المدينة وطرّدوا من هو موجود من بني أمية وبايعوا عبد الله بن حنظلة ووّلوه عليهم، فلما وصلت الأنباء إلي الشام عقد يزيد لمسلم بن عقبة جيشاً لمحاربة أهل المدينة، وقال له: أدع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً فما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند، وأمره أن يجهز علي جريحهم ويقتل مدبرهم.

وقام أهل المدينة بحفر خندقٍ حولها، وحين وصول جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة؛ خان مروان وأبناؤه الميثاق، وظاهروا الجيش علي قتال أهل المدينة، وأقنعوا بني حارثة بإدخال جيش الشام من جهتهم، فدخل الي جوف المدينة، فكان الهجوم علي أهلها من الأمام ومن الخلف ثم من الجهات الأربع، فحوصرت المدينة، لكن أهلها استبسولوا بالقتال واستطاع عبد الله بن حنظلة أن يهزم كل من توجه إلي قتاله إلي أن قُتل أخوه وأبناؤه العشرة، وبعد مقتلهم انهزم أهل المدينة، واستطاع الجيش الأموي إخماد حركتهم وأباح قاندهم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، ودعي ابن عقبة أهل المدينة إلي البيعة علي أنهم عبيد ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم فمن أبي البيعة بهذه الصورة قُتل، واستثني من ذلك الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وجيء به إلي مسلم وهو مغتاض منه فتبرأ منه ومن آباءه، لكن لما اقترب منه ارتعدت فرائصه فقام له وأفعدده، وقال له: سلني حوائجك، فكان يتشفع لأهل المدينة حتي استنقذ عدداً كبيراً من القتل، والإمام لم يشارك في هذه الانتفاضة، بل لم يكن في المدينة، إذ بعد مقتل الحسين اتخذ بيتاً في البادية من الشعر، لما لاقاه من أهلها. وكان الإيعاز في الانتفاضة من عبد الله بن الزبير الذي حاصر مكة وملكها، علي الرغم من عدم مشاركة الإمام السجاد عليه السلام في هذه الانتفاضة، وعلي الرغم من عدم اكتسابها الطابع الشرعي من الإمام عليه السلام، غير أنه عليه السلام كان يعول أربعمئة بيت من يتامي وأرامل من قتل في هذه المعركة(1).

الإمام السجاد عليه السلام و قيام المختار

لَمَّا تبين للمختار أنَّ الكوفة قد ثارت، وهي علي استعداد للأخذ بثأر الحسين عليه السلام

ص:342

1- (1) راجع: تاريخ الخلفاء: 167، تاريخ الطبري 5:456، الكامل في التاريخ 4:79.

لو تيسر لهم الرّعيم الذي يجمعهم تحت لوائه توجّه إلى الكوفة، وترك ابن الزبير المعادي لأهل البيت عليهم السلام، وكان سليمان بن صرد الذي قاد حركة التوايين يستعدون لقتال الأمويين، فلم يشترك معهم وانتهت حركتهم بقتل سليمان وبعضاً من جماعته، وانضمّ ما تبقي منهم إلى المختار، فجاهر المختار في الدعوة إلى العلويين، وأخذ البيعة لهم، فكثرت أنصاره حتي طرد عامل ابن الزبير علي الكوفة، وانضمّ إلى المختار إبراهيم بن الأشتر، وحارب الأمويين والزبيريين حتي خضع العراق وسائر الأمصار عدا الحجاز والشام والجزيرة للمختار(1).

وما إن دخل المختار قصر الإمارة في الكوفة حتي بسط يده يطلب البيعة علي كتاب الله والطلب بثأر أهل البيت، ومناصرة من يناصرهم، وفي هذه الأثناء فرّ شمر ابن ذي الجوشن، وعمر بن سعد، ومحمد بن الأشعث من الكوفة، غير أنّهم بعد ذلك سمعوا بخروج الناس علي المختار في الكوفة فعادوا إليها، وجعلوا يحرضون الناس عليه، وقادوا معركة ضارية معه انتهت الي انتصار المختار(2).

ثم نادي منادي المختار في أرجاء الكوفة: من أغلق بابه فهو آمن إلا من اشترك في قتل الحسين. وأطلق العنان لجيشه لينتقموا من قتلة الحسين، وقال لأصحابه: اطلبوا قتلة الحسين وآل البيت، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتي أظهر الأرض والمصر منهم، فتعالت الصيحات من كل جانب: يا لثارات الحسين. فأخذ الجيش باستخراجهم من مخابئهم وقتلهم، ثم قبض علي عمر ابن سعد فقتله واحتز رأسه، وأحضر ابنه حفص، فقال له: أتعرف هذا الرأس؟ فقال: نعم ولا خير في العيش بعده. فقال له: ومن أنباك أنّك تعيش من بعده. فأمر بقتله ووضع الرأسين بين يديه وبكي، ثم قال: هذا

ص:343

1- (1) راجع: الأخبار الطوال للدينوري: 300.

2- (2) راجع: الخوارج والشيعة، للمستشرق فلهوزن 52.

برأس الحسين، وهذا برأس علي الأكبر، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله. ومضى المختار يطارد قتلة الحسين وآله وأصحابه، حتى لم يبق أحد إلا فرّ أو قتل، ثم استأجر نوادب من نساء الكوفة يندبن الحسين عليه السلام، ومن قتل معه علي باب عمر بن سعد(1).

ثمّ أنّه قد وصله أخبار تحرك عبيد الله بن زياد بجيش نحو العراق لتحريره من الزبيريين عن طريق الموصل كان قد أعدّه عبد الملك بن مروان، فجهّز جيشاً مؤلفاً من سبعة آلاف لمقابلتها، فالتقي الجيشان عند نهر الخازر في ضواحي مدينة الموصل، ودار بينهما قتال عنيف انتهى بهزيمة جيش ابن زياد وقتله، فطلب ابن الأشر جثة ابن زياد واحتز رأسه وأحرق جثته.

وأرسل المختار رأسي عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد إلي الإمام زين العابدين في المدينة، ولما ورد الرسول المدينة بالرأسين، نادي: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ومهبط الوحي أنا رسول المختار بن أبي عبيدة، ومعني رأس ابن مرجانة وعمر بن سعد، فضج الناس وتصايحوا، حتى أدخل الرأسين علي الإمام زين العابدين، ووضعهما بين يديه، فلما رأهما عليه السلام قال: أبعدهما الله إلي النار، ولم ير الإمام عليه السلام يوماً قط ضاحكاً منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم(2).

ثمّ روي عن عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه لما أتى برأس ابن زياد وعمر بن سعد خرّ (الأمام) ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً(3).

ص: 344

1- (1) الأخبار الطوال: 360. تاريخ الطبري 4: 533.

2- (2) تاريخ يعقوبي 2: 164.

3- (3) رجال الكشي: 127، الحديث 202 و 203 و 204.

وفي رواية عن المنهال بن عمرو أنه قال: حججت في السنة التي ظهر فيها المختار، ودخلت علي الإمام علي بن الحسين، فقال لي: يا منهال ما فعل حرملة ابن كاهل؟ فقلت: تركته حياً يرزق، فرغ الإمام عليه السلام يديه، وقال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار. ومضي المنهال يقول: فرجعت إلي الكوفة، وذهبت لزيارة المختار ذات يوم، وكان لي صديقاً فوجدته قد ركب دابته، فركبت معه حتي أتيت الكناسة، فوقف ينتظر شيئاً، وكان قد وجّه الشرطة في طلب حرملة بن كاهل، فلمّا وقف بين يديه، قال: الحمد لله الذي أمكنني منك. ثم دعا الجزّار وأمره بأن يقطع يديه ورجليه، ويحزّمة قصباً، فقطع يديه ورجليه وأحرّقه بعد ذلك، (1) فقلت بعدما رأيت ذلك: يا سبحان الله. فالتفت إلي المختار، وقال: ممّ سبّحت يا منهال؟ فقصصت عليه ما سمعته من الإمام عليه السلام، ودعاه علي حرملة، فقال لي: بالله عليك لقد سمعت ذلك؟ فقلت: إي والله. فنزل وصلي ركعتين وصام نهاره شكراً لله علي استجابة دعاء الإمام علي بن الحسين علي يديه (2).

ص: 345

1- (1) هذا هو أهمّ الإشكال الذي يرد علي المختار حيث مثّل بقتلة الحسين عليه السلام وقد نهى رسول الله صلي الله عليه وآله وأهل بيته عن المثلّة ولو بالكلب العقور.

2- (2) راجع: كشف الغمة 3: 66، أمالي الطوسي: 238، ح 15، المجلس 9، وفي المناقب 4: 145.

إستشهد الإمام السجاد بالسمّ علي يد الوليد بن عبد الملك وقيل هشام، في الثاني عشر من المحرم أو الخامس والعشرين منه سنة 95 للهجرة، ودفن في البقيع، فكان عمر الإمام 57 سنة علي أكثر الأقوال، ويروي الشيخ الكليني عن الصادق عليه السلام قال: "عاش علي بن الحسين بعد الحسين قدس سره خمساً وثلاثين سنة، وقُبض وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين" (1).

وقال المسعودي: في سنة (95) قُبض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، في ملك الوليد... وهو ابن سبع وخمسين سنة، وهو السجّاد وذوالثغفات وزين العابدين، ودُفن بالمدينة في بقيع الغرقد مع عمّه الحسن بن علي. وكلّ عقب الحسين من عليّ هذا (2).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 346

-
- 1- (1) اصول الكافي 1: 468، ب 117، ح 6، وانظر: وفيات الأعيان: 172.
 - 2- (2) مروج الذهب 3: 160. فهو مصداق وعد الله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ).

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الباقر عليه السلام

ولد الإمام محمد الباقر عليه السلام، يوم الجمعة في أول شهر رجب سنة (57 هـ -) في المدينة، وهو أول علوي من علويين، أبوه زين العابدين عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسن السبط عليه السلام وعلي هذا فيعتبر الإمام الباقر عليه السلام أول فاطمي من فاطميين، وأول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين قدس سره(1).

ويروي أن الإمام الباقر عليه السلام كان كثير الشبه بجده المصطفى محمد صلي الله عليه وآله،... وكان يكنّني بأبي جعفر، وكان أشهر ألقابه (الباقر) علي ما لقبه به جدّه رسول الله صلي الله عليه وآله، فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي صلي الله عليه وآله قال له: "يوشك أن تبقي حتي تلقي ولدًا لي من الحسين، يقال له محمد، ييقر علم الدين بقرًا، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام"(2).

وعن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي المدني قال: كتّأ عند جابر بن عبد الله، فأناه علي بن الحسين ومعه صبيّ فقال علي لابنه: قبّل رأس عمّك، فدنا الصبيّ من جابر فقبّل رأسه وكان جابر قد كفّ بصره فقال: من هذا؟ فقال علي بن الحسين: هذا ابني

ص:349

1- (1) راجع الإرشاد 2:158.

2- (2) تاريخ يعقوبي 2:63. وجاء في معاجم اللغة، أن الباقر هو المتبحر بالعلم، المستخرج غوامضه ولبابه، وأسراره

محمّد، فضّمه جابر إليه وقال له: يا محمّد، إنّ محمّداً رسول الله يقرأ عليك السلام! فقالوا له: يا أبا عبد الله وكيف ذلك؟ فقال: كنت مع رسول الله صلي الله عليه وآله والحسين في حجره وهو يلاعبه، فقال لي: يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادي مناد ليقيم سيد العابدين! فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي ابن يقال له: محمّد، يا جابر وإن رأيته فاقرأه منّي السلام، واعلم أنّ بقاءك بعد لقائه يسير! (1).

وقد جرت عادة الأئمة عليهم السلام أن ينصّ المتقدم منهم علي المتأخر، ويشير السابق علي اللاحق، قطعاً للمعاذير، وإقامة للحجة، وقد نصّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام علي إمامة ولده في مواضع متعددة، فمنها قوله عليه السلام: "ألا وإنه الإمام أبو الأئمة، معدن العلم يبقره بقرّاً، والله لهو أشبه الناس برسول الله "صلي الله عليه وآله (2)، وقد تواترت النصوص علي إمامته، ونقلها العامة كالمسعودي والزهري، فضلاً عن الخاصة (3).

والإمام الباقر عليه السلام علي ما نقله الشيخ المفيد والطبرسي وغيرهما كان له سبعة أولاد: الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، وعبد الله، وأمهما أم فروة بنت القاسم (4) بن محمد بن أبي بكر، و ابراهيم وعبيد الله، وأمهما أم حكيم، وقد توفيا في حياة أبيهما، وعليّ (5)، وزينب وأم سلمة وهم من أم ولد.

ص: 350

- 1- (1) كشف الغمة 3: 119، تذكرة الخواص 2: 425، تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام السجاد عليه السلام: 25، حديث 34 و: 136، حديث 25 و 26. ولم يعش جابر بعد ذلك إلا قليلاً وتوفي بعد هذا بستين أي في سنة (78 هـ -)، وانظر قاموس الرجال 2: 519.
- 2- (2) كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر: 98.
- 3- (3) راجع في النص علي إمامته (إثبات الوصية: 142).
- 4- (4) كان القاسم من الفقهاء الأجلاء، وكان عمر بن عبد العزيز يجله كثيراً وقد قال: لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمّد الخلافة، وقد عمّر طويلاً، وكانت وفاته بمكان يقال له قديد، وهو إسم موضع يقع ما بين مكة والمدينة.
- 5- (5) يقول الشيخ عبّاس القمي: «المشهور في زماننا أنّ قبر علي بن محمد الباقر عليه السلام في ناحية كاشان في مشهد

المتبع لحياة الأئمة عليهم السلام يجدها حلقات متصلة في العبادة، وهي كلها لله وفي الله و إلي الله تعالى، والإمام الباقر عليه السلام واحد من هؤلاء الأئمة، والذي كان له السبق في سلم العبادة والتعلق المطلق بذات الله تعالى، فقد ارتقي فيه حتي بلغ ذروته، يقول الإمام الصادق عليه السلام في حق أبيه: " كان أبي كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإته ليذكر الله، وأكل معه الطعام وإته ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أري لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتي تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ أمره بالذكر" (1).

وقال أفلح مولي الإمام الباقر عليه السلام: " خرجت مع محمد بن علي عليه السلام حاجاً، فلما دخل المسجد، نظر إلي البيت فبكي حتّي علا صوته، فقلت: بأبي أنت وأمي إنّ الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلاً، فقال لي: " ويحك يا أفلح، ولم لا أبكي، لعل الله ينظر إلي برحمة فأفوز بها عنده غداً"، ثمّ طاف بالبيت، ثمّ جاء حتي ركع عند المقام، (أي صلّي ركعات) فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه" (2).

الجانب الاجتماعي في الإمام الباقر عليه السلام

كان الإمام الباقر عليه السلام كسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام أباً عطوفاً للأئمة بأسرها، فعنده محط محتاجهم، وإلي كنفه منتهي مكروبهم، فقد روي عن الأسود بن كثير: شكوت إلي أبي جعفر عليه السلام الحاجة، وجفاء الإخوان، فقال عليه السلام: " بسّ الأخ يركك غنياً

ص:353

1- (1) أعيان الشيعة 4:48.

2- (2) الفصول المهمة: 197.

ويقطعك فقيراً". ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمئة درهم، فقال: "استنفق هذه فإذا فرغت فأعلمني"⁽¹⁾.

وقالت سلمى مولاة أبي جعفر عليه السلام: "كان يدخل عليه أصحابه، فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدنانير، فأقول له في ذلك ليقبل منه فيقول عليه السلام: "يا سلمى ما حسنة الدنيا، إلا صلة الإخوان والمعروف"⁽²⁾. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "دخلت علي أبي يوماً وهو يتصدق علي فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار، وأعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً"⁽³⁾.

ص:354

1- (1) كشف الغمة: 211.

2- (2) نور الأبصار 2:7.

3- (3) بحار الأنوار 11:86.

لا نشكّ أبداً أنّ هدف الأئمة عليهم السلام هو: بثّ روح العلم والثقافة والإيمان في أرجاء العالم الإسلامي، ولكن كل إمام يحقق من هذا الهدف ما تسنح له الظروف، غير أن الإمام الباقر عليه السلام قد سنحت له الظروف أن يبتّ الكثير الكثير من علوم الدين والثقافة الإسلامية بما لم تسمح لغيره منهم عليهم السلام، فقد أدّى تمادي معاوية في قتل الصحابة والتشجيع بهم، وكذلك أدّى قتل يزيد للحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه، وواقعة الحرة، واستباحة المدينة المنورة ورميه الكعبة بالمنجنيق... أدّى كل ذلك إلي تدهور أوضاع الدولة الأموية، حتي وصلت إلي حافة الانهيار في عهد هشام بن عبد الملك، حيث بدأت دعوة العباسيين بالثورة للقضاء علي الدولة الأموية، داعين إلي الرضا من آل محمد عليهم السلام ظاهراً فاستغلّ الإمام الباقر عليه السلام هذا الظرف لفتح مدرسته، وليتخرج منها المئات من العلماء، الذين انتشروا في مختلف البقاع ليبثوا الفكر الإسلامي الأصيل المتمثل بمذهب آل محمد عليهم السلام. ونقل بعض من شاهد الإمام عليه السلام في الحج: اثنيال الناس عليه يستفتونه عن العضلات، ويستفتون أبواب المشكلات، فلم يرم حتي أفتاهم في ألف مسألة ثمّ نهض يريد رحله(1).

والإمام الباقر عليه السلام يمثّل حلقة الوصل في استكمال الخطة التي بدأها الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أنشأ حلقات الدرس والمناظرات في مسجد جده رسول الله صلي الله عليه وآله وتوسعت هذه الحركة الفكرية في زمن الإمام الباقر عليه السلام وبلغت ذروتها في زمن ولده الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حيث كانت الدولة الأموية قد أوشكت علي الانهيار.

ص:355

قال ابن شهر آشوب: ... وقد روي عنه (الباقر عليه السلام) معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين، فمن الصحابة: جابر عبد الله الأنصاري، ومن التابعين: جابر بن يزيد الجعفي، وكيسان السخيتاني صاحب الصوفية، ومن الفقهاء نحو: ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وزياد بن المنذر النهدي، ومن المصنفين نحو: الطبري، والبلاذري، والسلامي، والخطيب في تواريخهم، وفي الموطأ، وشرف المصطفي والإبانة، وحلية الأولياء، وسنن أبي داود، واللكاني، ومسند أبي حنيفة، والمروزي، وترغيب الأصفهاني، وبسيط الواحدي، وتفسير النقاش والزمخشري، ومعرفة أصول الحديث، ورسالة السمعاني، فيقولون: "قال محمد بن علي، وربما قالوا: قال محمد الباقر" (1).

وقد نقلت التفاسير وكتب الحديث والتاريخ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أحاديث وحوارات كثيرة حصلت بينه وبين رجال الفكر والعلماء المعاصرين له عليه السلام من أمثال نافع مولي عمر بن الخطاب، حيث التقى به عليه السلام في داخل البيت الحرام، وكان نافع قد ذهب إلي الحج مع الخليفة هشام بن عبد الملك، فنظر نافع إلي الإمام الباقر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق وقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس، فقال: هذا محمد بن علي، قال: لا تئنه ولأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي، قال الخليفة هشام: فاذهب إليه لعلك تخجله، وذهب نافع والتقي الإمام الباقر عليه السلام وسأله عن مسائل كثيرة لا يتسع هذا البحث المختصر لإيرادها، ولكن نكتفي بسؤال واحد هو عن قول الله تبارك وتعالى: (وَسِعَ كُلُّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) 2 قال نافع: من الذي سأل محمد صلي الله عليه وآله وكان بينه

ص: 356

وبين عيسى عليه السلام خمسمائة عام، فأجابه الإمام الباقر عليه السلام بأن ذلك كان من الآيات التي أراها الله عز وجل لنبيه صلي الله عليه وآله الكريم في الإسراء إلي بيت المقدس. قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)1 حيث حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرائيل فأذن شفعا وأقام شفعا، وقال في أذانه حي علي خير العمل، ثم تقدم رسول الله صلي الله عليه وآله فصلي بالقوم، فلما انصرف قال الله تعالى: (وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَنْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) فقال النبي صلي الله عليه وآله: علي ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله، أخذت علي ذلك عهدنا ومواثيقنا، قال نافع: صدقت يا أبا جعفر(1).

ص:357

1- (2) وللإمام عليه السلام حوارات كثيرة مع الحسن البصري وطاووس اليماني، ومن أراد الاطلاع فليراجع الارشاد: 244، بحار الأنوار: 125:6.

القُبس الرابع: الإمام الباقر عليه السلام في الشّام

كان الإمام الباقر عليه السلام في وجوده وحركاته وسلوكه، وجميع تصرفاته في المدينة يشكّل خطراً ضد الجهاز الأموي الحاكم آنذاك، المتمثل بهشام بن عبد الملك، والإمام عليه السلام وإن تخلي عن الجهاد والكفاح المسلح، وعمد إلى التغيير الفكري، وترويج الثقافة والمعرفة، ولكن مع ذلك فقد كان الجهاز الحاكم يعتبر ذلك مخالفاً لسلطته وجهاداً ضد حكومته، فعزم هشام علي استقدام الإمام إلي الشّام سنة (112) للهجرة، أي: قبل وفاة الإمام بسنتين.

لقد روي الطبريّ الإمامي بسنده عن الصادق عليه السلام خبراً جاء فيه: أنّ مسّلمة بن عبد الملك كان مع أخيه هشام لما حجّ في أوّل خلافته سنة (106 هـ -)، وكان الصادق مع أبيه الباقر قدس سره، وسمع مسّلمة من الصادق عليه السلام يقول لمن حوله: الحمد لله الذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله علي خلقه وخيرته من عباده وخلفاؤه! فالسعيد من اتّبعتنا والشقيّ من عادانا وخالفنا! فانصرف مسّلمة إلي أخيه هشام وأخبره بما سمع من الصادق عليه السلام! وكأنّ هشاماً لم ير من حشمته أن يبادر بمؤاخذته علي كلمته فلم يعرض لهم حتّي انصرف إلي دمشق، وانصرف الصادق مع أبيه الباقر قدس سره إلي المدينة، فأنفذ بريداً إلي عامل المدينة خاله (إبراهيم بن هشام المخزومي) بإشخاص الباقر والصادق معه، فأشخصهم إليه.

قال الصادق عليه السلام: فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثة ثمّ في اليوم الرابع أذن لنا، فدخل أبي أمامي وأنا خلفه، وإذا به قد قعد علي سرير الملك، وخاصّته وجنده وقوف علي أرجلهم سماطان متسلّحان(1).

ص: 358

1- (1) عن دلائل الإمامة في بحار الأنوار 306:46، الباب 7: خروجه إلي الشّام.

وروي الكليني بسنده عن أبي بكر الحضرمي(1) قال: لمّا صار أبو جعفر عليه السلام بباب هشام قال لمن بحضرته من بني أمية وأصحابه: إذا رأيتموني وبّخت محمد بن علي عليه السلام وسكّث فليقبل عليه كلّ رجل منكم فليوبّخه! ثمّ أمر أن يؤذن له. فلمّا دخل أبو جعفر عليه السلام عمّهم بالسلام جميعاً ثمّ جلس! وترك السلام علي هشام بالخلافة وجلس بغير إذن فازداد هشام حنقاً عليه فأقبل عليه وأخذ يوبّخه يقول له: يا محمد بن علي! لا يزال الرجل منكم يشقّ عصا المسلمين ويدعو إلي نفسه ويزعم أنّه الإمام! سفهاً وقلة علم! ولمّا سكت أقبل عليه من القوم الرجل يوبّخه ثمّ آخر حتّي آخرهم. فلمّا سكت القوم نهض عليه السلام قائماً ثمّ قال لهم: أيّها الناس! أين تذهبون وأين يراد بكم؟! بنا هدي الله أوّلكم، وبنا يخرّم آخركم! فإن يكن لكم ملك معجّل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد ملكنا ملك؛ لأنّ أهل العاقبة في قوله سبحانه: (وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) 2 .

قال الصادق عليه السلام: وكان هشام قد نصب غرضاً علي رأس رمح وكان أشياخ قومه يرمون، فنادي أبي قال له: يا محمد! ارم مع أشياخ قومك الغرض! فقال له: إنّي قد كبرت عن الرمي، فهل تري أن تعفيني؟ فقال: وحقّ من أعزّنا بدينه ونبّه محمد لا أعفيك! ثمّ أوماً إلي شيخ من بني أمية: أن أعطه قوسك. فعند ذلك تناول أبي قوس ذلك الشيخ وتناول منه سهماً ووضع في كبد القوس ثمّ انتزع ورمي وسط الغرض فنصب سهمه فيه! ثمّ تناول الثانية ورمي الثانية فيه فشقّ فواق السهم السابق إلي نصله، ثمّ تابع الرمي إلي تسعة أسهم لاحقتها في جوف سابقتها! فلم يتمالك هشام إلاّ أن ناداه: أجدت - يا أبا جعفر - وأنت أرمي العرب والعجم! هلاّ زعمت أنّك كبرت عن الرمي! ثمّ أطرق إطراقاً إلي الأرض يتروّى فيها، وأنا وأبي واقفين حذاه مواجهين له!

ص: 359

1- (1) انظر ترجمته في قاموس الرجال 6: 569 برقم 4486 وهو عبد الله بن محمد الكوفي.

وكان أبي إذا غضب نظر إلي السماء نظر غضبان يري الناظر الغضب في وجهه، فلما طال وقوفنا غضب أبي ونظر إلي السماء نظر غضبان!

فلما رأي هشام ذلك من أبي ناداه: يا محمد إليّ! فمشي أبي إلي سرير هشام وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعدته عن يمينه، ثمّ اعتنقني وأقعدني علي يمين أبي، ثمّ أقبل بوجهه علي أبي وقال له: يا محمد! لا تزال قريش تسود العرب والعجم مادام فيها مثلك! لله درك! من علمك هذا الرمي وفي كم تعلّمته؟! فقال أبي: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه في أيام حدائتي فتعاطيته ثمّ تركته، فلما أراد أمير المؤمنين! منّي ذلك عدت فيه فقال: ما رأيت قطّ مثل هذا الرميّ مذ عقلت! وما أظن أن يكون في الأرض أحد يرمي مثل هذا الرمي! ثمّ سأله: أيرمي جعفر مثل رميك؟

فقال أبي: إنّنا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله علي نبيّه صلي الله عليه وآله في قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) 1 والأرض لا تخلو ممّن يكمل هذه الأمور التي يقصر غيرنا عنها! (1).

وبعد هذه القضية أمر هشام بسجن الإمام عليه السلام، ولكن لم يمض وقت طويل حتي تناقلت الأخبار إلي هشام بأن الإمام قد استطاع بأخلاقه وعلمه وعبادته أن يأسر قلوب السجّان إليه، فخاف انقياد أهل الشام إليه، فأمر بإعادة الإمام إلي المدينة (2).

وحين خرج عليه السلام من القصر يريد المدينة، وإذا براهب قد اجتمعت حوله الناس من النصاري والمسلمين، وكان من كبار رهبانهم في الشام، فلما وقع بصره علي الإمام سأله عن معضلات فأتي الإمام علي آخرها. ففي خبر الطبريّ الإمامي عن الصادق عليه السلام

ص: 360

1- (2) راجع: الكافي 1: 471، وفي بحار الأنوار 11: 75، وفي ج 46: 307، عن دلائل الإمامة.

2- (3) راجع: الكافي 1: 471، وبحار الأنوار 11: 75.

قال: كان بباب (قصر) هشام بالشام ميدان، فلما خرجنا من عنده إلي الميدان إذا في آخر الميدان عدد كثير من الناس قعود، فسأل أبي حُجَّاب الباب. قال: مَنْ هؤلاء؟ فقال الحُجَّاب: هؤلاء القسّيسون والرهبان، ولهم عالم يقعد لهم في كلّ سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم. فعند ذلك لفّ أبي رأسه بفاضل رده وأنا فعلت مثل فعل أبي، ثمّ أقبل نحوهم حتّى قعد نحوهم، وقعدت وراء أبي، وأقبل أعداد من المسلمين فأحاطوا بنا. ورفع هذا الخبر إلي هشام فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضوع فينظر ما يصنع أبي، فأقبل بعض غلمان هشام وأحاطوا بنا.

وأقبل عالم النصراني وقد شدّ حاجبيه بحريّة صفراء، فقام إليه جميع القسّيسين والرهبان يحيّونه وجاءوا به إلي صدر المجلس فقعد فيه وأحاط به أصحابه، فأدار نظره فرآنا فقال لأبي: أمنا؟ أم من الأمة المرحومة؟ فقال أبي: بل من هذه الأمة المرحومة. فقال: من أيّهم أنت من علمائها أم من جهّالها؟ فقال أبي: لست من جهّالها! فقال: أسألك؟ فقال أبي: سل.

فقال: من أين ادّعيتم أنّ أهل الجنّة يطعمون ويشربون ولا يُحدثون ولا يبولون؟! وما الدليل والشاهد علي ما تدّعون من شاهد لا يُجهل؟ فقال أبي: دليل ما ندّعي من شاهد لا يُجهل: الجنين في بطن أمّه يطعم ولا يحدث!

فاضطرب النصراني اضطراباً شديداً وقال: هلاًّ زعمت أنك لست من علمائها؟ قال: بل لست من جهّالها. وأصحاب هشام يسمعون ذلك. فقال: أسألك عن مسألة أُخري؟ قال أبي: سل.

فقال: من أين ادّعيتم أنّ فاكهة الجنّة أبداً غصّة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنّة؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يُجهل؟ فقال أبي: دليل ما ندّعي: أنّ ترابنا أبداً يكون غصّاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع أهل الدينا. فاضطرب

اضطراباً شديداً وقال: هلاً زعمت أنك لست من علمائها؟ قال: بل لست من جُها لها. فقال: أسألك عن مسألة أخري؟ قال: سل.

فقال: أخبرني عن ساعة لا- هي من ساعات الليل ولا هي من ساعات النهار؟ فقال أبي: هي ساعة ما بين طلوع الفجر إلي طلوع الشمس، يفيق فيها المغمي عليه، ويرقد فيها الساهر ويهدأ فيها المبتلي... فصاح النصراني: والله لأسألك عن مسألة لا تهتدي إلي الجواب عنها أبداً! قال أبي: سل.

فقال: أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد، وعمّر أحدهما خمسون سنة، وعمّر الآخر مئة وخمسون سنة في دار الدنيا.

فقال له أبي: عزراً وعزيراً ولدا في يوم واحد، فلمّا بلغ خمسة وعشرين عاماً مرّ عزراً علي حماره راكباً علي قرية بأنطاكية (وهي خاوية علي عُرُوشها قال أنّي يُحبي هذه الله بعد موتها) 1 وكان الله قد هداه واصطفاه، فلمّا قال ذلك القول غضب الله عليه (فأماته الله مائة عام) 2 سخطاً عليه بما قال: ثمّ بعثه علي حماره بعينه، وطعامه وشرابه، وعاد إلي داره وأخوه عزير لا يعرفه فاستضافه فأضافه، وعزر شاب في سنّ خمس وعشرين سنة، فلم يزل عزير يذكره أخاه وولده وهم يذكرون ما يذكّرههم ويقولون له: ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنون! ويقول له أخوه عزير: ما رأيت شاباً في سنّ خمسة وعشرين سنة أعلم منك بما كان بيني وبين أخي عزير أيام شبابي! فمن أهل الأرض أنت أم من أهل السماء؟! فحينئذ قال له أخوه عزرا: يا عزير أنا عزرا! سخط الله عليّ بقول قلته بعد أن هداني واصطفاني! فأماتني مئة سنة ثمّ بعثني! لتردادوا بذلك يقيناً أنّ الله علي كلّ شيء قدير، وهاهوذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت بها من عندكم أعادها

الله تعالي كما كانت! فعندها أيقنوا بذلك(1). وأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة ثم قبضه الله وأخاه في يوم واحد.

فعند ذلك نهض عالم النصاري قائماً، فقام النصاري علي أرجلهم فقال لهم: جئتموني بأعلم مني وأقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني، وأعلم المسلمين بأن لهم من يحيط بعلومنا وعنده ما ليس عندنا! فلا أقعد لكم سنة إن عشت ولا اكلمكم من رأسي كلمة واحدة! ثم تفرقوا. وبقي أبي قاعداً مكانه وأنا معه، حتى تفرق الناس، فنهض أبي وأنا معه، فانصرفنا إلي المنزل الذي كنا فيه.

ورُفِع خبر ذلك إلي هشام، فوافانا رسول هشام بالجائزة، ولكنه أمرنا أن نصرف إلي المدينة من ساعتنا. وذلك أن الناس خاضوا وماجوا فيما دار بين أبي وبين عالم النصاري، فركبنا دوابنا منصرفين(2).

وإثر هذه الحادثة وغيرها اشتعل هشام حقداً وحنقاً علي الإمام عليه السلام، وكتب إلي عامله في المدينة أن يُضَيِّق علي الإمام، حتي ختم ذلك بدسه السُّم إليه بأمر من هشام بن عبد الملك وكان ذلك في اليوم السابع من ذي الحجة سنة (114 هـ -).

ص: 363

1- (1) وهذه هي العلة في ذلك دون غضب الله وسخطه عليه وقد هداه الله واصطفاه كما مرّ، ولعلهما من زيادات الرواة.

2- (2) عن دلائل الإمامة في بحار الأنوار 309:46.

كانت شهادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام بأمر من هشام بن عبد الملك يوم السابع من ذي الحجة سنة (114 هـ -) وكان عمره سبع وخمسون سنة، ودفن في البقيع في مدينة جدّه رسول الله صلي الله عليه وآله(1)، وقيل إنّ عبد الملك بن مروان بعث بسرج مسموم إلي الإمام عليه السلام وعندما وضعوه فوق الفرس وجلس عليه الإمام عليه السلام تورم جسده الشريف وظهرت عليه آثار الموت(2).

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: " في أحد الأيام طلبني أبي وقال لي: يا جعفر إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبوري أربع أصابع ورشه بالماء (وكان عنده قوم من أصحابه) فلما خرجوا قلت: يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته، ولم ترد أن أدخل عليك قوماً تشهدهم، فقال: يا بني أردت أن لا تنازع (أي: في أمر الإمامة)(3)، والحادثة تشير إلي أنه عليه السلام أوضح للحاضرين من شيعته وأتباعه من هو الإمام المفترض الطاعة من بعده. وروي عن الصادق عليه السلام أنه أوصي بثمانمئة درهم تعطي لإقامة المآتم عليه بعد موته، روي عنه عليه السلام أنه قال: قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبني عشر سنين بمني أيام مني(4).

ص:364

1- (1) هذا علي قول الكليني في أصول الكافي 1:469، و المفيد في الإرشاد 2:158، و الطبرسي في إعلام الوري 2:498، أمّا علي قول ابن قتيبة في المعارف: 215، كانت وفاة الباقر: سنة (117 هـ -). وهي رواية الواقدي في الطبقات 5:324، وقول اليعقوبي في تاريخه 2:320.

2- (2) راجع: بحار الأنوار 46:217، ح 19.

3- (3) الخرائج ولجرائح: 197.

4- (4) فروع الكافي 5:117.

والحكمة من هذا الأمر الذي أمر به الإمام الباقر عليه السلام لولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه أراد ان يعرّف المسلمين عامة والشيعه خاصة بأهمية إقامة الشعائر وبالأخص إحياء مجالس أهل البيت عليهم السلام لأن إحياء مجالسهم وذكرهم هو إحياء للإسلام، والقرآن، فأهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن ولا يفترقان أبداً كما صرح بذلك نبي الإسلام محمد صلي الله عليه وآله في حديث الثقلين المعروف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 365

المشهور عند علماء الإمامية أنّ الإمام الصادق عليه السلام ولد بالمدينة سنة 83 هـ - يوم الجمعة، وقيل يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول(1)، أبوه الإمام محمد الباقر عليه السلام سيد الناس وأعلمهم في عصره، وأمّه هي السيدة الفاضلة فاطمة (أم فروة)(2) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر،(3). وكانت من سيدات النساء شرفاً وفضلاً، فقد

ص:369

-
- 1- (1) الكافي 1:472، والإرشاد للمفيد 2:179، المناقب 4:280، إعلام الوري: 271، وراجع بحار الأنوار 47:95-194.
- 2- (2) راجع: الفصول المهمة: 192، ووفيات الأعيان: 3:224، والقاسم أبوه محمد بن أبي بكر وأمّه أسماء بنت عميس، وكان القاسم من الفقهاء الأجلاء، وكان عمر بن عبد العزيز يجله كثيراً وقد قال: لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمّد الخلافة، وقد عمّر طويلاً، وكانت وفاته بمكان يقال له قديد، وهو إسم موضع يقع ما بين مكة والمدينة، (الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: 72).
- 3- (3) قال فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي: «ولم يعلم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا شيعتهم الرواية عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ولقد ولّديني أبو بكر مرتين! ولا أجد فيما بأيدينا أقدم من رواية الجنابذي البغدادي للخبر مرسلًا أيضاً وعنه الإربليّ في كشف الغمة 3:163 ويبدو عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ 1:166 بلفظ: ولديني أبو بكر مرتين! مرسلًا أيضاً. ولو تنزّلنا، فعلي فرض التسليم بصدوره عنه عليه السلام فلعله يعني الفخر بالانتساب إلي محمد ابن أبي بكر لا امتناعه عن البيعة لمعاوية حتى قُتل، وانتسابه لعبد الرحمن بن أبي بكر لا امتناعه عن البيعة لولاية عهده حتى مات في ظروف غامضة وقيل: قُتل» راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 6:496).

تربت في بيت أبيها، وهو من الفضلاء اللامعين في عصره، كما تلقت الفقه والمعارف الإسلامية من زوجها الإمام الباقر عليه السلام.

ونصّ المؤرخون والمحدثون: أنّ النبي صلي الله عليه وآله هو الذي سمّاه بالصادق عليه السلام، فحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي فسمّوه الصادق، فإنّه سيكون في ولده سمي له يدّعي الإمامة بغير حقّها فيسمّي كذاباً(1).

وتزوَّج الإمام الصادق عليه السلام بفاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين عليه السلام ورزق منها: اسماعيل،(2) وعبد الله الأفتح،(3) وأم فروة.

ص: 370

1- (1) علل الشرائع 1:274، الباب 169، الحديث 1. راجع: المناقب لابن شهر آشوب 4:281 و موسوعة التاريخ الإسلامي 6:496.
2- (2) اسماعيل بن جعفر: كان أكبر اخوته سنّاً ولميل أبيه و اكرامه له كان قوم من الشيعة يظنون أنّه القائم بعد أبيه و الخليفة له من بعده، فمات في حياة أبيه عليه السلام بالعريض ودفن بالبقيع. و حزن أبوه عليه حزناً عظيماً و تقدّم سريره بغير حذاء و لا رداء و أمر بوضع سريره علي الأرض قبل دفنه مراراً، و كان يكشف عن وجهه، و ينظر إليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده و إزالة الشبهة عنهم، فلمّا مات الصادق عليه السلام، رجعوا فريق من الناس عن القول بحياة اسماعيل و قالوا بامامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنّهم أنّ الامامة كانت في أبيه و أنّ الابن أحقّ بمقام الامامة من الأخ، و فريق ثبتوا علي حياة اسماعيل و هم اليوم شذاذا و هذان الفريقان يسميان بالاسماعيلية و المعروف منهم الآن من يزعم أنّ الامامة بعد اسماعيل في ولده و ولد ولده الي آخر الزمان راجع: الارشاد: 285، وعنه في بحار الأنوار 47:242. و أنّ سلاطين الفاطميين الذين حكموا في المغرب و مصر (274) سنة في زمن بني العباس كانوا من أولاد اسماعيل، و كان أوّل سلطنتهم في أيام المعتمد و المعتضد و اوائل الغيبة الصغري و عددهم أربعة عشر نفرًا، راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 8، الفصل 7).

3- (3) عبد الله بن جعفر: روي القطب الراوندي عن المفضل بن عمر أنّه قال: لمّا مضى الصادق عليه السلام كانت وصيّته في الامامة إلي موسى الكاظم عليه السلام فادّعي أخوه عبد الله الأفتح الامامة و كان أكبر ولد

وتزوَّج الإمام الصادق عليه السلام بأم ولد حميدة البربرية بنت صاعد المغربي، (حميدة المصفاة) ورزق منها: الإمام موسى عليه السلام، و اسحاق(1) و محمد الديباج(2) وكان له:

ص:371

- 1- (1) إسحاق بن جعفر: كان رجلاً من أهل الفضل وصلاح وقد روي عنه الأحاديث والآثار. وزوجة اسحاق هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروفة بجلالة الشأن، توفيت بمصر سنة (208) ودفنت هناك، ولأهل مصر اعتقاد تام بها، راجع: (منتهاي الآمال 2: الباب 8، الفصل 7). وينتهي إلي اسحاق بن جعفر عليه السلام نسب بني زهرة العائلة الجلييلة بحلب، و منهم أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحلبي العالم الفاضل الجليل صاحب التصانيف الكثيرة.
- 2- (2) محمد بن جعفر: يقال له (الديباج) لحسنه وجماله وكماله وكان رجلاً سخياً شجاعاً ووافق الزيدية في الخروج بالسيف، وقد خرج في أيام المأمون سنة (199 هـ -) بالمدينة ودعا الناس إلي نفسه فبايعه أهل المدينة بامرة المؤمنين، فذهب إلي مكة في جمع من الطالبين منهم الحسين بن الحسن الأفطس، و علي بن جعفر بن محمد،... ف وقعت معركة عظيمة بينهم وبين هارون بن المسيب (أو الجلودي) حتي انتهى الأمر بأسر الطالبين فأخذوا وقيدوهم ثم أرسلوهم إلي خراسان فلما قدموا خراسان أكرم المأمون محمد بن جعفر فكان معه حتي مات محمد بن جعفر. ونقل عن تاريخ قم: أنّ محمد الديباج توفي بجرجان في الوقت الذي توجه المأمون فيه الي العراق سنة (203) فصلّي عليه المأمون ودفنه في جرجان، وبني الصاحب بن عباد علي قبره بناية في سنة (374). وللإطلاع علي تفصيل القصة راجع: (منتهاي الآمال 2: الباب 8، الفصل 7).

العباس، عليّ، (1) اسماء وفاطمة، لأمهات شتّى، فمجموع أولاده عشرة كما ذكرهم الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) (2).

رحل الإمام الصادق عليه السلام إلى جوار ربه عن عمر يناهز (65 سنة) في عام 148 هـ -، ودفن في البقيع إلى جوار أبيه الباقر عليه السلام، وقد تزامنت إمامته مع نهاية الحكم الأموي في سنة 132 هـ -، وبدايات الحكم العباسي الذي بدأ من ذلك التاريخ، فقد عاصر من الخلفاء العباسيين، هشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد (المعروف بمروان الحمار)، ومن الخلفاء العباسيين، عبد الله بن محمد (المعروف بالسفاح)، وأبي جعفر (المعروف بالمنصور الدوانيقي) والذي استشهد الإمام عليه السلام بأمره.

ص: 372

1- (1) عليّ بن جعفر: سيد جليل القدر، عظيم الشأن وعالم ومحدّث كبير، وقد ادرك الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام، وكان عارفاً بامام زمانه وكفي به فضلاً وقد مدحه علماء الرجال مدحاً كثيراً. وقد اشتبه موضع قبره هل هو في قم في المقبرة التي اشتهرت بإسمه، أو في العريض التي تبعد عن المدينة بفرسخ والذي كان فيه مسكنه، والراجح عند العلماء أنّ قبره في العريض أو في البقيع، وأمّا القبر الموجود في قم أو فيما ينسب إليه في مدينة سمنان لعلّه لأحدي أحفاد الإمام عليه السلام، كما أنّه بقم في مقبرة مالون قبر أحد أحفاد الإمام عليه السلام، بإسم أحمد بن القاسم. ولمزيد الإطلاع راجع: (منتهي الآمال: 2: الباب 8، الفصل 7).

2- (2) الإرشاد للمفيد 2: 207، الباب 8، الفصل 7.

لقد اعترف أئمة المذاهب الإسلامية، وعلماء الأمة بالمقام العلمي الشامخ للإمام الصادق عليه السلام، فهذا أبوحنيفة (النعمان بن ثابت) وهو إمام المذهب الحنفي الشهير وقد تتلمذ علي يد الإمام ستين في المدينة فكان يقول: لولا السنن لهلك النعمان وقال "ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد"، وقد استدل علي علميته بأن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس (1).

وسئل أبوحنيفة: من أفتقه من رأيت؟ فقال: جعفر بن محمد، ثم قال: لما أقدمه المنصور إلي الحيرة، بعث إلي وقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد! فهيتي له من مسائلك الشداد. فهيت له أربعين مسألة! ثم بعث إلي فأتيته ودخلت عليه فإذا جعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر (المنصور) فسلمت عليه فأومي إلي فجلست. ثم التفت إلي الصادق عليه السلام وقال له: يا أبا عبد الله، هذا أبو حنيفة! قال: أعرفه، ثم التفت إلي فقال: يا أبا حنيفة ألق علي أبي عبد الله من مسائلك. فجعلت القي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا. فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت علي الأربعين مسألة، فما أخل بشيء! ثم قال أبو حنيفة: أليس إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس (2)؟!

وكان مالك بن أنس ممن يحضر عند الإمام عليه السلام ليتأدب بأدابه ويهتدي بهديه فكان يقول: "ما رأيت عين ولا سمعت اذن ولا خطر علي قلب بشر أفضل من جعفر بن

-
- 1- (1) تذكرة الحفاظ 1: 166، وراجع: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة 1: 70، و 4: 335.
 - 2- (2) مناقب آل أبي طالب 4: 277 عن مسند أبي حنيفة لأبي القاسم البغاري، وسير أعلام النبلاء 9: 543.

محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً، وقال: "لقد كنت آتي جعفر بن محمد فكان كثير التبسم فإذا ذكر عنده النبي صلي الله عليه وآله تغير لونه، وقد اختلفت الي جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلا علي إحدي ثلاث خصال إمّا مصلياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله صلي الله عليه وآله إلا علي طهارة، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العبّاد والزّهاد الذين يخشون الله، وشهد المنصور بحقه وهو الدّ أعدائه قائلاً: إن جعفر بن محمد كان ممّن قال الله فيه (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصَّطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) 1، وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات(1).

وقال ابن حجر الهيتمي: جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من العلوم(2).

وكتب ابن خلكان المؤرخ الشهير: أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) أحد الأئمة الاثني عشر علي مذهب الإمامية، وكان من سادات آل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان أبو موسي جابر ابن حيان الكوفي تلميذاً عنده، وصنف جابر كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائل الإمام جعفر الصادق، وهي خمسمئة رسالة(3).

ص: 374

1- (2) راجع: تاريخ اليعقوبي 2: 383، مناقب آل أبي طالب 4: 142، تهذيب التهذيب 1: 53-88.

2- (3) الصواعق المحرقة: 201.

3- (4) وفيات الأعيان 1: 327.

ومن مظاهر علم الإمام الصادق عليه السلام معرفته بجميع اللغات، لقد روي أبان بن تغلب قال: غدوت من منزلي بالمدينة وأنا أريد أبا عبد الله فلما صرت بالباب وجدت قوماً عنده لم أعرفهم، ولم أر قوماً أحسن زياً منهم، ولا أحسن سيماءً منهم كأن الطير علي رؤوسهم، فجعل أبو عبد الله عليه السلام يحدثنا بحديث فخرجنا من عنده، وقد فهم خمسة عشر نقراً، متفرقي الألسن، منهم العربي، والفارسي، والنبطي، والحبشي، والصقلبي، فقال العربي: حدثنا بالعربية، وقال الفارسي: حدثنا بالفارسية، وقال الحبشي: حدثنا بالحبشية، وقال الصقلبي: حدثنا بالصقلبية وأخبر عليه السلام بعض أصحابه بأن الحديث واحد، وقد فسره لكل قوم بلغتهم.

ودار الحديث بين الإمام عليه السلام وبين عمار الساباطي باللغة النبطية فبهر عمار وراح يقول: (ما رأيت نبطياً أفصح منك بالنبطية...)، فقال عليه السلام له: "يا عمّار وبكل لسان". وروي أبو بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من أهل خراسان وهو يكلمه بلسان لا أفهمه وكانت تلك اللغة التي كان يتحدث بها مع الخراساني هي اللغة الفارسية، ووفد عليه قوم من أهل خراسان، فقال عليه السلام لهم: "من جمع ما لا يحرسه عدّبه الله علي مقداره" فقالوا له باللغة الفارسية: لا نفهم العربية، فقال عليه السلام لهم: "هركه درم اندوزد جزایش دوزخ باشد". (1)

وقال عبد الله بن المبارك وهو يصف جعفر الصادق عليه السلام:

أَنْتَ يَا جَعْفَرُ فَوْقَ الْمَدْحِ وَالْمَدْحِ عِنَاءٌ إِنَّمَا الْأَشْرَافُ أَرْضٌ وَلَهُمْ أَنْتَ سَمَاءٌ جَازَ حَدَّ الْمَدْحِ مَنْ قَدْ وَلَدَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ. (2)

ص: 375

1- (1) الاختصاص: 183-283، وراجع: الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: 46.

2- (2) المناقب 4: 277، وفي بحار الأنوار 26: 47، باب 4.

كان عصر الإمام الصادق عليه السلام عصراً فريداً، والظروف الاجتماعية التي عاشها لم يعيشها أيّ واحد من الأئمة عليهم السلام، ذلك أن تلك الفترة كانت من الناحية السياسية فترة تزعزع الحكم الأموي، واشتداد شوكة العباسيين، وكان الطرفان في صراع مستمر، بدأ النضال السياسي للعباسيين منذ عهد هشام بن عبد الملك، وفي عام 129 هـ - دخل الصراع نطاق الكفاح المسلح، وفي نهاية المطاف انتصر العباسيون عام 132 هـ -.

ونظراً لانشغال الأمويين خلال هذه الفترة بالمشاكل السياسية الكثيرة لم تسنح لهم الفرصة لمضايقه الإمام الصادق وشيعته، كما أن العباسيين، ولأنهم كانوا يرفعون شعار الدفاع عن أهل البيت والثأر لهم قبل استلامهم مقاليد الحكم لم تكن هناك مضايقه من جانبهم أيضاً، ومن هنا كانت هذه الفترة فترة هدوء وحرية نسبية للإمام الصادق وشيعته، فكانت فرصة مناسبة جداً لتفعيل نشاطهم العلمي والثقافي.

ومن جهة أخرى كان عصره عليه السلام عصر تلاقح وتضارب الأفكار، وظهور الفرق والطوائف والتيارات المختلفة، وانبثقت شبهات وإشكاليات متعددة جراء تضارب عقائد المسلمين مع عقائد أهل الكتاب وفلاسفة اليونان. وقد ظهرت تيارات و فرق، مثل المعتزلة والجبرية، والمرجئة، والغلاة، والزنادقة، والمشبهة، والمتصوفة، والمجسّمة، والتناسخية وغيرها، وكانت كل فرقة تروّج أفكارها وعقائدها، وفضلاً عن ذلك كله كان الخلاف يدب في العلم الواحد من العلوم الإسلامية بين علماء ذلك العلم، فمثلاً كانت تحدث مناقشات حادة في علوم القراءة والتفسير والحديث والفقه والكلام.

ونظراً لذلك كله واصل الإمام الصادق عليه السلام الجهود التي ابتدأها أبوه الإمام الباقر، وأسس جامعة علمية كبيرة، علّم ورَبّي فيها تلامذة كباراً وبارزين، أمثال هشام بن الحكم، ومحمد بن مسلم، وأبان ابن تغلب، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، والمفضل بن عمر، وجابر بن حيان، وغيرهم كثير في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وقد ناهز عدد تلامذته الأربعة آلاف عالم(1)، وكان لبعضهم مؤلفات علمية وتلامذة كثيرون، فكان لهشام ابن الحكم واحد وثلاثون كتاباً(2)، ولجابر أكثر من مئتي كتاب(3) وفي مواضيع مختلفة لا سيما في العلوم العقلية والطبيعية والكيمياوية، وقد اشتهر بأبي الكيمياء.

لقد زخرت هذه الجامعة بطلاب من مختلف المذاهب والفرق، وكان أئمة المذاهب السنية المشهورون بشكل مباشر وغير مباشر تلامذة لديه، وكان علي رأسهم أبو حنيفة الذي لازم الإمام سنتين، وجعل هاتين السنتين مصدر علمه ومعرفته، وكان يقول: لولا السنان لهلك النعمان(4).

ويكفي ما قاله الحسن بن علي بن زياد الوشاء في سعة هذه الجامعة فقال: أدركت في هذا المسجد - أي مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد(5).

ص: 377

1- (1) الإرشاد: 271.

2- (2) إعلام الوري: 284.

3- (3) الفهرست لابن النديم: 512.

4- (4) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة 1: 70.

5- (5) فهرست مصنفي الشيعة: 39.

وقال المحقق في (المعتبر): إن الذين برزوا من تلامذته وألقوا من أحاديثه وأجوبة مسائله أربعمئة كتاب عُرفت بعد عصره بالأصول وقد اعتمدها المحدثون الثلاثة الكليني والصدوق والطوسي في كتبهم الأربعة (الكافي)، و (كتاب من لا يحضره الفقيه)، و (التهذيب)، و (الإستبصار).

ومجمل القول: إن جامعة علوم أهل البيت التي أسسها الإمام الباقر عليه السلام واستقلَّ بها ولده الصادق عليه السلام من بعده أكثر من ثلاثين عاماً وقصدها العشرات من العلماء وطلاب العلم في كل مكان كان لها أطيّب الأثر في تاريخ العلوم الإسلامية.

روي الطوسي بسنده عن ابن شُبْرُمة قاضي الكوفة قال: دخلت أنا وأبو حنيفة علي جعفر بن محمد قدس سره فسَلَّمْتُ عليه ثمَّ قلت له: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعقل! فقال جعفر عليه السلام: لعلَّه هو الَّذي يقيس الدين برأيه؟! ثمَّ أقبل عليَّ فقال: هذا النعمان بن ثابت؟ فقال أبو حنيفة: نعم، أصلحك الله (2) قال ابن شُبْرُمة: ولم أكن أعرف اسمه إلاَّ ذلك اليوم (3)، ثمَّ قال له: يا نعمان! هل تُحسِن أن تقيس رأسك؟ قال: لا. قال: فما أراك تُحسِن شيئاً ولا فرضك إلاَّ من عند غيرك! فهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا. قال: فهل عرفت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والبرودة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا. قال ابن أبي ليلى (وليس ابن شُبْرُمة) فقلت: جعلت فداك! فسّر لنا جميع ما وصفت.

فقال: حدّثني أبي عن أبائه عن رسول الله صلي الله عليه وآله: أن الله تبارك وتعالى خلق عيني ابن آدم من شحمتين فجعل فيهما الملوحة، ولولا ذلك لذابتا فالملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذي. وجعل المرارة في الأذنين حجاباً للدماغ، فليس من ذابة تقع فيه إلاَّ التمسّت الخروج! ولولا ذلك لوصلت إلي الدماغ! وجعل العذوبة في الشفتين ممناً من الله عزّ وجل علي ابن آدم ليجد بذلك عذوبة الريق وطعم الطعام والشراب، وجعل البرودة في المنخرين لئلاَّ تدع في الرأس شيئاً إلاَّ أخرجه.

ص: 379

-
- 1- (1) توفي أبو حنيفة النعمان بن ثابت سنة (150 هـ -)، وهو ابن تسعين سنة ودفن ببغداد، وثابت ابن زوطا من أهل كابل، وهو الذي أسره الرق فأعتق، (تاريخ خليفة: 279. مروج الذهب 3: 304).
 - 2- (2) أمالي الطوسي: 645، المسألة 33، الحديث 1.
 - 3- (3) الأخبار الموقفيات: 76 وأبو حنيفة مولي تيم.

قلت: فما الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان؟ قال: قول الرجل: لا إله إلا الله فأولها كفر وآخرها إيمان.

ثم قال: يا نعمان، إياك والقياس، فقد حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنه قال: "من قاس شيئاً بشيء قرنه الله عزّ وجل مع إبليس في النار! فإنه أول من قاس علي ربّه" (1) حين قال: (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) 2 فدعوا الرأي والقياس وما قاله قوم وليس له في دين الله برهان؛ فإن دين الله لم يوضع بالأراء والمقاييس (2).

وروي الصدوق بسنده عن رجال من أهل الكوفة قال: دخلت علي أبي حنيفة فإذا غلام من كندة يستفتيه في مسألة كنت رأيته عند أبي عبد الله عليه السلام واستفتاه فأفتاه، وأفتاه أبو حنيفة فيها بخلاف ما أفتاه أبو عبد الله عليه السلام. فقمت إليه وقلت له: يا أبا حنيفة، إني كنت العام حاجباً وذهبت إلي أبي عبد الله مسلماً عليه فوجدت هذا الغلام يستفتيه في هذه المسألة بعينها فأفتاه بخلاف ما أفتيته!

فقال أبو حنيفة: وما يعلم جعفر بن محمد! أنا أعلم منه! أنا لقيت الرجال وسمعتهم، وجعفر بن محمد صحفي أخذ العلم من الكتب!

قال الرجل: فحججت ولقيت أبا عبد الله عليه السلام فحكيت له الكلام، فضحك ثم قال: أما قوله: إني رجل صحفي، فقد صدق، قرأت في صحف آبائي إبراهيم وموسي.

فما لبثت أن استأذن أبو حنيفة فأذن له فدخل وسلّم واستأذن للجلوس، فأقبل الصادق عليه السلام علي أصحابه يحدثهم ولم يلتفت إليه! فأعاد ثانية وثالثة ثم جلس بلا إذن منه.

ص: 380

1- (1) علل الشرائع 1: 114، الباب 81، الحديث 6.

2- (3) علل الشرائع 1: 110، الباب 81، الحديث 4.

فالتفت الصادق عليه السلام إليه وقال له: أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم، قال: فبم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وآله. قال: يا أبا حنيفة؛ أتعرف كتاب الله حق معرفته والناسخ والمنسوخ؟ قال: نعم! قال: يا أبا حنيفة؛ لقد ادّعت علماء ويملك! ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويملك! ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلي الله عليه وآله، وما ورثك الله من كتابه حرفاً! فإن كنت كما تقول - ولست كما تقول - فأخبرني عن قول الله عز وجل: (سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيَّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) 1 أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلي أصحابه وقال لهم: تعلمون أن الناس يُقطع عليهم بين مكة والمدينة، فتؤخذ أموالهم ولا يؤمنون علي أنفسهم ويُقتلون! قالوا: نعم، وسكت أبو حنيفة.

ثم قال له: يا أبا حنيفة، أخبرني عن قول الله عز وجل: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) 2 أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة. قال: أتعلم أن الحجّاج بين يوسف حين وضع المنجنيق علي ابن الزبير في الكعبة فقتله، كان آمناً فيها؟ فسكت أبو حنيفة.

ثم قال له: يا أبا حنيفة، إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع؟ فقال: أصلحك الله، أقيس وأعمل فيه برأيي! قال: يا أبا حنيفة، إن أول من قاس ابليس الملعون، قاس علي ربنا تبارك وتعالى فقال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) 3 فسكت أبو حنيفة.

فقال له: يا أبا حنيفة، أيهما أرجس: البول أو الجنابة؟ فقال: البول، قال: فما بال الناس يغتسلون من الجنابة ولا يغتسلون من البول؟! فسكت.

فقال له: يا أبا حنيفة، أيهما أفضل: الصلاة أو الصوم؟ قال: الصلاة. قال: فما بال الحائض تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟! فسكت.

فقال: يا أبا حنيفة، أخبرني عن رجل كانت له أم ولد وله منها ابنة، وكانت له حرّة لا تلد، فزارت الصبية بنت ام الولد أباهما، فقام الرجل بعد فراغه من صلاة الفجر فواقع أهله التي لا تلد، وخرج إلي الحمام، فأرادت الحرّة أن تكيد ام الولد وابنتها عند الرجل، فقامت إليها بحرارة ذلك الماء فوقعت عليها وهي نائمة فعالجتها كما يعالج الرجل المرأة فعلقت بالجنين، فأى شيء عندك فيها؟ قال: لا والله ما عندي فيها شيء.

فقال: يا أبا حنيفة، أخبرني عن رجل كانت له جارية فزوّجها من مملوك له، وغاب المملوك، فولد له من أهله مولود، وولد للمملوك مولود من ام ولد له، فسقط البيت علي الجاريتين، ومات المولي، فمن الوارث؟ فقال: جعلت فداك، لا والله ما عندي فيها شيء!

ثم تكلم أبو حنيفة بما جاء له، قال: أصلحك الله؛ إن عندنا بالكوفة قوماً يزعمون أنك تأمرهم بالبراءة من (بعض الصحابة)! قال عليه السلام: يا أبا حنيفة، معاذ الله! لم يكن هذا! فما تأمرني؟! قال: تكتب إليهم. قال: بماذا؟ تسألهم الكفّ عنهما! قال: لا يطيعوني! قال: بلي أصلحك الله إذا كنت أنت الكاتب وأنا الرسول أطاعوني!

قال: يا أبا حنيفة؛ أبيت إلا جهلاً! كم بيني وبين الكوفة من الفراسخ؟ قال: أصلحك الله، ما لا يحصي! فقال: كم بيني وبينك؟ قال: لا شيء! قال: أنت دخلت عليّ في

منزلي فاستأذنت للجلوس ثلاث مرات فلم آذن لك فجلست بغير إذني خلافاً عليّ! فكيف يطيعني أولئك وهم هناك وأنا هاهنا؟! فقام وقبيل رأس الصادق عليه السلام وخرج وهو يقول: إنه أعلم الناس (1).

ص: 383

1- (1) علل الشرائع 1: 111-113، الباب 81، الحديث 5.

القبس الرابع: الإمام الصادق عليه السلام و المجالس الحسينية

كان الإمام الصادق عليه السلام من خلال عقد المجالس الحسينية، ورتاء جدّه الحسين عليه السلام يحرك الجانب العاطفي في الناس لغرض ربط الأمة بالثورة الحسينية والتركيز علي الخط الثوري والجهادي في نفوس خاصته وشيعته، فقال عليه السلام لأبي هارون المكفوف: "يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام قال فأنشدته، فبكي... فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرقّة. قال فأنشدته:

أمرُّ علي جدّ الحُسين فقلّ لأعظّمه الزكيّة

يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة روية

قال هارون: فبكي الإمام ثم قال لي: "يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكي وأبكي عشرّاً كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكي وأبكي خمسة كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكي وأبكي واحداً كتبت له الجنّة" (1). وكان يقول: "إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع علي الحسين بن علي عليه السلام فإنّه فيه مأجور" (2).

وكان يؤكد الإمام الصادق علي إحياء ذكرى جميع مناسبات أهل البيت كما نلاحظ ذلك في قوله عليه السلام لفضيل: "أتجلسون وتتحدّثون؟ قال: نعم، جعلت فداك، قال (الإمام): إن تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل رحم الله من أحبي أمرنا" (3).

ص: 384

1- (1) كامل الزيارات لابن قولويه: باب 33، 104.

2- (2) كامل الزيارات لابن قولويه: باب 33.

3- (3) قرب الإسناد للحميري ص 18، وعنه في وسائل الشيعة 10: 319.

القبس الخامس: الإمام الصادق عليه السلام و ثورة زيد

حين ذكر جابر بن يزيد الجعفي لزيد بن علي رأي أخيه الباقر عليه السلام بثورته وسلامة قراره وذكر له أنه مقتول لا محالة، قال زيد لجابر: "يا جابر لم يَسَّ عن أن أسكت، وقد خولف كتاب الله وتحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أتى شاهدت هشاماً ورجل عنده يسب رسول الله، فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيي ابني لخرجت عليه وجاهدته حتَّى أفني" والرواية تصوّر لنا حقيقة دوافع زيد ومدى عزمه علي مناهضة بني امية.

وعندما قرّر زيد الثورة، لم يتجاوز إمام عصره حيث طرح الأمر علي الإمام الصادق عليه السلام، قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: سمعت أبي يقول: رحم الله عمي زيدا... لقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة⁽¹⁾.

وبعد ما استشار زيد عمّه الإمام الصادق عليه السلام وأقر له عمله وأخبره نبأ شهادته، جمع زيد بن علي الأنصار فأعلن ثورته والتحق به عدد غفير، وممن التحق معه كثير من الفقهاء والمحدثين والقضاة من أصحاب الإمامين الباقر والصادق قدس سره، ولكن خُذِل زيد في هذه المعركة كما خذل من قبل جدّه الحسين وتفرق جيشه حتَّى قال: أراها حسينية، وبعد قتله حملت جثته وصلبت بالكناسة بالكوفة وذلك في سنة (121 هـ -).⁽²⁾

وبعد أن بقي زيد الشهيد أربع سنوات علي أعواد المشانق كتب الوليد الفاسق⁽³⁾

ص: 385

1- (1) راجع عيون أخبار الرضا 1: 248، الإحتجاج 2: 135، والكناسة اسم محلّة بالكوفة.

2- (2) أنساب الأشراف 3: 439 و 446، و راجع كتاب (زيد الشهيد) للسيد عبد الرزاق المقرم.

3- (3) بعد موت هشام تولي الخلافة الوليد بن يزيد بن يزيد سنة (125 هـ -) وقد اشتهر بالفسق إذلم يكن في بني امية أكثر إدماناً للشراب منه، و كان من فسقه أنّه نكح أمّهات أولاد أبيه، وتفاءل يوماً بالمصحف الكريم فخرجت الآية: (وَاسَّ تَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) فمزق المصحف وأنشأ يقول:

الذي ولي هشام إلي عامله في الكوفة يوسف بن عمر: يانزال جثمان زيد وأمره بإحراقه بالنار ثم نسفه في اليم، ولقد نفذ يوسف ما أمره سيده فأحرق جسد زيد بن علي ورمي رماده في نهر الفرات(1).

وقد صرح الإمام الصادق عليه السلام بعاقبة هذا الأمر بقوله: "إن الله عزّ ذكره، أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أعوام"(2).

ويقول مهزم الأسدي دخلت علي الإمام الصادق عليه السلام بعد شهادة زيد فقال: يا مهزم ما فعل زيد؟ قال: قلت: صلب، قال: أين؟ قلت: في كناسة بني أسد، فقال: أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟ قلت: نعم، فبكي حتّي بكت النساء خلف الستور(3).

ولمّا وصل الخبر إلي الصادق عليه السلام يانّ زيد قُتل وأحرق، بكى ثمّ قال: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" عند الله أحسب عمّي، إنّه كان نعم العم، إن عمّي كان لدينا وأخرتنا، مضي - والله - عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام(4).

ونجد الإمام الصادق عليه السلام في مواقف متعدّدة يتبنّي الدفاع عن ثورة عمه زيد ويترحم عليه، يقول الفضيل بن يسار: بعد قتل زيد ذهبت إلي المدينة لألتقي بالإمام الصادق عليه السلام وأخبره بنتائج الثورة، وبعد أن التقيته وسمع منّي ما دار في المعركة قال:

ص: 386

1- (1) الطبري 122:8، وابن الأثير 127:5، وتاريخ يعقوبي 391:2.

2- (2) روضة الكافي: 142، الحديث 165 ولفظه: أيام، و الصحيح هو: 0 أعوام)، من عام (125 هـ -) إلي (132 هـ -) هلاك بني أمية. وراجع تفسير العياشي 1:325.

3- (3) أمالي الطوسي 2:284. وكان قتل وإحراق زيد سنة 125 للهجرة.

4- (4) عيون أخبار الرضا عليه السلام 1:481، الباب 47، الحديث 192.

يا فضيل شهدت مع عمي قتال أهل الشام؟ قلت: نعم. قال: فكم قتلتم منهم؟ قلت: ستّة. قال: فلعلك شكّ في دمائهم؟ قال: فقلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم. ثم قال: سمعته يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضي والله زيد عمي وأصحابه شهداء، مثل ما مضي عليه علي بن أبي طالب وأصحابه ⁽¹⁾.

ويقول عبد الرحمن بن سيّابه: دفع إليّ أبو عبد الله الصادق عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي بن الحسين قدس سره، فقسمتها فأصاب عبد الله أخا الفضيل الرّسان أربعة دنانير ⁽²⁾.

وقالوا بأن ثورة زيد بن علي عليه السلام هي خروج علي سلطان زمانه "هشام بن عبد الملك" لأهداف كان يريد بها زيد لنفسه، فردّ علي هذا الإتهام الإمام الصادق عليه السلام حين قال: لا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيدا كان عالماً صدوقاً ولم يدعكم إلي نفسه إنّما دعاكم إلي الرضا من آل محمّد صلي الله عليه وآله، ولو ظفر لوفّي بما دعاكم إليه ⁽³⁾. وهكذا نرى كيف كان الإمام عليه السلام يتابع ثورة عمّه زيد ويتحمّل نتائجها وأعباءها.

ص: 387

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام 1: 483، الحديث 193. وأمالى الصدوق: 286.

2- (2) أمالي الصدوق: 275.

3- (3) راجع: زيد بن علي، للسيد عبد الرزاق المقرم: 176.

كانت حركة محمد بن علي بن عبدالله بن العباس سنة (99 هـ -) البذرة الأولى لحركة العباسيين ضد الأمويين واستمرّت بدعوته الي أن مات سنة (125 هـ -) وترك من بعده أولاده، وهم ابراهيم الإمام، والسفّاح، والمنصور ويبدو أنّ ابراهيم الإمام هو الذي كان يخطط لقيام دولة عباسية، وقد ركّز العباسيون بين صفوف دعواتهم بأنّ الهدف الأساسي من دعوتهم هو رجوع الخلافة المغتصبة الي أهلها، والانتصار لأهل البيت عليهم السلام الذين تعرّضوا للظلم والاضطهاد واريقت دماؤهم في سبيل الحق ولهذا تفاعل الناس مع شعار (الرضي من آل محمد) ووجدوا في هذا الشعار ضالّتهم، وكان لباسهم السوداني مز الي محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألم لأهل البيت عليهم السلام والشهداء الذين لحقوا بهم(1).

وللتظاهر بتحقيق ذلك الهدف اجتمعوا في منطقة الابواء - التي تقع بين مكة والمدينة - ودعوا كبار العلويين والعباسيين، فحضر كل من ابراهيم الإمام والسفّاح والمنصور وصالح ابن علي وعبد الله بن الحسن (عبد الله المحض) وابناه محمد ذي النفس الزكية و ابراهيم وغيرهم. فبايعوا جميعاً محمّداً بن عبد الله بن الحسن، ومسح علي يده كل من ابراهيم الإمام والسفّاح والمنصور وكل من حضر الاجتماع(2).

وبعد أن أنهى مؤتمرهم أعماله بتعيين: محمد بن عبد الله بن الحسن خليفة للمسلمين، أرسلوا إلي الإمام الصادق عليه السلام فجاء الإمام وقال: "لماذا اجتمعتم؟ قالوا: ان نبايع محمد بن عبد الله، فهو المهدي".

ص:388

1- (1) راجع: الإمام الصادق والمذاهب الاربعة 2:309.

2- (2) مقاتل الطالبين: 256، واعلام الوري 1:527، وكشف الغمة 2:386.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: لا تفعلوا فإنَّ الأمر لم يأت بعد، وهو ليس بالمهديّ، فقال عبد الله - رداً علي الإمام عليه السلام -: يحملك علي هذا الحسد لابني! فأجابه الإمام عليه السلام: والله لا يحملني ذلك ولكن هذا وإخوته وأبناءهم دونكم وضرب بيده علي ظهر أبي العباس، ثمَّ قال لعبد الله: ما هي إليك ولا إلي ابنيك، ولكنها لبني العباس، وان ابنيك لمقتولان، ثمَّ نهض عليه السلام وقال: إنَّ صاحب الرداء الأصفر (يقصد بذلك أبا جعفر) يقتله. وانفضَّ القوم، فقال أبو جعفر المنصور للإمام جعفر الصادق عليه السلام: تتمَّ الخلافة لي؟ فقال: نعم أقوله حقاً⁽¹⁾.

هذا وقد انتشر دعاة ابراهيم في بلاد خراسان وكان لهم الأثر الكبير هناك وكان في طليعة الدعاة لهم ابو مسلم الخراساني حيث هزم ولاية الأمويين في خراسان وتقدّمت جيوشه براياتها السُّود نحو العراق فاحتلته بدون مقاومة تذكر وبهذا قد نجحت دعوة العباسيين في حربهم ضد الأمويين وأعلنت بيعة السفاح في الكوفة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة (132 هـ -) وأقام بالحيرة، وبعث السفاح عمّه عبد الله بن علي لمقاتلة مروان ومتابعته في الشام ودخوله بدمشق في أوائل شهر رمضان (132 هـ -) وبعث إلي المدينة الحسين بن جعفر بن تَمّام بن العباس، فخرج عنها الوالي الأموي يوسف بن عروة بن محمّد بن عطية السعدي سقط الحكم الأموي في كثير من بلاد الإسلام⁽²⁾.

الإمام الصادق عليه السلام يحذّر العلويين وشيعته

لقد خدع العباسيون العلويين في اجتماع ابواء قبل انتصار العباسيين حيث بايعوا في

ص:389

-
- 1- (1) مقاتل الطالبين: 256، الخرائج والجرائح 2:765، وعنه في بحار الأنوار 47:120، 256.
 - 2- (2) راجع تاريخ خليفة: 270. تاريخ يعقوبي 2:340، الكامل لابن الأثير 5:362.

حينه محمد بن عبد الله بن الحسن كخليفة للمسلمين ثمّ انقلبوا عليه وبايعوا إبراهيم السّفاح. ومرة أخرى قد انخدع عبد الله بن الحسن لمّا استجاب للعرض الذي تقدم به أبو سلمة وجاء للإمام الصادق مسروراً يبشره بهذا العرض، قائلاً للإمام: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني للخلافة، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان، فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد (كنية عبد الله المحض) ومتي كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلي خراسان؟ وانت أمرتهم بلبس السواد؟ هؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام إلي أن قال: إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة. فقال أبو عبد الله جعفر الصادق: " ما هو مهدي هذه الأمة ولئن شهر سيفه ليقتلن ".

فقال عبد الله: كان هذا الكلام منك لشيء فقال الصادق عليه السلام: " قد علم الله أنني أوجب النصيحة علي نفسي لكل مسلم فكيف أدّخره عنك فلا تمنّ نفسك الاباطيل، فإن هذه الدولة ستتم لهؤلاء وقد جاءني مثل الكتاب الذي جاءك "(1).

وروي النعماني بسنده عن أبي بكر الحضرمي الكوفي: وقد حضر المدينة مع أبان بن تغلب الكوفي وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، وكان ذلك في شهر رمضان، قال: دخلت أنا وأبان علي الصادق عليه السلام فقلنا: ما تري في ذلك؟ قال: اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا علي رجل فانهضوا إلينا بالسلاح(2).

ص: 390

1- (1) راجع مروج الذهب 3: 254، 255 ونحوه في اليعقوبي 2: 349، ونحوه الحلبي في مناقب آل أبي طالب 4: 249.

2- (2) كتاب الغيبة للنعماني: 131.

تقل الشهرستاني: أنَّ أبا مسلم أيضاً بعد موت إبراهيم العباسي، كتب إلي الصادق عليه السلام: أنا أدعو الناس إلي مودتكم أهل البيت، فإن شئت فلا أحد أفضل منك للخلافة! وكان موقف الإمام عليه السلام من عرض أبي مسلم الخراساني يمكن معرفته من خلال جواب الإمام علي الرسالة فقد جاء في جوابه عليه السلام " ما أنت من رجالي ولا الزَّمان زمانِي " (1).

كلمات مختصرة ومعبرة عن تفسير الإمام للمرحلة وتشخيصه لأبي مسلم؛ لأنَّ أبا مسلم لم يكن من تربية الإمام، ولا من الملتزمين بمذهبه، فهو قبل أيَّام قد سفك من الدماء البريئة ما لا يُحصي وهو الذي قاد الانقلاب علي الأمويين في خراسان وتمَّ تأسيس الدولة العباسية علي يديه، كما نجده بعد مقتل إبراهيم الإمام الذي كان يدعو له يتحول بولائه لأبي العباس السفاح ومن بعده لأبي جعفر المنصور، علماً أنَّ العلاقة كانت بينه وبين المنصور سيئة وكان أبو مسلم يستصغر المنصور أيَّام حكومة السفاح إلا أنَّ المنصور ثار لنفسه أيام حكمته فقتله شرَّ قتلة (2).

ص: 391

1- (1) الملل والنحل للشهرستاني 1: 241، وفي روضة الكافي: 229 جوابه لرسول أبي مسلم بكتابه إليه، وعنه في بحار الأنوار 47: 297.

2- (2) راجع تاريخ اليعقوبي 2: 367 والمسعودي 3: 291 وفيات الاعيان 3: 145 وتاريخ مختصر الدول لابن العبري: 121

إشارة

كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يكتفي في لقاء أبي جعفر المنصور بالأقل، فكتب إليه المنصور: لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له! ولا أنت في نعمة فنهنك ولا تراها نعمة فنعزيك بها! فما نصنع عندك؟! فكتب المنصور إليه: تصحبنا لتصحنا! فأجابه الإمام عليه السلام: "من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك". فلمّا جاء جواب الإمام قال: والله لقد ميّز لي منازل الناس من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، وإنّه ممن يريد الآخرة لا الدنيا(1).

لقاء الإمام الصادق عليه السلام مع جعفر المنصور بالربذة

روي ابن طاووس عن الصفّار عن إبراهيم بن جبلة قال: لمّا نزل المنصور بالربذة، وكان قد أحضر جعفر بن محمّد إليها وأنزله في منزل بها، وكان يأتي بها مسجد أبي ذر. وكنت عند المنصور فالتفت إلي وقال لي: يابن جبلة! قم إلي جعفر بن محمّد حتّي تضع ثيابه في عنقه وتأتيني به سحياً!

قال إبراهيم: فخرجت حتّي أتيت منزله فلم اصبه، فطلبت في مسجد أبي ذر فوجدته في باب المسجد، فأخذت بكُمّه وقلت له: أجب أمير المؤمنين! فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! دعني اصلي ركعتين فتركته صلاًهما وأنا خلفه ثم بكى بكاءً شديداً ثمّ دعا: "اللهم أنت تقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدّة، كم من أمر يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة أنزلته بك وشكوته إليك فكشفته عني...". ثمّ

ص:392

1- (1) كشف الغمة 3:250، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: 326.

التفت إلي وقال لي: اصنع ما امرت به! فقلت: والله لا أفعل حتّى ولو ظننتُ أنّي اقتل! وإنّما أخذت بيده فذهبت به وأنا لا أشك أنّه يقتله! فلَمّا انتهيت به إلي باب الستر دعا فقال: يا إله جبرئيل... فلَمّا أتمّ دعاءه أدخلته علي المنصور، فاستوي جالساً وقال: قدّمت رجلاً وأخرت اخري تقول: أتتخي عن محمّد (الحسني) فإن يظفر فإتّما الأمر لي! وإن تكن الأخرى كنت قد أحرزت نفسي! ثمّ قال: أما والله لأقتلتك! فقال الصادق عليه السلام: يا أمير المؤمنين! ما فعلت، فافرق بي! فوالله لقلّ ما أصحّبك. فأذن المنصور له أن ينصرف، وكان عمّه عيسي بن علي العباسي عنده فالتفت إليه وقال له: يا أبا العباس! الحقّه فسله: أبي؟ أم به؟ فخرج يشتدّ حتّى لحقه فقال له: يا أبا عبد الله، إنّ أمير المؤمنين يقول لك: أبك؟ أم به؟ فقال: لا بل بي. فرجع وأخبر المنصور (فاطمأن)، قال إبراهيم: ثمّ خرجت فوجدت الصادق قاعداً ينتظرني وهو يحمد الله، فعلمني ما دعا به (1).

لقاء المنصور والإمام الصادق عليه السلام في الكوفة

روي الأُموي الزيدي بسنده عن الصادق عليه السلام: أنّ المنصور لما انتصر علي إبراهيم بن عبد الله الحسني في باخرا، حشر كل محتلم من بني هاشم من المدينة إلي الكوفة، وحجّ بهم شهراً (آخر شهر من عام 145 هـ -) يتوقعون فيه القتل. ثمّ خرج إليهم حاجبه الربيع بن يونس وقال لهم: أدخلوا علي أمير المؤمنين! رجلين منكم من ذوي الحجّي. فقام إليه الصادق عليه السلام ومعه الحسن بن زيد بن الحسن ومع أن المنصور كان مسبقاً بلقاء الصادق عليه السلام كراراً ومراراً مع ذلك لمّا صار اليوم بين يديه قال له: أنت الذي

ص: 393

1- (1) مهج الدعوات: 188 عن كتاب فضل الدعاء للصفّار، وكان المنصور لم يكتف بالمرة الأولى فأعاد إحضار الإمام عليه السلام، راجع: (الخرائج والجرائح 2: 647).

تعلم الغيب؟! قال: لا يعلم الغيب إلا الله! قال: أنت الذي يُجبي إليك الخراج؟! قال: اليك يا أمير المؤمنين! يُجبي الخراج. قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قال: لا، قال: أردت أن أروّع قلوبكم وأعقر نخلكم وأهدم رباعكم واترككم بالسراة (الصحراء) لا يقربكم أحد من أهل الحجاز والعراق؛ فإنهم مفسدة لكم!

فقال عليه السلام: يا أمير المؤمنين! إنَّ سليمان اعطي فشكر، وإنَّ أيوب ابتلي فصبر، وإنَّ يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك النسل! فتبسم وقال: أعد عليّ فأعدت، فقال: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم! ووهبت لكم جرم أهل البصرة!

ثمَّ قال: حدّثني الحديث الذي حدّثني به! عن أبيك عن أبائه عن رسول الله صلي الله عليه وآله. قال: حدّثني أبي عن أبائه عن علي عن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: صلة الأرحام تعمّر الديار وتطيل الأعمار وإن كانوا كفّار! فقال: ليس هذا!

فقال: حدّثني أبي عن أبائه عن علي عن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: الأرحام معلّقة بالعرش تنادي: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني! قال: ليس هذا.

فقال: حدّثني أبي عن أبائه عن علي عن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: إنَّ الله عزّ وجل يقول: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت له اسماً من اسمي! فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته بتّة! قال: ليس هذا.

قال: حدّثني أبي عن أبائه عن علي عن رسول الله صلي الله عليه وآله: أن ملكاً من الملوك في الأرض كان بقي من عمره ثلاث سنين فوصل رحمه فجعلها الله ثلاثين سنة! فقال: هذا الحديث أردت.

ثمَّ قال: أيّ البلاد أحبّ إليك؟ فوالله لأصلنّ رحمي إليكم! قال: فقلنا: المدينة (1).

ص: 394

رُوي عن الربيع بن يونس الحاجب: أن المنصور حجّ سنة (147 هـ -) فقدم المدينة (أي قبل الحج) فقال: ابعث إلي جعفر بن محمّد من يأتيني به (فهو لا يأتيه!) فأمسك عنه رجاء أن ينساه، فأغلظ عليه في الثانية فجاء به إلي بابه ودخل عليه وقال له: جعفر بن محمّد بالباب يا أمير المؤمنين! قال: ائذن له. فأذن له فدخل وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! فقال: لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله! تلحد في سلطاني! وتبغيني الغوائل في ملكي! قتلني الله إن لم أقتلك!

قال جعفر عليه السلام: يا أمير المؤمنين! إنّ سليمان اعطي فشكر، وإنّ أيوب ابتلي فصبر، وإنّ يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك السنخ! فنكس رأسه طويلاً ثمّ رفعه وقال: إليّ وعندي - يا أبا عبد الله - البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما يجزي ذوي الأرحام عن أرحامهم! ثمّ تناوله بيده حتّى أجلسه معه علي مفرشه ثمّ قال: يا غلام عليّ بالمتحفّة - وهي مدهن كبير فيه الغالية - فأتي به فأخذ يعطّره حتّى قطرت من لحيته، ثمّ قال: يا ربيع، ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، ثمّ قال: في حفظ الله وكلاءته، فانصرف الصادق عليه السلام. ثمّ لحقه الربيع وسأله عمّا دعا به فقال له: إنّك رجل لك ودّ ومحبة، ثمّ علّمه الدعاء(1).

وزاد القاضي المغربي قال: وعلم المنصور كثرة أتباع الصادق عليه السلام وسّعي به وأكّد عليه، فأرسل عليه، فلمّا دخل رآه يحرك شفّتيه فقال له: يا جعفر! ما تقول؟ أنسبني

ص: 395

1- (1) رواه الكنجي الشافعي بسنده عن الحسن بن الفضل عن أخيه عبيد الله بن الفضل عن أبيه الفضل بن الربيع عن أبيه الربيع بن يونس الحاجب (كفاية الطالب: 455)، وأسند السبط الجوزي في تذكرة الخواص 2: 447، ونقله الاربلي في كشف الغمة 3: 161، وعن كشف الغمة في بحار الأنوار 282: 47، الحديث 28.

وتلعنني؟! قال: يا أمير المؤمنين! لا والله ما سببتك ولا لعنتك! قال: فما حرّكت به شفّيتك؟ قال: دعوت الله عزّ وجلّ. قال: بم دعوت؟ قال: قلت: اللهم إنك تكفي من كل شيء، ولا يكفي منك شيء، فاكفنيه! يا كافي كلّ شيء! فقال المنصور: لا والله ما مثلك يُترك!

فقال أبو عبد الله: يا أمير المؤمنين! إنّي بلغت من السنين ما لم يبلغه أحد من آبائي في الإسلام، وما أراني أن أصحّبك إلا قليلاً، وما أري هذه السنة تتمّ لي! فلا تعجل عليّ فتبوء بإثمي! فرق المنصور له وخلّي سبيله، وتوفي في تلك السنة(1).

ص: 396

1- (1) شرح الأخبار للقاضي النعمان 3:307 ثم قال: كانت وفاته سنة (148 هـ -). ومثله في كشف الغمة 3:172 مسنداً عن إسحاق بن الصادق عليه السلام.

القِس التامن: شهادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

كانت شهادة الإمام الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر شوال من سنة 148 هـ -، بِسْمِ دَسَّهٖ إِلَيْهٖ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، عَنْ خَمْسَةِ وَسْتِينَ عَامًا وَقِيلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَبِيلَ شَهَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَصَّ عَلِيَّ إِمَامَةً وَلَدَهُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَرْشَدَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهِ (1).

وقال المسعودي: توفي أبو عبد الله جعفر بن محمد... سنة (148 هـ -) ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه، وله 65 سنة، وقيل إنّه سُمِّ (2)، وكان له يومئذ من الولد: أم فروة، وخمسة بنين: عبد الله وموسى ومحمد وعلي وإسحاق وزاد المفيد أسماء: أسماء وفاطمة والعباس (3) وزاد الواقدي: يحيى وفاطمة الصغرى (4).

وقام الإمام الكاظم عليه السلام بتجهيز أبيه، وكان الصادق عليه السلام يُحرم للحجّ في ثوبين من نسيج قرية بمصر تسمى شطا وقد أوصي أن يكفنَ فيمها وفي قميص من قمصانه، وفي بُردٍ اشتراه بأربعين ديناراً، وفي عِمامة ورثها من جدّه السجاد عليه السلام، فعمل الكاظم عليه السلام بكلّ ذلك، ثمّ حمل جنازته عليه السلام إلى البقيع ودفنه بجوار أبيه وعمّه (5).

وجاء في رواية الكليني عن أبي أيوب الخوزي أنّه قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس علي كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلمّا سلمت رمي إلي الكتاب وهو يبكي، وقال: هذا كتاب محمد بن سليمان والي المدينة يخبرني أنّ جعفر بن محمد قد مات فإنّ الله وإنا إليه راجعون

ص: 397

1- (1) أصول الكافي 1: 427، وتاريخ خليفة: 278، وفي منتهي الآمال 2: 203.

2- (2) مروج الذهب 3: 285.

3- (3) الإرشاد 2: 209.

4- (4) تذكرة الخواص 2: 457.

5- (5) راجع أصول الكافي 1: 475، ح 8، وعنه في الإرشاد للمفيد: 395.

وأين مثل جعفر، ثمَّ قال: اكتب فكتبت صدر الكتاب وقال لي: اكتب إن كان أوصي إلي رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه، فرجع الجواب من والي المدينة أنه أوصي إلي خمسة، المنصور وواليه علي المدينة جعفر بن سليمان، وابنيه عبدالله وموسي، وأمّه حميدة، فقال المنصور: ليس إلي قتل هؤلاء من سبيل(1).

وكان آخروصايا الإمام الصادق لأهله وقرابته الإهتمام بالصلاة حيث قال: اجمعوا لي كلَّ من بيني وبينه قرابة! فجمعوهم فنظر إليهم ثمَّ قال لهم: "إنَّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة"(2).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص:398

1- (1) أصول الكافي 1:310.

2- (2) المحاسن للبرقي 1:159، ح 225، وروي مثله عن جدّه النبي صلي الله عليه وآله في مرض موته بعد إفاخته وروي مثله عن أبيه الباقر عليه السلام.

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الكاظم عليه السلام

ولد الإمام موسى الكاظم عليه السلام في الأبناء بين مكة والمدينة في يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة 128 هـ، وقيل: (129 هـ -) (1) ، وكنيته المشهورة أبو الحسن، وألقابه الكاظم و الصابر و الصالح، ولقبه المشهور الكاظم وذلك لكثرة كظمه الغيظ و عدم دعائه علي أعدائه مع ما لقي منهم، أبوه الإمام الصادق عليه السلام، وأمه حميدة البربرية بنت صاعد المغربي، (حميدة المصفاة) قال الإمام الصادق عليه السلام في وصفها: حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الملائكة تحرسها حتي أُدِّيت إليّ، كرامة من الله لي، والحجة من بعدي (2).

تولي الإمام الكاظم عليه السلام منصب الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام الصادق عليه السلام، وكان عمره عشرين سنة، وكان ذلك في سنة (148 هـ -)، ودامت (35 سنة).

وقد ورد الكثير من النصوص علي إمامته، منها ما رواه ابن مسكان عن سليمان بن خالد، قال: دعا أبوعبد الله أبا الحسن عليه السلام يوماً ونحن عنده، فقال لنا: عليكم بهذا بعدي، فهو والله صاحبكم بعدي (3).

ص: 401

1- (1) راجع: أصول الكافي 1: 476، تهذيب التهذيب 10: 34.

2- (2) أعيان الشيعة 4: 3.

3- (3) الكافي 1: 247، الإرشاد للمفيد 1: 219.

تزوّج الإمام الكاظم عليه السلام بأمّ ولد وتسمّى بالعربية تُكنم ونجمة، ولقّبها الإمام الكاظم عليه السلام بالطاهرة بعد ما رزق منها الإمام الرضا عليه السلام وأخته فاطمة الكبرى الملقّبة بالسيدة المعصومة المدفونة بقم(1)، وتزوّج بنساء اخري ورزق منهم أبناء كُثُر.

وقد اختلف في عدد أبناء الإمام الكاظم عليه السلام فقد عدّهم ابن شهر آشوب ثلاثين(2). وعدّهم الشيخ المفيد "سبعة و ثلاثون ولداً ذكراً و أنثي واسماء الذكور كمايلي: علي بن موسى الرضا عليه السلام، إبراهيم،(3) العباس(4)، القاسم،(5)(لامّهات أولاد). اسماعيل، جعفر،

ص:402

1- (1) سيأتي قبسات من سيرتها والتعريف بقم ومعالمها الدينية في ملحق هذا الكتاب.

2- (2) راجع: المناقب 4:324.

3- (3) إبراهيم بن موسى: كان سيّداً أميراً جليلاً عالماً فاضلاً، محدّثاً، مضى إلي اليمن و تغلّب عليها في أيام أبي السرايا ويقال أنّه ظهر داعياً إلي أخيه الرضا عليه السلام، فبلغ المأمون ذلك فشفعه فيه وتركه، توفي في بغداد و قبره بمقابر قريش عند أبيه عليه السلام في تربة مفردة معروفة... و كان ابنه أبي سبحة موسى: صالحاً متعبداً ورعاً فاضلاً، يروي الحديث، وتوفي ببغداد و قبره بمقابر قريش مجاوراً لأبيه و جدّه عليه السلام. و من أحفاد موسى أبي سبحة، السيد أحمد الرفاعي من مشايخ الطريقة الشافعيّة، و صاحب الكرامات المعدودة، توفي في اليوم الثاني و العشرين من جمادي الأولى سنة (578) في أمّ عبيدة و هي قرية قرب واسط. راجع: (غاية الاختصار: 87 لتاج الدين بن زهرة الحسيني) و من أحفاد إبراهيم بن موسى السيدين المرتضي (علم الهدى) و الرضي وأبوهما أبو أحمد الحسين بن موسى الأبرش فهو النقيب الطاهر و بعد وفاته انتقلت نقابة السادات و الشرفاء وكفالة الطالبين إلي ولديه، راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6).

4- (4) العباس بن موسى: يظهر من وصية أبيه موسى بن جعفر عليه السلام المذكورة في عيون أخبار الرضا عليه السلام القدرح فيه و قلّة معرفته بامام زمانه علي بن موسى الرضا عليه السلام و عقّب العباس من ابنه القاسم بن العباس فقط، و قبره بشوش مشهور و بالفضل المذكور. راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6).

5- (5) القاسم بن موسى: سيد جليل القدر و لولا الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام لكان هو الإمام كما دلّت عليه رواية الكليني في الكافي: 1 251، ضمن حديث 14، ويقع قبر القاسم في مدينة التي اشتهرت باسمه و تبعد عن الحلة ثمانية فراسخ و يزار من قبل محبيه و مواليه.

1- (1) احمد بن موسي (شاه چراغ) و محمد العابد: بعد وصول خبر وفاة السيدة المعصومة بقم ولعلّه كان ذلك في أوائل محرم سنة 203 هـ - ق، هاجر من المدينة أخوها أحمد بن موسي ومعه بعض أقاربه و انضم إليهم جمع من مواليهم، واتجهوا نحو طوس عن طريق مدينة شيراز لعلّهم يلتقوا بأخيهم الرضا عليه السلام، وفي أثناء الطريق علموا بشهادة الرضا عليه السلام، ولما وصل خبرهم إلي المأمون أمر واليه علي منطقة فارس أن يضايق عليهم فالتقي بهم في ضواحي مدينة شيراز فبدأت معركة بينهما، استشهد فيها: أحمد بن موسي (شاه چراغ) ودفن في شيراز، و التحق به أخوه السيد محمّد (العابد) وتوفي ودفن بالقرب منه، و أعقب محمد العابد من ابنه السيد ابراهيم الملقب بابراهيم المجاب و سبب تسميته بالمجاب ما قاله السيد تاج الدين بن زهرة: أنّه دخل مشهد الحسين عليه السلام فقال السلام عليك يا أبة، فسمع: و عليك السلام يا ولدي، وقبره في الحائر المقدس. ومن أعقاب إبراهيم المجاب، السيد عليّ، المدفون في سيرجان. (راجع بحار الأنوار 311:48، و منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6، الباب 9، الفصل 6، وكتاب منتخب التواريخ: 763، حيث ينقل هذه القضية عن كتاب آثار العجم). وقال الشيخ المفيد: «وكان أحمد بن موسي كريماً جليلاً ورعاً،.... وكان محمد بن موسي من أهل الفضل والصّلاح....» الإرشاد 2:445. وهناك مرقد آخر لأولاد الإمام الكاظم إسمه حسين ويلقّب بعلاء الدين في مدينة شيراز. ولقد تشرّفت هذه المدينة حيث احتظنت في أرضها مراقد أولاد الإمام موسي بن جعفر عليه السلام كما اشتهرت وافتخرت هذه المدينة أيضاً بشعرائها وعرفائها كحافظ وسعدي، وأدائها كإبن المقفّع وسيبويه وعلمائها كأمثال الميرزا الشيرازي صاحب تحريم التنبغ ضد الإستعمار البريطاني والفيلسوف الشهير صدر المتألّهين محمد الشيرازي، وشهيد المحراب آية الله دستغيب وغيرهم من العلماء ولذا اطلق عليها دارالعلم.

2- (2) حمزة بن موسي: كان سيداً جليل الشأن، يذكر له عدة أماكن لمقرده، منها إصطخر من ضواحي شيراز، ومنها في ترشيز في خراسان، ومنها في قم والظاهر أنّ تلك المراقد لأحفاد الإمام عليه السلام، والقول المشهور أنّ حمزة بن موسي مدفون في الرّي حيث كان يزوره عبدالعظيم الحسيني. ومن أعقاب حمزة بن موسي السلاطين الصفويين الموسويون، ولذا قد اهتموا بعمارة مقرده أينما نسب إليه، ومن أعقاب حمزة، السيد محمد باقر الموسوي الشفتي الاصفهاني، المعروف بحجة الاسلام تلميذ بحر العلوم، و حكى عنه في العبادة و المناجاة و إيصال الفوائد إلي الطلاب و الفقراء و السادات حكايات كثيرة، وقد توفي سنة (1260 هـ -) وقبره باصفهان مشهور، يقع في بقعة جنب المسجد الذي هو أسسه واشتهر باسمه راجع: (منتهي الآمال: 305 ومنتخب التواريخ: 774 و منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6، الباب 9، الفصل 6).

عبد الله، (1) اسحاق، عبيد الله، زيد النار، (2) الحسن، الفضل، سليمان، (لامهات أولاد).

واسماء الأناث من أبناء الإمام الكاظم عليه السلام كمايلي: فاطمة الكبرى (المعصومة)، (3) فاطمة الصغرى (4)، رقية، حكيمة، أم أبيها، رقية الصغرى، كلثم (كلثوم)، أم جعفر، لبابة، زينب (5)، خديجة، عليّة، آمنة، حسنة، بريهة، عائشة (عباسة)، أم سلمة، ميمونة، أم كلثوم، لامهات أولاد (6).

لقد عاصر الإمام الكاظم عليه السلام أربعة من خلفاء بني العباس: المنصور الدوانيقي، و محمد المهدي، وموسي الهادي، وهارون الرشيد، وله مع كل واحد منهم حوادث يضيق المقام لذكرها بالتفصيل ولكن نذكر أهم الأحداث منها باختصار:

ص: 404

1- (1) عبد الله بن موسي: سيد جليل القدر، ومن أعقابه السيد نعمة الله الجزائري، تلميذ العلامة المجلسي والمحدث الكاشاني وغيرهم، وله كتب كثيرة، وعند رجوعه من زيارة الإمام الرضا عليه السلام توفي في قرية (جايدر) قرب مدينة (بل دختر) من محافظة لرستان في ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من شهر شوال سنة (1112 هـ -)، بعد وفاة استاذ العلامة المجلسي بسنتين تقريباً، ودفن هناك وله مقام يقصد ويزار. راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6).

2- (2) زيد النار: يقال له زيد النار لحرقة بيوت بني العباس و دورهم في البصرة في زمن أبي السرايا، فلما قتل أبو السرايا و تزلزلت أركان الطالبين أخذ زيد و أرسل إلي المأمون بمر و فوهبه المأمون الي الامام الرضا عليه السلام، فبقي حيّاً إلي آخر أيام المتوكل بل أدرك زمن المنتصر أيضاً و كان نديمه، و توفي في سرّ من رأي. و عظم فعل زيد علي الامام علي الرضا عليه السلام فحلف أن لا يكلمه أبداً، و من جملة ما قاله عليه السلام لزيد: أنت أخي ما أطعت الله عز و جل. راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6).

3- (3) سيأتي قبسات من سيرتها والتعريف بقم ومعالمها الدينية في ملحق هذا الكتاب.

4- (4) ينسب لها قبر في قرية سیاوش من ضواحي مدينة آشتيان الإيرانية.

5- (5) يقول الشيخ عباس القمي: رأيت في نسخة من أنساب المجدي (و لعلّه ملحق به) أنّه قال: سمعت عن الامير محمد هادي بن الامير لوشي المؤرخ أنّ زينب المدفونة في قرية أرزنان من قري اصبهان بنت موسي بن جعفر عليه السلام من دون أيّ فاصل.

6- (6) الإرشاد 2: 445، باب عدد أولاده، وراجع: منتهي الآمال 2: الباب 9، الفصل 6.

لقد كابد المسلمون عموماً، والعلويون وشيعة آل البيت الولايات جراء الحكم العباسي المتغطرس، فقد قاسوا ظلم المنصور طيلة (22) عاماً، وتحملوا خلالها الاضطهاد والنعاء، وبعد موته في ذي الحجة سنة 158 هـ - في مكة، خلفه ابنه محمد الملقب بالمهدي، وكانت سيرته في بداية الأمر حسنة، حيث أطلق سراح العلويين من السجون، ووزع الأموال على الناس حتي ساد الرفاه الاقتصادي في أرجاء الدولة العباسية، ولكن لم يستغرق ذلك إلا سنة واحدة حتي غير سيرته، وراح يحيي مجالس اللهو، وعمد إلي ظلم الناس والإجحاف بحقهم، واشتد الضغط عليهم(1)

ثم استولي علي الحكم موسي الهادي بعد وفاة أبيه المهدي في العشر الأخير من محرم سنة (169 هـ -) وتوفي في السنة (170 هـ -) وكان عمره (26) سنة وكان شارب الخمر، وقاسي القلب، سيء الأخلاق، وبالرغم من قصر المدّة التي حكم فيها إلا أنّها قد تركت آثاراً سيئة علي الشيعة حيث نكّل بالعلويين وأذاع الخوف والرعب في صفوفهم وقطع ما أجراه لهم المهدي من الارزاق والاعطيات وكتب الي جميع الآفاق في طلبهم وحملهم إلي بغداد، ولقد أثارت هذه المضايقات الأحرار من بني هاشم ودفعتهم إلي مواجهة الاضطهاد، وراحت تنمو حركة مناهضة للحكم العباسي بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وما أن ثار الحسين حتي التحق به الكثير من الهاشميين، وأهل المدينة، وقاتلوا قوات موسي الهادي معه حتي أجبروهم علي التراجع، ثم قاموا بتجهيز أنفسهم، وانطلقوا نحو مكة كي يستغلوا اجتماع الناس هناك خلال موسم الحج، فأرسل إليهم

ص:405

موسى الهادي جيشاً كثيفاً، والتقى الجيشان في أرض فخ، ونشبت حرب طاحنة، فاستشهد فيها الحسين بن علي، وجماعة من سادات بني هاشم، وتفرّق بقية جيشه(1).

إنّ شهادة الحسين الحسنی وأصحابه في واقعة فخ أدّى إلى مأساة مريّة ومؤلمة، أوجعت قلوب شيعة أهل البيت، وقد بلغ أثر هذه المأساة وفداحتها حدّاً دفع بالإمام الجواد عليه السلام أن يقول بعد عدة سنوات: "لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ"(2).

ولم تكن هذه الثورة بلا اتصال مع الإمام الكاظم عليه السلام، وقد كانت هناك روابط قوية بين شهيد فخ وبين الإمام عليه السلام، وعلي الرغم من أنّه عليه السلام كان يتنبأ بفشل الثورة، غير أنّه لما شعر أن الحسين مصمم علي المضي قال له: "إنّك مقتول، فأجدّ الصّراب، فإنّ القوم فسّاق، يظهرن إيماناً، ويضمرون نفاقاً وشركاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله عزّ وجل احتسبكم من عصابة"(3).

لقد حزن الإمام الكاظم عليه السلام علي الحسين شهيد فخ كثيراً، خصوصاً عندما جاؤوا برأسه إلي المدينة، فأبّنه بقوله: "والله كان مسلماً صالحاً صوّماً، كثير الصلاة، محارباً للفساد، أمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، ولم يكن مثله بين أهله"(4).

وكان موسى الهادي يعلم بأنّ الإمام الكاظم هو الملهم والمرشد الروحي لبني هاشم ولهذه الثورة، فكان يقول: "والله ما خرج حسين إلا عن أمره، ولا أتبع إلا محبته؛ لأنّه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه"(5).

ص:406

1- (1) راجع: تاريخ اليعقوبي 2:404. مروج الذهب 3:325. و الكامل في التاريخ 9:93، عن الطبري.

2- (2) بحار الأنوار 48:165.

3- (3) أصول الكافي 1:366، مقاتل الطالبين: 298، وفي بحار الأنوار 48:161، ح 6.

4- (4) مقاتل الطالبين: 302. وعنه في بحار الأنوار 48:165.

5- (5) بحار الأنوار 48:151.

ودعي الإمام الكاظم عليه السلام علي الخليفة موسي الهادي بدعاء الجوشن الصغير المعروف الوارد عنه عليه السلام فمات في يومه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة (170 هـ -)، واستخلفه ابنه هارون الرشيد(1).

ص:407

1- (1) مقاتل الطالبين: 302، وعنه في بحار الأنوار 165:48 و 217 ح 17 عن مهج الدعوات لابن طاووس.

كان هارون الرشيد شديد الولع بالغناء فاشتمل قصره علي مختلف الآلات الموسيقية وكان من المدمنين علي شرب الخمرة، وكان يدعو خواصّ جواريه إذا أراد الشراب، وكان شديد التعلق بلعب القمار (النرد) و (الشطرنج). وبذل الأموال الطائلة من أجل هذه الألعاب، أمّا موقفه من العلويين فكان الرشيد شديد العداة والحقد عليهم وقد أقسم حين تولّى الخلافة علي استئصالهم وقتلهم فقال: والله لاقتلتهم ولأقتلنّ شيعتهم(1).

وكانت حكومة هارون الرشيد أكثر من سوابقها في التشديد علي الإمام وأتباعه، فلقد كان هارون مخادعاً، يظهر نفسه للناس - وبمساعدة قاضيه أبي يوسف - بأنّه الحاكم الورع العادل، وعلي الرغم من انفتاح الدنيا له إلاّ أنّه كان يشعر بميل الناس إلي الإمام الكاظم عليه السلام حتّي قال له ذات مرة - عندما التقيا في الحج - هل أنت من بايعه الناس خُفية ورضوا به إماماً؟ فقال الإمام عليه السلام: "أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم".(2)

الرشيد و الإمام الكاظم عليه السلام في المدينة

اعتمر هارون الرشيد لشهر رمضان سنة (179 هـ -) وانصرف منها وقدم المدينة فاستقبله الأشراف وفيهم الإمام الكاظم عليه السلام وانصرفوا من استقباله، وليلاً مضى الرشيد

ص: 408

1- (1) راجع: الأغاني 7:1 و 225:5 و 126:9.

2- (2) الصواعق المحرقة: 204، وراجع بحار الأنوار 129:48، ح 4.

إلي المسجد وصار إلي قبر رسول الله صلي الله عليه وآله وكأنه اصطحب معه الإمام الكاظم عليه السلام ومعه عيسي بن جعفر وجعفر بن يحيي العباسيان، جاؤوا معه إلي قبر النبي صلي الله عليه وآله (1).

وروي عن المأمون العباسي أنه قال: لقد حججت مع أبي هارون الرشيد فلما صار إلي المدينة تقدم إلي حجابيه وقال: لا يدخلن عليّ رجل من أهل المدينة ومكة من أبناء المهاجرين والانصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه، فكان الرجل اذا أراد أن يدخل عليه يقول: أنا فلان ابن فلان حتي ينتهي إلي جدّه من هاشم أو قريش وغيرهما فيدخل ويصله الرشيد بخمسة آلاف وما دونها إلي مائتي دينار علي قدر شرفه وهجرة آبائه. فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين علي الباب رجل زعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فأقبل علينا ونحن قيام علي رأسه والأمين والمؤمن وسائر القواد، وقال احفظوا علي أنفسكم. ثم قال لأذنه ائذن له ولا ينزل إلا علي بساطي، فأنا كذلك إذ دخل شيخ قد انهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم السجود وجهه وأنفه، فلما رأي الرشيد رمي بنفسه عن حمار كان يركبه فصاح الرشيد: لا والله إلا علي بساطي فمنعه الحجاب من الترجل، ونظرنا إليه بأجمعنا بالاجلال والإعظام، فما زال يسير علي حماره حتي سار إلي البساط والحجاب والقواد محدقون به، فنزل وقام إليه الرشيد واستقبله إلي آخر البساط وقبّل وجهه ورأسه وأخذ بيده حتّي جرّه في صدر المجلس وأجلسه معه وجعل يحدثه ويقبل عليه ويسأله عن أحواله، ولمّا قام (الإمام)، قام الرشيد لقيامه وودّعه، ثمّ أقبل عليّ وعلي الأمين والمؤمن، وقال: يا عبدالله ويا محمد ويا ابراهيم: سيروا بين يدي عمّكم وسيدّكم وخذوا بركابه وسوّوا عليه ثيابه.

ص: 409

1- (1) انظر تاريخ الطبري 261:7، واليعقوبي 43:2، وأصول الكافي 476:1. وفي بحار الأنوار 136:48.

قال المأمون: فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟!

قال: هذا إمام الناس، وحجة الله علي خلقه، وخليفته علي عباده.

فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟!

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسي بن جعفر إمام حق، والله يا بني انه لأحق بمقام رسول الله صلي الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني هذا الأمر لآخذت الذي فيه عينك فإن الملك عقيم.

قال المأمون: فلما أراد الرشيد الرحيل من المدينة الي مكة أمر بصرة فيها مائتا دينار، ثم أقبل علي الفضل بن الربيع فقال له: اذهب بهذه الي موسي ابن جعفر عليه السلام وقل له: يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيق وسيأتيك برنا بعد هذا الوقت، فقممت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش، وبنو هاشم، ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة الآف دينار الي ما دونها وتعطي موسي بن جعفر أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس؟!

فقال: اسكت لا أم لك، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمئة الف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم(1).

وفي الخبر برواية اخري عن الكليني قال: تقدّم هارون إلي قبر النبي وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن العمّ! مفتخراً بذلك. فتقدّم الكاظم عليه السلام إلي القبر

ص:410

1- (1) عيون أخبار الرضا 1:88 ح 11، وبحار الأنوار 48:291 ح 4، ومستدرک الوسائل 2:52 ح 5

فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبة! فتغيّر وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه(1).

وكان مع الرشيد وزيره يحيى بن خالد البرمكي فسمعه عند قبر رسول الله يقول كالمخاطب له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه، إنّي أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه، لأنّي خشيت أن يُلقني بين أمتك حرباً تسفك فيها دماءهم! فلما عاد البرمكي إلي محلّه زاره يعقوب بن داود فحدّثه الوزير بهذا الخبر وقال له: فأنا أحسب أن الرشيد يأخذ موسى بن جعفر غداً. فلما كان الغد أرسل الرشيد إلي الفضل بن الربيع الحاجب أن يقبض علي الكاظم عليه السلام ويحبسه. فوجده في المسجد قائماً يصليّ في مقام رسول الله، فأمر بالقبض عليه، وحبسه(2)!

ثمّ أمر الرشيد أن يؤخذ الإمام الكاظم عليه السلام إلي البصرة، وأقام الرشيد بالمدينة إلي وقت الحج فحجّ بالناس، ثمّ انصرف علي طريق البصرة. وفي اليوم الثاني والعشرين من المحرم شخص عن البصرة فقدم بغداد. ثمّ بدا له أن يعود بالعاصمة إلي عاصمتهم الأولي الحيرة فشخص إليها، وأقطع لمن معه قطعاً منها، وسكنها وأخذوا يبنون بها المنازل حتّى أربعين يوماً، إذ بدا له سوء مجاورة أهل الكوفة له! فعاد إلي بغداد(3).

وفي بعض أيام الرشيد بالحيرة خرج إلي جهة النجف يتصيّد فأرأي ضياءً فأرسل عليها الصقور والكلاب، فجاولتها ساعة ثمّ لجأت الطباء إلي أكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقور، فلما هبطت الطباء من الأكمة عادت عليها الكلاب والصقور فعادت الطباء إلي الأكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقور، وتكرر ذلك مرة أُخري! فأمر

ص:411

1- (1) الكافي 4:553، وفي الارشاد 2:234، وفي كامل الزيارات: 56.

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 1:208، الحديث 85.

3- (3) تاريخ الطبري 7:261.

الرشيد أن يُحضروا له من الكوفة من يكون له علم بالأكمة، فأتوه بشيخ كبير من بني أسد فقال: كان أبائي يقولون هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام فنزل هارون وتوضأ وصلّى عند الأكمة، ثم أمر أن يُبني عليها بناء مربع في كل جهة باب(1).

الإمام الكاظم عليه السلام في البصرة

أسند الصدوق إلي عبد الله بن مرحوم قال: خرجت من البصرة إلي المدينة، وفي الطريق لقيت أبا إبراهيم (الكاظم عليه السلام) يذهب به إلي البصرة، وأرسل عليّ فدخلت إليه، فدفعت إليّ كتاباً أوصلها إلي ابنه علي بالمدينة وقال لي: فإنه وصيي وخير بني والقائم بأمرى(2).

وفي ذي الحجة سنة (179 هـ -)، وصل الإمام الكاظم عليه السلام إلي البصرة ودفعت إلي عيسى بن جعفر العباسي، وحسبه عيسى في بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه، وأقفل عليه، فكان لا يفتح عليه الباب إلا للطعام أو للظهور(3). والكاظم عليه السلام في أيامه هذه في هذه الدار التي كان هو في إحدى بيوتها كان يسمع من ضروب الفواحش والمناكير ما لم يكن يخطر بباله! كما يذكر الراوي(4). وكان عيسى العباسي قد جعل عيوناً علي الكاظم عليه السلام يرفعون عنه إليه، فرفع بعضهم إليه: أنه يسمعه يقول

ص:412

-
- 1- (1) إرشاد القلوب 2:435، 436 وفيه: أنّ هذا البناء من أوائل عام (180 هـ -) بقي إلي أيام السلطان عضد الدولة البويهبي حيث أزالها وعمّر بمكانها عمارة جليلة بأموال كثيرة وبمدة تقرب من سنة! أقام بعساكره بذلك الطرف حتي أُقيم بناؤه، ثم عاد إلي بغداد.
 - 2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج 1، الباب 11، الحديث 25.
 - 3- (3) في أصول الكافي 1:476
 - 4- (4) عيون أخبار الرضا عليه السلام 1:230، الحديث 92.

في دعائه كثيراً: اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تقرّغني لعبادتك، وقد فعلت، اللهم فلك الحمد(1) فباشر عيسي العباسي ذلك بنفسه يتسمّع إليه في دعواته لعلّه يدعو علي الرشيد أو علي عيسي، فما يسمع منه إلا أنّه يدعو لنفسه بالرحمة والمغفرة. فكتب عيسي إلي الرشيد: "إني قد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر علي ذلك، حتّي إني لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعُه يدعو إلاّ لنفسه يسأل الله الرحمة والمغفرة، فخذه متّي وسلّمه إلي من شئت، وإلاّ خلّيت سبيله!" فوجّه الرشيد إلي البصرة من تسلّمه منه إلي بغداد، وأمر حاجبه الفضل بن الربيع بحبسه عنده فحبسه عنده.

ص:413

1- (1) الإرشاد 2:240.

قال الرشيدي للإمام الكاظم عليه السلام: "أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين، لم أسأل عنها أحداً فإن أنت أحببتي عنها خلّيت عنك، ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني أنّك لم تكذب قطّ فاصدقني عمّا أسألك ممّا في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فإنّي مُخبرك به ان أنت آمنتني؟ قال: لك الأمان ان صدقتني وتركت التقيّة التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.

فقلت ليسأل أمير المؤمنين عمّا شاء؟ قال: أخبرني لم فضّدتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد، نحن بنو العباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عمّا رسول الله صلي الله عليه وآله وقرابتهما منه سواء؟

فقلت: نحن أقرب. قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأنّ عبد الله وأبا طالب لأب وأمّ وأبوكم العباس ليس هو من أمّ عبد الله، ولا من أمّ أبي طالب... ثم قال: لم جوّزتم للعامة والخاصة أن ينسبوا الي رسول الله صلي الله عليه وآله ويقولون لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي وأنما يُنسب المرء الي أبيه وفاطمة أنّما هي وعاء، والنبي صلي الله عليه وآله جدّكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي صلي الله عليه وآله نُشر فخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه؟! بل أفتخر علي العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت: لكنّه صلي الله عليه وآله لا يخطب اليّ ولا أزوجه، فقال: ولم؟

فقلت: لأنّه ولدني ولم يلدك، فقال: أحسنت يا موسى. ثم قال: كيف قلتُم أنّا ذريّة النبي، والنبي صلي الله عليه وآله لم يعقب؟ وأنما العقب للذكر لا للأنثي، وأنتم ولد الابنة، ولا يكون لها عقب؟

فقلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه إلّا ما أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا أوتخبرني بحجبتكم فيه يا ولد علي، وأنت يا موسى يعسوبهم، وإمام زمانهم، كذا انهي الي، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه، حتي تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، فأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء (ألف ولا واو) إلا وتأويله عندكم، واحتججتكم بقوله عز وجل (ما فرطنا في الكتاب من شيء) 1. وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (و من ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين و زكريا ويحيى وعيسى) 2. من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: أئما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلي الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة عليها السلام. أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) 3. ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلي الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصاري إلا علي بن أبي طالب وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله عز وجل أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب... فقال: أحسنت يا موسى ارفع البنا حوائجك.

فقلت له: أول حاجة أن تأذن لابن عمك أن يرجع الي حرم جدّه عليه السلام والي عياله فقال:

حدود فدك عند الإمام الكاظم عليه السلام

إن هارون الرشيد كان يقول لموسي بن جعفر عليه السلام: "حدّ فدكاً حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألحّ عليه، فقال عليه السلام: لا آخذها إلاّ بحدودها، قال: وما حدودها؟

قال عليه السلام: ان حددتها لم تردّها. قال: بحق جدك إلاّ فعلت.

قال عليه السلام: أمّا الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: ايهاً.

قال عليه السلام: والحد الثاني سمرقند، فاربّد وجهه.

قال عليه السلام: والحدّ الثالث افريقية، فأسودّ وجهه وقال: هيه

قال عليه السلام: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل الي مجلسي!

قال موسي عليه السلام: قد أعلمتك أنني ان حددتها لم تردّها، فعند ذلك عزم علي قتله" (2)

ص:416

1- (1) عيون أخبار الرضا 1:81، ح 9، وعنه في بحار الأنوار 48:125.

2- (2) تاريخ بغداد 13:31، وعنه في تذكرة الخواص: 313، ومناقب آل أبي طالب 4:346، وفي بحار الأنوار 48:144.

إنَّ خطَّ أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم هو خط الرفض للظلم والظالمين، ولقد تشدد عليه السلام علي محبيه وشيعته وحرّم عليهم الافتتاح أو التعاون مع السلطات العباسية الظالمة، وأخذ يعمّق في نفوسهم النزاهة والدقة في رفض الظلم، ليملكوا وعياً سياسياً يحصّنهم من الانجراف مع التيار الحاكم أو الاستجابة لمخططات الاحتواء بشكل وآخر.

إنَّ موقفه عليه السلام مع صفوان الجمال يكشف دقّة المنهج التربوي عند الإمام مع شيعته في هذه المرحلة وتصعيد الإمام عليه السلام لمستوي المواجهة مع الجهاز الحاكم من جهة وحرصه علي تفتيت دعائم الحكم القائم حيث أخذ الرشيد يحصي علي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أنفاسهم ويخطط لآبادتهم.

دخل صفوان بن مهران الأسدي مولاهم علي الإمام موسي الكاظم عليه السلام فقال له: " يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً". قال: جعلت فداك، أي شيء هو؟

قال عليه السلام: اكراؤك جمالك من هذا الرجل، يعني هارون الرشيد!

قال: والله ماأكربتته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني.

قال عليه السلام: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟ قال: نعم جعلت فداك.

قال عليه السلام: أتحب بقاءهم حتي يخرج كراك؟ قال: نعم.

قال عليه السلام: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فهو وارد للنار.

وقام صفوان في الوقت فباع جماله وأعرض عن مهنته فبلغ ذلك هارون فأرسل خلفه، فلما مثل عنده قال له - وهو يتميز من الغيظ - : يا صفوان! بلغني أنك بعت جمالك، قال: نعم قال: ولم؟ قال: أنا شيخ كبير، وإنّ الغلمان لا يفون بالأعمال.

قال: هيهات هيهات!! اني لاعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك موسى بن جعفر.

قال: مالي ولموسي بن جعفر. قال: " دع عنك هذا، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك ".⁽¹⁾

ص:418

1- (1) رجال النجاشي: 198 برقم 525. والخبر في اختيار معرفة الرجال: 440 ح 828. وكان المرحوم الإمام الخميني يحمل حرمة هذا النوع من الإعانة علي الحكم وليس علي حرمة إعانة الظالم في سوي ظلمه.

روي عن علي بن يقطين: "أنه كتب الي موسى بن جعفر عليه السلام: اختلف في المسح علي الرجلين، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه فعلت.

فكتب أبو الحسن عليه السلام: الذي أمرك به أن تتمضمض ثلاثاً وتستشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلل شعر لحيتك ثلاثاً، وتغسل يديك ثلاثاً، وتمسح ظاهر أذنك وباطنها وتغسل رجليك ثلاثاً، ولا تخالف ذلك الي غيره، فامتثل أمره وعمل عليه.

فقال الرشيد: أحب أن أستبرئ أمر علي بن يقطين، فإنهم يقولون انه رافضي، والرافضة يخففون في الوضوء، فناطه بشيء من الشغل في الدار، حتي دخل وقت الصلاة، ووقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يري علي بن يقطين ولا يراه هو، وقد بعث اليه بالماء للوضوء فتوضأ كما أمره موسى عليه السلام.

فقام الرشيد وقال: كذب من زعم أنك رافضي.

فورد علي علي بن يقطين كتاب موسى بن جعفر عليه السلام توضأ من الآن كما أمر الله: اغسل وجهك مرة فريضة، والآخري اسبأغاً، فاغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح مقدّم رأسك، وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما يخاف عليك" (1).

وعن ابن سنان "أن الرشيد حمل في بعض الأيام الي علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب.

ص:419

1- (1) الإرشاد: 2:227 وعنه في إعلام الوري: 2:21، وفي الخرائج والجرائح: 1:335 ح 26، وعنه في بحار الأنوار 48:136 ح 11.

فأنفذ علي بن يقطين جل تلك الثياب الي أبي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام وأنفذ في جملتها تلك الدراعة، وأضاف إليها مالا كان أعدّه له علي رسم له فيما يحمله اليه من خمس ماله.

فلمّا وصل ذلك الي أبي الحسن قبل المال والثياب، وردّ الدراعة علي يد الرسول الي علي بن يقطين وكتب اليه: ان احتفظ بها، ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن، تحتاج اليها معه، فارتاب علي بن يقطين بردها عليه، ولم يدر ما سبب ذلك، فاحتفظ بالدراعة.

فلمّا كان بعد أيام تغير علي بن يقطين علي غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين الي أبي الحسن عليه السلام ويقف علي ما يحمله اليه في كل وقت من مال وثياب وألطف وغير ذلك.

فسعي به الي الرشيد فقال: انه يقول بإمامة موسى بن جعفر، ويحمل خمس ماله في كل سنة وقد حمل اليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا.

فاستشاط الرشيد لذلك، وغضب غضباً شديداً، وقال لاكشفنّ عن هذه الحال فإن كان الأمر كما يقول أزهقت نفسه.

وأنفذ في الوقت باحضار علي بن يقطين فلمّا مثل بين يديه، قال له: ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها؟

قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفظ مختوم، فيه طيب، وقد احتفظت بها، وقلّما أصبحت إلاّ وفتحت السفظ، فنظرت اليها تبركاً بها، وقبّلتها ورددتها الي موضعها وكلما أمسيت صنعت مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة قال: نعم يا أمير المؤمنين، واستدعي بعض خدمه، وقال له: إمض الي البيت الفلاني من الدار، فخذ مفتاحه من خزانتي فافتحه وافتح الصندوق الفلاني، وجئني بالسفظ الذي فيه بختمه.

فلم يلبث الغلام أن جاءه بالسفط مختوماً فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه.

فلما فتح نظر الي الدراعة فيه بحالها، مطوية مدفونة في الطيب.

فسكن الرشيد من غضبه ثم قال لعلي بن يقطين: ارددها الي مكانها فلن أُصدق عليك بعدها ساعياً.

وأمر أن يتبع بجائزة سنوية، وتقدم بضرب الساعي ألف سوط، فضرب نحواً من خمسمائة فمات في ذلك [\(1\)](#).

وقد طلب علي بن يقطين من الإمام الكاظم عليه السلام التخلي عن منصبه أكثر من مرة، وقد نهاه الإمام عليه السلام قائلاً له: " يا علي إنّ لله تعالي أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي [\(2\)](#)"

وقال له في مرة اخري: " لا تفعل فإن لنا بك انساً ولاخوانك بك عزاً وعسي الله أن يجبر بك كسيراً أو يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه. يا علي كفارة أعمالكم الاحسان الي اخوانكم... اضمن لي واحدة اضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقي أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته واكرمه اضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ولا ينالك حد السيف أبداً ولا يدخل الفقر بيتك أبداً... [\(3\)](#)"

ص:421

1- (1) الإرشاد 2:225 وعنه في إعلام الوري 2:19، وفي الخرائج والجرائج 1:334 ح 25، عن الإرشاد في بحار الأنوار 48:138، ح 12.

2- (2) إختيار معرفة الرجال: 433 ح 817.

3- (3) إختيار معرفة الرجال: 433 ح 818، خبرالضمان.

من الأنشطة الفكرية الواسعة الصيت في عصر الإمام الكاظم عليه السلام والمؤثرة في تبلور فكر الأمة هي المناظرة العلمية، وكان الإمام الصادق عليه السلام ثم الإمام الكاظم عليه السلام من بعده قد استثمرا هذه الظاهرة وأعدّا لها نخبة من العلماء المتخصصين في هذا الميدان تعاهدوا للدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعريفه للناس واستطاعوا رغم المنع السلطوي والحصار الفكري ضدهم أن يروّجوا للمذهب ويحققوا انتصارات مشهودة. كما قد نشطوا من جانب في دحض الشبهات والإتهامات التي كانت تثار ضد الفكر الإسلامي أو الشيعي واستطاعوا أن يقفوا بوجه الموجات الفكرية الانحرافية والحركات اللاحادية.

ومن جملة أصحاب الإمامين الصادق والكاظم قدس سره البارزين في هذا الميدان هشام بن الحكم.

كان هشام بن الحكم من أفاذا الأمة الإسلامية ومن كبار علمائها وفي طليعة المدافعين عن خط أهل البيت عليهم السلام.

جاهد طويلا لنصرة الحق خصوصاً في عصر الرشيد، الذي انعدمت فيه الحريات، وكان الذاكر لفضائل أهل البيت عليهم السلام عرضة للانتقام والتتكيل من قبل السلطة.

كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وبعد وفاته اتّصل بالإمام الكاظم عليه السلام.

و اختص في علم الكلام فكان من كبار المتكلمين في عصره، وشهد له بذلك ابن النديم، ونظراً لاختصاصه في هذا الفن فقد زيّن يحيى بن خالد البرمكي مجلسه به وجعله قيماً لمجالس كلامه(1).

ص:422

وخاض هشام مع علماء الأديان والمذاهب مستدلاً علي صحة مبدأه وبطلان أفكارهم، ونظراً لخطورة استدلاله وقوة حجته كان الرشيد يحضر من وراء الستار فيصغي إليها ويعجب بها، ولقد خاض في عدة مناظرات مع زعيم المعتزلة الروحي عمرو بن عبيد(1).

ووجه يحيى بن خالد البرمكي سؤالاً لهشام بحضرة الرشيد من أجل احراجه قائلاً له: أخبرني عن علي والعباس لما اختصما الي أبي بكر في الميراث أيهما كان المحق من المبطل؟

فاستولت الحيرة علي هشام لأنه قال في نفسه: ان قلت علياً كان مبطلا كفرت وان قلت العباس كان مبطلا ضرب الرشيد عنقي.

فقال هشام: لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود عليه السلام حيث يقول الله: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب)، الي قوله تعالى: (خصمان بغي بعضنا علي بعض) فأي الملكين كان مخطئاً؟ وأيها كان مصيباً؟ أم تقول: انهما كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

فقال يحيى: لست أقول: الملكين أخطأ، بل أقول انهما أصابا وذلك انهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم وانما أظهرنا ذلك لينبها داود علي الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه.

فقال هشام: كذلك علي والعباس لم يختلفا في الحكم ولا اختصما في الحقيقة وانما أظهرنا الاختلاف والخصومة لينبها أبا بكر علي غلظه ويوقفاه علي خطيئته ويدلّاه

ص: 423

1- (1) رجال الكشي: 225 ح 475، 280 ح 500، ومروج الذهب 3: 194 و 4: 21.

علي ظلمه في الميراث ولم يكونا في ريب من أمرهما، فتحيّر يحيي ولم يطق جواباً، واستحسن الرشيد هذا البيان الرائع الذي تخلص به هشام(1).

ص:424

1- (1) عيون اخبار الرضا 2:15، ولهشام مناظرات من هذا القبيل راجع رجال الكشي: 274 ح 493.

استلم هارون الرشيد الخلافة سنة (170 هـ -)، و لشدة ما كان يخاف علي سلطانه من الإمام موسى الكاظم عليه السلام، اصطحبه معه عند رجوعه من المدينة في سفر حجه سنة (179 هـ -) وأودعه في البصرة عند عيسي بن جعفر، ثم نقله إلي بغداد تحت إقامة جبرية عند الفضل بن الربيع، ثم في بيت الفضل بن يحيي، ثم حبسه عند السندي بن شاهك، وكان أقسي ما لاقاه عند السندي بن شاهك.

ولمّا كان الإمام الكاظم عليه السلام عند الفضل بن الربيع روي عن الصدوق: أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان كلّ يوم بعد ابيضاض الشمس يسجد (في صحن الدار) سجدة إلي وقت الزوال! وكان هارون يصعد سطح داره فيشرف عليه فيترأي له ثوب مطروح في ذلك الموضع من صحن الدار! فسأل الفضل بن الربيع يوماً: يا ابن الربيع؛ ما ذلك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟! قال: يا أمير المؤمنين! إنّما هو موسى بن جعفر له كل يوم بعد طلوع الشمس سجدة إلي وقت الزوال! فقال هارون: أما إنّ هذا من زُهبان بني هاشم! فقال ابن الربيع: فما لك قد ضيّقت عليه بالحبس؟! قال: هيهات! لا بدّ من ذلك (1).

ولمّا كان الإمام الكاظم عليه السلام عند الفضل بن يحيي (البرمكي) أمره الرشيد بان يضيق علي الإمام عليه السلام، فأبي وجعله في حجرة من داره ببغداد، فكان عليه السلام في أكثر أيامه صائماً ويحيي الليل كلّ اجتهاداً بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن، ولا يصرف وجهه عن القبلة، فأكرمه الفضل بن يحيي ووسّع عليه. واتصل خبر توسعة الفضل

البرمكي بالرشيد وهو بالرقّة (علي شرق الفرات بالشام) فكتب إليه يُنكر عليه توسعته علي موسى، بل يأمره بقتله! فتوقّف عن ذلك ولم يقدم عليه! فاغتاظ الرشيد منه(1)!

وكل ذلك ويحيي بن خالد البرمكي أبو الفضل وزير للرشيد، وبلغه خبر ابنه الفضل فركب إلي الرشيد بالرقّة ودخل عليه وقال له: إنّ الفضل حدّث وأنا أكفيك ما تريد (من قتل الكاظم عليه السلام) ثمّ خرج يحيي البرمكي بنفسه علي البريد إلي بغداد ودعا بالسندي بن شاهك وأمره بأمره(2).

صلاة الإمام الكاظم في سجن السندي

لقد أقبل الإمام الكاظم في سجن السندي بن شاهك علي عبادة الله تعالي فكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتر عن ذكر الله، وكان يحمد الله علي هذا التوفيق بقوله: "اللهم انّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد"(3).

وقد أمر هارون الرشيد السندي أن يضيق علي الإمام عليه السلام فامثل لذلك وبذل جميع جهوده للتضييق عليه، ووكل بشاراً مولاه، أن يقوم بهذا العمل ولكنه لم يلبث أن تغير حاله وتأثر بأخلاق الإمام؛ وأخذ يخدمه وذلك لما رآه من كرامات منه عليه السلام.

وهذه اخت السندي بن شاهك تحدّثنا عمّا رآه من اقبال الإمام وطاعته لله والتي أثّرت في نفسها وأصبحت فيما بعد من الصالحات فكانت تعطف علي الإمام عليه السلام وتقوم بخدمته وإذا نظرت اليه أرسلت ما في عينيها من دموع وهي تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل(4).

ص: 426

1- (1) راجع مقاتل الطالبين: 335، وعنه المفيد في الإرشاد 2: 240.

2- (2) مقاتل الطالبين: 335.

3- (3) مناقب آل أبي طالب: 4: 343.

4- (4) راجع: تاريخ بغداد: 13: 31، مناقب آل أبي طالب 4: 343، ووفيات الأعيان 4: 293.

ولقد تنوعت ضغوط هارون علي الإمام وهو في السجن، ونجد الإمام عليه السلام وهو في أوج المحنة يتحدّث هارون بكل صلابة وشدّة حتي فشل هارون بكل ما اوتي من حول وقوّة، وممّا قام به هارون للضغط علي الإمام عليه السلام أن أرسل بيد أحد خواصّه جارية بارعة في الجمال والحسن، لتتولي خدمة الإمام ظانّاً أنه سيفتن بها، فلما وصلت إليه قال عليه السلام لمبعوث هارون: قل لهارون: بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها.

فرجع الرسول ومعه الجارية وأبلغ هارون قول الإمام عليه السلام فالتاع غضباً وقال له: ارجع إليه، وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخذناك واطرك الجارية عنده، وانصرف. فرجع ذلك الشخص وترك الجارية عند الإمام عليه السلام وأبلغه بمقالته.

وأنفذ هارون خادماً له الي السجن ليتفحص عن حال الجارية، فلما انتهى إليها رآها ساجدة لرّبّها لا ترفع رأسها وهي تقول في سجودها: قدوس، قدوس. فمضي الخادم مسرعاً فأخبره بحالها فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر، عليّ بها. فجيئ بها إليه، وهي ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء وهي تذكر الله وتمجّده، فقال لها هارون: ما شأنك؟!

قالت: شأني الشأن البديع، إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصليّ ليله ونهاره، فلمّا انصرف من صلاته قلت له: هل لك حاجة أعطيكيها؟

فقال الإمام عليه السلام: وما حاجتي إليك؟

قلت: إني ادخلت عليك لحوائجك.

فقال الإمام عليه السلام: فما بال هؤلاء - وأشار بيده الي جهة - فالتفتُ فاذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج، وعليها وصفاء ووصايف لم أر مثل وجوههنّ حسناً، ولا مثل لباسهنّ لباساً،

عليهن الحرير الأخضر، والاكاليل والدر والياقوت، وفي أيديهن الابريق والمناديل، ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتي أقامني هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت.

فقال لها هارون وقد اترعت نفسه بالحقد: يا خبيثة لعلك سجدت، فتمت فرأيت هذا في منامك!

قالت لا والله يا سيدي، رأيت هذا قبل سجودي، فسجدت من أجل ذلك. فالتفت الرشيد الي خادمه، وأمره باعتقالها واخفاء الحادث لئلا يسمعه أحد من الناس، فأخذها الخادم، واعتقلها عنده، فأقبلت علي العبادة والصلاة، فاذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح" (1).

و كتب الإمام موسي الكاظم عليه السلام رسالة من داخل السجن لهارون جواباً منه عليه السلام لمحاولات هارون بالاغراء أو التنكيل بالإمام بأنها لا تقدم ولا تؤخر شيئاً، جاء فيها: "أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا أنقضي عنك معه يوم من الرخاء، حتي نقضي جميعاً الي يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون" (2).

ص: 428

1- (1) مناقب آل أبي طالب 4: 322.

2- (2) تاريخ بغداد 13: 32 وعنه في تذكرة الخواص: 314، وكشف الغمة 3: 8، وعنه في بحار الأنوار 48: 148.

القبس التاسع: شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام

لقد دسّ السندي بن شاهك السم برطب مسموم بأمر من الرشيد، وقدّمه إلي الإمام موسى الكاظم عليه السلام فقبض في يوم الجمعة 25 رجب سنة 183 هـ -، حسب القول المشهور وعمره الشريف كان يوم استشهاده خمساً وخمسين سنة(1).

وحسب أوامر الرشيد وضع جثمان الإمام عليه السلام علي جسر الرصافة في بغداد وأمر السندي جلاوزته أن ينادوا: "هذا إمام الرافضة فاعرفوه هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً"، وقد حاول هارون بهذا الأسلوب بالإضافة إلي احتقار الشيعة، التعرف علي أتباع الإمام ومناصريه(2).

وقد رأى سليمان بن أبي جعفر المنصور عمّ الخليفة أنّ الاعمال التي قام بها هارون ما هي إلاّ لطنخة سوداء في جبين العباسيين؛ فحين سمع نبأ اخراج جنازة الإمام الي الجسر والنداء الفظيع علي جثمانه الطاهر حاول أن يتلافي الموقف فأمر أبناءه وأزلامه بأخذ الجنازة من الشرطة وأمر في الوقت أن ينادي في شوارع بغداد: ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيب بن الطيب موسى بن جعفر فليحضر، وقام سليمان بتجهيز الإمام فغسله، وكفّنه.

ص: 429

-
- 1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1: 256، مسأّر الشيعة: 72، إعلام الوري 2: 7، المناقب 4: 349، الحديث 103..
 - 2- (2) الواقفية تذهب الي أن الإمام موسى حي لم يمت وأنه رفع الي السماء كما رفع المسيح عيسي بن مريم والشيعة منهم براء، وقد واجههم الإمام الرضا عليه السلام فانقرضوا، لمزيد المعرفة بهذه القضية راجع: كمال الدين: 38، عيون أخبار الرضا عليه السلام وعنهما في بحار الأنوار 48: 228.

وقال المسيب بن زهرة: والله لقد رأيت القوم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونهم وأراهم أنهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته - وهو الإمام الرضا عليه السلام - هو الذي يتولَّى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه فلما فرغ من أمره إلتفت إليّ فقال عليه السلام: " يا مسيب مهما شككت في شيء فلا تشكرني فيّ، فياني إمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي، يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه وهم له منكرون وبعد انتهاء الغسل حُمل الإمام الي مقابر قريش ودفن فيها(1).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص:430

1- (1) راجع: كمال الدين: 38، عيون الاخبار 1:99 ح 5، وذيل ح 102، وعنهما في بحار الأنوار: 48:227 ح 29.

القبي الأول: الإمام الرضا عليه السلام في سطور مضيئة

لقد ولد الإمام الرضا عليه السلام في المدينة المنورة يوم الخميس أو يوم الجمعة في الحادي عشر من ذي القعدة الحرام سنة 148 هـ، علي أشهر الأقوال،⁽¹⁾ وأبوه الإمام موسى الكاظم عليه السلام أبو الحسن (الأول)، وأمُّه: أم ولد تسمي بالعربية نُكْتَم ونجمة، ولقبها الإمام الكاظم عليه السلام بالطاهرة بعد ولادة الرضا عليه السلام.

ويكني الإمام الرضا عليه السلام، بأبي الحسن (الثاني) ومن ألقابه: الرؤوف، العطوف، الغريب، وأشهرها الرضا⁽²⁾، وكان نقش خاتمه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وقد تزوج عليه السلام الإمام عليه السلام بسبيكة، وهي من أهل بيت مارية القبطية، وقد رزق منها الإمام محمد الجواد عليه السلام و المشهوراته الولد الوحيد للإمام الرضا عليه السلام، وعند

ص:433

1- (1) هذا التاريخ للولادة هو علي رواية الشيخ المفيد في الإرشاد: 447، وأمّا علي رواية الشيخ الصدوق فكانت ولادة الرضا عليه السلام في الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة 153 هـ، (راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام 1:28، الباب 3).

2- (2) الرضا عليه السلام: ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في وجه تسميته بهذا اللقب أنه رضي به المخالف من أعدائه كما رضي به الموافق من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه فلذلك سمي من بينهم بالرضا، راجع: (عيون أخبار الرضا 1:22، الباب الأول، وعنه في بحار الأنوار 4:49).

وفاة أبيه كان عمره سبع سنين وأشهرًا(1) ، وقيل: إنَّ المأمون في مرو زوّج ابنته أم حبيب للرضا عليه السلام كما عقد ابنته الأخرى أم الفضل في العراق لابنه الجواد عليه السلام(2).

و الإمام الرضا عليه السلام هو ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، عاش (55 سنة) وقضى أكثر عمره في المدينة، وكانت مدة إمامته عشرون سنة، من حين وفاة أبيه الكاظم سنة 183 هـ - حتى إستشهاده عام 203 هـ -، وثلاث سنوات الأخيرة منها كانت ملازمة مع ولاية عهده للمأمون في خراسان.

استشهد الإمام الرضا عليه السلام يوم الثلاثاء بطوس بسم "دسّه إليه المأمون في نهاية صفر سنة (203 هـ -)، أو أوائل شهر صفر كما في خبر آخر(3) ، ودُفن في قرية سناباد من قري طوس، وقد عرفت بعد ذلك بمشهد(4). وقد أخبر الإمام بذلك حيث قال عليه السلام: "... أَلَا فَمَنْ زَارَنِي فِي غُرْبَتِي بِطُوسٍ كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفُورًا لَهُ".(5)

ص:434

1- (1) كما روي الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن شهر آشوب في المناقب، وقيل كان للإمام أولاد غير الجواد عليه السلام وممن ينسب إليه حسين المدفون في مدينة قزوين، (راجع التدوين في أخبار قزوين لأبي القاسم الرافعي)، ويروي أنّه كانت للإمام عليه السلام ابنة اسمها فاطمة روت عن أبيها بعض الأحاديث، راجع: (بحار الأنوار 68: باب 92 في حسن الخلق).

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:159، الباب 40 ح 19، و ص 274، الباب 63 ح 2.

3- (3) لقد اختلف المؤرخون في تعيين يوم شهادته بين أوائل شهر صفر كما عليه المسعودي في التنبيه والإشراف: 303 وبين أو آخر صفر كما عليه الطبرسي في إعلام الوري 2:80، والعصفري البصري في تاريخ خليفة 312، واكتفي الكليني والشيخ المفيد بشهر صفر بطوس (الكافي 1:486، الإرشاد 2:447).

4- (4) مشهد: سميت بمدينة مشهد؛ لشهوها الإمام وشهادته فيها، وكانت قرية تابعة لطوس زمن شهادته عليه السلام، وهي اليوم من الناحية الإدارية مركز محافظة خراسان الرضوي، وتقع مدينة طوس القديمة حاليًا قرب مشهد بعشرين كيلومترًا.

5- (5) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:295، الباب 66، ح 34.

قام الإمام الرضا عليه السلام بعد أبيه بأعباء الإمامة مدّة عشرين سنة (من 183 إلى 203 هـ) أمضي سبع عشرة سنة منها في المدينة وثلاث سنوات منها في خراسان. قال الشيخ المفيد: "كان الإمام بعد موسى بن جعفر عليه السلام ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ لفضله علي جماعة إخوته وأهل بيته، وظهور علمه وحلمه وورعه، واجتماع الخاصّة والعامّة علي ذلك منه، ومعرفتهم به منه، ولنصّ أبيه عليه السلام علي إمامته من بعده وأشار إليه بذلك دون إخوته وأهل بيته" (1). وإضافة إلي النصوص العامّة علي إمامة الأئمة الاثني عشر من بعد النبي صلي الله عليه وآله، فلقد كان كلّ إمام ينصّ علي الإمام من بعده ويُعرّفه للمسلمين وشيعته؛ حتي لا يدّعي الإمامة غيره، وقد فعل الإمام الكاظم عليه السلام ذلك ونص علي إمامة ابنه الرضا عليه السلام من بعده ولكن مع هذا فقد وقف البعض عند الإمام الكاظم عليه السلام ولم يرجعوا إلي الإمام الرضا عليه السلام، وهؤلاء كانوا جماعة من أعيان أصحابه المقرّبين إليه، و كان قد عهد إليهم بجباية الخمس من شيعته، وقد اجتمع لديهم مبلغ كبير من المال، فلمّا استشهد الإمام الكاظم عليه السلام طالبهم الإمام الرضا عليه السلام بما عندهم من الأموال فغرّتهم الدنيا وأنكروا موت الإمام الكاظم عليه السلام.

والنتيجة: أنّ الموقف الصارم من الإمام الرضا عليه السلام إزاء هذه الفرقة وكذلك موقف علماء المذهب الإمامي قد سبّب ضعفها وانقراضها.

الإمامة عند الإمام الرضا عليه السلام

عن عبد العزيز بن مسلم: كنا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في المسجد الجامع بها

ص: 435

1- (1) الإرشاد للمفيد: 447، باب ذكر الإمام القائم بعد أبي الحسن موسى عليه السلام.

فأدار الناس بينهم أمر الإمامة، فذكروا كثرة الإختلاف فيها، فدخلت علي سيدي ومولاي الرضا عليه السلام فأعلمته بما خاض الناس فيه، فتبسّم ثم قال عليه السلام: " يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله جلّ وعزّ لم يقبض نبيه صلي الله عليه وآله حتي أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس،... وأنزل عليه في حجة الوداع وهي آخر حجة حجها رسول الله صلي الله عليه وآله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) 1... وأمر الإمامة من كمال الدين ولم يمض صلي الله عليه وآله حتي بيّن لأمتة معالم دينه وأوضح لهم سبلهم وتركهم علي قصد الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً مما تحتاج إليه الأمة إلا وقد بينه، فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ومن ردّ كتاب الله فقد كفر... إنّ الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، والإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام..."(1).

أخلاق الإمام الرضا عليه السلام

لابدّ وأن يكون الإمام المعصوم جامعاً لجميع العلوم والمعارف الإلهية، والفضائل والمكارم الأخلاقية؛ ليكون مناراً يهتدي به، وأسوة لجميع الناس يقتدي به؛ لأنّه حجّة الله في أرضه علي خلقه، ولا بدّ أن يكون في جميع هذه الخصائص والصفات أعلي من غيره لتتمّ به الحجّة علي غيره، وليكون قدوة للمسلمين والمؤمنين في كلّ العصور، والإمام الرضا عليه السلام كجده المصطفى صلي الله عليه وآله وآبائه الأئمة البررة قد اتّصف بجميع الخصال

ص:436

1- (2) الكافي 1:198، عيون أخبار الرضا عليه السلام 1:195، الباب 20 ح 1، وبحار الأنوار 25:120، الباب 4.

والصفات الحميدة، ولم تكن هناك صفة كمال يسمونها الإنسان إلا وهي موجودة فيه، وها نحن نذكر بعضاً من تلك الخصال:

يقول إبراهيم بن العباس الصولي: والذي يُعدّ من شعراء الإمام: "ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفاً أحداً بكلمة قط، ولا رأيت قط علياً أحداً كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيت شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيت تفل قط، ولا رأيت يقهقه في ضحكته قط، بل كان ضحكته التبسّم، وكان إذا خلا نصب مائدته وأجلس معه علياً مائدته مماليكه ومواليه، وكان قليل النوم بالليل كثير السهر،... وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرّ وأكثر ذلك منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأي مثله في فضله فلا تصدّقه"⁽¹⁾.

من وصايا الإمام الرضا عليه السلام

عن عبد العظيم الحسني⁽²⁾ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: "يا عَبْدَ الْعَظِيمِ أَبْلِغْ عَنِّي أَوْلِيَّائِي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ لَا يَجْعَلُوا لِلشَّيْطَانِ عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ سَبِيلاً وَمُرَّهُمْ بِالصَّدْقِ فِي الْحَدِيثِ"

ص: 437

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 197، الباب 44، ح 7.

2- (2) عبد العظيم الحسني: ينتهي نسبه بوسائط أربع إلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فهو عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبي عليهم السلام، ولد في الرابع من ربيع الثاني عام 173 هـ - ق في المدينة، وتوفي في النصف من شوال عام 252 للهجرة، ودفن في ري في بستان عبد الجبار بن عبد الوهّاب عند شجرة التّفّاح. وعلوّ مقام عبد العظيم الحسني وجلالة شأنه أظهر من الشمس فهو من أكابر المحدثين وأعظم العلماء والزّهّاد والعباد ومن أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام، وقد روي عنهما أحاديث كثيرة، وهو المؤلف لكتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب اليوم واللييلة، وقد عرض دينه علي

وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَمُرْهُمُ بِالسُّكُوتِ وَتَرْكِ الْجِدَالِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ وَإِقْبَالَ بَعْضِهِمْ عَلَيَّ بَعْضٍ وَالْمُزَاوَرَةَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُرْبَةٌ إِلَيَّ وَلَا يَشْغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَمْزِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَإِنِّي آَلَيْتُ عَلَيَّ نَفْسِي أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَأَسْخَطَ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِي دَعَوْتُ اللَّهَ لِيُعَذِّبَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ الْعَذَابِ وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ... " (1).

ص: 438

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام 1: 195، الباب 20، وفي بحار الأنوار 71: 230، الباب 15.

عن رجاء بن أبي الصَّحاح الخراساني قال: لَمَّا بعثني المأمون لإشخاص الرضا... أمرني أن أحفظه بنفسي بالليل والنَّهار حتَّى أقدم به عليه، فكنت معه من المدينة إلي مرو فوالله مارأيت رجلاً كان أتقي لله تعالي منه ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته منه،... وكان قراءته في جميع المفروضات في الأولي الحمد وإتاً أنزلناه وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد... وكان قنوته في جميع صلاته "ربِّ اغفر وارحم و تجاوز عمّا تعلم إنك أنت الأعز الأجل الأكرم"... ولا يدع صلاة الليل و الشفع و الوتر و ركعتي الفجر في سفر و لا حضر... وكان يكثّر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مر بآية فيها ذكر جنّة أو نار بكى و سأل الله الجنة... فلما وردت به علي المأمون سألتني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله و نهاره و طعنه و إقامته فقال لي: "يا ابن أبي الصَّحاح هذا خير أهل الأرض و أعلمهم و أعبدهم فلا تخبر أحدا بما شاهدته منه لئلا يظهر فضله إلا علي لساني و بالله أستعين علي ما أقوي من الرفع منه و الإساءة به". (1)

ص: 439

أحاط الإمام الرضا عليه السلام بجميع العلوم والمعارف، وكان أعلم أهل زمانه، وذلك ممّا اشتهر وذاع وأتفق عليه المؤرّخون، وهو الشيء البارز في شخصية الإمام عليه السلام ولا يستطيع أن ينكره أحد، وقد لُقّب بـ "عالم آل محمد" كما اعترف المأمون بنفسه - الذي كان هو عالم بني العباس - بهذه الحقيقة أكثر من مرّة وفي مناسبات عديدة ناصراً علي أن الإمام الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض. ومن مظاهر علم الإمام ومعرفته التامة إخباره عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، ومن جملة ما أخبر به نكبة البرامكة وما سيحلّ بهم، وقتل الأمين علي يد أخيه المأمون، وأخبر بدفنه عليه السلام جنب هارون، وقد تحقّق كل ما أخبر به الإمام الرضا عليه السلام. (1)

وقد تجلّت مظاهر علم الإمام عليه السلام في مناظراته في البصرة وخراسان مع علماء الزرادشت واليهود والنصارى والمسلمين، والتي اعترف له فيها أكثر من مرّة جميع هؤلاء العلماء بالفضل والعلم والتفوّق عليهم (2). وها نحن نذكر إحدى مناظراته مع علي بن محمد بن الجهم حول عصمة الأنبياء:

قال أبو الصلت الهروي: "لمّا جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات، من ديانات النصارى واليهود والمجوس والصابئين، وسائر أهل المقالات من أهل الإسلام كسلمان بن حفص المروزي متكلم أهل خراسان، فلم يقدّم أحدهم إلّا وقد ألزمه حجته كأنّه ألّم حجراً! وقام إليه علي بن محمد بن الجهم، فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟

ص: 440

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 245، ح 1 و 2، الباب 50.

2- (2) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1: 139، الباب 12 وص 159، الباب 13. وج 2: 199، الباب 45. وبحار الأنوار 49: 95.

قال عليه السلام: نعم.

قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (1)، وقوله عز وجل: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) (2) ، وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) 3 ، وفي قوله عز وجل في داود عليه السلام: (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنْمَا فُتِنَاهُ) (3) ، وقوله تعالى في نبيه محمد صلي الله عليه وآله: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) 5؟.

فقال الإمام الرضا عليه السلام: ويحك - يا علي - اتق الله ولا تنسب إلي أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل قد قال: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ) (4) ، وأما قوله عز وجل في آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (5) فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه، وخليفة في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم عليه السلام في الجنة لا في الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض ليطمقن مقادير أمر الله، فلما أهبط إلي الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ اصَّ طَفِي آدَمَ وَنُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَي الْعَالَمِينَ) (6).

ص: 441

1- (1) طه: 121.

2- (2) الأنبياء: 87.

3- (4) ص: 24.

4- (6) آل عمران: 7.

5- (7) طه: 121.

6- (8) آل عمران: 33.

وأما قوله عزَّ وجلَّ: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) 1 فَإِنَّمَا الظن بمعني استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: (وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) (1) أي ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عزَّ وجلَّ في يوسف عليه السلام: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) (2) فَإِنَّهَا هَمَّتْ بِالْمَعْصِيَةِ وَهَمَّ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلِهَا إِنْ أُجْبِرَتْهُ، لِعَظْمِ مَا تَدَاخَلَهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ قَتْلَهَا وَالْفَاحِشَةَ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) (3) يَعْنِي الْقَتْلَ وَالزَّوْجَ.

وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون إنَّ داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصوَّر له إبليس علي صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود عليه السلام صلواته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلي الدار فخرج في أثره، فطار الطير إلي السطح فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود عليه السلام في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هواها، وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلي صاحبه: "أَنْ قَدَّمَ أُورِيَا أَمَامَ التَّابُوتِ"، فقدم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك علي داود عليه السلام فكتب إليه ثانية: "أَنْ قَدَّمَهُ أَمَامَ التَّابُوتِ"، فقدم فقتل أوريا، فتزوَّج داود عليه السلام بامرأته.

ص: 442

1- (2) الفجر: 16.

2- (3) يوسف: 24.

3- (4) يوسف: 24.

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده علي جبهته وقال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتهم نبياً من أنبياء الله إلي التهاون بصلاته حتي خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل.

فقال: يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال عليه السلام: ويحك إن داود إنما ظن أنه ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا: (خَصَّ مَانِ بَعْضُنَا عَلِيَّ بَعْضًا فَأَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) 1 فعجل داود عليه السلام علي المدعي عليه فقال: (نَعَجَتِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ)، ولم يسأل المدعي البينة علي ذلك، ولم يقبل علي المدعي عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عز وجل يقول: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ) 2

فقال: يا ابن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً! وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلك الذي شق علي الناس من قبل أوريا.

وأما محمد صلي الله عليه وآله وقول الله عز وجل: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) (1).

فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عرَّفَ نبيه صلي الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في دار الآخرة، وأنهنَّ أمهات المؤمنين، وإحدي من سمِّي له زينب بنت جحش، وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفي اسمها في نفسه ولم يبده إذ خشي قول المنافقين،... فقال الله عزَّ وجلَّ: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) 2، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ما تولى تزويج أحد من خلقه إلاَّ تزويج حواء من آدم عليه السلام، وزينب من رسول الله صلي الله عليه وآله بقوله: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) 3، وفاطمة من علي عليه السلام.

فقال علي بن محمد بن الجهم: يا ابن رسول الله أنا تائب إلي الله تعالى من أن أنطق في أنبياء الله بعد يومي هذا إلاَّ بما ذكرته (2).

ص: 444

1- (1) الأحزاب: 37.

2- (4) عيون أخبار الرضا 1: 170، الباب 14، ح 1.

استلم عبد الله المأمون زمام الحكم بعد حرب دامية استمرت خمس سنين (198 _ 193 هـ -)، وقتل فيها الآلاف من بينهم أخوه الأمين الذي كان يحكم في بغداد بصفته خليفة للمسلمين بعد وفات أبيه هارون الرشيد،⁽¹⁾ ولما فرغ المأمون من حربه ضد أخيه الأمين واستولي علي الخلافة، كان أول ما قام به هو حل مشكلة ثورات العلويين التي كانت تهدد السلطة العباسية، ومن دون شك فقد كان من اللازم عليه أن ينظر بجديّة إلي خطر ثورة العلويين، وبعد سنتين من سيطرته علي الحكم وبالتحديد في سنة 200 هـ - كتب المأمون إلي الرضا عليه السلام يدعوه للقدوم إلي خراسان، ليعرض عليه ولاية العهد لعل وأسباب سنذكرها فيما بعد، فاعتلّ الإمام بعلل كثيرة، واستمرّ المأمون يكاتبه ويراسله حتي علم الإمام عليه السلام أنّه لا يكفّ عنه، فاستجاب له، ولمّا أراد الخروج من المدينة إلي خراسان دخل مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله ليودّع قبر جدّه، فودّعه مراراً وهو يبكي، ثم جمع عياله وأمرهم بالبكاء عليه، وفرّق فيهم اثني عشر ألف ديناراً، واستحفظهم بالله وبرسوله، ثم أخذ بيد ابنه الإمام الجواد عليه السلام وأمر جميع أهله ووكلائه بالسمع والطاعة له وترك مخالفتة، وعرفهم أنّه الإمام المفترض الطاعة من بعده.⁽²⁾

ص: 445

-
- 1- (1) هارون الرشيد: توفّي في جمادي الأولى سنة 193 هـ -، وكان معه الفضل بن الربيع فدفنه بطوس في دار حميد بن قحطبة الطائي، ثمّ أخذ البيعة للأمين ممّن حضر من العباسيين ورجع إلي بغداد وكان المأمون بمرور فكتب إلي الأمين بالطاعة انقياداً لعهد أبيه ولكن الأمين خلعه من ولاية العهد فشنت الحرب بين الجيشين في أطراف مدينة ري وكانت النتيجة انتصار جيش المأمون علي جيش أخيه ثمّ قتل الأمين في بغداد ونصب رأسه علي دار المأمون بمرور (راجع تاريخ اليعقوبي 2: 433، ومروج الذهب 3: 366).
- 2- (2) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 235، الباب 47 ح 28.

وكل ما قام به الإمام عليه السلام من البكاء والأمر بالبكاء عليه والوداع مع الأهل والأقرباء والوصية والسفر لوحده حيث لم يأخذ الأهل والأولاد، أراد أن يُعلم الناس أن هذا السفر ليس باختياره، بل أُجبر عليه، وأنّ هذا السفر سفرٌ لا رجوع فيه وسوف يموت في الغربة، وقد صرّح الإمام بذلك في جواب أحد أصحابه وهو مخوّل السجستاني عندما هتأه بولاية العهد، فقال له الإمام عليه السلام: "... زُرني فَأَني أخرج من جوارِ جَدِّي صلي الله عليه وآله فأموْتُ في غُربة وأُدفنُ في جَنبِ هارونَ". (1)

وأخيراً تهيّأ الإمام للسفر إلى مرو (2) عاصمة خلافة المأمون وكان معه ابوالصلت عبدالسلام بن صالح الهروي حيث أرسله المأمون ليصحب الرضا عليه السلام في سفره، وأمر المأمون رجاء بن أبي ضحاك (ابن عم الفضل بن سهل) ومعه الجلودي، أن لا يسيروا بالإمام عن طريق الكوفة وقم؛ لأنّ في هاتين المدينتين شيعة وموالين له عليه السلام، ففعلوا ذلك فساروا بالإمام عن طريق البصرة والأهواز وفارس (شيراز) وصحراء يزد ونيسابور (3) وطوس ثم سرخس حتّى وصلوا إلى مرو عاصمة خلافة المأمون (4).

ص: 446

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 234، الباب 47 ح 26.

2- (2) مرو: كانت آنذاك من أهم مدن خراسان القديم وحالياً تقع في تركمنستان إحدى دول الاتحاد السوفيتي السابق، قريبة من مدينة سرخس الإيرانية المحاذية لدولة تركمنستان وهي ليست مأهولة في الوقت الحاضر، وقد بُنيت في جنبها مدينة باسم «بيرام علي».

3- (3) نيسابور: تبعد عن مشهد مئة وعشرين كيلو متراً تقريباً، وهي معروفة بحجر الفيروزة، وقد اشتهرت بالعلماء والعرفاء والأدباء وفيها بعض مراقدهم، منها مرقد العالم فضل بن شاذان من اصحاب الرضا عليه السلام، ومقام محمد بن الصادق عليه السلام المشهور بإمام زاده محروق، ومرقد الفيلسوف والشاعر عمر النخيام، ومرقد العارف عطار النيسابوري، ومقام بي بي شطيطة المرأة المؤمنة التي حضر تشييعها الإمام الكاظم عليه السلام، كما فيها مزار (قدمگاه) وهو مقام ينسب إلى أثر أقدام الإمام الرضا عليه السلام حين مروره علي هذه المدينة.

4- (4) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 141-149، الباب 36 و 37 و 39. وقيل: إنّ الإمام سار من المدينة

وفي مسير هجرة الإمام عليه السلام من المدينة إلى مرو ومروره علي بعض المدن والقري وقعت حوادث ووردت أخبار، نكتفي بذكر أهمها: لقدروي الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ الإمام الرضا عليه السلام لما أراد أن يرحل من نيسابور اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: "يا ابن رسول الله صلي الله عليه وآله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وقد كان قعد في العمارة (الهودج) فاطلع رأسه، وقال عليه السلام: "سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله عز وجل يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني آمن من عذابي"، فلما مرت الراحلة نادانا: "بشروطها، وأنا من شروطها" (1) وقال الصدوق أي: "ومن شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه امام من قبل الله عز وجل علي العباد مفترض الطاعة عليهم" (2)، وفي خبر آخر نادر عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي عن جبرئيل يقول الله عز وجل: "ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني آمن من عذابي" (3)

ص: 447

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:145، الباب 37 ح 4. وعنه في بحار الأنوار 123:49، وقد عرف هذا الحديث القدسي بحديث سلسلة الذهب.

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:135، الباب 37، ذيل ح 4.

3- (3) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:146، الباب 38، وعنه في بحار الأنوار 246:39، الباب 87.

وروي الصدوق عن أبي الصلت الهروي: أن الرضا عليه السلام خرج من نيشابور إلي مرو، فبلغ القرية الحمراء "ده سرخ" (1) كان قد نفذ ماؤهم وزالت الشمس فقيل له: يا ابن رسول الله صلي الله عليه وآله قد زالت الشمس أفلا نصلي؟! فنزل عليه السلام فقال: "انتوني بماء"، فقيل: ما معنا ماء، فبحث بيده الأرض فنبع من الماء ما توضع به هو ومن معه وبقي أثره، وركبوا حتى وصلوا إلي قرية سناباد وكان فيها جبل (يُنحت منه القدر) أسند الرضا عليه السلام إليه ودعا له فقال: "اللهم انفع به، وبارك فيما يجعل فيما يُنحت منه وفيما يجعل فيه!"، ثم أمر فنحت له منه قُدورًا، وقال: "لا يؤكل إلا ما طبخ فيها"، وظهرت بركة دعائه فيه، واهتدي الناس إليه.

وكان في قرية سناباد دار حميد بن قحطبة الطائي، وفي قبة فيه دُفن هارون الرشيد، فدخل الرضا عليه السلام إلي تلك القبة وأهوي إلي جانب قبر هارون (2)، وخط بيده الأرض وقال لمن حضره: "هذه تربتي وفيها أدفن، وس يجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي، والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلم علي منهم مسلم إلا وجب له عُفران الله ورحمته بشئ فاعتنا أهل البيت"، ثم صلي الإمام عليه السلام ركعات ودعا بدعوات فلمَّا فرغ سجد سجدة طال مكثه... (3) وخرج من قرية سناباد إلي مرو حتى أشرف علي حيطان طوس، يقول مُوسَى بن سيار: كُنْتُ مَعَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَي حِيطَانِ طُوسٍ (4) وَ سَمِعْتُ وَاعِيَةً فَاتَّبَعْتُهَا فَإِذَا نَحْنُ بِجَنَارَةِ

ص: 448

- 1- (1) ده سرخ: قرية بين نيسابور وطوس وتبعد عن نيسابور 55 كيلو متراً.
- 2- (2) خرج هارون الرشيد من بغداد إلي خراسان لمقاتلة العلويين، ومحاربة بعض ولاته العاصين، وفي طوس مرض وتوفي في جمادي الأولى سنة 193 هـ - ودُفن في سناباد من قري طوس في دار حميد بن قحطبة الطائي (مروج الذهب 3: 366).
- 3- (3) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 147، الباب 39، ح 1.
- 4- (4) طوس: تقع حالياً قرب مشهد الرضا عليه السلام بعشرين كيلومتراً، وفيها قبر الشاعر الإيراني المعروف الحكيم أبي القاسم الفردوسي.

فَلَمَّا بَصُرْتُ بِهَا رَأَيْتُ سَيْدِي وَقَدْ ثَنَى رِجْلَهُ عَنِ فَرَسِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ الْجَنَازَةِ فَرَفَعَهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: " يَا مُوسَى بْنِ سَيِّارٍ مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةَ
وَلِيِّي مِنْ أَوْلِيَائِنَا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ... " (1)

و خرج الإمام عليه السلام من طوس وسار حتي وصل إلي سرخس (2) ومن ثم إلي مرو عاصمة خلافة المأمون العباسي.

خارطة مسير الإمام الرضا عليه السلام

ص: 449

1- (1) مناقب آل أبي طالب 4:370، وعنه في بحار الأنوار 98:49، الباب 7.

2- (2) سرخس: من مدن محافظة خراسان تبعد عن مشهد المقدس حوالي مئة وسبعين كيلو متراً وهي مجاورة لدولة تركمنستان.

عندما قدم الإمام الرضا عليه السلام إلي مرو رحب به المأمون أحسن الترحيب وأكرمه ثم جمع خواص أوليائه وأصحابه وقال: "أيها الناس، إني نظرت في آل العباس وآل علي فلم أر أفضل ولا أروع ولا أحق من علي بن موسى بالخلافة"، وأخذ يعرض علي الإمام عليه السلام قبول الخلافة والإمام يرفض، وبعد شهرين من الإصرار (الظاهر شعبان وشهر رمضان)، ولما يئس المأمون من قبوله للخلافة عرض عليه ولاية العهد وإليك تفصيل الحديث عنها كما جاء عن الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام.

روي عن ابي الصلت الهروي أن المأمون قال للرضا عليه السلام: "يا بن رسول الله، قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك ووأراك أحق بالخلافة مني!... فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك".

فقال له الرضا عليه السلام: "إن كانت هذِهِ الْخِلاَفَةُ لَكَ وَاللَّهُ جَعَلَهَا لَكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَخْلَعَ لِيَأْسًا أَلْبَسَكَ اللَّهُ وَتَجْعَلَهُ لِيَعِيرِكَ، وَإِنْ كَانَتْ الْخِلاَفَةُ لِيَسْتُ لَكَ فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي مَا لَيْسَ لَكَ".

فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، لا بد لك من قبول هذا الأمر.

فقال له الرضا عليه السلام: "لست أفعل ذلك طائعا أبداً".

قال ابوالصلت: فما زال المأمون يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله، فقال له: "فإن لم تقبل الخلافة، ولم تحب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي".

فقال الرضا عليه السلام: "والله لقد حدثني أبي عن آبائه، عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسّم مظلوماً! تبكي علي ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلي جنب (أبيك) هارون الرشيد!"

فبكي المأمون، ثم قال له: يا ابن رسول الله، ومن الذي يقتلك أو يقدر علي الإساءة إليك وأنا حي؟

فقال الرضا عليه السلام: "أما إنني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت!".

فقال المأمون: يا ابن رسول الله، إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا!

فقال الرضا عليه السلام: "والله ما كذبت منذ خلقتني ربي عز وجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإنني لأعلم ما تريد!"

فقال المأمون: وما أريد؟ قال عليه السلام: "الأمان علي الصدق" قال: لك الأمان!

قال الرضا عليه السلام: "تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟".

فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه! وقد أمنت سطوتي!، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك علي ذلك، (فإن فعلت وإلا ضربت عنقك)!

فقال الرضا عليه السلام: "قد نهاني الله تعالى أن ألقى بيدي إلي التهلكة، فإن كان الأمر علي هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل ذلك، علي أنني لا أولي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيدٍ مُشيراً"، فرضي منه ذلك، وجعله ولي عهداً منه كراهة منه عليه السلام بذلك. (1)

وبعد قبول الرضا عليه السلام بولاية العهد، عقد المأمون لبيعة الإمام عليه السلام مجلساً شعبياً حضره رجال الدولة العباسية وعامة الناس وفي طليعتهم العلويون، وكتب المأمون العهد ولما قدمه للرضا عليه السلام قلبه وكتب علي ظهره قوله تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ). (2)

ص: 451

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام. 2: 151، الباب 40 ح 3، وفي علل الشرايع 1: 277،

2- (2) غافر: 19.

وفي هذا اليوم (السادس من شهر رمضان سنة 201 هـ - (1)، بايع المأمون وابنه العباس ووزيره فضل بن سهل السرخسي (ذوالرياستين) (2) وكبار رجال الدولة الإمام الرضا عليه السلام، ثم أخذ يبايعه الناس واحداً تلو الآخر والمأمون، ويشيدون بفضل الإمام عليه السلام، ثم قام الإمام عليه السلام وخطب الناس فقال: "إيها الناس إن لنا حقاً برسول الله ولكم علينا حقاً به فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم" (3)

وأصدر المأمون قرارات بمناسبة عقد ولاية العهد للإمام عليه السلام منها: ترك لباس السواد الذي كان شعار العباسيين وارتداء اللباس الأخضر، وهو لباس أهل الجنة يقول تعالى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خَضَراً مِنْ سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ) (4)، كما أمر المأمون بصكّ الدراهم والدنانير باسم الإمام الرضا عليه السلام، ونقل الصدوق أنّ المأمون زوّج ابنته أم حبيب للإمام في يوم البيعة، كما عقد ابنته الأخرى أمّ الفضل فيما بعد لابنه الجواد، وفي النقل الثاني عنه زوّجه ابنته أمّ حبيب في أول سنة 202 هـ -، ولعل المأمون كان يريد بذلك جواب المعترضين بانتقال الخلافة، بأنّها تنقل إلي أصحاب العباسيين ثمّ إلي أسباطهم، ولكنهم لم يقتنعوا بذلك (5)

ص: 452

- 1- (1) ذكر الشيخ عباس القمي في مفاتيحه أنّه يوم السادس وقال نقلاً عن السيد ابن طاووس أنه يستحب أن يُصلي في هذا اليوم ركعتان يقرأ في كل ركعة بعد الحمد سورة الإخلاص خمساً وعشرين مرة، وأمّا علي رواية اليعقوبي في تاريخه 2: 448 فهو يوم السابع.
- 2- (2) (ذوالرياستين): لُقّب بذلك، لرئاسته السيف والقلم أي: العسكرية والسياسية (الوزارة).
- 3- (3) راجع مقاتل الطالبيين: 376، وعنه في الإرشاد: 457.
- 4- (4) الكهف: 31.
- 5- (5) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 159، الباب 40 ح 19، وص 274، الباب 63 ح 2، وراجع موسوعة التّاريخ الإسلامي 8: 76.

رُوي أنّ المأمون كان قد نذر وعاهد الله إذا تغلّب علي أخيه الأمين واستلم الحكم

ان يضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله، وقد صدّق الصدوق به فقال: "والصحيح عندي أنّ المأمون إنّما ولّاه العهد وبايع للنذر الذي تقدم ذكره" (1) وقد تبين بعد ذلك أنّ ما فعله المأمون لم يكن نابعاً من ولائه لأهل البيت عليهم السلام ولم يكن صادقاً في توليته لولاية العهد للإمام عليه السلام، وكان ميله للعلويين تصنعاً وتظاهراً، فهل يُعقل أن يتخلي المأمون عن الحكم الذي قتل من أجله الآلاف من الجنود والقادة، كما قتل أخاه الأمين، ثم يسلمه إلي غيره؟! فدوافع المأمون ووزيره فضل بن سهل يمكن تحديدها في النقاط التالية:

أولاً: تهدئة الأوضاع المضطربة وإيقاف وإخماد ثورات العلويين في البلاد الإسلامية وبالأخص في خراسان، فأراد المأمون من تقريب الإمام وتوليّه ولاية العهد أن يستقطب أعوان الإمام وأنصاره، ويوقف نشاطهم العسكري بل يستميلهم إلي جانبه.

ثانياً: الحصول علي شرعية الحكم والخلافة؛ لأن المأمون كان يعرف أنّ الناس تعلم أنّ الإمام الرضا عليه السلام وسائر الأئمة هم الذين نصّ عليهم رسول الله صلي الله عليه وآله بالخلافة وهي حقهم الإلهي، فإمّا أن يتنازل عن الخلافة له وقد تظاهر بذلك ورفض الإمام عليه السلام، وإمّا أن يشاركه في الحكم فعرض عليه ولاية العهد وأجبره علي القبول، وبما أنّ الإمام كان موضع قبول ورضي جميع المسلمين فقبوله لولاية العهد يعني اعترافه بشرعية حكم المأمون.

ص: 453

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 162 ح 22 و 175 ح 28، وعنه في موسوعة التّاريخ الإسلامي 8: 55 و 56.

ثالثاً: منع الإمام من الدعوة إلي نفسه؛ لأنَّ الإمام مسؤول عن دعوة الأمة للارتباط بالإمام الحقِّ والمتجسّد بإمامته، ومن هنا كان تفكير المأمون منصباً علي منع الإمام من الدعوة إلي نفسه، والمتعارف عليه أنّ وليّ العهد يدعو إلي الحاكم الفعلي ثم يدعو إلي نفسه، وقد عبّر المأمون عن هذا الدافع له بقوله: "قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو إلي نفسه دوننا، فأردنا أن نجعله وليّ عهدنا ليكون دعاؤه إلينا"⁽¹⁾.

رابعاً: إبعاد الإمام عن قواعده الشعبية لتحجيم عمله أو تقليله، ومن خلال ذلك يمكن مراقبة الإمام عليه السلام ومعرفة تحركاته ولقاءاته، فقد قام المأمون بتقريب هشام بن إبراهيم من نفسه وولاه حجابة الإمام فكان ينمي الأخبار إليه، وكان يمنع من اتّصال كثير من مواليه به⁽²⁾.

خامساً: تشويه سمعة الإمام عليه السلام، وقد كشف عليه السلام هذه الحقيقة للمأمون بقوله: "تريدُ بذلك أن يقولَ الناسُ: إنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام لم يَزهْد في الدُّنيا بل زَهدتِ الدُّنيا فيه، ألا ترونَ كيفَ قَبِلَ ولايةَ العهدِ طَمَعاً بالخِلافة؟"⁽³⁾.

نعم، هكذا كانت دوافع وأهداف المأمون من تسليم الأمر إلي الإمام الرضا عليه السلام، وهكذا كانت دوافع وزيره فضل ابن سهل (ذي الرياستين) حسب الظاهر، إلا أنّ وزيره كان يطمع بشيء آخر وهو الخلافة لنفسه من بعد المأمون أو من بعد الإمام عليه السلام، وكان يكتُم ويضمّر ذلك، ولما تبين للمأمون ما يضمّره إحتال عليه حتي قتله غالب خادم المأمون في حمّامٍ بسرّخس في شعبان وعمره ستون سنة، وذلك عند رجوعه من مرو قاصداً بغداد⁽⁴⁾.

ص: 454

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 150-178، الباب 40.

2- (2) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 150-178، الباب 40.

3- (3) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 151، الباب 40 ح 3، وفي علل الشرايع 1: 277.

4- (4) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 170، الباب 40، ح 24.

لم يكن الإمام الرضا عليه السلام في البداية راضياً بولاية العهد وبعد الإصرار والضغط من قبل المأمون قبلها مكرهاً وكان من أهم الأسباب لقبولها:

أولاً: كان المأمون قد هدّد الإمام عليه السلام بالقتل إذا لم يقبل بولاية العهد، حيث قال له: "إنّ عمر جعل الشوري في سته، أحدهم: جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك... (1)"، وجاء ذلك في جواب محمّدين معرفة حين سئل الإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله ما حملك علي الدخول في ولاية العهد؟ فقال الإمام عليه السلام: "ما حمل جدّي أمير المؤمنين عليه السلام علي الدخول في الشوري" (2).

ولقد جاء هذا المعني في جواب الريان بن الصلت الأشعري القمي عن سرّ قبوله عليه السلام لولاية العهد: "... قَدْ عَلِمَ اللَّهُ كَرَاهِيَتِي لِذَلِكَ، فَلَمَّا خُيِّرْتُ بَيْنَ قَبُولِ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْقَتْلِ، اخْتَرْتُ الْقَبُولَ عَلَي الْقَتْلِ، وَيَحْتَهُمْ! أَمَا عَلِمُوا أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، فَلَمَّا دَفَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَي تَوَلَّي خَزَائِنَ الْعَزِيزِ قَالَ: (اجْعَلْنِي عَلَي خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) (3) وأنا دفعتني الضرورة إلي قبول ذلك علي إكراه وإجبار بعد الإشراف علي الهلاك" (4).

ثانياً: لقد أراد الإمام عليه السلام بقبوله لولاية العهد أن يحقن دماء أصحابه وأهل بيته، حيث قام المأمون تقرّباً للإمام عليه السلام بإعلان العفو العام عن جميع قادة الثورات، منهم زيد أخو الإمام، وإبراهيم، وأردف العفو بتتصيب بعضهم ولاة في بعض الأمصار (5).

ص: 455

1- (1) مقاتل الطالبين: 562، وقريب منه ما في الإرشاد للمفيد: 456.

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 152، الباب 40، ح 4، وفي علل الشرايع 1: 279 الباب 173، ح 2.

3- (3) يوسف: 55.

4- (4) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 150، الباب 40، ح 2، وفي علل الشرايع 1: 279 الباب 173، ح 3.

5- (5) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 150، الباب 40، وعنه في بحار الأنوار 49: 130.

ثالثاً: لقد أراد الإمام عليه السلام بقبوله لولاية العهد أن يستثمر الظروف لإحياء سنة جدّه ولذا بعد قبوله لولاية العهد رفع عليه السلام يده إلي السماء وقال: "... وقد أكرهت واضطرت، كما اضطرت يوسف ودانيال عليه السلام إذ قبل كل واحدٍ منهما الولاية من طاعة زمانه، اللهم لا عهد إلا عهدك، ولا ولاية لي إلا من قبلك، فوقني لإقامة دينك، وإحياء سنة نبيك،..." (1).

وقد اغتنم الإمام عليه السلام فرصة ولاية العهد في عهده وأخذ يتقّف الناس ويربّي العلماء والفقهاء، علي سنة جدّه ومذهب أهل بيته عليهم السلام، بحيث كان المأمون نفسه يضطرّ أن يتحدّث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام، واستخدم الخطباء والشعراء وأئمة الجمعة والولاية والأمراء لذلك، وبهذا انتشرت مناقب الإمام وأهل البيت عليهم السلام في جميع الأمصار، وكان في طليعة الشعراء الثوريين، دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت عليهم السلام، فجدير بنا أن نذكر علاقته مع الإمام عليه السلام، ثم نذكر مقتطفات من قصيدته الثائية المعروفة التي نظمها في مدح وراثه أهل البيت عليهم السلام والإمام الرضا عليهم السلام، بعد البيعة بولاية العهد في مرو بحضور إمامه ومقتداه.

ولاية العهد، في نظر الإمام الخامنّي (دام ظله)

(2)

لمّا فرغ المأمون في سنة 198 هـ - من حربه ضد أخيه الأمين واستولي علي الخلافة، كان أول ما قام به هو حل مشكلة العلويين وثورات التشيع، ولقد أخذ بعين الاعتبار تجارب أسلافه لتحقيق ذلك،... فالمأمون رأى أن قوة نفوذ هارون وسطوته التي

ص: 456

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام. 1: 28، الباب 3، ح 1، وعنه في بحار الأنوار 49: 131، الباب 13.

2- (2) تلخيص لبيان الإمام الخامنّي (دام ظله) إلي مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام العالمي الذي انعقد في مشهد بتاريخ 18/5/1363. ش، المصادف لسنة 1984 م.

وصلت إلي حد أسر الإمام السابع وسجنه لتلك المدة الطويلة ثم قتله بالسم، لم تُجد نفعاً ولم تمنع التحركات السياسية والعسكرية والإعلامية والفكرية لتيار التشيع، فكيف به إذا أراد أن ينتهج هذه الطريقة، وهو لم يكن يتمتع بما تمتع به أبوه! فهو، إضافة إلي الحروب الداخلية التي ابتلي بها بنو العباس وورث هو مخلفاتها وآثارها، كان يعاني من مشاكل كبرى تهدد السلطة العباسية، ومن دون شك فقد كان من اللازم عليه أن ينظر بجدية إلي خطر ثورة العلويين،... فقام بدعوة الإمام الرضا عليه السلام إلي مدينة خراسان وعرض عليه عرضاً ملزماً بتسلم ولاية العهد، حيث لم يسبق في كل المراحل السابقة للإمامة أن حدث مثل هذا الأمر.

المأمون و ولاية العهد (دوافع وأهداف)

الهدف الأول:... لقد أراد المأمون بهذا العمل أن يحيد الإمام من ساحة المواجهة الثورية وينقله إلي الميدان السياسي، وبهذه الطريقة يكون المأمون قد انتزع من الشيعة العلويين الخاصيتين: المظلومية والقداسة، اللتين تشكلان عامل نفوذ قوي لهم؛ وذلك لأن قائدهم قد أصبح في صفوف جهاز الخلافة، فهو ولي العهد للملك، ولم يعد لا مظلوماً ولا مقدساً.

الهدف الثاني:... المأمون كان يرمي بتعيين الإمام ولياً للعهد إلي أن يثبت لكل الشيعة أنَّ إدعاءهم بغصب الخلافة وعدم شرعية الخلفاء الحاكمين كلام لا أساس له... فلو كانت الحكومات السابقة غير شرعية ومتسلطة فبالتالي خلافة المأمون الذي هو خليفة لأولئك السابقين غير شرعية وغاصبة أيضاً، وكيف يدخل الرضا عليه السلام في صفوف هذا النظام الحاكم ويقبل بخلافة المأمون!؟

الهدف الثالث: أراد المأمون أن يجعل الإمام الرضا عليه السلام في جهازه الحاكم وكذلك بقية القادة والأبطال العلويين الذين يتبعون الإمام عليه السلام فيدخلون تحت سيطرة المأمون،... وبذلك يفقد الإمام شيئاً فشيئاً الطابع الشعبي ويبني حاجزاً بينه وبين الناس.

الهدف الرابع: أراد المأمون بذلك أن يكسب سمعة معنوية وصيتاً بالوقار والتقوي، فمن الطبيعي عندها أن يمدح الجميع ذلك الحاكم الذي اختار لولاية عهده ابن بنت النبي صلي الله عليه وآله، وهو شخص مقدس وذو مقام معنوي، وفي المقابل يحرم إخوته وأبناءه من هذا المنصب.

الهدف الخامس: كان باعتقاد المأمون أن الإمام بتسلمه لولاية العهد سيتحول إلي حامي ومرشد للنظام، وبذلك لا يستطيع أحد أن ينكر شرعية هذا النظام، فمن خلال الإمام يستطيع أن يخفي كل أخطاء وعيوب نظامه وحكومته.

ولم يكن ليخطر ببال أحد سوي المأمون هذا الدهاء السياسي والحنكة والمكر، وحقاً يجب القول أن سياسة المأمون كانت تتمتع بتجربة وعمق لا نظير له.

سياسة الإمام الرضا عليه السلام تجاه المأمون

بعد ما بيّنا دوافع المأمون وأهدافه من ولاية العهد، نتعرض إلي السياسة والإجراءات التي قام بها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لمواجهة هذا الواقع، وما كان يهدف إليه الإمام عليه السلام ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: عندما دعي الإمام لينتقل من المدينة إلي خراسان من قبل المأمون نشر في المدينة جواً يدل علي انزعاجه وتضايقه من هذه الخطوة بحيث أن كل شخص كان حول الإمام تيقن أن المأمون يضمّر سوءاً للإمام من خلال إبعاده عن موطنه، ولقد أعرب الإمام للجميع عن سوء ما يرمي إليه المأمون بكل الأساليب الممكنة، فقام بذلك عند توديع حرم النبي صلي الله عليه وآله وعند توديع عائلته وأثناء خروجه من

المدينة، وبكلامه وسلوكه ودعائه وبكائه، كان واضحاً للجميع أن هذا السفر هو رحلته الأخيرة ونهاية حياته عليه السلام.

النقطة الثانية: لقد سعي الإمام عليه السلام في كل فرصة تتاح له أن يبين أنه مجبر علي تسليم هذا المنصب (ولاية العهد) ودائماً كان يذكر أنه هُمدد بالقتل حتي يقبل بولاية العهد، وكان من الطبيعي جداً أن يصير هذا الحديث الذي هو من أعجب الظواهر السياسية متناقلاً علي الألسن، فكل العالم الإسلامي في ذلك اليوم وفيما بعد فهم أن شخصاً مثل المأمون الذي حارب أخاه الأمين حتي قتله لأجل الخلافة، كان من الواضح أنه أجبر الإمام بقبول ولاية العهد.

النقطة الثالثة: مع كل الضغوطات والتهديدات التي مورست علي الإمام، لم يقبل ولاية العهد إلا بشرط الموافقة علي عدم تدخله في أي شأن من شؤون الحكومة من حرب وصلاح وعزل ونصب وتديير وإشراف علي الأمور، والمأمون الذي كان يعتقد أن هذا الشرط ممكن قبوله وتحمله في بداية الأمر، حيث يستطيع فيما بعد أن يجر الإمام إلي ساحة أعمال ونشاطات الحكومة، وافق علي قبول شرط الإمام عليه السلام... ولقد أدرك المأمون جيداً هذا الخلل والنقص، فحاول عدة مرات وباستخدام أكثر الحيل ليحمل الإمام علي العمل خلافلاً لما اشترطه سابقاً، فيجر بذلك الإمام إلي التدخل في أعمال الحكومة ويقضي أيضاً علي سياسة الإمام المواجهة والرافضة، وكنموذج حادثة صلاة العيد.

النقطة الرابعة: الإمام عليه السلام بقبوله لولاية العهد استطاع أن ينهض بحركة لا نظير لها في تاريخ حياة الأئمة، حيث تم إيصال نداء التشيع إلي كل المسلمين، وكذلك أيضاً مناظرات الإمام التي جرت بينه وبين جمع من العلماء في محضر المأمون حيث بين أمتن الأدلة علي مسألة الإمامة، والقصائد الكثيرة التي نظمت في مدح الإمام بمناسبة

تسليمه ولاية العهد مثل قصيدة دعبل وأبي نواس، والمحدثون الشيعة أصبحوا ينشرون معارفهم في حلقات دراسية كبيرة وفي المجمع العامة علناً.

النقطة الخامسة: الإمام عليه السلام فضلاً عن أنه لم يطلب من ثوار التشيع الهدوء أو الصلح مع جهاز الحكومة بل إن القرائن الموجودة تدل علي أن الوضع الجديد للإمام المعصوم كان عاملاً مشجعاً لأولئك الذين أصبحوا بفعل حماية الإمام ومؤازرته لهم محل احترام وتقدير ليس فقط عند عامة الناس بل حتي عند العاملين وولاية الحكومة في مختلف المدن بعد أن كانوا ولفترات طويلة من عمرهم يعيشون في الجبال الصعبة والمناطق النائية البعيدة، فشخص مثل دعبل الخزاعي صاحب البيان الجريء لم يكن علي الإطلاق يمدح أي خليفة أو وزير وأمير ولم يكن في خدمة الجهاز الحاكم، بل لم يسلم من هجائه ونقده أي شخص من حاشية الخلافة، وكان لأجل كل ذلك ملاحقاً دوماً من قبل الأجهزة الحكومية وظل لسنوات طوال مهاجراً ليس له موطن، فأصبح الآن يمكنه بوجود الإمام علي بن موسى الرضا أن يصل ويلتقي بمقتداه ومحبوبه بحرية، وأن يُوصل في فترة قصيرة شعره إلي كل أقطار العالم الإسلامي، ومن أشهر وأبهى قصائده تلك التي تلاها للإمام عليه السلام حيث اشتهر بها، والتي تبين الثورة الحسينية علي الأنظمة الأموية الحاكمة.

ص:460

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام يشجع الشعراء الرساليين الموالين لأهل البيت عليهم السلام علي نظم الشعر من أجل نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم العلمي والقيادي في الأمة، وتبيان مظلوميتهم علي مرّ التاريخ؛ لأنّ الشعر كان خير وسيلة إعلامية في ذلك العصر؛ لسرعة انتشاره وسهولة حفظه وإنشائه، ومن بين الشعراء كان دعبل بن علي الخزاعي وأشعاره في مدح وثناء أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الرضا عليه السلام أكثر صيتاً وشهرةً، وما ذلك إلا بسبب خلوصه وشدة ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

كانت ولادة دعبل في السنة التي توفي فيها الإمام الصادق عليه السلام (25 من شوال سنة 148 هـ -)، ووفاته بمدينة "شوش" (2) سنة 264 هـ - ودفن فيها فكان عمره 116 سنة، قضى أكثرها في السفر خوفاً من خلفاء زمانه لما قاله في هجائهم، وكان يقول: منذ سنين وأنا أحمل خشبتي علي متني (3).

ص: 461

1- (1) دعبل: إسمه عبدالرحمن، وإنّما دابته رأّت فيه دعابة فقالت دعبل فغلب عليه! وكان يضرب به المثل في دعابته (تاريخ بغداد 385:8).

2- (2) شوش: إحدى مدن إيران في محافظة خوزستان، وهي مدينة قديمة عريقة في التاريخ، يقصدها الزوّار والسيّاح من بعيد لما فيها من الآثار والمقامات، منها: مقام النبي دانيال عليه السلام ومقام بعض أحفاد الأئمة رضي الله عنه، ومنها: مقام شاعر أهل البيت رضي الله عنه دعبل الخزاعي رحمه الله، وقد بني وأسس في جنب المقام مجمع ثقافي يهتم بأمور الثقافة الدينية والشعر والأدب في تلك المنطقة. وفي حوالي مدينة شوش بينها وبين مدينة أهواز في منطقة عبدالحان يقع مرقد السيد الجليل، السيد عباس من أحفاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، حيث تذكر له كرامات ويقصده الزوّار.

3- (3) إشارة إلي الخشبة التي يصلب عليها الشخص.

ولمّا انتشر خبر بيعة الرضا عليه السلام لولاية العهد ووصل خبرها الي دعبل شدّ الرّحال قاصداً زيارة إمامه عليه السلام في مدينة مرو، وبعد تحمل عناء السفر ووصل إلي ديار حبيبه وحضر عنده عليه السلام اوائل شهر محرم سنة 202 هـ - فاستقبله الإمام عليه السلام ورحّب به وأجلسه جنبه، ثمّ قال دعبل للإمام: يا بن رسول الله، إني أنشدتُ فيكم قصيدة وآليتُ علي نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال له الإمام عليه السلام: هاتها يا دعبل، فأنشد قصيدته الثّانية المعروفة وكانت خالية من ذكر ولاية العهد ووافية بذكر مصائب الحسين عليه السلام، (1) وفيها ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام واستعراض للوقائع التي مرت عليهم من حين وفاة النبي صلي الله عليه وآله مروراً بأحداث السقيفة، وموقف المسلمين من الخلافة، وما جري عليهم عليهم السلام خلال العهدين الأموي والعباسي، ثم ختم القصيدة بخروج الإمام العادل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وقد تأثر الإمام بهذه القصيدة وأخذ يبكي، ويقول: "صدقتم يا دعبل"، ولما فرغ دعبل من إنشاد قصيدته، قام الإمام عليه السلام وأنفذ إليه صرّة فيها مئة دينار ضربت باسمه، فردّها دعبل وقال: "واللّٰه ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر إلي وجهه الميمون، وإني لفي غنيّ فإن رأي أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحبّ إليّ". فأعطاه الإمام عليه السلام جبّة خزّ وردّ عليه الصرّة وقال له: "احفظها فستحتاج إليها"، فأخذ دعبل الصرّة والجبّة وانصرف من مرو قاصداً بغداد، وفي طريقه مرّ علي قافلة علي مياه في منطقة كوهان الجبلية التي تقع بين هراة ونيسابور، فاعترضهم اللصوص وكتّفوا أهلها وأخذوا جميع ما كان معهم فجلسوا ناحية يقسمون ما سلبوه من القافلة، فتمثل رجل منهم بقول دعبل:

أري فينهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

ص: 462

1- (1) وهو دليل علي حضور دعبل عند الإمام أيام شهر محرم الحرام سنة 202 هـ -

فسمعه دعبل الخزاعي وقال له: لمن هذا البيت الذي تتمثل فيه؟ فقال: لرجل من خزاعة يسمي دعبل، فقال دعبل: أنا صاحب القصيدة التي فيها البيت، فقال الرجل أنشدني القصيدة فأنشده إياها فردّوا عليهم جميع ما أخذوه منهم واعتذروا إليهم، وسار دعبل مع القافلة حتي وصل إلي قم، فأنشد قصيدته، فسألوه أن يبيعهم الجبّة بألف دينار فامتنع، وبعد الإصرار والإلحاح أخذوا منه الجبة ودفَعوا إليه ألف دينار، وأعطوه بعضها وانصرف دعبل إلي وطنه في العراق فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله (في بغداد) وكان الرضا عليه السلام قد وصله بصرة فيها مئة دينار وقال له: "احفظها فستحتاج إليها"، فأعطها دعبل شيعة العراق فأعطوه مقابل كل دينار منها مئة درهم؛ (بخمسة أضعاف) لأنها كانت من الدنانير الرضوية التي صكّت باسم الرضا عليه السلام. (1)

ورمدت عينا جاريتيه فأدخل عليها أهل الطب فيسوا من اليمنى، ثم ذكر بقية الجبة فعصّبها منها بعصابة ليلاً، فأصبحت وعيناها أصحّ مما كانتا من قبل ببركة الرضا عليه السلام. (2)

وجاءني كتاب (الأغاني): أنّ دعبل كتب قصيدته التائية علي ثوب وأحرم فيه وأوصي بأن يكون في كفته (3)، وينبغي هنا أن نذكر علي سبيل الاختصار مقتطفات من تلك القصيدة التائية الرائعة مع تعاليق الرضا عليه السلام عن الصدوق:

مقتطفات من القصيدة التائية لدعبل

أسند الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (4) عن أبي الصلت الهروي (5) أنّه قال: دخل دعبل الخزاعي علي الرضا عليه السلام في مدينة مرو بعد بيعة الناس له بولاية العهد، فقال: يا

ص: 463

1- (1) را: جمع عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 294، الباب 66، ح 34.

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 294، الباب 66، ح 34.

3- (3) الأغاني 20: 122 و 126 وأنظر: الغدير للأميني 3: 497.

4- (4) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 295، الباب 66، ح 34، وفي بحار الأنوار 99: 39، الباب 4، ح 25.

5- (5) أبو الصلت الهروي: هو عبد السلام بن صالح الهروي من أصحاب الرضا عليه السلام و خادمه (راجع ترجمته في قبس الختام).

ابن رسول الله صلي الله عليه وآله، إني قد قلت فيك (فيكم) قصيدة وآليت علي نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال عليه السلام: هاتها، فأنشده: مدارس آياتٍ حَلَّتْ مِنْ تِلاوَةٍ * وَمَنْزَلٌ وَحِيٌّ مُقْفَرٌ الْعَرَصَاتِ (1).

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الرَّبِيعِ (2) مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَجْرِبْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعِبْرَاتِ

مَدَارِسُ آيَاتٍ حَلَّتْ مِنْ تِلاوَةٍ وَمَنْزَلٌ وَحِيٌّ مُقْفَرٌ الْعَرَصَاتِ (3)

دِيَارٌ عَلِيٌّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحَمْزَةَ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّفَنَاتِ (4)

مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَلِلتَّقْيِ وَلِلصُّومِ وَالتَّطْهِيرِ وَالْحَسَنَاتِ

أَفَاطِمُ لَوْ خِلْتِ الْحُسَيْنَ مُجَدِّلاً وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِسَطِّ فُرَاتِ

إِذْ لِلطَّمْتِ الْخَدَّ فَاطِمٌ عِنْدَهُ وَأَجْرِبْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجَنَاتِ

أَفَاطِمُ قُومِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَأَنْدَبِي نُجُومَ سَمَاوَاتِ بَارِضِ فَلَاةِ

قُبُورٍ بِكُوفَانٍ وَأُخْرِي بِطَبِيَّةٍ وَأُخْرِي بِفَخِّ (5) نَالَهَا صَلَوَاتِي

ص:464

1- (1) وليس هذا البيت رأس القصيدة، ولكن أنشدها من هذا البيت، فقليل له: لِمَ بدأت بمدارس؟ قال: «استحييت من الإمام أن أنشده التشبيب فأنشدته من المناقب» ورأس القصيدة: (تجاوين بالأرنان والزفرات)، ولم يذكر الصدوق من القصيدة إلا مواقع تعليق الإمام الرضا عليه السلام، وأوّل من أكمل خبر دعبل وشعره هو محمد بن عمران المرزباني الخراساني البغدادي (م 384 هـ -) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 8:64.

2- (2) الربيع: موضع في عرفات، يتوقف به ويطمأن.

3- (3) العرصات: الساحات.

4- (4) الثفنات: علامات في الجبهة من كثرة السجود.

5- (5) فخ: موقع بمكة وقعت فيه حادثة فخ حيث استشهد حسين بن علي من أحفاد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وجمع من بني هاشم علي يدي عسكر بني العباس بقيادة موسى الهادي.

وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الْجَوْزِجَانِ (1) مَحَلُّهُ وَقَبْرٌ بِبَاخْمَرِي (2) لَدَى الْغُرَبَاتِ

قُبُورٌ بِجَنْبِ النَّهْرِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا مُعْرَسَهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ

تُوفُوا عَطَاشِي بِالْعِرَاءِ فَلَيْتَنِي تُوفِّيتَ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي

وَقَبْرٌ بِبَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ (3)

وهنا روي الصدوق عن الهروي أنَّ الرضا عليه السلام قال لدعلج: " أفلا ألحق لك بيتين بهذا الموضوع، بهما تمام (كمال) قصيدتك؟ "، فقال دعلج: بلي يا بن رسول الله، فقال عليه السلام:

وَقَبْرٌ بِطُوسٍ يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةِ أَلْحَتْ عَلَيِ الْأَحْشَاءِ بِالزَّرْفَاتِ (4)

إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا يُفْرِّجُ عَنَّا الْغَمَّ وَالْكَرْبَاتِ

فقال دعلج: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟ فقال الرضا عليه السلام: " قَبْرِي، وَلَا تَنْقُضِي الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي حَتَّى نَصِيرَ طُوسٌ مُخْتَلَفَ شِيعَتِي وَرُؤَايَايَ، أَلَا فَمَنْ زَارَنِي فِي غُرْبَتِي بِطُوسٍ كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفُورًا لَهُ " (5). وفي حديث آخر قال عليه السلام: " إن بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة من دخلها كان آمناً يوم القيامة " (6).

ص: 465

1- (1) وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الْجَوْزِجَانِ: هو قبر يحيى بن زيد الشهيد، وهناك ثلاث مراقد تذكره، إحداها في مدينة جوزجان في أفغانستان وهو أقرب للصواب كما جاء في قصيدة دعلج، والأخري في ميامي تبعد عن مدينة مشهد حوالي (60 كم)، والمرقد الثالث في مدينة جرجان (القديمة) والتي لم يبق منها سوى الأطلال وهي قرب مدينة كنبند كاووس في شمال إيران.

2- (2) باخمري: مكان بين الكوفة والواسط في العراق، فيه قبر إبراهيم بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام.

3- (3) الغرفات: غرف الجنة.

4- (4) الزرفات: تتابع الأنفاس من شدة الغم والحزن.

5- (5) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 295، الباب 66، ح 34، وفي بحار الأنوار 39: 99، الباب 4، ح 25.

6- (6) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 286، الباب 66، ح 6، وعنه في بحار الأنوار 37: 99، الباب 4، ح 37.

المأمون الذي قد سعي جاهداً لتكون صورته حسنة ومقدسة وليتصف بأنه خليفة عاقل، سقط في النهاية وانجر إلي الفساد ووسمت حياته بالظلم والقهر كأسلافه الخلفاء العبّاسيين، ويمكن مشاهدة نماذج من حياة المأمون خلال 15 عاماً بعد حادثة ولاية العهد تكشف ستار الخداع والتظاهر عند المأمون، فكان المأمون يحضر المغنيات إلي قصره، وعاش مرفهاً مسرفاً، وكان لديه قاضي للقضاة فاسق وفاجر مثل يحيى بن الأَکثم.

وما إن مضت علي تصدّي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنتين حتي تنكّر له المأمون، وفرض عليه الرقابة الشديدة والإقامة الجبرية في بيته، ومنع العلماء وخواص شيعته من التردّد إليه؛ وما ذلك إلاّ لأنّه لم يحصل علي ما أراد من توليته العهد، بل رأي أنّ الإمام قد ترسّخت مكانته، وازدادت شهرته، وارتفعت منزلته في نفوس المسلمين حينما أسندت إليه ولاية العهد؛ لأنّهم رأوا ابتعاده عن مغريات الدنيا، ومعايشته هموم الناس وآلامهم، وعطفه علي الضعفاء من جانب، وسعة علومه وإحاطته بما تحتاج إليه الأمة في جميع شؤونها، وشدة تقواه ومعالي أخلاقه، والسير علي سنّة جدّه رسول الله صلي الله عليه وآله وآبائه الطاهرين من جانب آخر، وقد تمثّل نموذج من ذلك في كيفية ذهابه إلي صلاة العيد التي دعاه المأمون لإقامتها حيث خرج الإمام عليه السلام للصلاة كما كان يخرج إليها جدّه رسول الله صلي الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حافياً مكبراً، وقد امتلأَ خشوعاً وتواضعاً لربه، ولما أحس المأمون بخطورة الأمر أرجع الإمام ومنعه من إقامة الصلاة.

وعليه فقد ابتلي الإمام ابتلاءً شديداً في تصدّيهِ لولاية العهد، فقد ضيق عليه المأمون غاية الضيق، بحيث سئم الحياة وأخذ يدعو الله تعالى أن يفرّج عنه في هذه

الدنيا قائلاً: " اللهم إن كان فرجى مما أنا فيه بالموت فعجل لي الساعة... " ولم يزل مغموماً مكروباً إلي أن قبض (1).

وما اكتفى المأمون بالتضييق علي الإمام الرضا عليه السلام بل كان يترصد الفرصة المناسبة ليقضي عليه كما قضي من قبل علي وزيره فضل بن سهل ذي الرياستين في حمام مدينة سرخس لما أحس بالخطر منه علي خلافته، وهذا دأب كل حكام الجور من بني أمية وبني العباس، حيث لا إيمان لهم ولا يؤمن مكرهم وكيدهم وإن لقبوا أنفسهم بألقاب عظيمة كالأمين والمأمون وغيرها من الألقاب، فالمأمون العباسي لم يكن مأموناً؛ ولذا لم يتمكن من إضمار ما في نفسه من مكر علي الإمام عليه السلام، بل وأخذ يحتال ويغتتم الفرص ليتخلص من الإمام، ولو اقتضى ذلك أن يقتله بيده الغادرة، وفي نهاية المطاف عاد المأمون ليختار نفس الأسلوب الذي سلكه أسلافه من قبله وهو قتل الإمام.

المأمون في طريقه إلي بغداد

ذكر المؤرخون والرواة أنه لما استتب الأمر والحكم لمأمون في خراسان قرّر الخروج منها قاصداً بغداد ليتخذها عاصمة جديدة لخلافته وكان يقول للإمام الرضا عليه السلام سندخل بغداد والإمام عليه السلام يقول له: " ستدخلها أنت وما أنا وبغداد؟! لا أري بغداد ولا تراني (2). "

وخرج المأمون ومن معه من مرو وكان معهم وزيره فضل بن سهل ووليّ عهده الإمام الرضا عليه السلام، فلما وصلوا إلي سرخس (3) أمر المأمون بقتل فضل بن سهل لما تبيّن له

ص: 467

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 18، الباب 30، وعنه في بحار الأنوار 49: 140، الباب 13.

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 244، الباب 49، ح 1، وعنه في بحار الأنوار 49: 285، الباب 19.

3- (3) سرخس: مدينة في شمال شرق إيران، قرب الحدود مع دولة تركمنستان.

أنه يطمع بالخلافة، فقتل في حمّامٍ بسرّخس، ووضع الإمام في السجن وأراد أن يقتله كذلك، ولكنه فشل وخاب سعيه، واستمرت القافلة حتى وصلت إلى طوس ونزلوا في دار حميد بن قحطبة الطائي الواقعة في قرية سناباد نوقان والتي فيها قبر هارون الرشيد وعليه قبّة.

وروي أبو الصلت الهروي أنّ الرضا عليه السلام قال له: "غداً أدخل علي هذا (الفاجر) فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فكلمني اكلمك، وإن خرجت وأنا مغطي الرأس (برداي) فلا تكلمني!"، فلما أصبحنا... دخل علي المأمون، وكان المأمون بين يديه أطباق فواكه ومنها طبق عليه عنب ومنه عنقود بيده، قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلما أبصر بالرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه معه ثم ناوله العنقود وقال له: يا بن رسول الله، ما رأيت عنباً أحسن من هذا! كُلم منه، فقال له الرضا عليه السلام: تعفيني منه، فقال: لا بدّ من ذلك! وما ينمّعك منه! لعلك تتهمنا بشيء! فتناول المأمون العنقود فأكل منه! ثم ناوله الرضا فأكل منه ثلاث حبّات ثم رمي به (من يده إلى الطبق) وقام! فقال المأمون: الي أين؟! فقال عليه السلام: إلي حيث وجّهتني! ثم غطي رأسه (بردائه) فلم اكلمه حتّى دخل الدار... (1)

شهادة الرضا عليه السلام في طوس

ذكر معظم المؤرخين والرواة أنّ المأمون هو الذي أمر بدسّ السم للإمام في العنب، أو في الرمان وقدمه إلى الإمام عليه السلام وأمره أن يأكل منه، وفي رواية أخرى أمر

ص: 468

المأمون غلامه عبدالله بن بشير أن يدس السم في الرمان بأظافره المسمومة ثم قدّمه إلى الإمام، وبذلك استشهد الإمام في طوس، قرية سناباد نوقان في آخر شهر صفر سنة 203 من الهجرة(1).

وروي أبو الصلت الهروي أن ابن الرضا عليه السلام الإمام الجواد عليه السلام جاء من المدينة بأمر الله سبحانه، وحضر جنازة أبيه وغسله وكفنه وصلي عليه، ولم يعلم المأمون ولا أعوانه بذلك(2).

وأظهر المأمون الحزن الشديد علي وفاة الإمام عليه السلام، وتباكت عيناه و خرج حافياً يضرب علي رأسه ويقبض علي لحيته ويقول: " ما أدري أيّ المصيبتين أعظم عليّ: فقدي لك وفراقي إيّاك، أو تهمة الناس لي أني اغتلتك وقتلتك... "، وأخفي المأمون موت الإمام عليه السلام يوماً وليلة، وبعد ذلك شُيّع جثمانه في حشد كبير من الناس لم تشاهد خراسان مثيلاً له في جميع أدوار تاريخها، وجيء بالجثمان الطاهر إلى قرية سناباد، وأمر المأمون بحفر قبر له في جهة القبلة من قبر أبيه هارون الرشيد، وواراه فيه، وأقام عند قبره ثلاثة أيام(3).

وسئل المأمون عن السبب من دفن الإمام إلي بالقرب من قبر أبيه فأجاب: " ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرضا عليه السلام "، وقد فنّد ذلك شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي إذ يقول: جاءني خبر موت علي الرضا عليه السلام وأنا بقم وقلت قصيدتي الرائية في مرثيته عليه السلام:

ص:469

1- (1) لقد اختلف المؤرخون في تعيين يوم شهادته بين أوائل شهر صفر كما عليه المسعودي في التنبيه والإشراف: 303 وبين أو آخر صفر كما عليه الطبرسي في إعلام الوري 2: 80-86 والعصفري البصري في تاريخ خليفة 312، واكتفي الكليني والشيخ المفيد بشهر صفر بطوس (أصول الكافي 1: 486، الإرشاد 2: 447).

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 271، الباب 63، ح 1.

3- (3) راجع: تاريخ اليعقوبي 2: 443، و عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 269، الباب 62، ح 1.

أري أمية معذورين إن "قتلوا" ولا أري لبني العباس من عذرا!

أربع بطوس علي قبر الزكي بها إن كنت تربع من دين علي وطر(1)

قبران في طوس: خير الناس كلهم وقبر شرهم، هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا علي الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يده فخذ ماشئت أو فذر(2)

ونقل أنه لَمَّا وصل خبر هذه الأبيات إلي المأمون ضرب عمامته علي الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل.

ومات ابن لدعبل يدعي "أحمد" قرثاه بقصيدة وأردفها بأبيات في رثاء الرضا عليه السلام ومنها:

ألا أيها القبر الغريب محلّه بطوس، عليك الساريات هتون

شككت فما أدري أمسقي شربة فأبكيك؟ أم ريب الردي فيهون؟

وأيهما ماقلت، إن قلت شربة وإن قلت موت، إنّه لقمين!

فيا عجباً منهم يسمونك "الرضا" ويلقأك منهم كلحة وغصون(3)

وقد رثاه علي بن عبدالله الخافي في أبيات منها:

يا أرض طوس سقائك الله رحمته ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس

طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها شخص ثوي بسناباد مرموس(4)

ص:470

1- (1) أي: إن كان لك من الدين حظ أربع واجلس بطوس علي قبر الرضا عليه السلام.

2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:280، الباب 65، ح 2، وراجع أخبار شعراء الشيعة للمرزباني: 93.

3- (3) مقاتل الطالبين: 280.

4- (4) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:280، الباب 65، ح 1، وقوله مرموس أي: مدفون.

إن للإمام الرضا عليه السلام كرامات معروفة عند الشيعة الإمامية من حين شهادته إلي يومنا هذا، نترك ذكرها لشهرتها بينهم(1) ونؤه بأن الاعتقاد بالمنزلة المعنوية للإمام عليه السلام وكراماته لا يختص بشيعته فحسب، بل هناك من أتباع المذاهب الإسلامية وعلماهم من اعترفوا للإمام عليه السلام بتلك المقامات لما رأوا منه من الكرامات فكان من عوامهم وعلماهم من يقصد تلك التربة المقدسة فيزورها ويتوسل بصاحب القبر الشريف لقضاء حاجته فتقضي له، يقول الحاكم النيسابوري رحمه الله: وقد عرفني الله من كرامات التربة (الرضوية) خير كرامة، لقد سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن سهل الفقيه يقول: ما عرض لي مهم من أمر الدين والدنيا فقصدت قبر الرضا عليه السلام لتلك الحاجة، ودعوت عند القبر الإقضيت لي تلك الحاجة، وفرج الله عني ذلك المهم، ثم قال أبو الحسين رحمه الله: وقد صارت لي هذه العادة أن أخرج إلي ذلك المشهد في جميع ما يعرض لي فإنه عندي مجرب، ومنها: سمعت أبا الحسين بن أبي بكر الفقيه يقول: قد أجاب الله لي في كل دعوة دعوته بها عند مشهد الرضا عليه السلام، حتي أني دعوت الله أن يرزقني ولداً فرزقت ولداً بعد الإياس منه(2).

ومن تلك الكرامات: يقول أبو النضر المؤذن النيسابوري: أصابني علة شديدة ثقل فيها لساني فلم أقدر منها علي الكلام فخطر ببالي زيارة الرضا عليه السلام والدعاء عنده والتوسل به إلي الله تعالي ليعافيني فخرجت زائراً وزرت الرضا عليه السلام وقمت عند رأسه وصليت ركعتين، وكنت في الدعاء والتضرع مستشفعاً بصاحب القبر إلي الله عز وجل

ص: 471

1- (1) من أراد الإطلاع علي تلك الكرامات فليراجع الكتب المؤلفة في ذلك ومنها كتاب الكرامات الرضوية.

2- (2) فرائد السمطين 2: 220، للجويني الشافعي، عن الحاكم النيسابوري الشافعي.

أن يعافيني من عَليّتي ويحلّ عقدة لساني إذ ذهب بي النوم في سجودي، فرأيت في منامي كأن القمر قد انفرج فخرج منه رجل آدم كهل شديد الأدمة، فدنا منّي فقال: يا أبا النضر قل: (لا إله إلا الله)، قال: فأومأت إليه كيف أقول ذلك ولساني منغلق؟. فصاح عليّ صيحة وقال عليه السلام: تنكر لله القدرة؟ قل: (لا إله إلا الله)، قال: فانطلق لساني فقلت: (لا إله إلا الله)، ولم ينغلق لساني بعد ذلك (1).

ومن كرامات الإمام الرضا عليه السلام نزول المطر عندما صلي صلاة الإستسقاء طلباً من المأمون، لقد ورد عن علي بن محمد بن سيّار عن آبائه قال: لما بويع الرضا عليه السلام قل المطر! فقالوا: هذا من نكده (قلة خيره) فسأله المأمون أن يستسقي، فقبل وقال: رأيت رسول الله صلي الله عليه وآله في منامي يقول لي: يا بني انتظر يوم الإثنين وبرز إلي الصحراء واستسق فإن الله يسقيهم وأخبرهم بما يريد الله وهم لا يعلمون حالك ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك، فبرز يوم الإثنين وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "اللهم يا ربّ أنت عظمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت وأملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا إحسانك ونعمتك فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير راث (متأخر) ولا ضائرٍ وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلي منازلهم..." وأمرهم بالانصراف وقال: "لم تمطر عليكم ما لم تبلغوا منازلكم" ونزل من المنبر فكان كما قال، فقالوا هنيئاً لولد رسول الله كرامات الله عز وجل (2) ومسك ختام الحديث عن حياة الإمام الرضا عليه السلام كلام موجز في بيان فضل زيارته عليه السلام وكيفيةها.

ص: 472

-
- 1- (1) فرائد السمطين 2: 220، للجويني الشافعي، عن الحاكم النيسابوري الشافعي.
 - 2- (2) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 179، الباب 41 ح 1، وفي المناقب 4: 370.

إنَّ لزيارة الإمام الهمام وملاذ الأنام، مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام فضلاً عظيماً وأجرًا كبيراً ولكن هذه الزيارة لا تقتصر علي مجرد تكريم المزور لنيل الأجر والثواب، بل لا بدَّ أن تذكَّر الزائر بالقيم الأخلاقية والتضحيات والمواقف المشرفة للإمام فيجدد الزائر العهد مع إمامه بالإلتزام بخطه ونهجه لتكون زيارته مقرونة بالمعرفة والذي جاء التركيز عليها في روايات الزيارة ومنها زيارة الإمام الرضا عليه السلام سنذكر بعضاً منها فيما يلي:

عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِ بْنِ عَنْ مُحَمَّدِ الْجَوَادِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " ضَمِنْتُ لِمَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطُوسَ عَارِفًا بِحَقِّهِ، الْجَنَّةَ عَلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى " (1).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: " يخرجُ رجل من ولدِ ابني موسى اسمه اسمُ أمير المؤمنين عليه السلام إلى أرضِ طوسٍ وهي بخراسان يُقتلُ فيها بالسُّم فيُدفنُ فيها غريباً مَنْ زارَهُ عارفاً بحقه أعطاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ أجرَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ " (2).

وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: " سَتُدْفَنُ بِضِعَةِ مَنِّي بِخِرَاسَانَ، مَا زَارَهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا نَفَسَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ وَلَا مَذْنَبٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ " (3) وقال صلي الله عليه وآله: " سَتُدْفَنُ بِضِعَةِ مَنِّي بِخِرَاسَانَ مَا زَارَهَا مُؤْمِنٌ إِلَّا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ وَحَرَّمَ جَسَدَهُ عَلَيَّ النَّارِ " (4).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: " مَنْ زَارَنِي عَلَيَّ بَعْدَ دَارِي أْتَيْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ حَتَّى أُخَلِّصَهُ مِنْ أَهْوَالِهَا: إِذَا تَطَايَرَتِ الْكُتُبُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ " (5).

1- (1) عيون أخبار الرضا 2: 286، الباب 66، ح 7.

2- (2) عيون أخبار الرضا 2: 285، الباب 66 ح 3، وفي بحار الأنوار 33: 99، الباب 4.

3- (3) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 286، الباب 66، ح 14، وفي بحار الأنوار 33: 99، الباب 4.

4- (4) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 286، الباب 66، ح 4. وعنه في بحار الأنوار 284: 49، الباب 19.

5- (5) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 285، الباب 66 ح 2، وفي بحار الأنوار 34: 99، الباب 4.

دُكرت للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام زيارات عديدة، ورد المشهور منها في الكتب المعتمدة، ونحن نختار منها الزيارة التي أوردها الشيخ المفيد في (المقنعة)، ونقلها عنه المحدث القمي في كتابه (مفاتيح الجنان)؛ وذلك لاختصارها الذي يتناسب مع اختصار الكتاب.

قال المفيد: تقف عند قبره عليه السلام بعد ما اغتسلت غسل الزيارة ولبست أنظف ثيابك(1)، وتقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَابْنَ وَلِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الْهُدَى وَالْعُرْوَةَ الْوُثْقَى وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ مَصْدَقٌ عَلَيَّ مَا مَضَى عَلَيَّ أَبَاؤُكَ الظَّاهِرُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمْ تُؤْتِرْ عَمِّي عَلَيَّ هُدًى، وَلَمْ تَمِلْ مِنْ حَقِّ إِي بَاطِلٍ، وَأَنَّكَ نَصَّحْتَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَبِحَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ، أَتَيْتُكَ بِأَيِّ وَأُمِّي زَائِرًا عَارِفًا بِحَقِّكَ مُوَالِيًا، لِأَوْلِيَانِكَ، مُعَادِيًا لِأَعْدَائِكَ فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ".

ثم انكب علي القبر وقبلة وضع جانبي وجهك عليه، ثم تحوّل إلي جانب الرأس، وقُل: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامَ الْهُدَايَ الْوَلِيَّ الْمُرْشِدَ أَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْدَائِكَ وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِوَلَايَتِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ"، ثم صلّ ركعتين للزيارة(2)، وصلّ بعدها ما شئت، ثم تحوّل إلي جانب الرّجل، فادع بما شئت(3).

ص: 474

-
- 1- (1) هناك مجموعة من الآداب الظاهرية والباطنية للزيارة، ذكرتها كتب الأدعية والزيارات فراجعها.
- 2- (2) أعلم أيها الزائر إن أفضل صلاة يصلها الزائر بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام أو غيره من الأئمة عليهم السلام هي صلاة جعفر الطيار، راجع: (مفاتيح الجنان باب الزيارات)
- 3- (3) كتاب المقنعة للشيخ المفيد: 466، وعنه في مفاتيح الجنان، باب الزيارات، الفصل التاسع في فضل زيارة إمام الإنس والجان.

ويقول الشيخ عباس القمّي: وإذا أردت أن تودّعه عليه السلام فودّعه بما كنت تودّع به النّبيّ صلي الله عليه وآله: " لا جَعَلَهُ اللهُ آخِرَ تَسْلِيمِي عَلَيْكَ "، وإن شئت فقل: " السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللهِ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ اللَّهُمَّ لا تَجْعَلُهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي ابْنَ نَبِيِّكَ وَحُجَّتِكَ عَلَيَّ خَلْقِكَ وَاجْمَعْنِي وَإِيَّاهُ فِي جَنَّتِكَ واحشُرْني مَعَهُ وَفِي حِزْبِهِ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أَوْلِيكَ رَفِيقاً وَأَسَدَ تَوَدُّعِكَ اللهُ وَأَسْتَرْعِيكَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ أَمَّنًا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَمِمَّا حِجَّتَ بِهِ، وَدَلَّلَتْ عَلَيْهِ، فَاکْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ". (1)

واعلم أيّها الزائر العزيز أنّ أفضل الزيارات التي يُزار بها أيّ من الأئمة عليه السلام من قريب أو بعيد هي الزيارة الجامعة الكبيرة (2) المنقولة عن الإمام الهادي عليه السلام، وقد أكّد الكثير من العلماء علي المواظبة علي قراءتها في جميع المشاهد المشرفّة، وهذه الزيارة قد أوردتها العلماء في كثير من كتب الأدعية والزيارات، كما أنّه أفضل صلاة يصلّيها الزائر بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام أو غيره من الأئمة عليهم السلام هي صلاة جعفر الطيار. (3)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 475

-
- 1- (1) مفاتيح الجنان، باب الزيارات، الفصل التّاسع في فضل زيارة إمام الإنس والجان، نقلاً عن البلد الأمين.
 - 2- (2) الزيارة الجامعة الكبيرة: صرّح العلامة المجلسي ووالده أنّ الزيارة الجامعة الكبيرة هي أرقى الزيارات متناً وسنداً، ويقول والده: إنّي لم أزر الأئمة عليهم السلام ما دمت في الأعتاب المقدّسة إلّا بها.
 - 3- (3) صلاة جعفر الطيّار: قد ذكر الشيخ عباس القمي كيفية أدائها في كتابه (مفاتيح الجنان) ضمن أعمال يوم الجمعة فراجعها.

الرّوضة الرّضوية المقدّسة: لقد أطلق هذا الإسم علي الحرم المطّهر للإمام الرضا عليه السلام ومجموع المباني الملحقة به وتاريخه يعود إلي عصر دولة ال بويه (الديالمة) ومن قبلها لم يحدث بناء علي المقام قابل للذكر، فقام عماد الدولة الديلمي عام 400 هـ - ببناء المرقد الرضوي مع مأذنة، وقد تعرض المقام إلي التخريب والترميم في العصر الغزنوي والسلجوقي والخوارزمي، وفي العصر المغولي قام السلطان محمد خدا بنده (الجايون ارغون) عام 703 هـ - ببناء القبة الموجودة حالياً علي المقام.

وفي العصر التيموري عام 821 هـ - قامت گوهرشاد خانم زوجة شاهرخ ببناء دار السيادة ودار الخزانة ودار الحفظ وبناء ثلاث مدارس هي: (پريزاد)، (بالاسر) و (دودر) وتم بناء أول جامع في مشهد جنب المقام إشتهر بإسمها (مسجد گوهرشاد)، وفي الفترة (912-875 هـ -) قام السلطان حسين بايقرا ببناء الصحن القديم وتم أساس الأيوان الذهبي.

وفي العصر الصفوي اكتمل الأيوان الذهبي، وكان الإهتمام في تجميل الروضة منها طلي القبة والمنارة بالذهب، وفي عهد الافشاريين تم تذهيب منارة العهد الغزنوي واقامة منارة أخرى وإنشاء مستودع الماء الذي يتوسط الصحن القديم، وفي عهد القاجاريين بني الصحن الجديد وطلّي ايوانه بالذهب واكسيت الجدران والسقوف بالمرايا، وفي عصر البهلوي أنشئت اروقة جديدة وبناء المتحف والمكتبة المركزية والمبني الإداري.

ص: 476

1- (1) مصادر معلومات هذا العنوان هي: عيون أخبار الرضا عليه السلام وكتاب منتهي الآمال وكتاب منتخب التّواريخ وكتب متفرقة أخرى.

وبعد الثورة الإسلامية المباركة، قامت الجمهورية الإسلامية وشعبها الموالي لأهل البيت عليهم السلام بعمارة هذا المقام وتوسعته من جميع الجوانب ضمن مخطط جامع ومشروع متكامل يتسع إستقطاب الملايين من زوّار هذا الإمام الهمام طوال السنة من داخل البلاد وخارجها.

المكتبة و المتحف الرضوي: يضمّ بلاط القدس الرضوي مكتبة تضم المخطوطات والعديد من الكتب المطبوعة في شتي المواضيع وبعده لغات، كما يضم متحفاً فيه الأشياء النفيسة للغاية، من المصاحف واللوحات الفنية والسجادات الزاخرة، وهناك متاحف أخرى في مدينة مشهد كمتحف الملك نادريقع جنب قبر منسوب إليه في حديقة تقع قرب الحرم الرضوي.

الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية: تقع الجامعة بجوار الحرم القدسي الشريف ويدرس فيها طلبة العلوم الدينية من إيران ومختلف أقطار العالم الإسلامي، وهناك مجموعة من المدارس الدينية تقع بجوار الحرم القدسي منها مدرسة نواب.

مراقده بعض العلماء: يضم الروضة المقدسة مدفن مجموعة من العلماء فمن أراد التعرف عليهم فليراجع كتاب الفوائد الرضوية أو كتاب منتخب التواريخ ونكتفي هنا بذكر المشهور منهم:

1 - الشيخ الطبرسي (الفضل بن الحسن) رحمه الله: ولد في عام 472 هـ - وتوفي سنة 548 هـ - ودفن بجوار الإمام الرضا عليه السلام وله قبة معلومة، وقام بتأليفات عديدة أشهرها كتاب تفسير (مجمع البيان)، وله حكاية غريبة في كيفية تأليفه حيث أصابته السكتة فظنوا به الوفاة فدفنوه فأفاق في القبر فنذر إن خلّصه الله يؤلف تفسيراً للقرآن فأنجاه الله بيد نباش القبر فوفي بنذره، (راجع تفصيل الحكاية في مقدمة تفسيره أو كتاب رياض العلماء).

2 - الشيخ الحر العاملي رحمه الله: هو الشيخ حسين بن علي، ينتهي نسبه إلي حربن يزيد الرياحي، ولد سنة 1033 هـ - في قرية مشغرة من قري جنوب لبنان وسكن فترة في إصفهان ثم هاجر إلي مشهد وسكنها ستة وعشرون سنة إلي أن وافاه الأجل في 21 /شهر رمضان/ عام 1114 هـ -، ودفن في الصحن العتيق لحرم الإمام الرضا عليه السلام، كتابه (وسائل الشيعة) مرجع فقهي مهم لطلاب الحوزة في مرحلة (بحث الخارج).

3 - الشيخ البهائي رحمه الله: إسمه محمد، ولقبه بهاء الدين، واشتهر بالشيخ البهائي العاملي، وقد ولد سنة 953 هـ - في بعلبك في بقاع لبنان، وأبوه الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي الجبعي الحارثي، فيرجع نسبهما إلي الحارث الهمداني من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والمخاطب بقوله عليه السلام " يا حار همدان من يمت يرني "، ولقد هاجر الشيخ البهائي مع والده إلي إيران وكان عمره سبع سنوات، وتعلم علي يد والده وعلماء قزوین وإصفهان وتبحر في أغلب العلوم، وحصل علي أكبر منصب للعلماء في ذلك العصر، وهو شيخ الإسلام في الدولة الصفوية علي عهد الشاه عباس الأول بإصفهان، وتوفي فيها سنة 1030 هـ - عن عمر بلغ (77 عاماً) ودفن بجوار إمامه الرضا عليه السلام في دار أعدّها هو لنفسه.

واشتهر الشيخ البهائي باختراعاته العلمية العجيبة كهندسة أبنية المشهد العلوي والرضوي، والمسجد الجامع بإصفهان الذي يتكرّر فيه الصوت، والحمام الذي كان يسخن ماؤه بشمعة واحدة وقد خرّبه الأجنب إثري عملية التحقيق.

مزارات بعض الصّالحاء: مزار بيربالان دوز رحمه الله كلمة بالان دوز تعني: (سراج) لأنّه كان يعمل سراجاً ولشدة إيمانه وتقواه قد ظهرت منه بعض الكرامات بحيث عدّ من الصّالحاء، ويقع مرقد جنب الحرم وتعلوه قبة بنيت في عهد الصفوية سنة 985 هـ -، و مزار الشيخ محمّد مؤمن رحمه الله وعليه قبة خضراء (كنبد سبز) بنيت سنة 1091 هـ -، وينقل له بعض الكرامات ويقع المزار في شارع آخوند الخراساني.

مزار (خواجه ربيع) رحمه الله: هو ربيع بن خثيم الكوفي أحد التابعين ويعد من الزهاد الثمانية في الإسلام، وهو من الذين شاركوا في الجهاد مع أمير المؤمنين عليه السلام في بعض حروبه ومنها صفين ولكن يقال بأنه لم يستمر وطلب من الإمام عملاً آخر فوجهه الإمام إلي ثغر الرّي أو ولاية قزوین وقد توفي خواجه ربيع سنة 63 هـ - في طوس ودفن فيها، ويقع مرقده في ضواحي مدينة مشهد.

مزار يحيي بن زيد عليه السلام: ينسب مزار ليحيي بن زيد في ميامي التي تبعد عن مشهد حوالي ستين كيلو متراً، كما يوجد له مزار آخر في مدينة جرجان القديمة قرب مدينة گنبد کاووس في محافظة گلستان في شمال إيران، ويذكر له مرقده آخر في جوزجان أفغانستان وهو أقرب للصواب كما جاء في قصيدة دعبل التائية.

وقد شارك يحيي مع أبيه في معاركه مع الأمويين، وحينما استشهد أبوه كان عمره لم يتجاوز العشرين، وقد خرج من الكوفة الي الرّي ومنها الي خراسان، وفي جوزجان دارت معركة بينه وبين أنصار الأمويين حتي قتل يحيي وأصحابه واحترّ رأسه وصلب علي باب مدينة جوزجان حتي خرج أبو مسلم الخراساني فأنزله ودفنه، وأمّا رأسه فقد أرسل إلي الوليد بن يزيد في الشام فأرسله الوليد إلي أمه ريطة في المدينة، وكان مصرعه سنة 125 هـ - بعد مضي خمس سنوات علي مصرع أبيه.

خواجه أبا الصلت الهروي رحمه الله: ابوالصلت عبدالسلام بن صالح الهروي، هو من نسل سبي فتح هراة عام (33 هـ -)، وقد ولد في المدينة ودرس وسمع الحديث من علمائها، ثمّ قدم غازياً إلي مرو، فلمّا رآه المأمون وسمع كلامه جعله من خاصّته، ثمّ بعثه في وفدٍ إلي المدينة ليصحب الرضا عليه السلام إلي مرو، ثمّ صحّبه وخدمه ثلاث سنوات في مرو وروي عنه كثيراً ولشدة تقربّه للإمام عليه السلام غضب عليه المأمون وأبعده إلي هراة

وتوفي فيها سنة 236 هـ -، ويذكر له عدة مرقد، في هراة وهو الأقرب للصواب لنفيه إليها، وفي الطريق المؤدي إلي نيسابور، وفي قم وسمنان. (1)

مرقد الشاعر أبي القاسم الفردوسي رحمه الله: إسمه حسن بن اسحاق، ولقب بحسّان العجم، ولقب بالفردوسي من قبل السلطان محمود الغزنوي و وعده أن يعطيه مقابل كل بيت من شعره الحماسي باللغة الفارسية الأصيلة مثقال ذهب فبعد إتمام ديوانه المسمي بالشاهنامه، وهو يحتوي علي ستين ألف بيت، أخلف السلطان وعده لمّا تبين له من خلال أشعاره أنّه شيعي إمامي، فهجاه فردوسي بأبيات معروفة، ثمّ تركه وسكن وطنه طوس إلي أن وافاه الأجل سنة 411 هـ - ودفن فيها، وهي تبعد عن مدينة مشهد 20 كيلو متراً، وله مزار مشهور.

توجد هناك مزارات تبعد عن مدينة مشهد بمسافات قليلة، كمزار السّادات الخمس (بنج تن) في قرية تباكان، ومزار السّيدان ياسر وناصر في منطقة شانديز، وهناك معالم دينية أخرى في مشهد وضواحيها تركنا ذكرها للاختصار، وهناك مزارات في بعض مدن محافظة خراسان كمدينة نيسابور وسبزوار (بيهق) تطرقنا إلي بعضها باختصار في حواشي الكتاب فليراجع.

ص:480

1- (1) راجع قاموس الرّجال 1:159، وكتاب منتخب التّواريخ: 709 و موسوعة التاريخ الإسلامي 7:13.

المصباح الحادي عشر: قبسات من أنوار الإمام الجواد عليه السلام

إشارة

ص:481

المشهور بين المؤرخين أن الإمام الجواد عليه السلام ولد في المدينة المنورة سنة (195 هـ -) يوم الجمعة لعشر خلون من رجب وعليه العمل (1)، وقد صرّحت بعض الأدعية به، فقد جاء: " اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب محمد ابن علي الثاني، وابنه علي بن محمد المنتجب" (2)، وذهب بعضهم إلي أنّ ولادته كانت في (15) أو (19) من شهر رمضان (3). أبوه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وأمه سبيكة النوبية (4)، وكان اسمها درة، وقد سمّاها الإمام الرضا بعد ذلك ب - (خيزران)، وهي من آل مارية القبطية زوج النبي صلي الله عليه وآله (5)، وكانت امرأة فاضلة تمتعت بفضائل أخلاقية سامية، حتي قال الإمام الرضا عليه السلام في حقها: " قُدست أمّ ولدته (أي: الجواد) قد خلقت طاهرة مطهرة" (6).

ص: 483

-
- 1- (1) راجع: إعلام الوري: 344. مصباح المتهدج: 804.
 - 2- (2) مفاتيح الجنان: أدعية شهر رجب.
 - 3- (3) أصول الكافي 1: 492، والإرشاد: 316.
 - 4- (4) وبلاد النوبة من بلاد السودان، ولذا كان الجواد عليه السلام أسمر شديد السمرة.
 - 5- (5) أصول الكافي 1: 492. المناقب لابن شهر آشوب 4: 379، أعيان الشيعة 2: 32.
 - 6- (6) بحار الأنوار 15: 50، إثبات الوصية، للمسعودي: 209.

تزوج الإمام الجواد عليه السلام أولاً بأماً الفضل بنت المأمون ولم ينجب منها مولوداً، فتزوج بعدها بأماً ولد تسمي سمانة المغربية، ورزق منها أربعة أبناء وهم الإمام علي الهادي عليه السلام، وموسي المبرقع،⁽¹⁾ وأبو أحمد الحسين، وأبوموسي عمران وأربعة بنات هن: فاطمة وخديجة، وأم كلثوم، والسيدة حكيمه⁽²⁾، ويظهر من (تاريخ قم) أن زينب وأم محمد وميمونة كنّ من بنات الجواد عليه السلام أيضاً⁽³⁾.

يكنّي الإمام الجواد عليه السلام بأبي جعفر الثاني تمييزاً له عن جده الإمام الباقر عليه السلام الذي كان يكنّي بأبي جعفر أيضاً، ولقب بالجواد، لكثرة ما أسداه من الخير والبر والإحسان

ص:484

1- (1) موسي المبرقع: هو ابن الإمام الجواد عليه السلام بلا واسطة وكان من السادة الأجلاء الأتقياء، ولجماله كان يتبرقع فلقب بذلك، وهو أول من جاء من الكوفة من السادات الرضوية إلي قم سنة 256 هـ - وسكن فيها، ثم جاء من بعده أخواته زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد عليهم السلام، ثم بريهة بنته وقد دفن عند مرقد السيدة المعصومة عليها السلام. وتوفي موسي المبرقع في الثامن من ربيع الأول سنة 296 هـ - ودفن في منزله في حي الموسويين، ودفن بجنبه حفيده أحمد بن محمد، و بجواره في بقعة أخرى دفن ابنه محمد وزوجته بريهة بنت جعفر الكذاب و مجموعة من السادة والعلويات من أعقاب أحفاد موسي المبرقع وبعض السادات الرضوية في مقبرة جهل أختران (الأربعين نجماً)، ويقع المقام في شارع آذر (الطالقاني). راجع: (ترجمة تاريخ قم: 312، الباب 3، الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار ج 219:57، ومنتهي الآمال 2:453، الفصل 6).

2- (2) السيدة حكيمه: كانت هذه السيدة تمتاز عن سائر بنات الامام الجواد عليه السلام بالفضائل و المناقب الكثيرة و لقد أدركت أربعة من الأئمة عليهم السلام و لقد أودع الامام الهادي عليه السلام نرجس أم صاحب الزمان (عجل الله فرجه) إليها كي تعلمها معالم الدين و أحكام الشرع و تربيها بالآداب الالهية. وكانت قابلة صاحب الزمان عليه السلام، و قبرها في سرّ من رأي في قبة العسكرين قدس سره جنب الضريح، و لها ضريح خاص و قد صرح العلماء باستحباب زيارتها. راجع: (منتهي الآمال 2: الباب 11، الفصل 6).

3- (3) راجع: منتهي الآمال 2: الباب 11، الفصل 6، نقلاً عن كتاب تحفة الأزهار في نسب أبناء الأئمة الاطهار عليهم السلام للسيد الفاضل النسابة السيد ضامن بن شدم الحسيني المدني) وراجع: (ترجمة تاريخ قم: 312، الباب 3، الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار ج 219:57).

إلي الناس، كما لُقّب بالتقي، وباب المراد، وقد عُرف بالأخير بين عامة المسلمين لقناعتهم بأنه باب من أبواب الرحمة الإلهية، حيث كانت ملامحه عليه السلام كملامح آبائه التي تحكي ملامح الأنبياء(1).

تولّي منصب الإمامة بعد شهادة أبيه الرضا عليه السلام، وكان في الثامنة من عمره، وكان ذلك في سنة (203 هـ -)، وكانت ظاهرة الإمامة المبكرة لأهل البيت غير مألوفة للشيعة، فضلاً عن غيرهم فأوجبت إمامته بهذا السن المبكر اضطراباً بين بعض رجالات الشيعة، فأظهر الله المعجزات القاطعة، والبراهين الساطعة والحجج الباهرة، فأجلّه وسلّم بفضله جميع من عرفه فضلاً عن شيعته ومحبيه.

وقد عاصر الإمام الجواد عليه السلام في فترة إمامته خليفتين، هما المأمون والمعتصم، وقد دامت إمامته (17 سنة)، واستشهد عليه السلام في آخر ذي القعدة سنة (220 هـ -) ببغداد متأثراً بسم دسّه إليه المعتصم علي يد زوجته أمّ فضل، ودفن في مقابر قريش في بغداد إلي جانب قبر جده الإمام الكاظم عليه السلام(2).

ص:485

1- (1) مستدرک عوالم العلوم 27:23.

2- (2) راجع الإرشاد: 322، وبحار الانوار 17:50.

يتبين من خلال دراسة حياة الأئمة أنهم كانوا يواجهون ظاهرة الإمامة المبكرة وكانت واقعية في حياتهم وكانوا يدحضون التشكيكات بما نصّ عليه القرآن الكريم من نبوة يحيى وهو صبي، قال تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) 1 ، و نبوة عيسى وهو في المهدي، في قوله تعالى: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) 2 ، ويقول بعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلي من؟ قال: إلي أبي جعفر ابني. فكان القائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر" (1).

وعن علي بن أسباط قال: قدمت المدينة، وأنا أريد مصر، فدخلت علي أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام، وهو إذ ذاك خماسي، فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر، فنظر إلي، وقال: يا علي إن الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوة، فقال سبحانه في يوسف: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) 4 ، وقال عن يحيى: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) 5 - (2).

ص: 486

1- (3) أصول الكافي 1: 322، الإرشاد: 319، كشف الغمة 3: 141، وبحار الأنوار 21: 50.

2- (6) مرآة العقول، للمجلسي 4: 250.

نعم تولي الإمام الجواد عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام إمامة المسلمين في صغر سنه وكان عمره آنذاك ثمانين سنين وهذه الإمامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإبنة الإمام الهادي عليه السلام تولي الإمامة في التاسعة من عمره وحفيده الإمام المهدي عليه السلام تولي الإمامة وهو في سن الخامسة من عمره وحينئذ لم يعد هناك اعتراض فيما يخص الإمامة المبكرة للإمام الجواد عليه السلام وكما تقدّم يكفي دليلاً ومثالاً لظاهرة الإمامة المبكرة نبوة يحيى وهو صبي (1) ونبوة عيسى وهو في المهد (2) فإنّ الله الذي أعطي يحيى الحكم وهو صبيّ وأعطي النبوة لعيسى عليه السلام وهو في المهد صبياً قادر علي إعطاء الإمامة لعدد من أوليائه ومنهم الإمام الجواد عليه السلام وهو في سن الصبا.

ولقد أذّي صغر سن الإمام الجواد عليه السلام إلي كثرة المناظرات والحوارات معه، وقد كان لبعضها صدي كبيراً، لما كان يدحض فيها من الشبهات التي كانت تثار في ذلك الوقت مع الكثير من المعتزلة، وقد كان الكثير من الناس بما فيهم بعض الشيعة يطرحون عليه أسئلة معقّدة وغامضة ظناً منهم أنه لا يتمكن من الإجابة عليها، ولكنه عليه السلام كان يجيب عن آخرها، بل ويضيف بعض الشقوق ويكثر في تعميق التساؤلات وتعقيدها بحيث لا يستطيع أن يدرك إجابتها جميع المناظرين.

وبما أنّه كان الإمام الجواد عليه السلام أول إمام يبلغ الإمامة في طفولته، فمن الطبيعي أن يكون مشاراً للتساؤل والجدل بين صفوف المسلمين، فكيف يمكن لصبي أن يتحمل مسؤولية إمامة المسلمين؟!، ولذا فقد أخذت الأسئلة تتوارد عليه حتي قيل إنه سئل في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة (3) وكان في إجاباته مع صغر سنه كرامات جذبت إليه قلوب الناس، وقد يستغرب المرء هذا المقال حول الإمام الجواد عليه السلام مع أنه تواتر

ص: 487

1- (1) سورة مريم: 12.

2- (2) سورة مريم: 29، 30.

3- (3) أصول الكافي 1: 496، المناقب 2: 430.

به النقل، ورواه العلماء في كتبهم، وهذا ليس بكثير علي الإمام الجواد عليه السلام وهو الوارث لأبائه عليهم السلام علماً وفهماً، لكن الشيخ المجلسي رحمه الله، يقول في بحار الأنوار تعليقاً علي ما قيل في أنه عليه السلام أجاب علي (30000) مسألة في مجلس واحد، بأمور هي: أولاً: إن الكلام محمول علي المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة.

ثانياً: يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متفقة، فلما أجاب عن واحد فقد أجاب عن الجميع.

ثالثاً: أن يكون إشارة إلي كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة، المشتملة علي الأحكام الكثيرة. (1)

ص: 488

1- (1) بحار الأنوار 12: 120.

القبي الثالث: مناظرة الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم

لما قدم المأمون بغداد أشخص الجواد عليه السلام إليها سنة (211 هـ -) وله ست عشرة سنة، واقترح عليه الزواج بابنته أم الفضل، (1) وكان غرضه من هذا الزواج التخفيف من وطأة الظروف السياسية الحرجة التي سببها انكشاف قتلة الإمام الرضا عليه السلام عند العلويين، فثار غضبهم وانزعجوا من ذلك كثيراً، فلاحظ المأمون أنّ هناك خطراً آخر قد يهدد حكمه، وهو وجود الإمام الجواد وإتفاف الشيعة حوله فعمد إلي تزويج الجواد من ابنته ليتقرب بنفسه إلي أهل البيت عليهم السلام، ويسكّت العلويين، وتنقل له ابنته عن قرب جميع ما يجري مع الإمام عليه السلام، وقد واجه المأمون معارضة شديدة في ذلك من العباسيين حتي قالوا له: إنّ هذا الفتى صبي لا معرفة له ولا فقه، فقال المأمون: ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالي، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله، فاختر بنو العباس يحيى بن أكثم من بين جميع العلماء لشهرته العلمية، وقد جاء يحيى ومعه وفود العلماء فقال له يحيى: ما تقول في محرم قتل صيداً؟

فقال الإمام الجواد عليه السلام: "قتله في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حراً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات

ص: 489

1- (1) في سنة (211 هـ -) كان ذلك عقداً فقط، وأمّا الزفاف كان في سنة (215 هـ -) عند مارحل المأمون لغزو الروم فوصل إلي تكريت لحقه صهره الإمام الجواد عليه السلام من المدينة، وكان مع المأمون أهله وأولاده وبناته وفيهن أم الفضل التي كان قد عقدها له من قبل، فأمر أن يُعدّ له دار، فأعدت له دار أحمد بن يوسف علي شاطئ دجلة، فأمر أن تحمل ابنته أم الفضل إليه في تلك الدار، فحملت إليه وأدخلت عليه، فأقام بها إلي أن خرج بأهله وعياله لأيام الحجّ إلي مكة وعمر الجواد عليه السلام يومئذ في العشرين عاماً. (المجلد الثامن من موسوعة التاريخ الإسلامي نقلاً عن: دلائل الإمامة: 206، و تاريخ الطبري 8: 623).

الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصراً علي ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟"، فتحيّر يحيي بن أكثم من كل هذه الفروع التي فرّعها الإمام الجواد عليه السلام علي هذه المسألة، وبان في وجهه العجز والانتقطاع ولجلج وتعتع في الكلام حتّى عرف جميع أهل المجلس أمره، فطلب المأمون من الجواد عليه السلام أن يجيب عن جميع هذه الشقوق، فأجاب عنها، فقال المأمون: الحمد لله علي هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ نظر إلي أهل بيته، فقال: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرون(1).

ويزيد علي الخبر المذكور الشيخ المفيد حيث يروي: بأنّ المأمون قال لأبي جعفر عليه السلام: يا أبا جعفر! فإن رأيت أن تسأل يحيي (كذا) عن مسألة كما سألك! فقال أبو جعفر ليحيي: أسألك؟ قال: ذلك إليك - جعلت فداك! - فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلاّ استفتدته منك!

فقال أبو جعفر عليه السلام: خبرني عن رجل نظر إلي امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له. ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيي بن أكثم: لا والله ما أهتدي إلي جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه! فإن رأيت أن تفيدينا.

ص:490

1- (1) مناظرة معروفة ومشهورة راجع تفصيلها في الإرشاد: 319، وإعلام الوري: 352، وإثبات الوصية: 216، وله عليه السلام الكثير من هذه المناظرات فمن رام الاطلاع فليراجع الاحتجاج 2:247، وبحار الأنوار 50:74.

فقال أبو جعفر عليه السلام: " هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كَفَّرَ عن الظهر فحلّت له، فلمّا كان نصف الليل طَلَّقَهَا واحدة، فحرمت عليه، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له ".

قال الريّان: فأقبل المأمون علي من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟! أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟!

قالوا: لا والله، وإن أمير المؤمنين أعلم وأري.

فقال لهم: ويحكم! إنّ أهل هذا البيت "خُصُّوا من الخلق بما ترون من الفضل! وإنّ صِدْرَ السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال! أما علمتم أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله بايع الحسن والحسين قدس سره وهما ابنا دون الستّ سنين، ولم يبايع صبيّاً غيرهما! أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذريّة بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟!

فصدّقوه، ثمّ نهض القوم... وانصرفوا وهم أغنياء بالعطايا والجوائز، وأمر المأمون بالصدقة علي كافّة المساكين... وأخذ يكرم أبا جعفر عليه السلام ويعظم قدره ويؤثره علي ولده وجماعة أهل بيته(1).

ص: 491

1- (1) الإرشاد 2: 286-288 عن القمي عن الريان بن شبيب خال المعتصم.

القِس الرابع: الحوار بين الإمام الجواد عليه السلام و يحيى بن أكثم

في عام (212 هـ-) أعلن المأمون القول بتفضيل علي عليه السلام علي الناس بعد النبي صلي الله عليه و آله، وأنّه طلب من قاضيه يحيى بن أكثم التميمي البصري المروزي أن يجمع له عشرين من محدثي بغداد وعشرين من متكلميها ليحاجّهم فيتمّ عليهم حجته في ذلك، وكأنّه لا دور لقاضيه ابن أكثم في ذلك إلاّ دعوتهم ثم رواية خبرهم(1).

وبعد ثلاثة أعوام في سنة (215 هـ-)، تکرّر مصعّر ذلك الحوار بين القاضي ابن أكثم والإمام الجواد عليه السلام بمحضر المأمون في مدينة تكريت حيث أرسل خبره الطبرسي في الاحتجاج(2) فقال: روي أنّ المأمون بعد ما زوج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرون، إذ التفت ابن أكثم إلي الجواد عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله! ما تقول في الخبر الذي روي: أنّ جبرئيل نزل علي رسول الله وقال له: يا محمد، إنّ الله عزّ وجل يقرئك السلام ويقول لك: إني راض عن أبي بكر فسله هل هو راضي عني! فقال أبو جعفر عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب علي صاحب هذا الخبر أن يأخذ بمثال الخبر الذي قاله رسول الله صلي الله عليه و آله في حجة الوداع: " قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده

ص:492

1- (1) نقل خبر تلك المناظرة بين المأمون وجمع من العلماء، الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام 2:184، بل نقل الخبر قبل الصدوق أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي القرطبي المرواني المالكي (م 328 هـ-) في كتابه العقد الفريد 5:90، عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد.

2- (2) الاحتجاج 2:245، و انفرده به الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي (م 620 هـ - تقريباً) ولم يذكر سنده بعد ما قال في مقدمته لكتابه: «ولا تأتي في أكثر ما نوره من الأخبار باسناده؛ إما لوجود الإجماع عليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المؤلف والمخالف، أو لموافقته لما دلت العقول عليه»

من النار! فإذا أتاكم حديث عني فاعرضوه علي كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به " .

قال عليه السلام: وهذا الخبر لا يوافق كتاب الله؛ فقد قال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) 1 فالله عزّ وجل (هل) خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتي سأل عن مكنون سرّه؟! هذا مستحيل في العقول!

فقال يحيي: وقد روي عنه قال: إنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثّل جبرئيل وميكائيل في السماء!

فقال: وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه: لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما (أبو بكر وعمر) قد أشركا بالله عزّ وجل وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما (النبيّ) بهما!

قال يحيي: وقد روي عنه أيضاً: أنّهما سيّدا كهول أهل الجنة! فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر مُحال أيضاً، لأنّ أهل الجنة كلهم شباب بلا كهول، وقد وضع بنوا أمية هذا الخبر مضادة للخبر الذي قاله رسول الله في الحسن والحسين قدس سره: بأنهما سيّدا شباب أهل الجنة.

فقال يحيي: وروي عنه قال: إنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة!

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً مُحال؛ لأنّ في الجنة ملائكة الله المقرّبين وجميع الأنبياء والمرسلين (من) آدم (إلي) محمد صلي الله عليه و آله، فلا تضيء الجنة بأنوارهم حتي تضيء بنور عمر؟!

فقال يحيى: وقد روي عنه قال: إنَّ السكينة تنطق علي لسان عمر!

فقال: لست بمنكر فضل عمر ولكن أبا بكر أفضل من عمر! وقد قال علي المنبر: إنَّ لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسددوني!

فقال يحيى: وقد روي عنه قال: لو لم ابعث لبعث عمر!

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، والله يقول في كتابه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) 1 فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه؟ وكل الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟!

فقال يحيى: وقد روي عنه أيضاً قال: ما احتبس الوحي عني قط إلا ظننته نزل علي آل الخطاب!

فقال عليه السلام: وهذا مُحال أيضاً؛ لأنه لا يجوز أن يشك النبي في نبوته؛ قال الله تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) 2 فكيف يجوز أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلي من أشرك به؟!

قال يحيى: وروي أنه قال: لو نزل العذاب لما نجي منه إلا عمر!

فقال عليه السلام: وهذا مُحال أيضاً؛ لأنَّ الله تعالى يقول: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) 3 فأخبر أنه لا يعذب أحداً مادام فيهم رسول الله وماداموا يستغفرون.

القبس الخامس: حكم الجواد عليه السلام في حد السرقة

كان المسلمون قد سمعوا عن رسول الله صلي الله عليه وآله: أن من نكذ فيه الحد الشرعي في الدنيا تائباً فقد طهر من ذنبه ولا شيء عليه، وسرق سارق علي عهد المعتصم وندم فأقر علي نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، وأمر المعتصم بجمع الفقهاء لذلك بما فيهم الجواد عليه السلام. فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وأحضر فيهم محمد بن علي الجواد عليه السلام. فسألهم المأمون: في أي موضع يجب أن يُقطع؟

والراوي للخبر هو الزرقان أبو جعفر الزيّات صاحب أحمد بن أبي دؤاد قاضي المعتصم، قال: فقلت: من الكرسوع (أي الزند) قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: لأنّ اليد في الأصابع والكفّ إلي الكرسوع لقول الله في التيمم: (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) 1 قال: وافق قوم معي علي ذلك.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق! قال: وما الدليل علي ذلك؟ قالوا: لأنّ الله لما قال: (وَ أَيْدِيكُمْ إِلَي الْمِرْفَقِ) 2 في الغسل دل ذلك علي أنّ حدّ اليد هو المرفق!

قال: فالتفت المعتصم إلي محمد بن علي فقال له: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين!

قال: دعني ممّا تكلموا به! أي شيء عندك؟

قال: أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين!

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه!

فقال: فأما إذ أقسمت عليّ بالله، فإني أقول: إنهم أخطؤوا فيه السنة؛ فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف.

قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلي الله عليه وآله: " السجود علي سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين " فإذا قُطعت يده من الكُرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) 1 يعني بها هذه الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) 2 وما كان لله لا يُقَطع! قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي دؤاد: فقامت قيامتي وتمنيت أن لم أكن حياً! وبعد ثلاثة أيام صرت إلي المعتصم فقلت له: إن نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة! قال: وما هو؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عنده من الحكم في ذلك، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزراؤه وكتّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته ويدعون أنه أولي به بمقامه! ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!

قال: فتغيّر لونه! وانتهى لما نَبهته له وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً! وفي اليوم الرابع أحضر فلاناً من كتّابه ووزرائه وأمره بأن يدعو محمد بن علي إلي منزله فيطعمه فيسمّه! فدعاه الرجل فأبي وقال له: قد علمت أني لا أحضر مجالسكم!

فقال له: إنني إنما أدعوك إلي الطعام وأحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك؛ وقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك! فصار محمد بن علي إليه، فلمّا طعم من طعامه أحسّ بالسمّ! فدعا بدابّته، فسأله رب المنزل أن يقيم! فقال له: خروجي من دارك خير لك (1)!

ص: 496

استقدم المأمون الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد سنة (211 هـ) وله ست عشرة سنة وعقد ابنته أم الفضل عليه وتزوجها سنة (215 هـ) في تكريت العراق وخرج بأهله وعياله لأيام الحج إلى مكة، وعمر الجواد عليه السلام يومئذ في العشرين عاماً، ثم رجع مدينة جدّه وسكن فيها إلى أن توفي المأمون سنة (218 هـ) فاستلم أخوه المعتصم الخلافة من بعده وأول خطوة قام بها هو استدعاء الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد سنة (220 هـ)، فخرج الإمام عليه السلام مع أهله قاصداً بغداد فوصلها في الثامن والعشرين من المحرم من ذلك العام، وحيث كان المعتصم يخشي بقاء الإمام حيّاً، جعل يعمل الحيلة في قتله عليه السلام.

قال المسعودي: لما ورد أبو جعفر العراق لم يزل المعتصم وابن أخيه جعفر ابن المأمون أخو أم الفضل لأبيها وأمها، يعملان الحيلة لقتله! وكان جعفر أخوها قد وقف علي انحرافها عنه وغيرتها منه لتفضيله ام أبي الحسن الهادي عليها وشدة حبه لها، وهي لم ترزق منه ولدًا فقال جعفر لأخته في ذلك فأجابته إليه. وكان أبو جعفر يعجبه العنب الرازقي، فجعلوا له سمّاً في شيء من عنب رازقي، فلما أكل منه ندمت وبكت! فقال لها: ما بكأوك؟! والله ليضربنك الله بفقر لا ينجر وبيلاء لا ينستر! فبليت هي بعلة كما قال، وسكر جعفر فتردّي في بئر وأخرج ميتاً(1).

ص:497

1- (1) إثبات الوصية المنسوب للمسعودي: 209 و 220، ونقله المجلسي عن عيون المعجزات في بحار الأنوار 16:50، ونحوه في دلائل الإمامة: 394.

وروي: أن أم الفضل بنت المأمون سمّته بمنديل مسموم للتنظيف بعد اجتماعه بها! فلماً أحسّ بذلك قال لها: أباك الله بداء لا دواء له، فاعتلت كذلك (1).

وأثر السمّ في الإمام عليه السلام حتى لفظ انفاسه الأخيرة، وقد انطفأت باستشهاده شعلة مشرقة من الامامة، وجُهِز بدن الإمام عليه السلام فغسّل وأدرج في اكفانه، وبادر الواثق والمعتصم فصلياً عليه (2)، وحمل الجثمان الطاهر إلي مقابر قریش في الكرخ، ودفن جنب قبر جده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان استشهاد الإمام الجواد عليه السلام سنة (220 هـ -) في آخر ذي القعدة وقيل: لست خلون من ذي الحجة، وكان عمر الإمام عليه السلام حين قضي نحبه مسموماً خمساً وعشرين سنة علي ما هو المشهور، وهو أصغر الأئمة سنّاً (3).

وقال الكليني: توفي محمد بن علي - وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر - يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومئتين (4).

وذكر الطبرسي والحلي: توفي الجواد آخر ذي القعدة، فجرى عليه العمل من قبل شيعة إلي يومنا هذا (5).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 498

1- (1) مروج الذهب 3:464، مناقب آل أبي طالب 4:423.

2- (2) ان الصلاة من قبلهما علي الإمام عليه السلام إنما هو للتعظيم الإعلامي علي قتل الإمام عليه السلام فلا شك من حضور الإمام الهادي عليه السلام عند تجهيز أبيه الجواد عليه السلام، والصلاة عليه ودفنه (راجع مسند الإمام محمد الجواد عليه السلام: 125).

3- (3) راجع: الإرشاد: 322، وإعلام الوري 344، وبحار الأنوار 17:50.

4- (4) أصول الكافي 1:497.

5- (5) راجع: إعلام الوري 2:91 و 106، و مناقب آل أبي طالب 4:411.

المصباح الثاني عشر: قبسات من أنوار الإمام الهادي عليه السلام

إشارة

ص:499

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الهادي عليه السلام

ولد الإمام علي الهادي عليه السلام في صريا من قري المدينة(1)، وأكثر المؤرخين علي أنه ولد في سنة (212 هـ -)، وقيل في سنة (214 هـ -)(2)، وقد اختلفوا في الشهر واليوم الذي ولد فيهما، فقيل أنها كانت في منتصف ذي الحجة(3)، والمشهور أن ولادته عليه السلام كانت في اليوم الثاني من رجب أو في الخامس، وقد صرحت بولادته في رجب بعض الأدعية منها: "اللهم إني أسألك بحق المولودين في رجب محمد بن علي الثاني - الجواد - وعلي بن محمد المنتجب - الهادي"(4)، أبوه الإمام الجواد عليه السلام، وأمه السيدة الجليلة أم ولد سمانة المغربية، وكانت من القانتات المتجهّجات، ويكفي في جلالتها أنها كانت المفزع للشيعة في نقل الأحكام الشرعية في أيام الشدة(5).

ويكنى الإمام الهادي عليه السلام بأبي الحسن الثالث تمييزاً له عن الإمامين الكاظم والرضا (أبي الحسن الأول والثاني)، وأشهر ألقابه التقى و الهادي، وعرف هو وابنه الحسن

ص:501

- 1- (1) صريا: قرية تبعد من المدينة ثلاثة أميال (5 كم).
- 2- (2) أصول الكافي 1:497، الإرشاد 2:368، الإتحاف بحب الأشراف: 7.
- 3- (3) علي رواية الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد.
- 4- (4) مفاتيح الجنان: أدعية رجب.
- 5- (5) تاريخ الخميس 2:321، دلائل الإمامة: 216، أصول الكافي 1:298.

بالعسكريين حيث سكنوا في محلة العسكر، وقد تولى منصب الإمامة بعد شهادة أبيه الجواد عليه السلام وكان عمره ثمان سنوات، وكان ذلك في سنة (220 هـ-)، ودامت ثلاثاً وثلاثين سنة(1).

تزوج الامام الهادي عليه السلام بامرأة تسمي سليل أوسمانه، وقيل: اسمها سوسن، وكانت امرأة زاهدة مؤمنة، ورزق منها الحسن العسكري عليه السلام وللهادي أبناء آخرين وهم: السيد محمد(2)، الحسين، وجعفر الكذاب(3) وعلية أو عائشة).

وعاصر الإمام الهادي عليه السلام ستة من خلفاء بني العباس، وهم المعتصم والواثق والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، وله مع كل واحد منهم قضايا لا يتسع المقام لذكرها أجمع، وكان أشدّ هؤلاء عداءً لعلي وآله هو المتوكل العباسي وإليك نماذج من جرائمه وعدائه لأهل البيت وأتباعهم:

ص:502

1- (1) المناقب لابن شهر آشوب 4:432، بحار الأنوار 12:127.

2- (2) السيد محمد: يكتني بأبي جعفر وهو من أجلاء السادة وصاحب كرامات متواترة حتى عند أهل السنة، وكونه أكبر ولد الامام علي الهادي عليه السلام، زعم الشيعة أنه الامام بعد أبيه لكنّه توفي قبل أبيه، وزاره في ثمان فراسخ عن سرّ من رأي قرب قرية بلد.

3- (3) جعفر الكذاب: لقب بالكذاب لأنه ادعي الامامة بغير حق، وباع امرأة حرّة من آل جعفر، والأخبار في ذمّه كثيرة، ونقل عن تاريخ قم أنّ بريهة ابنة جعفر كانت زوج محمد بن موسي المبرقع، فجاءت مع زوجها إلي قم وتوفت بعده ودفنت في مشهده وقبرهما في بقعة تعرف ب (جهل اختران).

القبس الثاني: إشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلي سامراء

لقد عُرف المتوكل ببغضه لآل البيت عليهم السلام وشيعتهم، ففي سنة (236 هـ -) أمر بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وهدم ما حوله من الدور، ومنع الناس من زيارته وأمر بمعاقبة من يتمرد علي المنع، وأن يُعمل مزارع! ومنع الناس من زيارته، فخرّب وبقى صحراء! فتألم الناس من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه علي المساجد والحيطان، وهجاه الشعراء، ومما قيل في هجائه:

بالله إن كانت امية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما

أسفوا علي أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميماً(1)

ولم يقف المتوكل عند حدّ في عدائه ونصبه لأهل البيت عليهم السلام وايداء شيعتهم فقد قتل معلّم أولاده إمام العربية يعقوب ابن السكيت حين سأله: من أحب إليك؟ ولدي المعز والمؤيد أو الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: قنبر (مولي علي) خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتي مات، وقيل أمر بسلّ لسانه فمات، ثم أدّى ديتة إلي ابنه وذلك في سنة (244 هـ -)(2).

وأهم جريمة قام بها المتوكل هو إشخاص الإمام الهادي عليه السلام من مدينة جدّه ووطنه الي سرّ من رأي، سنة (244 هـ -) حسب القول المشهور أي: بعد اثنتي عشرة سنة من سيطرته علي كرسي الخلافة وإليك بيان تلك الحادثة:

ص: 503

1- (1) راجع: تاريخ الخلفاء، السيوطي: 407، 347.

2- (2) راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي: 409.

لقد مارس المتوكل العباسي نفس الأسلوب الذي رسمه المأمون، ثم أخوه المعتصم من إشخاص أئمة أهل البيت عليهم السلام من مواطنهم، وإجبارهم علي الإقامة في مقر الخلافة، وجعل العيون والحراس عليهم، حتي يطلعوا علي دقيق شؤونهم.

وكان المتوكل من أشدّ الخلفاء العباسيين عداءً لعلّي وآله، فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة، ومكانته بين أهلها، وميلهم إليه، فخاف علي نفسه منه، خصوصاً وقد كتب له بريحة العباسي - أحد أنصاره وأزلامه - إن كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منها علي بن محمد، فإنه قد دعا الناس إلي نفسه، وتبعه خلق كثير(1).

فلمّا علم ذلك المتوكل دعي يحيي بن هرثمة بن أعين وسلّمه رسالة إلي الإمام الهادي عليه السلام وقال له: اذهب إلي المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا. قال يحيي بن هرثمة: فذهبت إلي المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً علي علي الهادي، وقامت الدنيا علي ساق، لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلي الدنيا. فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتولّيت خدمته بنفسي، وأحسنّت عشرته، فلما قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان والياً علي بغداد، فقال لي: يا يحيي إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله، و المتوكل من تعلّم فإن حرّضته علي قتله، كان رسول الله خصمك يوم القيامة، فقلت له: والله ما وقعت منه إلاّ علي كل أمر جميل، ثم صرت إلي (سر من رأي)، فلما دخلت علي المتوكل وأخبرته بحسن سيرته وسلامته وورعه وزهادته، وأنّي فتشت داره فلم أجد فيها إلاّ المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة

ص:504

خافوا عليه، فأمر المتوكل به فأنزله في خان يقال له خان الصعاليك، ليوهن الإمام ويقلل من شأنه، فأقام فيه الإمام يومه، ثم تقدم المتوكل فأفرد له داراً، فانتقل إليه، وكان تحت رقابة شديدة(1).

وقد روي عن صالح بن سعيد (الطالقاني) قال: دخلت علي أبي الحسن عليه السلام (في خان الصعاليك) قلت له: جعلت فداك! في كل الأمور أريدوا إطفاء نورك والتقصير بك حتي أنزلوك هذا الخان الأشنع! خان الصعاليك! فقال لي: يا بن سعيد أنت ها هنا؟! ثم أوما بيده وقال: انظر! فنظرت، فإذا أنا بروضات أنقات وجنات باسرات فيهنّ خيرات عطرات وولدان كأنهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيبار وظباء، وأنهار تقور! فحار بصري وحسرت عيني! فقال لي: حيث كنا فهذا لنا عتيد لسنا في خان الصعاليك(2).

قال المفيد: ثمّ تقدم المتوكل بإفراء دار له، فأفردت له فانتقل إليها وأقام مدة مقامه بسامراء مكرماً في ظاهر حاله(3) ولكون الدار في محلة العسكر عُرف بالعسكري نسبةً إليها.

ص: 505

1- (1) راجع: تذكرة الخواص: 448، مروج الذهب 4: 85، إعلام الوري: 348.

2- (2) أصول الكافي 1: 498، الحديث 2، باب مولد الهادي عليه السلام.

3- (3) الإرشاد 2: 311.

روي القمي في تفسيره عن ابن أبي عمير قال: اعتلّ المتوكل علة شديدة، فنذر إن عافاه الله أن يتصدق بدنانير كثيرة أو قال: بدراهم كثيرة فعوفي، فجمع العلماء فسألهم عن ذلك فاختلفوا عليه بين عشرة آلاف إلي مئة ألف، فقال له عبادة (؟): ابعث إلي ابن عمك علي بن محمد بن الرضا فاسأله، فبعث إليه فسأله فقال: الكثير ثمانون، فقالوا له: ردّ إليه الرسول فقل: من أين قلت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى لرسوله: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) وكانت المواطن ثمانين موطناً(1).

ومما وقع في هذه الفترة من قضاء ابن أكرم علي عهد المتوكل ما أخرجه الكليني عن جعفر بن رزق الله قال: رُفِعَ إلي المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم. فقال ابن أكرم: الإيمان يجب ويمحو ما قبله. واختلفوا، فأمر المتوكل أن يكتب إلي علي بن محمد النقي يسأله، فلمّا قرأ الكتاب كتب إليه: "يضرب حتي يموت" فكتبوا يسألون العلة، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ)2 فافتنع المتوكل وأمر به فضرِبَ حتّي مات(2).

ابن السكيت يسأل والإمام الهادي عليه السلام يجيب

لقد شاعت الشهرة الأدبية ليعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي المعروف بابن

ص:506

-
- 1- (1) تفسير القمي 1:284. والآية 25 من سورة التوبة، ونحوه. في كتاب من لا يحضره الفقيه 3:232، ح 1095، وفي التهذيب 317:8، ح 180، وفي الأنساب للسمعاني 4:196.
- 2- (3) فروع الكافي 7:238.

السكّيت، حتي بلغت المتوكل العباسي، فاستقدمه إلي سامراء وتوكل عليه لتأديب ابنه ولتبي عهده المؤيد والمعتز بالله. وكما حاول عمّه المأمون إسكات الرضا عليه السلام بالمسائل التي كان يلقيها عليه بالباشرة أو علي لسان المخالفين من المسلمين أو غيرهم، كذلك حاول ابن أخيه المتوكل مع ابن الرضا الهادي عليه السلام، وكان ذلك في عام (238 هـ -). فأحضر المتوكل ابن السكّيت وقال له: اسأل ابن الرضا (علي بن محمد) مسألة عويصة بحضرتي. ثمّ أحضره ويحيي بن أكثم،⁽¹⁾ فسأله ابن السكّيت قال: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ویده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بإبراء الأكمه والبرص وإحياء الموتى وآلة الطب؟ وبعث محمداً صلي الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ أو قال: بالقرآن والسيف؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى بعث موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان كان الغالب علي أهله السحر، فأتاهم من ذلك بما لم يكن في وسعهم وبما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت به الحجة عليهم. وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في زمان كان الغالب علي أهله الطب، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم وأثبت به الحجة عليهم. وإنّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلي الله عليه وآله بالقرآن والسيف، في زمان كان الغالب علي أهله السيف والشعر، فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وقهر به سيفهم وأثبت الحجة بهما عليهم.

فقال ابن السكّيت: تالله ما رأيت مثلك اليوم قط! فما الحجة علي الخلق اليوم؟

قال عليه السلام: العقل، يُعرف به الصادق علي الله فيصدق، والكاذب علي الله فيكذب.

ص: 507

1- (1) يقول فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي في موسوعته التاريخية: «وبعيد أن يكون المتوكل يجهل تقدّم ابن الأكثم علي ابن السكّيت في أمل إسكات الهادي عليه السلام ولا يعلم بسوابقه مع أبيه الجواد عليه السلام في عهد عمّه المأمون، ويُظنّ أنّه استشعر تشيع ابن السكّيت فأراد إحراجه بإيقافه بوجه إمامه!»!

فقال ابن السكيت: هذا هو والله الجواب(1)! وانفضّ المجلس بخلاف أهداف المتوكل.

ابن أكرم يسأل والإمام الهادي عليه السلام يجب

انفضّ المجلس السابق الذي عقده المتوكل، بخلاف أهدافه، فاغتنمها ابن أكرم وقال للمتوكل: ما لإبن السكيت أن يسكت بمناظرته ابن الرضا الهادي عليه السلام وإنما هو صاحب لغة ونحو وشعر! ثم اقترح عليه أن يسجل مسائل عويصة في قرطاس يعرضها علي المتوكل ثم يحضر ابن الرضا الهادي عليه السلام فيطرحها عليه عسي ولعلّه يتوقف فيها أو في بعضها فيغتمونها ذريعة عليه عليه السلام، ووافقه المتوكل. فاتخذ قرطاساً وسجّل فيه مسائله العويصة: ثلاث عشرة مسألة هي كما يلي مرتباً(2).

1 - ماذا كانت جنة آدم؟ وما كانت الشجرة المنهية؟

2 - كيف سجد يعقوب لابنه يوسف؟ ولماذا؟

3 - من كان (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)3 وكيف عرف ما لم يعرفه سليمان؟ ولماذا؟

4 - من المخاطب بقوله سبحانه: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ)4.

ص: 508

-
- 1- (1) أصول الكافي 1:24، 25، الحديث 20، باب العقل والجهل بدون طلب المتوكل، وأطلق أبا الحسن. ولذا وبغفلة عن ابن السكيت الراوي عن الهادي عليه السلام طبّق الصدوق أبا الحسن علي الرضا عليه السلام فرواه في عيون أخبار الرضا 2:79، 80، الحديث 12 وكرّره كذلك في علل الشرائع 1، الحديث 6، الباب 99. وذكره الحلبي في مناقب آل أبي طالب 4:434 مع طلب المتوكل وبتعبير: ابن الرضا، وهو الصحيح. (من تحقيق فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 8:362).
- 2- (2) لم يفصل الخبر بين الأسئلة والأجوبة، فتفصيلها من فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي، راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي 8:362).

5 - ما تفسير قوله سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ) 1 .

6 - ما تفسير قوله سبحانه: (أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) 2 .

7 - لماذا الجهر في صلاة الفجر؟

8 - متى تُقبل شهادة المرأة لوحدها؟

9 - لِمَ بَشَّرَ أمير المؤمنين علي عليه السلام قاتل ابن صفية بالنار؟ ولِمَ لَمْ يقتله؟!

10 - لِمَ فَرَّقَ علي عليه السلام قتال المدبرين بين أهل الجمل وصفين؟!

11 - لِمَ عفا علي عليه السلام عن حدِّ اللائط المقرّ؟!

12 - كيف يُفعل بالشاة الموطوءة؟

13 - ما القول فيما يروي عن علي عليه السلام في إرث الخنثي؟

ثمَّ رفع القرطاس إلي المتوكل فقبل بها! ولا يدري لماذا أصرَّ المتوكل هذه المرة أيضاً بأن يطرحها ابن السكّيت من القرطاس علي الهادي عليه السلام ويستلمني منه أجوبتها، فرفع ابن السكّيت القرطاس إلي علي بن محمد عليه السلام فأمره الإمام أن يكتب جواباتها إملاءً منه كما يلي مرتّباً.

أجوبة الإمام الهادي عليه السلام

أمر الإمام الهادي عليه السلام ابن السكّيت أن يكتب جوابات عويصات ابن أكتثم بإملائه عليه؛ قال عليه السلام: سألت (عن جنة آدم) فأما الجنة ففيها من المأكل والمشرب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وأباح الله ذلك لآدم ونهاه وزوجته عن الشجرة أن يأكلا منها، وهي شجرة الحسد، عهد الله إليهما أن لا ينظرا إلي من فضّله الله عليهما من خلائقه بعين الحسد، فنسي ولم يجد له عزماً.

وأما سجود يعقوب لولده؛ فَإِنَّ السَّجُودَ لَمْ يَكُنْ لِيُوسُفَ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ يَعْقُوبَ وَوَلَدَهُ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى تَحِيَّةً لِيُوسُفَ، كَمَا أَنَّ السَّجُودَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَكُنْ لِأَدَمَ. فَيَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَمَعَهُمْ يُوسُفُ سَجَدُوا شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ اجْتِمَاعِ شَمْلِهِمْ وَقَالَ فِي شُكْرِهِ: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) 1 .

وسألت عن قول الله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) 2 هو آصف بن برخيا، وسليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف، ولكنه أحب أن يُعرّف امته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده. بل ذلك من علم سليمان أودعه بأمر الله إلي آصف، فأحب أن لا يُختلف في إمامته وولايته من بعده، ولتأكيد الحجة علي الخلق!

وأما قوله: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ إِلَيْنَا الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ) 3 فَإِنَّ الْمُخَاطَبَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ قَالَتِ الْجَهْلَةُ: كَيْفَ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟! وكيف لم يفرق الله بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشى في الأسواق؟! فأوحى الله إلي نبيه: أن اسأل الذين يقرؤون الكتاب بمحضر من الجهلة: هل بعث الله قبلك نبياً إلا وهو يأكل الطعام؟ فلك يا محمد أسوة بهم. وإثما قال: (فَإِنْ كُنْتَ) ولم يكن، للنصفة، كما قال: (فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) 4 ولو قال: فنجعل عليكم لعنة الله لم يجيبوا إلي المباهلة، فكذا عرف النبي أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن يُنصف من نفسه.

وأما قوله: (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) 5 فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا

أقلام والبحر مداد يمدّه سبعة أبحر مدّاً ما نفدت كلمات الله! ونحن كلمات الله التي لا تُدرك فضائلنا ولا تستقصي.

وأما قوله: (أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا) 1 فمعاذ الله أن يكون الجليل العظيم عني ما لبست علي نفسك تطلب الرخص لارتكاب الحرام (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَحُلْدُ فِيهِ مُهَانًا) 2 إن لم يتب! وإنما يزواج الله الذكران (من الأجنة في الأرحام).

وأما الجهر في صلاة الفجر؛ فذلك لأنّ النبيّ صلي الله عليه وآله كان يغلّس بها، فقراءتها من الليل.

وأما ما جاز من شهادة امرأة وحدها؛ فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم تكن (موضع) رضا فلا أقلّ من امرأتين تقومان بدلا عن الرجل، للضرورة؛ لأنّ الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

وأما قول أمير المؤمنين عليه السلام: "بشّر قاتل ابن صفية بالنار" فلقول رسول الله به، وكان ممّن سيخرج يوم النهروان وعلم أمير المؤمنين أنّه سيقتل في فتنة النهروان فلم يقتله بالبصرة.

وأما قولك: إنّ علياً يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز علي جريح وآمن من ألقى سلاحه، وقاتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجهز علي جريحهم؛ فإنّ أهل الجمل قُتل إمامهم فلم تكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنّما رجعوا إلي منازلهم غير متحاربين ولا محتالين ولا متجسّسين ولا متبارزين، بل رضوا بالكف عنهم، فكان الحكم فيه: رفع السيف والكف عنهم. أمّا أهل صفين فهم كانوا يرجعون إلي فئة مستعدة وإمام منتصب يجمع لهم السلاح ويستعد لهم ويُسني لهم العطاء ويهيئ لهم الأموال، ويعقب

مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردّهم يرجعون إلي محاربتهم وقتالهم. فالحكم في أهل صفين أن يتبع مدبرهم ويجهز علي جريحهم، فلا يساوي في الحكم بين الفريقين. ولولا أمير المؤمنين وحكمه في أهل الجمل وصفين لما عُرف الحكم في عصاة أهل التوحيد!

وأما الرجل الذي أقرّ باللواط، فإنه أقرّ متبرعاً من نفسه بذلك ولم تقم عليه بيّنة ولا أخذه سلطان، وإذ كان للإمام الذي من الله أن يعاقب في الله فله أن يعفو في الله، أما سمعت الله يقول لسليمان (هذا عطاؤنا فأمثنْ أو أمسكْ) 1 حتى أنّه بدأ بالمنّ قبل المنع.

وأما الرجل الناظر إلي الراعي وقد نزا علي شاة؛ فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسمها الإمام نصفين وساهم بينهما (بالقرعة) ثم يفرّق السهم الذي وقع عليه السهم نصفين ويقرع بينهما، ولا يزال كذلك حتى تبقي اثنتان فيقرع بينهما فأيتهما وقع السهم عليها ذبحت وأحرقت، وقد نجا سائرهما.

وأما قول علي عليه السلام في الخنثي فهو كما قال يرث من المبال؛ ينظر إليه قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة ويقوم الخنثي عرياناً وراءهم وهم ينظرون إلي المرأة فيرون الشيء ويحكمون به.

فلما أتمّ الإمام عليه السلام كلامه في الإجابة عن عويصات ابن أكتم، إملاءً علي ابن السكّيت، حمله ابن السكّيت إلي ابن الأكتم وقرأها ابن الأكتم علي المتوكل؛ ويظهر من الخبر أنّهم أو المتوكل كان يهّمه بعد هذا أن يحضر الإمام عليه السلام بمحضر عام أو شبه عام، ولذا قال له ابن أكتم: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد المسائل هذه؛ فإنه لا يرد عليه شيء بعدها إلاّ وهو دونها، فيظهر به علمه! وفي ظهور علمه تقوية "للرافضة" (1).

ص: 512

القبس الرابع: الإمام الهادي عليه السلام ينشد شعراً عند المتوكل

علي الرغم من أن الإمام يعيش في بلد المتوكل سامراء، ومع الرقابة الشديدة عليه إلا أنه وشي به إلي المتوكل بأن في داره كتباً وسلاحاً من شيعته، وأنه عازم علي الوثوب علي الدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس علي الرمل والحصي، متوجه إلي الله تعالي يتلو آيات القرآن، فحملوه علي هذه الحالة إلي المتوكل، وكان الأخير جالساً في مجلس الشرب، والكأس في يده، فلما أدخلوه عليه ناوله الكأس، فقال عليه السلام: "والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني"، فأعفاه، ثم قال له المتوكل: أنشدني شعراً فقال عليه السلام: أنا قليل الرواية للشعر: فقال: لا بدّ من ذلك، فأنشده الإمام عليه السلام الأبيات التالية:

باتوا علي قُلل الأجمال تحرسهم غُلب الرجال فما أغنتهم القُللُ

واستنزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم فاودعوا حُفراً! يا بس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعدما قُبروا: أين الأسرة والتيجان والحُللُ؟

أين الوجوه التي كانت منعمَةً من دونها تضرب الأستار والكِللُ؟

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم: تلك الوجوه عليها الدود يقتتل قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا

فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا وطالما عمّروا دوراً لتحصنهم

ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا وطالما كنزوا الأموال وادّخروا

فخلفوها علي الأعداء وارتحلوا أضحت منازلهم فقراً معطلة

وساكنوها إلي الأجدات قد رحلوا

فبكي المتوكل، حتى بليت لحيته دموع عينه، وبكي الحاضرون، ثم أمر برفع الشراب وقال: يا أبا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فدفعها إليه وردّه إلي منزله مكرماً (1).

ص: 514

1- (1) مروج الذهب 4:11، وعنه في تذكرة الخواص 2:496.

القبس الرابع: استجابة دعاء الإمام الهادي عليه السلام

لقد تمادي المتوكل في ظلمه للأمام الهادي عليه السلام فالتجأ الإمام إلي الله تعالى، وانقطع إليه، ودعاه بالدعاء الشريف الذي عرف (بدعاء المظلوم علي الظالم) وهو من الكنوز المشرفة عند أهل البيت عليهم السلام⁽¹⁾ فاستجاب الله دعاء وليّه، فلم يلبث المتوكل بعد هذا الدعاء سوي ثلاثة أيام حتي هلك وله أربعون عاماً، وتم ذلك باتفاق المنتصر ابن المتوكل مع مجموعة من الاتراك حيث هجم الاتراك علي المتوكل ليلة الاربعاء المصادف لثلاث خلون من شوال سنة (247 هـ -) يتقدمهم باغر التركي وقد شهروا سيوفهم، وكان المتوكل ثملاً سكراناً في مدينة الجعفرية قرب سامراء، وذعر الفتح بن خاقان فصاح بهم: ويلكم أمير المؤمنين؟!، فلم يعتنوا به ورمي بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلا أنه لم يغن عن نفسه ولا عنه شيئاً، وأسرعوا إليهما، فقتلوهما إرباً إرباً، ودفنا معاً، وبذلك انطوت أيام المتوكل الذي كان من أعدي خلفاء بني العباس لأهل البيت عليهم السلام.

وخرج الاتراك، وكان المنتصر بانتظارهم فسلموا عليه بالخلافة وأشاع المنتصر ان الفتح بن خاقان قد قتل أباه، وانه أخذ بثأره فقتله، ثم أخذ البيعة لنفسه من أبناء الاسرة العباسية وسائر قطعات الجيش، واستقبل العلويون وشيعتهم النبأ بهلاك المتوكل بمزيد من الابتهاج والافراح، حيث كان المنتصر ليّناً مع العلويين المظلومين في عهد أبيه، فعطف عليهم ووجه بمال فرقة عليهم وكان يؤثر مخالفة ابيه في جميع احواله ومضادة

ص:515

مذهبه طعنأ عليه ونصرة لفعله، وكان محسناً لآل أبي طالب حيث رفع عنهم ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين عليه السلام ورد علي آل الحسين فذكأ(1).

ص:516

1- (1) راجع: مقاتل الطالبين: 396 ونحوه في تاريخ الخلفاء: 417، و الكامل في التاريخ 10:349، التنبيه والإشراف: 313.

القبس الخامس: الإمام الهادي عليه السلام والرجل الإصفهاني

حدّث جماعة من أهل إصفهان منهم أبو العباس أحمد بن النضر وأبو جعفر محمد بن علوية قالوا: كان بأصفهان رجل يقال له عبد الرحمن وكان شيعياً، قيل له: ما الذي أوجب عليك القول بامامة علي النقي دون غيره من أهل الزمان؟

قال: شاهدت ما أوجب علي، وذلك أنّي كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجرأة فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين إلي باب المتوكّل متظلمين، فكنا بباب المتوكّل يوماً إذ خرج الأمر باحضار علي بن محمد النقي فقلت لبعض من حضر: من هذا الرجل الذي قد أمر باحضاره؟

ف قيل: هذا رجل علوي تقول الرافضة بامامته، ثم قال: ويقدر أنّ المتوكّل يحضره للقتل، فقلت: لا أبرح من هنا حتّى أنظر إلي هذا الرجل هو، قال: فأقبل راكباً علي فرس وقد قام الناس يمينة الطريق ويسرتها صفيين ينظرون إليه، فلما رأته وقع حبه في قلبي فجعلت أدعو بنفسي بأن يدفع الله عنه شر المتوكّل، فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلي عرف دابته لا ينظر يمينة ولا يسرة، وأنا دائم الدعاء، فلما صار إلي أقبل بوجهه إلي وقال: استجاب الله دعاءك وطوّل عمرك، وكثّر مالك وولدك.

قال: فارتعدت ووقعت بين أصحابي، فسألوني وهم يقولون: ما شأنك؟

فقلت: خير، ولم أخبر بذلك، فانصرفنا بعد ذلك إلي أصفهان ففتح الله علي وجوهاً من المال حتي أنّي اليوم أغلق بابي علي ما قيمته ألف ألف درهم سوي ما لي خارج داري، ورزقت عشرة من الأولاد وقد بلغت الآن من عمري نيفاً وسبعين سنة، وأنا أقول بامامة الرجل علي الذي علم ما في قلبي. (1)

ص: 517

1- (1) الخرائج والجرائح 1: 392، وعنه في بحار الأنوار: 50: 141 ب 3، وفي كشف الغمة 2: 389.

قال أبو هاشم الجعفري: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعى أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وآله فقال المتوكل: أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله صلي الله عليه وآله ما مضى من السنين، فقالت: إن رسول الله صلي الله عليه وآله مسح عليّ وسأل الله أن يرّد عليّ شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس الي هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت اليهم.

فدعا المتوكل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرفهم حالها فروي جماعة وفاة زينب في سنة كذا، فقال لها: ما تقولين في هذه الرواية؟

فقالت: كذب وزور، فإنّ أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت، فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجّة علي هذه المرأة غير هذه الرواية؟ فقالوا: لا، فقال: هو بريء من العباس إن لا أنزلها عمّا ادّعت إلاّ بحجة.

قالوا: فأحضر ابن الرضا عليه السلام فلعلّ عنده شيئاً من الحجّة غير ما عندنا. فبعث إليه فحضر فأخبره بنخبر المرأة فقال: كذبت فإنّ زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا، قال: فإنّ هؤلاء قد رويوا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلاّ بحجة تلزمها.

قال: ولا عليك فهنا حجّة تلزمها وتلزم غيرها، قال: وماهي؟ قال: لحوم بني فاطمة محرّمة علي السباع فأنزلها الي السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها، فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنّه يريد قتلي، قال: فهنا جماعة ولد الحسن والحسين قدس سره فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تعيّرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين: هو يحيل علي غيره لم لا يكون هو؟

فمال المتوكل الي ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع فقال: يا

أبا الحسن لم لا تكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك قال: فافعل، قال: أفعل. فأتى بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسد فنزل أبو الحسن إليها فلما دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفها بين يديه، ومدت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح علي رأس كل واحد منها، ثم يشير إليه بيده الي الاعتزال فتعتزل ناحية حتي اعتزلت كلها وأقامت بازائه.

فقال له الوزير: ما هذا صواباً فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينشر خبره فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وإنما أردنا أن نكون علي يقين مما قلت فأحب أن تصعد، فقام وصار الي السلم وهي حوله تتمسح بثيابه. فلما وضع رجله علي أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع، فرجعت وصعد فقال: كل من زعم أنه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس، فقال لها المتوكل: انزلي، قالت: الله الله ادعي الباطل، وأنا بنت فلان حملني الصرّ علي ما قلت، قال المتوكل: ألقوها الي السباع، فاستوهبتها والدته (1).

ص: 519

1- (1) بحار الأنوار: 149:50.

القِس السابع: الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام

اهتم الإمام الهادي عليه السلام بالدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، من خلال محاربة المفوضة والمجبرة، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، وله رسالة في ذلك أوردها الحراني في كتابه (تحف العقول).

ومما عرف واشتهر به الإمام عليه السلام اهتمامه بتعريف مقام أئمة أهل البيت من خلال خلق نصوص تقرأ في زيارتهم، ومن أهم تلك النصوص هي زيارة جدّه أمير المؤمنين في يوم الغدير، حيث زاره بهذه الزيارة وذكر فيها فضائله ومقاماته المشهورة ومواقفه المشهودة في الإسلام.

ومنها الزيارة الجامعة الكبيرة لأهل البيت، وهي من أفضل الزيارات التي يُزار بها أيّ من الأئمة عليه السلام من قريب أو بعيد، وقد وصفها العلامة المجلسي بأنها من الزيارات الصحيحة سنداً وامتناً ومن أبلغها معني وأعلها شأناً(1) فهي من أهم المصادر الغنية لمعرفة مقام أئمة أهل البيت ومنزلتهم عند الله ورسوله، ولا يسع المجال هنا أن نذكرها بالتفصيل ولكن نقتبس قبضة منها لتتويعقولنا وقلوبنا، ونشير إلي بعض مفاهيمها، ولمزيد المعرفة نوكل للقارئ مراجعة شروح العلماء عليها(2).

عن موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال عليه السلام: قل: "السلام عليكم يا أهل بيت

ص: 520

1- (1) بحار الأنوار 144:99، كتاب المزار.

2- (2) ومن العلماء الكبار الذين قاموا بشرح زيارة الجامعة الكبيرة العلامة المرحوم السيّد عبدالله شبر في كتابه الأنوار اللمعة في شرح الزيارة الجامعة.

النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة، وخزان العلم، ومنتهي الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الايمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعتره خيرة رب العالمين، ورحمة الله وبركاته... "ففي هذا المقطع الأول الذي بدأت به الزيارة بيّن الإمام عليه السلام أنّ الله اختص أهل البيت عليهم السلام بكرامته فجعلهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، وأنّ هذا الإختصاص الإلهي نابع من الصفات الكمالية كالعلم والحلم والكرم، ولذا قد اختارهم الله لمنصب القيادة للمسلمين ولجميع البشر وذلك في حكومة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت وهو المهدي المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً.

القبس الثامن: شهادة الإمام علي الهادي عليه السلام

المشهور أنّ الإمام الهادي عليه السلام استشهد في أواخر خلافة الخليفة المعتز بالله وقد دسّ السم إليه هو أو المعتمد وذلك في سرّ من رأي يوم الاثنين، الثالث من شهر رجب، لقد نقل العلامة المجلسي عن أبي جعفر الطوسي في مصابيحہ إنّ الإمام قبض بسرّ من رأي يوم الاثنين ثالث رجب سنة 254 هـ -، وله يومئذ (41 سنة) وواقفه في ذلك القتال النيسابوري، ولما قضى نحبه تولي تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ولده الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام ودفنه في داره بسامراء(1)، وهذا التاريخ هو المعمول به اليوم.

وروي الكليني أنّ الإمام الهادي عليه السلام قبض في شهر رجب بسامراء، ودفن في داره،(2) ونقله المفيد وزاد: خلفّ أباً محمد، الحسن الإمام عليه السلام، والحسين، ومحمداً، وجعفرأ، وابنته عائشة(3).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص:522

1- (1) راجع إعلام الوري: 339، روضة الواعظين 1:246، و بحار الأنوار 50:206.

2- (2) أصول الكافي 1:497.

3- (3) الإرشاد 2:311.

المصباح الثالث عشر: قبسات من أنوار الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إشارة

ص:523

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة (232 هـ -) في المدينة المنورة علي المشهور بين المؤرخين، وأبوه الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، وأمه سليل وتسمي حديثه، سمانة، وقيل: اسمها سوسن، وكانت امرأة زاهدة مؤمنة، ويكفي في فضلها أنّها كانت مفرع الشيعة بعد وفاة أبي محمد في تلك الظروف الصعبة(1).

كني الإمام الحسن العسكري عليه السلام بأبي محمد وكان أشهر ألقابه العسكري، حيث كان يقيم في سامراء مجبراً في حي يسمي بالعسكر، وذلك بعد شخوصه من المدينة مع والده الإمام الهادي أيام المتوكل سنة (234 هـ -) فعاش مع أبيه، (22) سنة واستلم الإمامة بعد استشهاد أبيه الهادي عليه السلام، وكانت ستة أعوام، وتعتبر أقصر مدة للإمامة في تاريخ أهل البيت عليه السلام(2).

ص:525

-
- 1- (1) أنظر: أصول الكافي 1:503، الإرشاد: 335، وفيات الأعيان 2:94، كشف الغمة 3:192، تذكرة الخواص: 345.
 - 2- (2) الإرشاد: 345، الإتحاف بحب الأشراف: 178، وراجع بحار الأنوار 50:235.

وكانت تظن الشيعة أنّ الإمامة بعد الإمام الهادي عليه السلام، لابنه محمد (المشهور بسيد محمد) الذي كان أكبر سنّاً من أخيه الحسن العسكري، وقد اشتهر بالفضل والتّقوي، ولكن بعد وفاة محمد علمت الشيعة أنّ الإمامة بعد الإمام الهادي عليه السلام لابنه الإمام العسكري عليه السلام، وروي الكليني بسنده عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصي أبو الحسن عليه السلام إلي ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشهدني علي ذلك، وجماعة من الموالي(1).

وتزوَّج الإمام الحسن العسكري عليه السلام بنرجس الرومية وهي ابنة "يوشعا" قيصر الروم، وهو من نسل "شمعون" أحد حوارّي المسيح عليه السلام(2). وأصبحت هذه المرأة الجليلة أمّاً للإمام الحجّة محمد المهدي وهو الولد الوحيد للإمام حسب القول المشهور، الذي ولد في الخامس عشر من شهر شعبان سنة (255 هـ -) وقد كان المهدي المنتظر في السنة الخامسة من عمره الشريف وتوفي والده سنة 260 للهجرة(3).

وبعد هذه الجولة القصيرة في ترجمة سيرة الشخصية للإمام العسكري عليه السلام نتعرض إلي بعض نشاطاته في إطار مهام إمامته في طوال حياته عليه السلام.

ص: 526

1- (1) الكافي 1: 326، وراجع الغيبة للشيخ الطوسي: 120.

2- (2) في جنوب لبنان قرب مدينة صور التاريخية يوجد مقاماً ينسب إلي شمعون الصفا.

3- (3) راجع خبر زواج السيدة نرجس بالإمام العسكري، وكيفية ولادة المهدي عليه السلام، والأقوال في ذلك في الكتب التالية: كمال الدين 2: 90، الغيبة للشيخ الطوسي: 124، بحار الأنوار 12: 51، ومنتهي الآمال 2: 555، وإضافة علي المصادر الشيعية، لقد نقل هذا الخبر وتاريخ الولادة ابن صبّاغ المالكي (المتوفي سنة 855 ق) في كتابه الفصول المهمّة.

يطلق علي فترة خلافة المتوكل العباسي وما بعده العصر العباسي الثاني، لما لهذه الفترة من خصائص امتازت بها عن خصائص العصر العباسي الأول الذي بدأ بعد سقوط الدولة الأموية سنة (132 هـ -)، وأهم ظواهر هذا العصر هو النفوذ الذي تمتع به الموالي الأتراك الذين غلبوا الخلفاء، في سلب زمام إدارة الدولة، وما اتصفوا به من سلوك شائن في التعامل مع الناس، وكانت سيطرتهم علي مقاليد السلطة في العاصمة والأمصار، حيث ساهموا في خلع المتوكل، والمهتدي وقتلهما، ونصب غيرهما، وكانت نتيجتها أنه بويح لخليفتين في آن واحد، حيث بويح (المستعين بالله) في بغداد، وكان الأتراك في نفس الوقت قد بايعوا المعتز في سامراء، وقد جهّز الأخير جيشاً بقيادة أخيه لقتال المستعين في بغداد(1).

وعلي الرغم من صعوبة هذه المرحلة التي عاصرها الإمام العسكري عليه السلام، والمراقبة الشديدة له وللشخصيات الشيعية البارزة، قام بنشاطات في إطار مهام إمامته، ويمكن تلخيصها في عنوانين:

الأول: نصب الوكلاء، والنواب لدعم الشيعة

لقد اتسعت رقعة التشيع في عهد الإمام، وامتدت إلي مدن ومناطق مختلفة، وتمركز الشيعة في عدة مدن، كالكوفة وبغداد ونيشابور وقم، والمدائن واليمن والري وأذربايجان وسامراء وجرجان والبصرة، فلا بدّ من إيجاد نظام يؤمن اتصال الشيعة بالإمامة، فقام الإمام عليه السلام بنصب الوكلاء، والنواب في مختلف المناطق، فنصب إبراهيم

ص:527

بن عبده في نيشابور، وأحمد بن إسحاق في قم، وإبراهيم بن مهزيار الأهوازي في الأهواز، وغيرهم، وكان علي رأس وكلاء الإمام عليه السلام محمد بن عثمان العمري الذي كان حلقة الوصل بينهم وبين الإمام عليه السلام، فكانوا يأتون بالأموال والوجوه الشرعية كالخمس والأسئلة والشبهات إليه، ويقوم هو بدوره ليدفعها إلي الإمام عليه السلام، وكانت طريقة الإمام عليه السلام أن يدفع المبالغ الطائلة إلي أحد مقربيه لينفقها بدوره علي شيعته ومواليه، كما فعل مع علي بن جعفر صاحبه وصاحب أبيه عليه السلام، وكذلك كان الإمام يجيب علي أسئلة العلماء والناس ويرسلها بواسطة وكلائه إليهم (1).

الثاني: الإعداد لعصر غيبة المهدي عليه السلام

لقد كانت الشيعة ولعدة عقود من الزمن قد ألفت الاتصال المباشر بإمامها عليه السلام في كل عصر، ولم تألف غيابه عنها إلا في حالات خاصة كالسجن، بل حتي في حالة سجن الإمام عليه السلام كان هناك من يتمكن من الاتصال به، أما بعد عصر الإمام العسكري عليه السلام استدخل الشيعة مرحلة جديدة في علاقتها وارتباطها مع الإمام عليه السلام لم تألفها بعد، وهي غياب الإمام وعدم اتصاله بشيعته بصورة مباشرة، فكان دور الإمام العسكري عليه السلام أن يستخدم الأساليب التي تساعد الشيعة علي التعايش علي تلك المرحلة، فقام عليه السلام بالاتصال بشيعته عبر الوكلاء والنواب ليخبرهم عن ولادته ثم غيبته لتعتاد الشيعة علي هذا النمط من التعامل مع الإمامة، فبعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام، أخذ الإمام يكتفم ذلك للحفاظ علي وجوده المهدد بالقتل ولكنّه في نفس الوقت كان يستغل الفرص المناسبة ليطلع أصحابه الخالص علي وجوده الشريف حتي ينقلوا ذلك للشيعة، لئلا يبقوا في حيرة من بعده، ونشير هنا إلي بعض النماذج في هذا الشأن.

ص: 528

1- (1) راجع الغيبة للطوسي: 212، المناقب لابن شهر آشوب 4: 425، و بحار الأنوار 50: 321.

يقول أحمد بن إسحاق القمي (1): "دخلت علي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلي ان تقوم الساعة من حجة لله علي خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض، قال (أحمد بن إسحاق): فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلي عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: "يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك علي الله عز وجل وعلي حججه ما عرضت عليك ابني هذا، أنه سمي رسول الله صلي الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً... يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا- ينجو فيها من الهلكة إلا من تثبت الله عز وجل علي القول بإمامته ووقفه فيها للدعاء بتعجيل فرجه".

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح: "انا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق" (2).

ومن جملة الأشخاص الذين علموا بولادة الإمام الموعود عليه السلام واطلعوا عليها: السيّدة الجليلة التقية حكيمة عمّة الإمام، ونسيم خادم الإمام العسكري عليه السلام، وأبو جعفر محمد بن عثمان العمري النائب الثاني من نواب الإمام المهدي عليه السلام وغيرهم من العلماء والمحدثين في زمن الإمام العسكري عليه السلام، كما أنه أرسل الإمام عليه السلام إلي الخلص من أصحابه في الأمصار يدعوهم إلي انتظار الفرج بخروج ولده الموعود المنتظر، كما سيأتي ماكتبه إلي علي بن الحسين بن بابويه القمي.

ص: 529

1- (1) أحمد بن إسحاق القمي هو من كبار شخصيات الشيعة والأصحاب الخاصين للإمام العسكري عليه السلام، ووكيله في قم.

2- (2) كمال الدين 2: 431 ح 8.

قال الإمام العسكري عليه السلام لجماعة من شيعة: "...أوصيكم بتقوي الله، والورع في دينكم، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلي من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلي الله عليه وآله، صلّوا في عشائركم، واشهدوا جنازكم، وعودوا مرضاكم، وأدوا للناس حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى للناس الأمانة، وحسن خلقه معهم، وقيل هذا شيعي، يسرني ذلك، إنّقوا الله وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، جزّوا إلينا كلّ مودّةٍ، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فما قيل فينا من خيرٍ فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فنحن منه براء، لنا حقٌّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهيرٍ من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلاّ كذاب، و أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة علي النبي صلي الله عليه وآله، فإنّ الصلاة علي رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصّيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام"⁽¹⁾.

وكتب الإمام العسكري عليه السلام إلي علي بن الحسين بن بابويه القمي جاء فيه: "أوصيك... بتقوي الله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) واجتناب الفواحش كلها، وعليك بصلاة الليل فإنّ النبي صلي الله عليه وآله أوصي علياً عليه السلام فقال: يا علي عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيتي

وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتي يعملوا به، وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإنّ النبي قال صلي الله عليه وآله: "أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج"، ولا يزال شيعتنا في حزن حتي يظهر ولدي الذي بشر به النبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإنّ (لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) 1، والسلام عليك وعلي جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته" (1).

ص: 531

1- (2) المناقب لابن أبي شهر آشوب 4: 425، الأنوار البهية للمحدث القمي: 319.

القبس الرابع: شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

لقد استشهد الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت، الحسن العسكري عليه السلام بأمر من المعتمد العباسي، ليلة جمعة في الثامن من ربيع الأول سنة 260 للهجرة حسب القول المشهور وكان عمره آنذاك 28 سنة، وصلى عليه ولده الوحيد الإمام المهدي عليه السلام ودفنه في بيته إلي جوار قبر أبيه الإمام الهادي عليه السلام في سامراء التي كانت محل إقامته الجبرية، وبدأت إمامة مولانا صاحب الأمر عليه السلام، وبدأت غيبته الصغرى من يوم التاسع من ربيع الأول من تلك السنة وهو في الخامس من عمره الشريف (1).

وقد خرج من الناحية المقدسة توفيقاً لأبي عبدالله جعفر: "... كان (الإمام العسكري) نوراً ساطعاً وقمراً زاهراً اختاره الله له ما عنده فمضي علي منهاج آبائه حذو النعل بالنعل..." (2).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

ص: 532

-
- 1- (1) راجع كمال الدين: 473. إعلام الوري: 367، دلائل الإمامة: 223، المناقب 4: 455، بحار الأنوار 50: 308.
 - 2- (2) كمال الدين 2: 510، منتخب الأثر: 128، الفصل السابع، بحار الأنوار 53: 191.

المصباح الرابع عشر: قبسات من أنوار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

إشارة

ص:533

من البحوث الإسلامية التي قد نالت الإهتمام الكثير من قبل علماء الإسلام هو موضوع الإمام المنتظر المهدي الموعود عليه السلام، أمل المستضعفين والمحرومين، فقد بُحث من جميع جوانبه علي ضوء الكتاب والسنة والعقل، كما تطرق لبحثه غير واحد من رجالات العلم والمعرفة في الأديان والمذاهب السماوية الأخرى، لأنَّ الإيمان والاعتقاد بظهور المصلح العالمي المنتظر الذي يشكّل ويمثّل جوهرة الفكرة المهدوية في الإسلام كما هو موجود في الإسلام موجود في تلك الأديان والمذاهب أيضاً.

إنَّ بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي وإنتظار ذلك الوعد الإلهي، يعبر عن حاجة فطرية عامة للإنسان وتقوم هذه الحاجة علي تطلع الإنسان إلي الكمال، فهي فكرة قديمة وليست مقصورة علي الإسلام، وقد تعرّض القرآن لهذه الفكرة والوعد الإلهي الذي جاء في الزبور وهو كتاب داوود، والذكر وهو التوراة، كتاب موسى عليه السلام، بقوله تعالي: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)1 والآية الأخرى التي تشير إلي هذا الوعد الإلهي، قوله تعالي: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(1) .

والآيتان المذكورتان تنصّان وتؤكدان علي ذلك الوعد الإلهي المقدس باستخلاف المستضعفين علي الأرض من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعن التمكين لهؤلاء دينهم الذي ارتضاه تبارك وتعالى لهم وهو في الواقع تكريم لخط الإيمان والصلاح والتّقوي بجزء دينوي فضلاً عن الجزء الأخروي، فالآيتان تتحدثان عن عصر ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما هو واضح لمن تدبّر فيهما(1).

ولابدّ أن يتحقق هذا الوعد الإلهي يوماً ما، ولو كان هذا اليوم هو آخر يومٍ من عمر الدنيا كما ورد عن رسول الله صلي الله عليه وآله: " لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً"(2).

إنّ أمثال هذه الآيات والروايات التي لم نذكر إلا نماذج منها، وغيرها من الآيات، شواهد علي أنّ قيادة العالم ستنتهي لعباد الله الصالحين، وهذا الأمر لا خلاف فيه بين الأديان والمذاهب، وهذه الحقيقة من شأنها أن تساعد علي إسقاط و بطلان الشبهة القائلة بتفرد الشيعة بالقول بالمهدوية، وبطلان الشبهة القائلة بأن منشأ هذه الفكرة اليهود، وبطلان القول بأنّ المهدوية أسطورة، إذ ليست هناك أسطورة تحظي بإجماع الأديان السماوية ويتبناها العلماء والمفكرون والفلاسفة.

وأيضاً تساعد علي بطلان قول القائل بأنّ فكرة المهدوية وليدة الظروف السياسية

ص:536

1- (2) ناقش العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره الميزان الأقوال الأخرى التي أوردها المفسرون وأثبت عدم انسجامها مع دلالات الآيات التي لا يمكن تفسيرها بغير عصر ظهور المهدي، راجع تفسير الميزان: 329:14، و 151:15.

2- (3) مسند ابن حنبل 1:378.

الحرجة التي عاشها أتباع أهل البيت عليهم السلام، فما أكثر المظلومين والمضطهدين علي مرّ التاريخ وعبر الزمن وفي شتى بقاع الأرض ومع ذلك لم يعرف عنهم هذا الاعتقاد، وما أكثر الأفراد والجماعات التي آمنت بهذه الفكرة بدون معاناة لظلم واضطهاد.

إذن الإيمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل الأرض من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الأديان والمذاهب، والاختلاف بينهم إنما هو في تحديد هوية ومصادق هذا المصلح العالمي الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء والأوصياء، وسنبحث حول هوية هذا المنقذ والمصلح العالمي، وسوف نبرهن أنه قد ولد ولا زال موجوداً ولكن غاب عن الأنظار لمصلحة علمها عند الله سبحانه وتعالى، ويتطلب منا بحثٌ كهذا الرجوع لمرويات الفريقين عن النبي صلي الله عليه وآله والمصادر التاريخية ليتّضح للجميع أنّ ذلك المصلح العالمي العظيم قد ولد في منتصف شعبان سنة 255 من الهجرة في سامراء وهو المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، من ولد فاطمة عليها السلام ومن ذرية الحسين عليه السلام وهو الإمام والخليفة الثاني عشر بعد الرسول صلي الله عليه وآله الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وبهذا المعنى وردت روايات كثيرة عن النبي صلي الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (1).

والمتتبع للأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف في كتب علماء أهل السنّة سيجدها تتسجم مع روايات علماء الشيعة وتؤكد حقيقة واحدة، وهي: أن نسب المهدي عليه السلام يرجع إلي رسول الله صلي الله عليه وآله وأنه من أهل البيت عليهم السلام ومن الأئمة الإثني عشر المعصومين، وهو آخرهم، وهو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، ولتوثيق ذلك

ص: 537

1- (1) إنّ الأخبار الواردة حول المهدي عليه السلام يتمثل في مئات الروايات عن النبي صلي الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فراجع معجم أحاديث الإمام المهدي وكتاب منتخب الأثر للصافي الكلبايگاني والكتب الأخرى التي ألفت في هذا الموضوع.

نستعرض بعضاً من تلك الروايات التي تحدّثت عن اسمه ونسبه ولقبه وخروجه آخر الزمان.

*- المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف في روايات أهل السنّة

قال ابن خلكان (المتوفى عام 681 هـ -) في وفيات الأعيان: "أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الإثني عشر علي اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين" (1)

وقال أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي (المتولد عام 974 هـ -) في كتابه (الصواعق المحرقة) في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر ما هذا نصّه: "أبو محمد الحسن الخالص، (وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري)، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... مات بسدّ من رأي، ودفن عند أبيه وعمّه، وعمره ثمان وعشرون سنة، ويقال: إنّه سُمّ أيضاً، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن أتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل لأنّه سُبّر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب" (2)

وروي عن أمّ سلمة أنّها قالت: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: "المهدي من عترتي، من ولد فاطمة" (3)، وعن علي عليه السلام، عن النبي صلي الله عليه وآله: "المهدي ممّا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة" (4).

ص: 538

1- (1) وفيات الأعيان 4: 176 و 562

2- (2) الصواعق المحرقة، الطبعة الثانية: 124 وط. الثالثة: 313.

3- (3) الصواعق المحرقة: 141، الباب 11، الفصل 1.

4- (4) الصواعق المحرقة: 163، الباب 11، الفصل 1 و مسند ابن حنبل 1: 84.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: "يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً فذلك هو المهدي" (1).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلي الله عليه وآله فذكرنا بما هو كائن، ثم قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتي يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي" فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يا رسول الله من أي ولدك؟ قال صلي الله عليه وآله: "من ولدي هذا" وضرب بيده علي الحسين عليه السلام (2).

ونري بأنّه قد خرّج أحاديث المهدي جماعة كثيرة من أئمة الحديث من علماء أهل السنة، حيث يقول صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داود: إعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام علي مرّ الأعصار، أنه لا بُدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت عليهم السلام يُؤيد الدين، ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي علي الممالك الإسلاميّة، ويُسمّي بالمهدي، ويكون خروج الدجال بعده، وإنّ عيسى عليه السلام ينزل بعد المهدي، أو ينزل معه فيساعده علي قتل الدجال، ويأتّم بالمهديّ في صلاته، وخرّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود، والترمذي، وابن ماجّة، والحاكم، والطبراني وأبو يعلي وإسناد أحاديث هؤلاء بين الصحيح والحسن والضعيف (3).

ص: 539

1- (1) تذكرة الخواص لابن الجوزي: 363، منهاج السنّة لابن تيمية 4: 86.

2- (2) مسند ابن حنبل 1: 378، ينابيع المودة 3: 63 باب 93.

3- (3) عون المعبود في شرح سنن أبي داود: 1832، كتاب المهدي.

ولد الإمام الثاني عشر، والمعصوم الرابع عشر من أهل البيت عليه السلام، الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام في فجر يوم الجمعة النصف من شعبان سنة مئتين وخمس وخمسين (255 هـ - ق) الموافق لعام 868 ميلادي في مدينة سامراء، وفي بعض الروايات ولد عليه السلام سنة 256 ق(2) أبوه هو الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام، وأمّه السيّدة الكريمة "نرجس" وتسمّى بـ "سوسن" أيضاً، وهي ابنة "يوشعا" قيصر الروم، وهو من نسل "شمعون" أحد حواربيّي المسيح عليه السلام.(3) وكانت نرجس ذات منزلة رفيعة بحيث أنّ حكيمة - وهي أخت الإمام الهادي عليه السلام والتي تعتبر من أهمّ سيّدات أهل البيت عليهم السلام - تخاطبها بقولها: "يا سيّدي".

وعندما كانت "نرجس" في الروم شاهدت أحلاماً عجيبة، ففي إحدى المرّات رأت في المنام نبيّ الإسلام الأكرم صلي الله عليه وآله والسيّد المسيح عيسي عليه السلام وقد زوّجاها من الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وفي منامٍ آخر شاهدت أنّها قد أسلمت بدعوة كريمة من فاطمة الزهراء عليها السلام، لكنها كتمت أحلامها عن أسرتها ومن يحيط بها حتى شبّت المعارك بين المسلمين وجُند الروم، وقاد قيصر الروم بنفسه الجيش إلى جبهات القتال

ص:540

1- (1) لقد سمّي الإمام الخميني (قدس سره) يوم ولادة المهدي المنتظر عليه السلام في النصف من شعبان، يوم المستضعفين، وقال في آخر بيان أصدره بمناسبة النصف من شعبان قبل وفاته: «سلام عليه (المهدي الموعود) وسلام علي منتظريه الحقيقيين، سلام علي غيبته وظهوره، وسلام علي الذين يدركون ظهوره علي نحو الحقيقة ويرتوون من كأس هدايته ومعرفته، سلام علي الشعب الإيراني العظيم الذي يُمهّد لظهوره بالتضحيات والفداء والشهادة...» صحيفة نور: 21.

2- (2) راجع أصول الكافي 1:514، الارشاد: 326، كمال الدين 2:97

3- (3) يقع مقام الوصي شمعون الصفا، في جنوب لبنان قرب مدينة صور التاريخية.

وكانت السيدة نرجس معهم، ولما وصلوا إلي الحدود أسروا بعض جنود الروم علي يد بعض الطلائع من جيش المسلمين ومن دون أن يعرف المسلمون أنّ فيهم أعضاء من أسرة قيصر الروم فقد حمل المسلمون الأسري إلي بغداد، وجاء مبعوث من الإمام الهادي عليه السلام يحمل رسالة مكتوبة باللغة الرومية وسلمها إلي "نرجس" في بغداد واشتراها من بائع الإماء وجاء بها إلي الإمام عليه السلام في سامراء، وعندئذ قام الإمام عليه السلام بتذكيرها بتلك الأحلام التي كانت قد رأتها من قبل وبشّرها بأنّها ستصبح زوجة لابنه الإمام العسكري عليه السلام وأماً لولد سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ثمّ إن الإمام الهادي عليه السلام أسند شؤون "نرجس" إلي أخته الجليلة "حكيمه" وهي من كبار سيّدات أهل البيت عليهم السلام، لتعلمها الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية، وبعد مدّة من الزّمن أصبحت "نرجس" زوجة للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وكان من عادة "حكيمه" أنّها كلما زارت الإمام العسكري عليه السلام دعت الله أن يرزقه ولداً، وهي تقول: دخلت عليه فقلت له كما أقول ودعوت كما أدعو، فقال عليه السلام: "يا عمّة أما إنّ الذي تدعين الله أن يرزقنيه يولد في هذه الليلة، يا عمّته بيتي الليلة عندنا فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم علي الله عزّ وجل الذي يحيي الله عزّ وجل به الأرض بعد موتها" فقلت: ممّن يا سيّدي ولست أري بنرجس شيئاً من أثر الحمل؟ فقال عليه السلام: "من نرجس لا من غيرها". قالت: فوثبت إلي نرجس فقلبتّها ظهراً لبطن فلم أرَ بها أثراً من حبل فعدت إليه فأخبرته بما فعلت فتبسّم ثم قال لي عليه السلام: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأنّ مثلها مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلي وقت ولادتها لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالي في طلب موسى وهذا نظير موسى عليه السلام".

قالت حكيمه: فلم أزل أراقبها إلي وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تقلب جنباً إلي جنب حتي إذا كان في آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فرعة، فضممتها إلي صدري وسمّيت عليها: "اسم الله عليك" وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر

الذي أخبرك به مولاي. وصاح بي أبو محمد قال لي: اقربي عليها: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" فأقبلتُ اقرأُ عليها كما أمرني. وأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما اقرأُ وسلّم عليّ! ففزعت لِمَا سمعت، فصاح بي أبو محمد: لا تعجبي من أمر الله عزّ وجل! إنّ الله تبارك وتعالى يُنطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حججاً في أرضه كباراً.

فلم يستتم كلامه حتّى غُيِّبَ عني نرجس فلم أرها! كأنّه ضُرب بيني وبينها حجاب! فغدوت إليّ أبي محمد وأنا صارخة! فقال لي: ارجعي يا عمّة فإنك ستجديها في مكانها! قالت: فرجعتُ فلم ألبث أن كُشف الغطاء الذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبي ساجداً لوجهه جاثياً عليّ ركبتيه رافعاً سبّابته يقول:

"أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ جدّي رسول الله صلي الله عليه وآله وأنّ أبي أمير المؤمنين ثمّ عدّ إماماً إماماً إليّ أن بلغ إليّ نفسه، فقال عليه السلام: اللهم أنجز لي وعدي وأتمم لي أمري وثبت وطأتي واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً..." (1).

*- ولادة الإمام عليه السلام بين الإعلان والكتمان

إنّ تاريخ بني أميّة وبني العبّاس، ولا سيّما منذ عصر الإمام الصادق عليه السلام فما بعد، شاهد صدق عليّ حساسية الخلفاء من الأئمة المعصومين، وذلك لأنّ هذه الشخصيات الكريمة كانت مورد اهتمام المجتمع واحترامه، وكلما مرّ الزمن ازداد نفوذهم وتعاضم حبّ الناس لهم، وبلغ الأمر بالخلفاء العبّاسيين أن رأوا سلطتهم في معرض الخطر،

ص: 542

1- (1) راجع خبر زواج السيدة نرجس بالإمام العسكري، وكيفية ولادة المهدي عليه السلام في الكتب التالية: كمال الدين 2: 90-100، والغيبة للشيخ الطوسي: 124، وبحار الأنوار 51: 25-12، ومنتهى الآمال 2: 555-562، وإضافة عليّ المصادر الشيعية، لقد نقل هذا الخبر وتاريخ الولادة ابن صبّاغ المالكي (المتوفي سنة 855 ق) في كتابه الفصول المهمّة.

وبالخصوص عندما سمعوا ما اشتهر بين الناس من أنّ المهدي الموعود عليه السلام من نسل النبي ومن أحفاد الأئمة المعصومين وهو ابن الإمام العسكري عليه السلام وسوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومن هنا فقد أخضع الإمام العسكري عليه السلام لمراقبة شديدة، وجُعِل تحت النظر في مركز الحكم العباسي "سامراء" كأبيه وجدّه، وحاول العباسيون بكل ما أوتوا من قوّة الحيلولة دون ولادة هذا الطفل وتربيته، إلا أنّ المشيئة الإلهية تعلّقت بحتمية هذه الولادة ولذا باءت جميع محاولاتهم بالفشل، وقد جعل الله تعالى ولادته - مثل موسي عليه السلام - أمراً مخفياً، ومع ذلك فإن الصفوة المختارة من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام قد شاهدوا الإمام الموعود مرّات عديدة في زمان حياة والده الكريم، وعندما استشهد الإمام العسكري عليه السلام فقد ظهر أيضاً إمام المهدي عليه السلام وصلي علي جثمان والده ورآه الناس ثم غاب عنهم.

ومنذ ولادة الإمام القائم عليه السلام وحتى شهادة والده الإمام العسكري عليه السلام فقد وُفق كثير من الأصحاب المقربين للإمام الحادي عشر لرؤية الإمام المهدي عليه السلام أو للعلم بوجوده في دار الإمام عليه السلام، وكانت طريقة الإمام العسكري عليه السلام قد جرت علي الاحتفاظ بولده الكريم طيّ الكتمان، ولكنّه في نفس الوقت كان يستغل الفرص المناسبة ليطلع أصحابه المؤتمنين علي وجوده الشريف حتي ينقلوا ذلك للشيعة، لئلا يبقوا في حيرة من بعده، ونشير هنا إلي بعض التّماذج في هذا الشّأن.

يقول أحمد بن إسحاق القمي - وهو من كبار شخصيّات الشيعة والأصحاب الخاصّين للإمام العسكري عليه السلام -: "دخلت علي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلي ان تقوم الساعة من حجّة لله علي خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض. قال (أحمد بن إسحاق): فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم

خرج وعلي عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: "يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك علي الله عز وجل وعلي حججه ما عرضت عليك ابني هذا، انه سمّي رسول الله صلي الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً... يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيّب غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز وجل علي القول بإمامته ووقفه فيها للدعاء بتعجيل فرجه".

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح: "انا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق" (1).

ومن جملة الأشخاص الذين علموا بولادة الإمام الموعود عليه السلام واطلعوا عليها: السيّدة الجليلة التقيّة حكيمة عمّة الإمام، ونسيم خادم الإمام العسكري عليه السلام، وأبو جعفر محمد بن عثمان العمري النائب الثاني من نواب الإمام المهدي عليه السلام وغيرهم من العلماء والمحدثين في زمن الإمام العسكري عليه السلام، والعجب أن الإمام العسكري عليه السلام في الوقت الذي كان يخبر الخواص من أصحابه بولادة المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف، لم يخبر أخاه جعفرأ بذلك، ولم يعرف جعفر أن لأخيه ولداً، ولعله كان يعلم ذلك ولكنه كان يتجاهله لأسباب وأهداف، سنشير إلي بعضها في البحث عن الإمامة المبكرة للإمام المهدي عليه السلام.

ص: 544

القِس الثالث: الإمامة المبكرة للإمام المهدي عليه السلام

كتب الإمام العسكري عليه السلام قبل وفاته بخمسة عشر يوماً، رسائل عديدة لشييعته من أهالي المدائن وسلم الرسائل إلي خادمه أبي الأديان، وقال له: "امضي بها (أي بالرسائل) إلي المدائن، فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلي سرّ من رأي يوم الخامس عشر وتسمع الواعية(1) في داري وتجديني علي المغتسل".

قال أبو الأديان: فقلت يا سيدي فإذا كان ذلك فمن الإمام بعدك؟

قال عليه السلام: "مَنْ طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي، ومن يُصلي عليّ فهو القائم بعدي". فقلت: زدني؟ فقال عليه السلام: "مَنْ أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي".

ثم منعتني هيبه الإمام أن أسأله عما في الهميان، وخرجت بالكتب (الرسائل) إلي المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت "سرّ من رأي" يوم الخامس عشر - كما ذكر لي عليه السلام - فإذا أنا بالواعية في داره وإذا به علي المغتسل، وإذا بجعفر بن علي أخ الإمام العسكري بباب الدار، والشيعه من حوله يُعزّونه بوفاة الإمام عليه السلام ويهنتونه بالخلافة والإمامة، فقلت - في نفسي - إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة. فتقدمت فعزّيت وهنأت، فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد (خادم الإمام العسكري) فقال: يا سيدي قد كُفّن أخوك، فقم وصل عليه، فتقدّم جعفر بن علي ليصلي علي أخيه، فلما همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سُمره، بشعره قطط (مجعد) بأسنانه تقلّيج(2) فجذب رداء جعفر بن علي وقال "تأخّر يا عم، فأنا أحقّ بالصلاة علي أبي" فتأخّر جعفر، وقد إربدّ وجهه واصفرّ، فتقدم الصبيّ وصلي عليه، ودفن إلي جانب قبر أبيه الهادي عليه السلام ثم قال

ص: 545

1- (1) الواعية: الصراخ علي الميت.

2- (2) أسنانه متوالية غير متراكبة بينها فواصل دقيقة.

الصبي: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت هذه بينتان بقي الهميان.

وبينما نحن جلوس، إذ قدم نفر من قم، (1) فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فعرفوا موته: قالوا: فَمَنْ الإمام بعده؟ فأشار الناس إلي جعفر، فسلموا عليه، وعزّوه، وهنّوه، وقالوا: إنَّ معنا كتباً ومالاً، فتقول ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام جعفر ينفض أثوابه ويقول: تُريدون ممّا أن نعلم الغيب؟!

فخرج الخادم (أي: خادم الإمام المهدي عليه السلام) فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار، عشرة دنانير منها مطيية. فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام... إلي آخر الحديث".

وتري جعفرأ يصبرُ علي باطله ولا يتنازل عنه، وقد حمل لَمّا توفي الحسن العسكري إلي الخليفة المعتمد العباسي عشرين ألف دينار، وقال له: يا أمير المؤمنين... تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته!!

فقال الخليفة: أعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا، إنّما كانت بالله عزّ وجل، ونحن كُنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله عزّ وجل يأبي إلا أن يزيده رفعة، لما كان فيه من الصيانة والعلم والعبادة.

فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك، لم نُغنِ عنك شيئاً (2).

نعم تولي الإمام المهدي عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام إمامة المسلمين في صغر سنه وكان

ص: 546

1- (1) أما خبر وفد قم بالكتب والأموال، فيظهر أنّه لم يكن هنا متلاحقاً بلا فاصل، بل كان بفاصل زمان، إلا أنّ أبا الأديان أوصله هنا استعجالاً باستكمال العلائم التي تلقّاها من العسكري عليه السلام علي الإمام القائم بالأمر من بعده (راجع موسوعة التاريخ الإسلامي 488:8).

2- (2) راجع: كمال الدين 2: 475.

عمره آنذاك خمس سنين وهذه الإمامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فالإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام توليا الإمامة في الثامنة أو التاسعة من عمرهما وحينئذ لم يعد هناك اعتراض فيما يخص الإمامة المبكرة للإمام المهدي عليه السلام ويكفي دليلاً ومثالاً لظاهرة الإمامة المبكرة قوله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) 1 وقوله تعالى: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) 2 فإن الله الذي أعطي يحيى الحكم وهو صبي وأعطي النبوة لعيسى عليه السلام وهو في المهدي صبياً قادر علي إعطاء الإمامة لعدد من أوليائه ومنهم الإمام المهدي عليه السلام وهو في سن الصبا.

لعلّ أهم بحث يرغب المسلم معرفته، ويتعطّش المؤمن الموالي لإستماعه وفهمه، هو البحث عن غيبة الإمام المنتظر عليه السلام، ومعرفة الأسباب التي دعت إلي هذه الغيبة والعوامل الكامنة خلف احتجاجه عن أنظار المسلمين وعدم قيامه بمهامه كإمام وزعيم في السّاحتين الاجتماعية والسياسية، كما يهم القراء والمستمعين معرفة معني الغيبة وأسبابها ومعرفة توابع الغيبة من امتداد عمره الشريف إلي يومنا هذا، وعدم خضوع الإمام لظاهرة الشيخوخة وغيرها من المسائل المتعلقة بالغيبة والظهور، التي سوف نتحدث عنها باختصار.

ومعني غيبة الإمام المنتظر عجل الله تعالي فرجه الشريف هو اختفاؤه عن عيون الناس حسب إرادة الله، فلا تراه العيون مع كونه موجوداً أو يراه البعض ولكن لا يعرفه، كما دلت علي ذلك بعض الروايات، ولذا عند ظهوره يقول الكثير من الناس إني قد رأيت من قبل، وقد يراه بعض أصحاب الإيمان والتقوي من أولياء الله، وسنتطرق لذكر بعض القصص والحكايات المرتبطة بهذه اللقاءات، في البحث حول غيبته الكبرى، وقبل ذلك لابدّ من الحديث حول أسباب غيبة الإمام المنتظر عليه السلام.

*- أسباب غيبة الإمام المنتظر عليه السلام

لا شك أنّ الغيبة هي من أسرار الله وهو أعرف بأسبابها وفوائدها الحقيقية ولكن هناك أسباب صرّحت بها الأخبار والأحاديث، ومن تلك الأسباب أن حياة الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف كانت مهددة بالقتل من قبل الحكّام العباسيين فكانوا يبحثون عنه في كل مكان حتي فتشوا دار الإمام العسكري عليه السلام، ولذا كان الإمام العسكري عليه السلام يحاول إخفاء ولادة الإمام عليه السلام عن عامّة الناس، تحفظاً علي حياة ولده من شرّ الحكّام

العباسيين وهكذا استمر الخطر عليه من قبل سائر حكام الجور، لأنهم علموا بأن المهدي عليه السلام هو الذي يدمر كيانه، ولا زال الخطر محقق بالإمام عليه السلام وهذا الأمر سبب طول غيبته، لذا فإن شيعته دائماً يدعون له بالسلامة من الأعداء، وثمة سبب آخر علل به غيبة الإمام عليه السلام، وهو امتحان العباد واختبارهم، وتمحيصهم، فقد ورد عن النبي صلي الله عليه وآله انه قال: "أما والله ليغيبنَّ إمامكم شيئاً من دهركم، ولتمحصنَّ، حتي يقال: مات أو هلك بأي وإد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين" (1) أو مجازاة وتأديب الأمة التي ما عرفت قدر أئمتهم، فعن الإمام الباقر عليه السلام "إن الله إذا كره لنا جوار قومٍ نزعنا من بين أظهرهم" (2).

وبما أن للقائم غيبتان كما هو المشهور والمذكور في الروايات كماروي عن الإمام الصادق عليه السلام: "للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصّة شيعته والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصّة مواليه" (3) فلا بدّ من الحديث حول غيبته الصغرى، من ثمّ الحديث حول غيبته الكبرى وفوائدها.

*- الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام

قد اختلف العلماء والمحدثون حول بداية الغيبة الصغرى، وأنها هل بدأت من أوائل عمر الإمام المهدي عليه السلام وفي عهد والده أم بدأت بعد وفاة الإمام العسكري؟ والمشهور هو القول الثاني فتكون الغيبة الصغرى للإمام بدأت في سامراء من عام (260 هـ - ق) بعد وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام ومن سرداب (4) بيته، حيث كان في ذلك

ص: 549

1- (1) كمال الدين 2: 347، الباب 33، الغيبة للنعماني: 153، الباب 10.

2- (2) بحار الأنوار 90: 52، باب 20، علة الغيبة.

3- (3) أصول الكافي 1: 340، الغيبة للنعماني: 170.

4- (4) السرداب هو بناء تحت الأرض في البيوت القديمة يلجأ إليه من حرّ الصيف.

المكان، آخر محاولة للقبض علي الإمام عليه السلام أو اغتياله من قبل الخليفة العباسي المعتضد بالله(1).

لقد حُوصِرَ ربيت الإمام عليه السلام من قبل الخليفة العباسي وخرج الإمام عليه السلام من سرداب البيت ولم يروه بقدره الله، فسَّمي واشتهر بعد ذلك المكان بسرداب الغيبة، واصبحت هذه القصة موضع إتهام الشيعة في آرائهم، والحقيقة بما أن هذا البيت والسرداب الذي فيه كان محلاً لمولد الإمام و مسكناً له ولأبيه وجدّه عليهم السلام، فهو مكان مقدّس عند الشيعة يزورونه، وحيث أنّ الإمام المنتظر لا موضع له يقصد فيه جاءت روايات أهل البيت للحثّ علي إستحباب زيارته في ذلك المكان وليس أكثر من ذلك.(2)

لقد وقعت الغيبة الصغري لتكون مقدمة تمهيدية للغيبة الكبرى لثلاثي يصادم المؤمنون منها إذا وقعت، واستمرّت إلي عام (329 هـ - ق) الذي توفي فيه النائب الرابع للإمام عليه السلام أبو الحسن علي بن محمد السَّمري وحينئذ تكون الغيبة الصغري 69 عاماً.

ويمكن أن نعتبر الغيبة الصغري بدأت من تاريخ ميلاد الإمام المهدي عليه السلام، وأوائل عمره الشريف، لأنّ حياته منذ الولادة كانت مقرونة بالاستتار والاختفاء عن الناس، فنعتبر السنوات الخمس التي قضاها الإمام المهدي عليه السلام مع والده الإمام العسكري عليه السلام من ضمن الغيبة الصغري، وحينئذ تكون غيبة الإمام (74 عاماً) من مبدأ ولادته إلي وفاة النائب الرابع للإمام وبعدها تبدأ الغيبة الكبرى للإمام عليه السلام من عام (329 هـ - ق)(3).

ولكن الثابت أن الإمام العسكري عليه السلام كان يعرض نجله المبارك علي خُلص أصحابه وثقة الشيعة خلال حياته بين الحين والآخر ويعرّفه بأنه الإمام الثاني عشر، وأنّه المهدي الموعود المنتظر عليه السلام كما ذكرنا سابقاً، فلذا يرجّح القول المشهور بعدم اعتبار

ص:550

1- (1) راجع القصة بكاملها في بحار الأنوار 52:52، ح 37.

2- (2) راجع مفاتيح الجنان، الباب 3، في الزيارات.

3- (3) راجع أعيان الشيعة 4:15.

هذه الفترة من عمر الإمام ضمن الغيبة الصغرى، فتكون مدة الغيبة الصغرى من وفاة الإمام العسكري إلي وفاة النائب الرابع للإمام المهدي 69 عاماً.

وفي زمن الغيبة الصغرى لا يعلم بمكان الإمام عليه السلام إلا خاصة شيعته، وقد عيّن الإمام عليه السلام نواباً عنه وأولي مهامهم ربط الأمة به بواسطهم، وتعتبر النيابة الخاصة من المناصب المهمة التي لا تليق إلا بمن تتوفر فيه الصفات اللازمة كالأمانة والتقوي والورع وكتمان الأمور وتنفيذ الأوامر والتعليمات الواصلة من الإمام عليه السلام وغير ذلك من الشروط.

ولا يخفي أن النيابة الخاصة أهم وأعلي من النيابة العامة التي هي مرتبة الاجتهاد للعلماء والفقهاء والمراجع في زمن الغيبة الكبرى، ولا نريد الخوض في هذا البحث أكثر من هذا، وإنما نكتفي بذكر أسماء النواب الأربعة ودورهم الفعّال في زمن الغيبة الصغرى للإمام عليه السلام.

*- النواب الأربعة للإمام الغائب عليه السلام

لَمَّا كان الإمام المهدي عليه السلام يري ضرورة الارتباط بالأمة وحلّ مشاكلها بقدر المستطاع وعلي الأخص في الجانب الفقهي والعقائدي رأى تعيين نواباً عنه وأولي مهامهم ربط الأمة به ورفع كتبها التي من خلالها تسأل عمّا تريد إليه عليه السلام وعلي أيدي هؤلاء كانت ترد الأجوبة والحلول اللازمة في زمن الغيبة الصغرى وهم أربعة أشخاص من كبار الشيعة وكانوا يحضون بلقائه، وهكذا كانت الشيعة تأتي بالأموال الشرعية ويسلمونها إلي النواب ويأخذون توقيعات الإمام منهم.

وهؤلاء النواب الأربعة بحسب الترتيب الزمني كما يلي:

النائب الأول: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي (وكيل الإمام الهادي والعسكري عليه السلام)، ولمّا توفي قام بتجهيزه ولده محمد بن عثمان السفير الثاني ودفنه في بغداد.

النائب الثاني: ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري وهو أطول السفراء بقاءً في السفارة، وقد توفي سنة (304 هـ - ق) ودفن عند والدته في بغداد في منطقة الخلائي.

النائب الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي المتوفي سنة (326 هـ - ق) وقبره في بغداد في النوبختية

النائب الرابع: أبو الحسن علي بن محمد السَّمري المتوفي سنة (329 هـ - ق) والمدفون في بغداد، وكانت سفارته ثلاثة أعوام من اقصر السفارات.

ونظراً لأهمية منصب السفارة بين الناس حاول الكثير اكتساب هذا الشرف ولو كذباً وزوراً وذلك بعد أعوام قليلة بعد الثَّواب الأربع، وأوَّل من ادَّعي ذلك الحسن الشريعي وكان من اصحاب الهادي والعسكري، ومن بعده محمَّد بن نصير النميري ثمَّ الكرخي وهما من اصحاب العسكري وبعدهم الصوفي المشهور الحسين بن منصور الحلاج وغيرهم.

ومن الواضح أن هناك وكلاء آخرون - غير هؤلاء الأربعة - في كثير من البلاد الإسلامية يقومون بدور كبير بين الإمام والسفراء أو بين الإمام والناس أي: كان الوكلاء تارة يراجعون السفراء في القضايا والأسئلة الموجهة إليهم، وتارة يرسلون الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف مباشرة ومن بين هؤلاء الوكلاء علي بن مهزيار الأهوازي، وأحمد بن إسحاق بن سعيد بن مالك الأشعري القمي وكان واسطة بين القميين والأئمة الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام وأدرك شطراً من غيبة الإمام المهدي عليه السلام، وهو الذي عرَّف عليه الإمام العسكري ولده المهدي عليه السلام حينما سأله عن خليفته وأراه إيَّاه وحدِّثه ببعض ما يكون من أمره خلال غيبته الصغرى والكبرى.

وغير هؤلاء ممن أوكل إليهم الإمام المهدي عليه السلام بعض ما يهتم من أمور المسلمين وقبض الأخماس وقضاء حوائج المؤمنين، وكانوا كما ذكرنا يتصلون بالإمام عليه السلام أحياناً

عن طريق سفرائه الذين اعتمدتهم لقضاء الحوائج وحل المشاكل وأخري عن طريق المراسلة.

وهكذا استمرت النيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام إلي عام (329 هـ - ق) الذي توفي فيه النائب الرابع وهو أبو الحسن علي بن محمد السَّمري، وقبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع أخرج للمؤمنين تويحاً من الإمام المهدي عليه السلام يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغري وعهد السفراء المعيّنين من قبل الإمام مباشرة إيداناً ببدء الغيبة الكبرى وكان هذا آخر توقيع صدر عن الإمام في الغيبة الصغري ونص التوقيع هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

" يا علي بن محمد السَّمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلي أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك. فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالي ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة ألا- فمن ادعي المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (1).

*- الغيبة الكبرى للإمام المنتظر عليه السلام

كما أشرنا سابقاً فقد انتهت الغيبة الصغري بوفاة النائب الرابع للإمام المهدي عليه السلام وذلك في سنة (329 هـ - ق) وابتدأت الغيبة الكبرى، ولا تزال مستمرة إلي الآن وبذلك انقطعت طرق الاتصال بالإمام المهدي عليه السلام، وقد أرشد الإمام عليه السلام الشيعة لحل

ص: 553

1- (1) كمال الدين: 516، ح 44، باب التوقيعات، الغيبة لطوسي: 242، وقال العلامة المجلسي: لعله محمول علي من يدعي المشاهدة مع النيابة، وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلي شيعته علي مثال السفراء، لئلا ينافي الأخبار التي مضت والتي ستأتي فيمن رآه عليه السلام (بحار الأنوار 151:52).

مشاكلهم وأخذ معالم دينهم بإرجاعهم إلي رواة الأحاديث والعلماء في التوقيع الذي كتبه إلي أحد وجهاء الشيعة وهو إسحاق بن يعقوب، بواسطة النائب الثاني محمد بن عثمان والذي جاء فيه: "... وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلي رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليكم..." (1).

ويقل المرحوم الطبرسي في كتاب "الاحتجاج" عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال ضمن حديث: "وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه" (2).

فقد فوض الإمام عليه السلام شؤون المسلمين في زمان الغيبة الكبرى إلي الولي الفقيه (3) الجامع للشرائط، وصحيح أن منصب الفتوي والقضاء كان قد جعل للفقهاء من قبل بواسطة الأئمة عليه السلام وفي عهدهم إلا أن شرعية المرجعية والزعامة والحكومة تبدأ من تاريخ الغيبة الكبرى وهي مستمرة إلي ظهور الإمام صاحب الأمر والزمان وعندما يظهر يكون هو المرجع والزعيم والحاكم إن شاء الله.

وفي ضوء الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام أثرت بعض الشكوك والأوهام وتبادرت إلي أذهان الناس. بعض التساؤلات، عن جدوي وجود الإمام المهدي عليه السلام حال غيبته الكبرى وما فائدة الناس به وما ينتفعون منه وكيف عمّر إلي هذا اليوم؟ وغيرها من الشبهات والتساؤلات، نطرح بعضها ونجيب عنها بإختصار.

ص: 554

-
- 1- (1) هذا نص في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، أما في (كمال الدين) للشيخ الصدوق 484:2 فقد ورد الشطر الأخير - من الحديث - هكذا: «وأنا حجة الله عليهم» وفي كتاب (الاحتجاج) للطبرسي 470:2 لا يوجد لفظ «عليهم» ولا «عليكم».
 - 2- (2) الإحتجاج، للطبرسي 263:2، بحار الأنوار 88:2.
 - 3- (3) لقد بحث مسألة ولاية الفقيه من جوانب متعدّدة من قبل العلماء بعد الثورة الاسلامية، وقد ألفت حولها الكتب الكثيرة.

*- ما الفائدة في وجود إمامٍ غائبٍ؟

لقد وردت أحاديث متعددة تذكر فوائد وجود الإمام الغائب عليه السلام ووجه الانتفاع به، وفيما يلي نذكر بعضها: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه سأل النبي صلي الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟

فقال صلي الله عليه وآله: "إي والذي بعثني بالنبوة، إنَّهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كإنتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب" (1).

فالشمس أمان للمجموعة الشمسيّة من الفناء والزوال وفيها فائدة عظيمة للإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء والجماد، ومن الواضح أن السحاب لا يغير شيئاً من تأثير الشمس، وفوائدها، وإتّما يحجب الشمس عن الرؤية - في المنطقة التي يخيم عليها السحاب - فقط.

فالإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف الذي شُدَّ به بالشمس وراء السحاب هو الذي بوجوده يتنعم البشر وهو أمان لأهل الأرض، لأنَّ الأرض لا تخلو من الحجة ولو خلت لساخت بأهلها، وورد هذا المعنى في رسالة الإمام المهدي عليه السلام إلي إسحاق بن يعقوب: "... وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء..." (2).

وبالإضافة إلي هذا فإنَّ إمام العصر أرواحنا فداه يحضر في مواسم الحج كل عام، ويتردد علي المجالس والمحافل، وما أكثر المشاكل التي يحلها بواسطة أو من دون واسطة لبعض المؤمنين، ولعل الناس لا يرونه ولا يعرفونه ولكن الإمام عليه السلام يراهم ويعرفهم، وقد ظفر كثير من الناس بقلائه خلال الغيبة الصغرى والكبرى ورأوا كثيراً من معجزه وكراماته، وحلَّت علي يديه مشاكل عدد من المؤمنين.

ص: 555

1- (1) كمال الدين 1: 253.

2- (2) كمال الدين 2: 485، الغيبة للطوسي: 177.

فكم من مسألة في الأصول والفروع قد أجاب عنها ومشكلة في الدين أو الدنيا قد أنقذ منها، وكم من مريض قد شفاه ومضطر قد نجاه ومنقطع قد هداه وعطشان قد سقاه وعاجز قد أخذ بيده وذلك بلطف الله تعالى واستجابة لدعوته وتوسلاته المباركة بحق هؤلاء وأمثالهم فكيف جاز أن يقول القائل كيف ينتفع بالإمام الغائب، هذا والإمام يرعى شيعته، ويمدهم بدعائه الذي لا يحجب، وقد أعلن ذلك في إحدى رسائله للشيخ المفيد، فقد قال عليه السلام: "إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم الأواء(1)، واصطلمكم(2) الأعداء..."(3).

*- كيف عمّر الإمام عليه السلام إلي هذا اليوم ؟

إن الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار واستمراره إلي حين يأذن الله تعالى له بالظهور، يستلزم عمراً طويلاً ومفتوحاً مع انفتاح الزمن كيف نعالج ونجيب علي هذا السؤال؟

قد عولجت هذه المسألة بإجابات عديدة نذكر الملخص منها، وهي أنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، والعلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان، وعلي هذا الضوء نتناول عمر الإمام المهدي عليه السلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب، فإنّ عمر الإمام المهدي عليه السلام قد سبق العلم نفسه وليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم.

ص:556

1- (1) الأواء: الشدة - المصباح 2:256.

2- (2) إصطلمه: استأصله - القاموس 4:140.

3- (3) الاحتجاج للطبرسي 2:598.

ولكن لنفترض أنّ العمر الطويل غير ممكن علمياً، فماذا يعني ذلك؟ يعني أنّ إطالة عمر الإنسان كنوح والخضر ولقمان بقدره الله وإرادته، وبخلاف القوانين الطبيعية والعلم، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، وقد عطل هذا القانون للحفاظ علي إبراهيم، فقيل للنار حين ألقى فيها إبراهيم (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَي إِبْرَاهِيمَ) 1 فخرج منها كما دخل سليمان لم يصبه أذى إلي كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء والأولياء وهكذا يتضح أن العمر الطويل أمر ممكن علمياً أوبنحو المعجزة وقد تحقق ذلك بالنسبة إلي بعض الأنبياء والأولياء كما تحدّث عنه القرآن الكريم.

وإذا نظرنا إلي موضوع العمر علي ضوء القرآن ومن الناحية العقائدية وجدناه أمراً عادياً جداً، لأنّ كل مؤمن يعتقد أن الآجال بيد الله تعالى، فإذا قدّر الله تعالى لأحدٍ من عباده طول العمر فمن البديهي أن يهيئ له الأسباب المادية، والطبيعية الموجبة لطول العمر، ومن الممكن أن يطول عمره بأمر ممّا وراء الطبيعة لا نعرفها، فهو قادر علي كل شيء فكما طوّل الله عمر آدم ونوح ولقمان وغيرهم من المعمرين، وطوّل عمر النبي الخضر الذي بقي حياً من عهد النبي موسى عليه السلام إلي يومنا هذا، وطوّل عمر النبي عيسى الذي عرج به إلي السماء وبقي حياً إلي يومنا هذا وسوف ينزل من السماء عند قيام الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ويصلي خلفه، فهو قادر علي أن يطول عمر الإمام المهدي عليه السلام إلي متي ما يشاء.

وتتجلي القدرة الإلهية في تحقيق مشيئته، وإخضاع الطبيعة، في قصة النبي يونس عليه السلام الذي (فَأَلْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ

إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ)1 فالظاهر من هذه الآية أن يونس عليه السلام لو لم يكن من المسبحين في بطن الحوت للبت حيًّا في بطنها إلى يوم القيامة.

أليس الله بقادر علي أن يحفظ وليّه من الموت ويعمره آلاف السنين ليظهره في الوقت المناسب ليقوم بالإصلاح الشامل لجميع جوانب الحياة فإنّه آخر مصلح عالمي ادّخره الله للبشر.

ص:558

تصرّح بعض الأحاديث الشريفة بأنّ من سيرته عليه السلام في غيبته الكبرى حضور موسم الحج في كل عام وهي فرصة مناسبة للإلتقاء بالمؤمنين من أنحاء أقطار العالم وإيصال التوجيهات إليهم ولو من دون التعريف بنفسه صراحة، فالأخبار الدالة علي مشاهدته في الغيبة الكبرى كثيرة بحيث نعلم لدي مراجعتها واستقراءها، عدم الكذب والخطأ فيها في الجملة.

ويستفاد من تلك الأخبار بأن لقاءات الإمام المهدي عليه السلام لا تنحصر في عدد معين ومكان معين بل تشمل كل من له صلاحية هذا الإلتقاء في كل عصر وفي أي مكان بالأخص الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة في المدينة المنورة والعراق وإيران، فيزور تلك الأماكن المقدسة والمقامات العالية ويصلي فيها ويدعو لشيعته ومحبيه كما انه لا يستبعد أنّ الإمام عليه السلام يحضر مجالس ومحافل المؤمنين بالأخص العلماء الربانيين ولعل الناس لا يرونه ولا يعرفونه ولكن الإمام عليه السلام يراهم ويعرفهم، وتتبارك تلك المجالس والمحافل بحضوره ودعائه لهم.

ويستفاد من عدد من الأحاديث الشريفة أنّ للإمام المهدي عليه السلام جماعة من الأولياء المخلصين يلتقون به باستمرار في غيبته الكبرى ومن أهل كل عصر، وتصرّح بعض الأحاديث بأنّ عددهم ثلاثون شخصاً، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: " لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة ولا بدّ له في غيبته من عزلة ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة" (1) وروي

ص: 559

عنه عليه السلام: " للقاء غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصة شيعته والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه "(1) وجاء في بعض الأحاديث بأن الخضر عليه السلام من خاصة مواليه مرافقيه في غيبته ولعله يستعين بهؤلاء الأولياء المخلصين للقيام بمهام، كحفظ ورعاية المؤمنين وتسيّد العلماء ودفع الأخطار عنهم والتمهيد لظهوره.

وتشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين بمختلف أقسامها المادية والمعنوية، كما تشتمل علي توجيه الوصايا التربوية وتوضيح غوامض المعارف الإلهية أو التنبيه إلي الأحكام الشرعية الصحيحة وغير ذلك من مهام الإمام عليه السلام في كل عصر.

وتحققت من هذه اللقاءات إضافة لذلك ثمار مهمة تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده عليه السلام وإزالة التشكيكات الواردة حوله في كل عصر بما يعزز سيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره عليه السلام.

وهذه الكتب المؤلفة في أزمنة مختلفة وبلاد متفاوتة ألفها ثقات لا يعرف بعضهم بعضاً وفيها من الحكايات الشاهدة لما ذكرنا من مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام والتشرف بخدمته ولمزيد الإطلاع عليك بمراجعتها(2) ، وبما أن للقصص أهمية كبرى في التثقيف والتوجيه والتعليم، نكتفي بذكر حكاية المقدس الأردبيلي من الذين تشرفوا بلقاء الإمام عليه السلام.

ص:560

1- (1) أصول الكافي 1:340، الغيبة للنعماني: 170.

2- (2) راجع كتاب: التّجم الثاقب للميرزا النوري، وقد ناقش قضية الإلتقاء بالإمام عليه السلام في الغيبة الكبرى، وعدم تعارضها مع أمر الإمام المهدي عليه السلام في توقيعه للشيخ السّمري بتكذيب مَنْ ادعي المشاهدة في الغيبة الكبرى وأثبت جواز الإلتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى وذكر بعض الحكايات وقصص الذين تشرفوا بلقاء الإمام عليه السلام.

ذكر العلامة المجلسي أنّه سمع من جماعة أخبروه عن السيد الفاضل أمير علام قال: كنت في صحن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ساعة متأخرة من الليل، فرأيت رجلاً مقبلاً نحو الروضة المقدّسة، فاقتربت منه فإذا هو العالم التقيّ مولانا الشيخ أحمد الأردبيلي - قدّس الله روحه - فاخفيت عنه، فجاء إليّ باب الروضة - وكان مغلقاً - فانفتح له الباب، ودخل الروضة، فسمعتة يتكلم كأنّه يُناجي أحداً، ثم خرج وأغلق باب الروضة، فتوجه نحو مسجد الكوفة وأنا خلفه أتبعه وهو لا يراني، فدخل المسجد وقصد نحو المحراب الذي اسشُهد فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومكث هناك طويلاً، ثم رجع نحو النجف وكنت خلفه أيضاً، وفي أثناء الطريق غلبني السعال، فسعلت، فالتفت إليّ وقال: أنت أمير علام؟

قلت: نعم.

قال: ما تصنع هاهنا؟!

قلت: كنت معك منذ دخولك الروضة المقدّسة وإليّ الآن، وأقسم عليك بحقّ صاحب القبر أن تخبرني بما جري عليك من البداية إليّ النهاية؟

قال: أخبرك بشرط أن لا تخبر به أحداً ما دمت حياً، فوافقت الشرط.

فقال: كنت أتفكّر في بعض المسائل الفقهية الغامضة، فقرّرت أن أحضر عند مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأسأله عنها، فلمّا وصلت إليّ باب الروضة إنفتح لي الباب بغير مفتاح، فدخلت الروضة وسألت الله تعالى أن يجيبي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك المسائل، فسمعت صوتاً من القبر: أن ائت مسجد الكوفة، وسل من القائم، فإنّه إمام زمانك، فأتيت المسجد عند المحراب، وسألت الإمام المهدي عليه السلام عنها فأجابني عن ذلك، وها أنا إليّ بيتي (1).

ص: 561

وهناك غيرها من الحكايات والقصص المشهورة، ومنها قصة تشرف الحاج علي البغدادي بلقاء الإمام الحجة عليه السلام الحاوية علي فوائد جمّة والحادثة في عصرنا في هذا الموضوع، وقد أوردها الشيخ النوري في كتابه النجم الثاقب، وأوردها أيضاً الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان فراجعها.

ص:562

لا شك أن الإمام المهدي عليه السلام يحضر باستمرار في كثير من الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة كالمسجد الحرام في موسم الحج وغيره ومسجد النبي صلي الله عليه وآله والمسجد الأقصى ومسجد الكوفة ومسجد السهلة المنتسب إليه وهكذا يحضر المراقد المشرفة كمرقد جده النبي المصطفى صلي الله عليه وآله ومرقد أجداده أئمة الهدى عليهم السلام في المدينة المنورة والعراق وإيران، فيزور تلك الأماكن المقدسة والمقامات العالية ويصلي فيها ويدعو لشيعته ومحبيه كما انه لا يستبعد أن الإمام عليه السلام يحضر مجالس ومحافل المؤمنين بالأخص العلماء الربانيين ولعل الناس لا يرونه ولا يعرفونه ولكن الإمام عليه السلام يراهم ويعرفهم، وتبارك تلك المجالس والمحافل بحضوره ودعائه لهم.

ومن جملة الأماكن المقدسة التي لا يستبعد أن يحضر فيها الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام هو: مسجد جمكران المقدس (1) المنتسب إليه في قم المقدسة عش آل محمد عليهم السلام ومدفن السيدة فاطمة المعصومة بنت موسى بن جعفر كريمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا المسجد هو مكان يجتمع فيه المؤمنون المنتظرون في ليالي الجمعة والأربعاء من مختلف أنحاء إيران وخارجها لأداء الطقوس الدينية، ويذكرون فيه اسم الله ويدعون فيه لتعجيل ظهور الإمام عليه السلام وأصبح اليوم هذا المكان مورد اعتناء

ص: 563

1- (1) بني هذا المسجد بأمر من الحجة (عج) في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة (393 هـ -) في قرية جمكران من ضواحي قم علي ما أخبر به العبد الصالح الحسن بن مثلة الجمكراني، ولأهمية هذا المسجد ومكانته بين المؤمنين الموالين المنتظرين لظهور الحجة عليه السلام ينبغي التعرف عليه، وللإطلاع علي تاريخه وكيفية انتسابه إلي صاحب الزمان والأعمال المندوبة فيه، عليك بمراجعة كتاب تاريخ قم للشيخ حسن القمي المعاصر للشيخ الصدوق، وكتاب (النجم الثاقب) للشيخ النوري، أو كتاب مفاتيح الجنان، وغيرها من الكتب التي ألفت في هذا الموضوع.

المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام، وأخذوا يترددون عليه لتجديد العهد والولاء والمحبة مع حبيبتهم وإمامهم ومنقذهم من الظلم والاضطهاد، فكم من زائر لهذا المكان ليصلي فيه ركعات ويدعو الله، ويتوسل بصاحب الأمر ليصبح من المقرّبين، وكم من محب قريب يزور هذا المكان كراراً ليشم رائحة حبيبه ويطلب من الله لقاءه ليصبح من الفائزين.

وكم طالب حاجة دنيوية أو أخروية يزور المسجد فيصلح فيه ويدعو الله ويتوسل بصاحب هذا المكان المقدّس لقضاء حوائجه، وحاشا لكريم رؤوفٍ من أهل بيت الكرم والسخاء أن يرّد من سأله.

وهذا الاجتماع العبادي المتواصل أسبوعياً تحت راية الإمام الحجة عليه السلام وتحت قبة بنيت باسمه الشريف في مدينة قم المقدسة اجتماع قلّ نظيره ويرمز إلي النصر للولاية في بلد الإسلام المحمدي الأصيل، بلد الولاء والمحبة لأهل البيت عليهم السلام ويُبشّر بقرب ظهور الحجة المنتظر إن شاء الله.

الانتظار عبارة عن حالة نفسانية وقلبية ينبعث منها التهيؤ لما ننتظره، وضده اليأس، والمؤمن المنتظر مولاه حقيقة، كلما اشتد انتظاره ازداد جهده في التهيؤ لذلك بالورع والاجتهاد بتهذيب النفس عن الأخلاق الرذيلة والتحلي بالأخلاق الحميدة حتي يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله في زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين، ورواية أبي بصير دالة علي توقف فوز المشاهدة والصحبة علي ذلك، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: " من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه... " (1).

فالإنتظار الحقيقي لفرجه عجل الله تعالي فرجه الشريف الذي يكون عبادة بل أفضل الأعمال والعبادات كما صرحت به الروايات (2) هو الإنتظار البناء الباعث للتحرك والإلتزام الديني ولا يتحقق هذا الإنتظار الحقيقي إلا ضمن الشروط التالية التي تعتبر من تكاليف المؤمنين الموالين للإمام المهدي المنتظر عليه السلام في زمن غيبته الكبرى.

*- تكاليف المؤمنين زمن الغيبة

أولاً - ترسيخ معرفة الإمام المهدي عليه السلام والإيمان بإمامته في زمن غيبته والإعتقاد بظهوره وبدوره التاريخي في اصلاح المجتمع البشري، والقيام بارساء دعائم دولة عادلة كريمة تملأ الأرض قسطاً.

ثانياً - تربية النفس واعدادها بصورة كاملة من خلال العمل بالكتاب والسنة

ص: 565

1- (1) بحار الأنوار 140:52، الباب 22.

2- (2) راجع: كمال الدين: 645، بحار الأنوار 140:52.

والتمسك بالثقلين كتاب الله وعترة نبيه صلي الله عليه وآله ومن ثم التحرك بدعوة الناس إلي الحق وتربية أنصار الإمام عليه السلام للتمهيد لظهوره.

وعلي ضوء ما تقدم يتضح أنّ الإنتظار الحقيقي يتضمن حركة بناءة مستمرة استعداداً لظهور المنقذ والمصلح العالمي المنتظر علي الصعيدين الفردي والاجتماعي مهما كانت الصعاب والتضحيات، يقول الإمام الخميني قدس سره في آخر بيان أصدره بمناسبة النصف من شعبان قبل وفاته: "سلام عليه (المهدي الموعود) وسلام علي منتظره الحقيقيين، سلام علي غيبته وظهوره، وسلام علي الذين يدركون ظهوره علي نحو الحقيقة ويرتوون من كأس هدايته ومعرفته، سلام علي الشعب الإيراني العظيم الذي يُمهّد لظهوره بالتضحيات والفداء والشهادة..."⁽¹⁾.

هذا والإمام المهدي عليه السلام قد صرّح بحقيقة إنتظار فرجه في كتابه إلي الشيخ المفيد، بقوله: "فليعمل كل امرء بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا يُنجيه من عقابنا ندم علي حوبة"⁽²⁾ والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته"⁽³⁾.

ثالثاً - ومن أهمّ تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة التي أكّدها الأحاديث الشريفة، هو الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بالحفظ والسلامة من الأعداء والتصديق عنه وتعجيل فرجه وظهوره والنصر علي أعدائه والمواظبة علي زيارته وغير ذلك مما ذكرته الروايات وقد جمعت في كتاب "مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم" وكتاب "وظائف الأنام في غيبة الإمام" لآية الله السيد الأصفهاني.

ص: 566

1- (1) صحيفة نور: 21.

2- (2) الحوبة: الخطيئة والحبوب: الإثم - مجمع البحرين.

3- (3) الإحتجاج للطبرسي 2: 599.

يا صاحب العصر أدركنا فليس لنا وردٌ هنيءٌ ولا عيش لنا رغد

طالت علينا ليالي الانتظار فهل يا بن الزكي لليل الانتظار غد؟(1)

الدُّعاء للحجَّة المنتظر

لا شك أنَّ للدُّعاء دوراً مهمّاً و مصيرياً بالنسبة لمستقبل حياة الانسان وسعادته ولا سيما اذا كان الدُّعاء لحفظ الامام المهدي المنتظر عجل الله تعالي فرجه الشريف حتي يقوم بأداء مهمته الكبرى.

إن تعميق الارتباط بالإمام الغائب عن الأبصار يتم من خلال توثيق العلاقة الروحية وتعميق الايمان به واستشعار حضوره وترقُّب ظهوره في كل يوم بل في كل لحظة، وقد قامت الادعية والزيارات الواردة عن أهل بيت الرسالة بأداء هذا الدور خير قيام، ففي دعاء الندبة يبلغ الموالي في ندبته لإمامه قمة الارتباط والولاء والشوق حين يندبه كل جمعة بدعاء بليغ يبيّن فيه شدة الانشداد والتعلق العاطفي بإمامه المنتظر بعد استعراض الطريق الدامي لمسيرة الهداية الربانية عبر العصور والرسالات وما قدّمه أهل البيت عليه السلام من تضحيات ويذكر النادب في ندبته لإمامه اوصاف كماله وأهدافه الكبرى ويتمني ما يتمناه المتفجع بمصاب الغيبة التي حرم فيها هذا المؤمن من بركة الحضور والظهور، ونظراً لأهمية هذا الدعاء في عصر الغيبة نحثُ المؤمنين جميعاً لقراءته والتعرف علي معانيه ومفاهيمه من خلال مراجعة كتب الأدعية وشروحها.

و الزيارة هي سبيل من سبل الارتباط بالمزور ولا سيّما إذا كان غائباً عنّا كالإمام المهدي عليه السلام، ففي الزيارة المعروفة بزيارة آل يس استعراض لحالات الإمام المهدي

ص:567

وسيرته حال غيبته، وما ينبغي للمنتظرين الالتزام به والاهتمام به، هي خطوة من خطوات التمهيد للظهور.

وهناك عدد من الأدعية والزيارات الأسبوعية أو اليومية التي يزار بها الإمام المهدي عليه السلام أو يدعى له وهي ما بين أدعية وزيارات قصيرة ومتوسطة وتفصيلية تجدها في كتب الأدعية والزيارات المعروفة مثل مهج الدعوات ومصباح المتهجد ومفاتيح الجنان، ومن بين تلك الزيارات زيارة (آل يس) (1) حيث أنها من أفضل الزيارات التي يزار بها الحجة، لقد وردت هذه الزيارة مع الدعاء من الناحية المقدسة للإمام المهدي عليه السلام قال محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري: خرج التوقيع من الناحية المقدسة بعد المسائل: بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون. السلام عليك وعلي عباد الله الصالحين، إذا أردتم التوجه بنا إلي الله تعالى صلي الله عليه وآله وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: "سلام علي آل يس...".

ومن أفضل الأدعية التي يندب بها الإمام الحجة لتعجيل ظهوره، هو دعاء الندبة المعروف الذي يستحب قرائته في كل جمعة، وقد اعتاد شيعة الإمام ومحبيه ومنتظروه أن يقرأوا هذا الدعاء كل جمعة في الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة وفي البيوت.

ومن تلك الأدعية المهمة المعروفة التي ينبغي لكل مؤمن منتظر أن يدعو بها في زمن الغيبة، هو دعاء الإمام الصادق عليه السلام الذي علمه لزيارة وقال له: إذا أدركت زمن غيبة القائم ادع بهذا الدعاء: "اللهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تُعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني نبيك فإنّك إن لم تُعرّفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنّك إن لم تُعرّفني حجتك صمّلت عن ديني، اللهم لا تُمتني ميته جاهلية..." (2).

ص: 568

1- (1) الإحتجاج، للطبرسي 2: 591.

2- (2) أصول الكافي 1: 337، الغيبة للنعماني 7: 166، كمال الدين 2: 342.

ومن الادعية اليومية التي يستحسن قراءتها في القنوت من كل صلاة فريضة او نافلة ويستحب تكراره كثيراً ليلة القدر هو الدعاء التالي: "اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلي آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقانداً وناصرًا ودليلاً وعيناً حتى تسكنه ارضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً".

ومن الادعية المتضمنة لتجديد العهد بالامام المهدي عليه السلام يوماً بعد صلاة الفجر السلام عليه بما يلي: "اللهم بلغ مولاي صاحب الزمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين والمؤمنات، في مشارق الارض ومغاربها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها، حيهم وميتهم، وعن والديّ وولدي وعني من الصلوات والتحيات زنة عرش الله ومداد كلماته، ومنتهي، رضاه، وعدد ما أحصاه كتابه، وأحاط به علمه، اللهم اني اجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة في رقبتي، اللهم كما شرفنتني بهذا التشريف، وفضلتني بهذه الفضيلة، وخصصتني بهذه النعمة، فصل علي مولاي وسيدي صاحب الزمان، واجعلني من أنصاره واشياعه والذابين عنه، واجعلني من المستشهدين بين يديه طائعاً غير مكره في الصف الذي نعت أهله في كتابك فقلت: (صفاً كأنهم بنيان مرصوص) علي طاعتك وطاعة رسolk وآله عليهم السلام. اللهم هذه بيعة له في عنقي الي يوم القيامة". (1)

ومن هذا النمط دعاء العهد المروي عن الامام الصادق عليه السلام والذي جاء في أهميته أنه من دعا الي الله تعالى أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار القائم المهدي، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة، وللإطلاع عليه راجع مفاتيح الجنان، الباب الثالث في الزيارات.

ص: 569

1- (1) انظر مفاتيح الجنان، الباب 3 في الزيارات، دعاء العهد.

يمكننا أن نقسم علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام حسب ما تتلخّصه من الأحاديث، إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلائم العامة التي تحدث قبل الظهور بعشرات السنين، وهي التي تتحدث عن الانحرافات التي تنتشر في المجتمعات الإسلامية وغيرها من الظلم والجور والفسق والفجور وارتكاب الذنوب والمحرمات، فتتلوث بها المجتمعات البشرية وقد تحققت الكثير من تلك العلامات.

القسم الثاني: العلائم التي تحدث قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام بسنوات قليلة، وهذه العلائم كثيرة وقد ذكرتها أغلب الكتب التي ألّفت حول الإمام المهدي و سنذكر بعضها في هذا المختصر:

منها: كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره علي خلاف القاعدة، أي: خلاف القاعدة الطبيعية الفلكية التي يكون كسوف الشمس يحدث في أواخر الشهر وخسوف القمر يحدث في أواسط الشهر القمري،⁽¹⁾

ومنها: موت كثير من الناس، بسبب الجوع أو المرض، ومن الممكن أن يحدث ذلك بوقوع الحرب العالمية الثالثة، أو ثورات ونزاعات داخلية في كثير من البلاد أو كوارث طبيعية وغيرها من العوامل والأسباب.

ومنها: خروج الدّجال الأعور من قرية بين الشام والعراق وقيل هو أصله من إصفهان⁽²⁾، ويفتك بالمؤمنين ويتبعه اليهود، ونهاية هذا المجرم تكون علي يدي الإمام

ص:570

1- (1) الغيبة للنعماني: 271

2- (2) معجم أحاديث الإمام المهدي 2:59 ح 415.

المنتظر عليه السلام والنبي عيسى عليه السلام.(1)

ومنها: هلاك يأجوج ومأجوج وهم قوم من الرُّوس علي يدي النبي عيسى عليه السلام(2) ، وهكذا موت خليفة في الحجاز، حيث لم يجتمع الناس بعده علي أحدٍ كما روي عن الصادق عليه السلام(3)

ومنها: رفع الرايات السُّود من خراسان، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: "إذا رأيتم الرايات السُّود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي"(4) ولعلّ الذي يرفع تلك الرايات هو ذلك الهاشمي الحسني بمعونة شعيب بن صالح، فيخرج الهاشمي واليماني بجيشهما لملاحقة جيش السفيناني وأخيراً ينتصران علي جيشه.

القسم الثالث: العلام المحتومة لظهور الإمام المهدي عليه السلام وهي التي تحدث قطعاً وتكون مقارنة لظهور الإمام، وهذه العلام خمسة كما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام: "قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني والسفيناني، والصيحة، وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء"(5).

* العلام المحتومة لظهور المهدي عليه السلام

قد مرّ في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّ العلامات المحتومة التي ستقع حتماً قرب الظهور أو مقارنة له خمسة هي:

1 - النداء أو الصيحة السماوية: عن الإمام الصدق عليه السلام: "الصيحة في شهر رمضان تكون

ص: 571

1- (1) راجع: منتخب الأثر: الفصل 6، الباب 7: 570 وفي الفصل 7، الباب 9: 602.

2- (2) معجم أحاديث الإمام المهدي 2: 145 ح 487.

3- (3) بحار الأنوار 52: 203.

4- (4) كشف الغمة 2: 472.

5- (5) الغيبة للنعماني: 133، كمال الدين 2: 650.

ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان "(1) وهذا النداء بواسطة جبرئيل ليعلن للبشرية أنّ الحق في آل محمد صلي الله عليه وآله ويُنشر بظهور المهدي عليه السلام ويدعو الناس إلي متابعتة كما ورد عن النبي صلي الله عليه وآله: "إذا نادي من السماء أنّ الحقّ في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي علي أفواه النَّاس..."(2)

2 و 3 - خروج السفيناني وإنخساف الأرض بجيشه: من العلامات المحتومة هي خروج السفيناني من الشام، وهذا الرجل أمويّ النسب من ولد عُتْبة بن أبي سفينان، واسمه "عثمان بن عنبسة" وهو من أخبث الناس ومن ألدّ أعداء أهل البيت عليهم السلام، فهو يظهر في الشام ويستولي عليها ثم يجهّز جيشاً فيرسل قسماً منه إلي العراق فيحتل المدن الكثيرة ومنها النجف والكوفة ويرسل قسماً آخر من الجيش نحو المدينة ويعبث جيش السفيناني بالمدينة قتلاً ونهباً ثلاثة أيام، ثم يتجه الجيش نحو مكة لإلقاء القبض علي الإمام المهدي عليه السلام وفي الصحراء الفاصلة بين المدينة ومكة تنخسف بهم الأرض فتبلعهم جميعاً وعندئذ ينهض الإمام القائم عليه السلام من مكة المكرمة ثم يسير نحو المدينة ثم من المدينة نحو الكوفة ويفرّ السفيناني من العراق إلي الشام ويرسل الإمام جيشاً يتعقب السفيناني وبالتالي يتم القضاء عليه في بيت المقدس ويحرّون رأسه(3).

4 - خروج اليماني: وهي من أفضل رايات الحجّة وأهداها، كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: "وخروج السفيناني واليماني والخراساني (الهاشمي) في سنة واحدة، في شهرٍ واحد، في يوم واحد....، وليس في الرايات أهدي من راية اليماني، هي راية هدي لأنه يدعوكم إلي صاحبكم"(4).

ص: 572

1- (1) كمال الدين 2: 650.

2- (2) كمال الدين 2: 650.

3- (3) الغيبة للطوسي: 265، منتهي الآمال 2: 656.

4- (4) الغيبة للنعماني: 255 باب 14 ح 13، وبحار الأنوار 52: 232.

5 - قتل النفس الزكية: يعتبر ذبح النفس الزكية بين الركن والمقام من العلامم المحتومة التي تحدث قبل قيام القائم عليه السلام بأيام قليلة، كما جاء ذلك في حديث الإمام الصادق عليه السلام(1). وقد ذكر اسمه في رواية الإمام الباقر عليه السلام وأنه حسني: "...وقتل غلام من آل محمد بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن، النفس الزكية... فعند ذلك خرج قائمنا"(2).

وجاء في بعض الروايات، أن هذا الغلام يخرج من خراسان أو من ناحية الديلم في شمال إيران فيجيبه رجال من طالقان،(3) ويحارب جيش السفيناني وينتصر عليهم، ثم يرسله الإمام المهدي عليه السلام إلى مكة ليمهد له الظهور فيقتلونه أهل مكة بين الركن والمقام ويعثون برأسه إلى السفيناني وعند ذلك بعد أيام قليلة يظهر صاحب هذا الأمر(4).

ص:573

1- (1) كمال الدين 2:649، وبحار الأنوار 52:203.

2- (2) بحار الأنوار 52:192 و 307

3- (3) طالقان، منطقة واسعة تشمل مجموعة مدن وقرى، تقع بين طهران وقزوین.

4- (4) بحار الأنوار 53:15، وأعيان الشيعة 2:75.

قد ورد في الأخبار أنّ بداية ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخروجه عن الاستتار يكون في المدينة المنورة، ويصل خبر ظهوره إلي السفيناني وقد استولي علي بلاد الشام فيرسل السفيناني جيشاً إلي المدينة للقضاء علي الإمام عليه السلام، ولكن الإمام يخرج من المدينة قاصداً مكة المكرمة للقيام من هناك، ويتوجه الجيش الذي أرسله السفيناني للقبض علي الإمام نحو مكة وقبل الوصول يخسف الله بهم الأرض جميعاً وتبلعهم في البداء بين مكة والمدينة، ويصل المهدي عليه السلام إلي مكة وتمرّ الأيام القليلة ويعلن الإمام عليه السلام قيامه منها في يوم السبت يوم عاشوراء من الأعوام الفردية كماورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أو يوم الجمعة كما في بعض الروايات، ولعل الجمع بين التاريخين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة وفيها يخطب خطبته في المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفة يوم السبت. (1)

ويحضر الإمام المهدي عليه السلام في ذلك اليوم في المسجد الحرام ويُصلي ركعات عند مقام إبراهيم عليه السلام ويقف بين الركن والمقام ويخطب في الناس كراراً ويستنصرهم ويشير إلي مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وأوّل من يبايعه في مكة جبرئيل، ثم يبايعه صفوة أصحابه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (313) بعدد أصحاب أهل بدر، حيث جاءوا من شرق الأرض وغربها واجتمعوا في مكة، وهم أصحاب الألوية وحكّام الله في أرضه، وهؤلاء لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون كما عبّر عنهم الإمام الصادق عليه السلام، ثم يبايعه سائر الناس من أهل الحجاز واليمن وأصحاب رايات السُّود من

ص:574

إيران، و" الأبدال من الشام، والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق" (1) وغيرهم حتى يتم أنصاره عشرة آلاف، من مختلف أقطار العالم، ثم يسير الإمام عليه السلام من مكة إلى المدينة، بعد أن ينصب فيها والياً من قبله، وهناك في المدينة يقوم بأعمال وانجازات، ثم ينصب والياً من قبله ويتوجه من المدينة نحو العراق، ويستقر في الكوفة ويتخذها عاصمة لخلافته وحكومته إقتداءً بجده الإمام علي عليه السلام كما أخبر بذلك النبي صلي الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. (2)

ويلاحظ أن المسير الذي اختاره الإمام هو المسير الذي اختاره جده الإمام الحسين في نهضته الاستشهادية من مكة إلى الكوفة الذي منع جده عن الوصول إليها فيصل المهدي عليه السلام إليها ويحقق جميع الأهداف الإصلاحية التي سعي لها جده سيد الشهداء عليه السلام وعندما يدخل الكوفة يوحد الرايات، وفي الكوفة يلتحق السيد الحسيني وجيشه بالإمام عليه السلام ويبايعونه، ثم الإمام المهدي عليه السلام وبعدهما تستقيم له في الكوفة الأمور، يتوجه نحو الشام للقضاء علي السفيناني، ويصل الإمام المهدي عليه السلام بجيشه إلى فلسطين، عندها ينزل السيد المسيح عيسي عليه السلام من السماء ويقتدي به في الصلاة، وينصره في حربه مع جيش السفيناني (3).

*- النبي عيسي، يقتدي بالإمام المهدي عليه السلام

إنّ نزول النبي عيسي بن مريم عليه السلام من السماء والاقتراء بالإمام المهدي عليه السلام من الحقائق الثابتة عند جميع المسلمين، ويعتبر نزوله من أهم الحوادث، وأعظم الآيات

ص: 575

1- (1) معجم أحاديث الإمام المهدي 3: 102 ح 645.

2- (2) راجع: غيبة الطوسي: 274، وبحار الأنوار 13: 180.

3- (3) راجع: الإرشاد: 378، وكمال الدين 2: 653.

والدلالات علي حقانية الإمام المهدي عليه السلام، ولعلّ الحكمة في نزوله هي تقوية الإمام المهدي عليه السلام، إذ لاشك أنّ النصاري الحقيقيين إذا سمعوا بأن عيسى ابن مريم عليه السلام قد نزل من السماء واقتدي بالإمام المهدي عليه السلام فهل يبقى شعب مسيحي أو حكومة مسيحية تحارب الإمام المهدي عليه السلام!؟

كلا... بل تجد المسيحيين يدخلون تحت راية الإمام المهدي عليه السلام ويعتقون الدين الإسلامي، وهكذا تخضع للإمام المهدي عليه السلام أكثر الدول والحكومات المسيحية وهكذا ترجع النصاري عن تأليه عيسى بمشاهدتهم لمناصرة نبيهم لخاتم الأوصياء وأما اليهود الحقيقيون فإنهم يجتمعون عند الإمام المهدي عليه السلام فيخرج لهم ألواح التوراة الحقيقية فيجدون فيها أوصاف الإمام وعلائمه، فيؤمنون به ويعتق الكثير منهم دين الإسلام، وأما سائر الأديان والملل، فيدعوهم الإمام إلي الإسلام الصحيح الكامل فيقبله أكثر الملل والشعوب وتتقاد له أكثر الدول والحكام(1).

وأما المسلمون وبالأخص الشيعة، فمن الواضح أنهم سوف يكونون في طليعة الشعوب التي تلتف حول الإمام المهدي عليه السلام وتندمج تحت لوائه وينتهي الإمام عليه السلام الحالة المذهبية فيوحد المذاهب الإسلامية علي أساس السنّة النبوية النقية فهو كما قال جده صلي الله عليه وآله: "سنّته سنّتي يقيم الناس علي ملتي وشريعتي"(2).

ولا شك أنّ الذي لا ينقاد إلي الحق ويقف أمام قيام المهدي عليه السلام فإن الإمام يستخدم القوة من السيف والوسائل الأخرى، لإخضاع هؤلاء فإن الإمام المهدي عليه السلام ليس مأموراً بالمداراة مع الأعداء والصبر علي أذاهم وإنما عليه أن يأتي بالإسلام الصحيح ويطبقه علي العالم كله ولو كره المشركون.

ص:576

1- (1) ولتوثيق المقولات بالروايات راجع بحار الأنوار 530:14 وكتاب منتخب الأثر.

2- (2) كمال الدين 411:2، الباب 39 ح 6.

لقد كان للإيرانيين الدور البارز والمشهود في مساندة الرسالة المحمدية من بداية عصر الرسالة إلي يومنا هذا، والروايات الواردة عن المعصومين والعلماء وتاريخ الإسلام يشهد لذلك ومن أراد الإطلاع علي ذلك فإليراجع كتاب (خدمات متقابل إسلام وإيران) بالفارسية أو ترجمته بالعربية(1)، بإسم (الإسلام وإيران) للإستاذ الشهيد مرتضي مطهري.

وحسب الروايات والأحاديث الواردة سيكون للإيرانيين الدور المهم في التمهيد لظهور المهدي عليه السلام ومواكبة ومؤازرة المسيرة الإصلاحية لنهضة حفيد الرسول صلي الله عليه وآله حتي النصر النهائي، وتشكيل دولته العالمية، ويمكن تلخيص تلك الأعمال البارزة التي سيقومون بها في ظل حركة الظهور المقدس وإقامة الدولة الكريمة، في ضمن الأمور التالية:

أولاً: وجود أنصار المهدي عليه السلام الخواص من إيران: إنَّ حضور عدد كبير من إيران بين أصحاب الإمام الخواص، هو خير دليل علي الدور المهم الذي سيقوم به الإيرانيون في نهضة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهؤلاء من مدن الأهواز وشيراز والديلم وقزوین و الرّي وطوس وغيرها من المدن وأكثرهم عدداً من مدينتي قم وطالقان(2) وقد ذكرتهم الروايات منها الرواية المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام في دلائل الإمامة.(3)

ولاشك إن لقم وأهلها، بحسب ما نستفيد من الأحاديث، دوراً كبيراً في التمهيد لظهور الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسوف يكون لهم الدور الفعال في قيامه وتشكيل دولته

ص:577

1- (1) ترجم هذا الكتاب بالعربية فضيلة الشيخ اليوسفي الغروي.

2- (2) من قم (18 رجلاً)، ومن طالقان (24 رجلاً)، راجع أعيان الشيعة 1:84.

3- (3) راجع: دلائل الإمامة: 307.

العالمية، لقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنما سميت قم؛ لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد صلي الله عليه وآله ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه" (1).

وأيضاً إن وجود مسجد في قم ينسب إلي صاحب الأمر والزمان عليه السلام، والذي يقصده المسلمون من كل مكان، ويدعون لسلامة الإمام وتعجيل ظهوره، يدلّ علي مدي أهمية قم وأهلها كأحد القواعد الأساسية لقيام الإمام المنتظر عجل الله تعالي فرجه الشريف.

وبالنسبة إلي طالقان (2) لقد عبرت عن رجالها في الروايات بـ "كنوز الطالقان"، فقد روي ابن اعثم الكوفي في كتاب الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "ويحاً للطالقان فإن فيها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته وهم أيضاً أنصار المهدي في آخر الزمان" (3).

ثانياً: خروج الرايات السود وأهل المشرق بقيادة الخراساني وشعيب بن صالح: من العلامات الحتمية التي وردت في سياق علامات الظهور، تلك الروايات التي تشير إلي رايات السود لقوم من المشرق ومن خراسان، يخرجون لنصرة المهدي ومؤازرته في قتال أعداء الدين، ولا شك أن هؤلاء القوم من أهل إيران، فعن النبي صلي الله عليه وآله: "إننا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علي الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتطريدا وتشريدا حتي يأتي قوم من نحو المشرق أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها حتي يدفعوها إلي رجل من أهل بيتي، فيملأها عدلاً كما ملأوها ظلماً فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبوا علي الثلج فإنه المهدي" (4)، وفي

ص: 578

1- (1) ترجمة تاريخ قم: 100، وفي بحار الأنوار 216:60.

2- (2) طالقان، منطقة واسعة تشمل مجموعة مدن وقري، تقع بين طهران وقزوین.

3- (3) بحار الأنوار 87:51 باب ا، وراجع: أعيان الشيعة 1:84.

4- (4) بحار الأنوار 82:51 باب 1.

رواية أخرى عنه صلي الله عليه وآله تصرّح بأنّ هؤلاء الناس من المشرق، هم من أهل خراسان: "إذا رأيتُم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاستقبلوها مشياً علي أقدامكم، لأنّ فيها خليفة الله المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف" (1).

*- إيران الإسلام نَمَهْد لظهور الحجة عجل الله تعالي فرجه الشريف

إنّ وقوع نهضة الشعب الإيراني وانتصار ثورته الإسلامية المباركة في عصرنا هذا التي بدأت من قم بقيادة الإمام الخميني قدس سره، وأثمرت بتشكيل الحكومة الإسلامية والتي لا زالت تواصل الإثمار والعطاء بقوة بقيادة الإمام الخامنئي دامه ظلّه هو دليل آخر علي مكانة إيران والإيرانيين ودورهم في التمهيد لظهور الحجة المنتظر عجل الله تعالي فرجه الشريف كما تشير إلي ذلك الرواية التالية الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام، حيث يقول عليه السلام: "رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ قُمْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ كَزُبْرِ الْحَدِيدِ، لَا تُزَلُّهُمْ الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ، وَلَا يَمَلُّونَ مِنَ الْحَرْبِ، وَلَا يَجْبُنُونَ، وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (2)، وفي رواية أخرى عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام: "كأني بقوم خرجوا من المشرق يطلبون الحق... ولا يدفعونها إلاّ إلي صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إنني لو أدرك ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر" (3).

إنّ ما تقوم به الجمهورية الإسلامية في عصرنا هذا من التصدي لأعداء الدين والدعوة إلي الإسلام المحمدي الأصيل في قبال الإسلام الأمريكي الذي يروّجه الغرب، والدفاع عن الشعوب المستضعفة ودعم حركات التحرير في العالم، ومساندة المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها من البلدان تجاه

ص: 579

1- (1) بحار الأنوار 51: 82 باب 1.

2- (2) تاريخ قم: 100.

3- (3) بحار الأنوار 52: 243، علامات ظهوره.

الإستكبار العالمي، كلّه في الواقع يشكّل التّمهيد العام لظهور الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسيصبح هذا النظام الإسلامي بشعبه وحكومته من القوائد الأساسية لتشكيل دولة ذلك المصلح العالمي إن شاء الله.

ص:580

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضُّعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) 1 ، هذه الآية وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم علي زمام الأمور بعد تخلصهم من قبضة الفراعنة، ولكن هذا التعبير (ونريد) يشير إلي إرادة إلهية مستمرة، ولذلك طبقت الآية في الكثير من الروايات علي زمن ظهور المهدي عليه السلام(1)

ويتمثل هذا الإستخلاف و التمكن بإشادة دولة الحق العالمية العادلة في الكرة الأرضية، وذلك في آخر الدهر ونهاية مسيرة الإنسان في هذه الحياة، وهي دولة الإمام المهدي عليه السلام والذي عبّر عنها في الروايات، بدولة آل محمد صلي الله عليه وآله، وفي الأذعية بالدولة الكريمة، وستكون هذه الدولة آخر الدُول كما أخبر بذلك الإمام الصادق حيث قال عليه السلام: " لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر". (2)

وكما أخبر بذلك الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: " إن دولتنا آخر الدول، ولن يبقئ أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجل "وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (3).

وطالمادعوننا وسندعوا لتحقيق هذه الدولة الكريمة التي فيها عزّة الإسلام وأهله: اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّب بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدّعاة إلي طاعتك والقادة إلي سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة(4).

ص: 581

1- (2) الغيبة للطوسي: 184.

2- (3) بحار الأنوار 51:143 ح 30.

3- (4) بحار الأنوار 13:189.

4- (5) فقرات من دعاء الإفتتاح (مفاتيح الجنان، أعمال ليالي رمضان).

وتتكون هذه الدولة الكريمة التي طالما انتظرها المستضعفون في الأرض، بعد ما يظهر المهدي عليه السلام ويقوم بالأمر من مكة المكرمة ويسير نحو المدينة ثم يتوجه نحو العراق ويستقر في الكوفة، ويتخذها مركزاً وعاصمة لخلافته ودولته العادلة، ثم يفتح الإمام عليه السلام شرق العالم وغربه ويبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها ولاة من قبله في الأمصار المهمة. (1)

وينشر الإمام عليه السلام الإسلام في جميع أرجاء العالم، ويسير ويحكم ويطبق الإسلام حسب كتاب الله وسنة نبيه وجده أمير المؤمنين عليه السلام ويحكم بين الناس بعلم الإمامة ولا ينتظر شهادة الشهود ولا إقامة البينة من المدعي، يقول الإمام الصادق عليه السلام: "إذا قام قائم آل محمد صلي الله عليه وآله حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلي بيّنة، يلهمه الله تعالي فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استبطونه" (2).

وتنص الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام يسير بسيرة جده صلي الله عليه وآله، ولكن ثمة فروقاً بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها، كما في سياساته العسكرية والإدارية والقضائية فالإمام يحكم بين الناس بعلمه إذا لم تك بينة كما اشار جده الإمام الصادق عليه السلام في الحديث السابق، وهي من خصوصيات الإمام عليه السلام، فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتهما واحدة.

*- إنجازات الدولة الكريمة وبركاتها

لا شك أنّ عصر الإمام المهدي عليه السلام، يصبح من أفضل العصور منذ خلق الله آدم عليه السلام، ومن الصحيح أن نسمي عصر الإمام بعصر النور وعصر العلم والثقافة لأنّ في

ص: 582

1- (1) راجع: بحار الأنوار 52:336.

2- (2) بحار الأنوار 52:339.

عصره تتكامل العقول والعلوم للبشرية الإسلامية وغيرها من العلوم الطبيعية والتجريبية... وتنعم البشرية في دولة المهدي عليه السلام بالأمن والرخاء والعدالة والحرية وجميع مستلزمات الحياة الكريمة.

وخلال حكمه تظهر الأرض بركاتها وتزداد الثروة وينعدم الفقر ويعيش البشر حياة سعيدة في أمن وأمان، لا فقر ولا حرمان ولذلك يرضي عنه ساكن الأرض وساكن السماء كما أخبر عن ذلك جدّه المصطفى صلي الله عليه وآله: فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلي الله عليه وآله قال: "تنعم أمتي زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته والمال كُدس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول خذ" (1).

والشيعة الذين كانوا في عصر الغيبة يتعرضون للظلم والاضطهاد من قبل الأمويين والعباسيين والعثمانيين وأمثالهم من حكام الجور، فإنّ في دولة المهدي عليه السلام سوف تنتعش وسيبلغون قمة العزة والقدرة كما جاء هذا المعني في حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: "يكون في شيعتنا في دولة القائم عليه السلام سنام الأرض وحكامها يعطي كل رجل منهم قوة أربعين رجلاً" (2).

وهكذا يسود الإسلام والسلام في كافة بقاع الأرض، وتري الشعوب والحكومات تدخل في دين الإسلام أفواجا، وينعم جميع البشر في ظلّ هذه الدّولة الكريمة.

وتستمر حكومة الإمام المهدي عليه السلام حوالي عشرين سنة حسب ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام منها قول الإمام الصادق عليه السلام "يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة و

ص: 583

1- (1) الفصول المهمة: 288 فصل 12، ودلائل الإمامة: 255.

2- (2) بحار الأنوار 52: 372.

أشهرًا (1) وهناك أقوال أخرى (2) حول مدة حكمته، ثم يدرك الإمام المهدي عليه السلام الموت الذي لا بُدَّ منه ويستشهد إمَّا بالسَّمِّ أو بالقتل كأجداده الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ص: 584

1- (1) الغيبة للنعمانى، باب 26 ح 2.

2- (2) راجع كتاب منتخب الأثر: 492.

القِس الثاني عشر: شهادة الإمام الثاني عشر عليه السلام

بعد أن تحقّق دولة الإمام المهدي عليه السلام أهدافها، وبعد أن ينجز الإمام عليه السلام كل المهام المأمور إليها بإنجازها يتوفاه الله تعالى بالأجل المحدد، ويدركه الموت الذي لا بد منه إمّا بالسم أو بالقتل فإنّ الإمام المهدي يشمله هذا الحديث " ما منا إلا مسموم أو مقتول (1)".

وبعد أن يغيب القمر الثاني عشر والأخير من أعمار أهل بيت النبوة تزول دولة آل محمد عملياً، وستنتهي الحياة الدنيا، وستبدأ دورة الحياة العُليا وهي الحياة الأبدية، ولا يعلم تفصيل ذلك كمّاً وكيفاً إلاّ الله تعالى.

ثمّ بما أنه من جملة معتقدات الشيعة أن الإمام المعصوم لا يغسله ولا يصلي عليه إلا الإمام المعصوم، فمن يغسل الإمام المهدي ويصلي عليه؟

إنّ الأحاديث والزيارات تصرّح برجعة (2) بعض الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأول من يرجع هو الإمام الحسين عليه السلام حيث يقوم بتجهيز الإمام والصلاة عليه ودفنه، يقول

ص: 585

1- (1) بحار الأنوار 27: 217 ح 19.

2- (2) تعني الرجعة: أنّ الله سبحانه وتعالى سيعيد أشخاصاً من الأموات الي الدنيا، وأن هؤلاء علي قسمين: مَنْ مَحَض الإيمان محضاً في حياته الأولي، ومن كان قد محض الكفر، محضاً فيها، ثم يدبّل الله سبحانه وتعالى المحقين من المبطلين، والمظلومين من الظالمين، وأن ذلك سيحدث لدي قيام المهدي عليه السلام، ثم يصيرون بعد ذلك الي الموت، وهناك من فسّر الرجعة بأنها تعني رجعة الحق الي نصابه وذلك علي يد المهدي عليه السلام والرأي الأول هو الشائع بين الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام. والرجعة ليست من تلك الأصول التي لا يسوغ الخلاف فيها، وقد أجاد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حيث يقول: «ليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا إنكاره بضار،... (أصل الشيعة وأصولها: 35)، ولمزيد الإطلاع حول الرجعة راجع إثبات الرجعة لإبن شاذان وكتاب الرجعة للشيخ الصدوق، وإثبات الرجعة للعلامة الحلّي.

الإمام الصادق عليه السلام: "... فيكون لحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله عليه السلام وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته" (1)، كما تصرّح الروايات برجعة بعض الأنبياء والأولياء والمؤمنين ولو بصورة محدودة وبمهمّة خاصة.

ومن الزيارات المأثورة المروية عن الأئمة عليهم السلام التي فيها التّصريح بالرجعة هي الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام وهي من أفضل الزّيارات التي يُزار بها كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام وفيها تقول "...مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم..." (2).

وفي زيارة الإمام المهدي عليه السلام المعروفة بزيارة آل ياسين، والتي صدرت من ناحيته المقدسة أيضاً تقول: "... وإن رجعتكم حق لا ريب فيها..." .

ولقد أراد الإمام المهدي عليه السلام من شيعته بأن يزوره بهذه الزيارة، (أي: زيارة آل ياسين) ثم يدعوه له عقيبتها بما يأتي من الدعاء المبارك، الذي فيه الدعاء له بالتعجيل في الظهور والنصر له علي الأعداء.

ولحسن ختام هذا البحث نورد هذه الزيارة بكاملها ثم نعقبها بالدعاء الوارد في تعجيل ظهوره، ثمّ الإتيان بمجموعة من الإدعية والزيارات القصيرة والتي لها الأثر البالغ في كيفية إرتباط المؤمن مع مولاه الحجة، سائلين المولي العزيز أن يتقبل منّا هذا الجهد المتواضع ويوصل ثوابه إلي أجداد الإمام المنتظر لاسيّما والديه الإمام الحسن العسكري عليه السلام و السيدة نرجس آملين أن يوفقنا الله لمعرفة وزيارته ولقائه وأن يجعلنا من جنوده وأنصاره والمستشاهدين بين يديه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي الله علي محمد وآله الطاهرين عليهم السلام وعجّل الله تعالي فرج قائم آل محمد المهدي المنتظر عليه السلام أمل المستضعفين والمحرومين.

ص: 586

1- (1) بحار الأنوار 103:53، باب 29 ح 130.

2- (2) عيون أخبار الرضا 307:1، بحار الأنوار 131:99.

الملحق

- قبسات من حياة

السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

- فضل قم وأهلها

و بعض معالمها الدينية

لإكمال فائدة الكتاب، أحببنا أن نأتي بملحق يتعرف القارئ من خلاله علي قبسات من شخصية السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام وأخت الإمام الرضا عليه السلام، ويتعرف أيضاً علي مدينة قم المقدّسة وبعض معالمها الدينية

ص: 587

- قبسات من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

القبس الأول: السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في سطور

اسمها وألقابها: اسمها فاطمة، وألقابها كريمة أهل البيت عليهم السلام، المحدثّة، وتلقَّب بفاطمة الثانية لكثرة شبهها بجدها فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان أشهر ألقابها المعصومة لشدة إيمانها وتقواها.

ولادتها ونسبها: ولدت في المدينة المنورة في أول ذي القعدة سنة 173 هـ - وأبوها الإمام موسى الكاظم عليه السلام وأمها تسمي تكتم ونجمة وتكّني بـ "الطاهرة"، فكانت أخت الإمام الرضا عليه السلام من الأبوين.

قدومها إلي قم: دخلت عليها السلام مدينة قم في 23 ربيع الأول سنة 201 هـ - وبقيت سبعة عشر يوماً بقم في بيت موسى بن خزرج الأشعري ثم توفيت عليها السلام.

وفاتها ومدفنها: توفيت عليها السلام في اليوم العاشر من ربيع الثاني سنة 201 هـ -، ودُفنت في بستان كان لموسي بن خزرج الأشعري يُسمي (باغ بابلان) وهو مزارها الفعلي المشيد بقم. (1)

ص: 589

1- (1) الذريعة 107:24، نقلاً عن كتاب نزهة الأبرار في نسب أولاد الأئمة الأطهار، للبرزنجي الشافعي المدني.

عمرها الشريف: ثمان وعشرون سنة، وقيل: أقل من ذلك، وقد عاشت هذا العمر لوحدها ولم تتزوج؛ لأنه لم يكن لها كفؤ آنذاك حسب القول المشهور.

فضل زيارتها: ورد عن أخيها الإمام الرضا عليه السلام: " مَنْ زَارَهَا عَارِفًا بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّةُ "،⁽¹⁾ وورد عن ابن أخيها الإمام الجواد عليه السلام " مَنْ زَارَ عَمَّتِي يُقَمِّمُ فَلَهُ الْجَنَّةُ " ⁽²⁾.

ص: 590

1- (1) بحار الأنوار 265:99، عن بعض كتب الزيارات.

2- (2) بحار الأنوار ج 316:48.

كان للإمام الكاظم عليه السلام بنات غير فاطمة عليها السلام، ولكن كانت فاطمة هي البنت المميزة التي تتّصف بالكمالات الإنسانية والإلهية من الإيمان والتقوي والعلم والعمل، وكانت تشبه جدتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بكثير من الصفات والخصال الحميدة والمكارم الأخلاقية، وحتى في المحن والمصائب؛ ولذا لُقبت بفاطمة الثانية.

كان للسيدة فاطمة عليها السلام أخ من أبيها وأمّها وهو الإمام الرضا عليه السلام وكانت تحبّه حبّاً جمّاً، وهو عزيزها الذي كانت تشعر بالأمن والراحة بجواره، وقد فرّق بينهما المأمون بإشخاص أخيها الرضا عليه السلام إلي خراسان مكرهاً وبعد مضي سنة علي هذا السفر الحزين وبعد وصول رسالة من الإمام الرضا عليه السلام يخاطب بها أهله وأخته فاطمة عليها السلام فقد اشتد بها الشوق إلي رؤية أخيها؛ فقّرت أن تلتحق به، ومع أنّ قطع هذا الطريق الوعر والبعيد (من المدينة إلي مرو) كان شاقّاً علي شابة مثل السيدة فاطمة ولكن شدة الشوق وأمل اللقاء بأخيها، سهّل عليها صعوبة الطريق وعناء السفر، وكانت مستعدة لتحمل أضعاف هذا العناء لزيارته عليه السلام. (1)

وتجهّزت فاطمة عليها السلام للسفر هي ومن معها من أقاربها وخدامها ولعلها صادفت قافلة من قوافل الحجّاج من بلاد إيران والتحقّت بهم، (2) وتحركت قافلة عشاق الإمام الرضا عليه السلام من المدينة قاصدين ديار الحبيب مرو، في أوائل سنة 201 هـ، ومرّت الأيام

ص: 591

1- (1) قيل بعد هجرة السيدة المعصومة بفترة قصيرة خرجت قافلة أُخري من المدينة لتلتقي بالرضا عليه السلام، واتّجهت نحو طوس عن طريق شيراز، وعلي رأس هذا الركب كان أحمد بن موسى (شاه چراغ) أخو الرضا عليه السلام، ومعه بعض أقاربه سنذكر قصّتهم في الفصل الثالث من الكتاب.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي 74:8.

والليالي والقافلة خلّفت صحراء الحجاز وراءها ودخلت أرض العراق مروراً بالكوفة وبغداد وجلولاء حتي دخلت أراضي إيران ومَرّت علي مدن قرميسين (كرمانشاه) ونهاوند إلي أن وصلت مدينة ساوة، وفي مدينة ساوة وإثر التَّعب وعناء السَّفَر ضعفت ومرضت السيدة فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً بحيث لم تقدر علي مواصلة السير وإكمال السفر، فسألَت عن المسافة بين المكان الذي هي فيه وبين بلدة قم، فقيل لها المسافة عشرة فراسخ،⁽¹⁾ فقالت عليها السلام: " احمّلوني إلي قم "، ولم يكن سؤال السيدة المعصومة عن قم إلاّ عن علم سابق بها، فقد سمعت عن آبائها من الأحاديث في فضل قم وأهلها وحيث كانت تضمّ الكثير من وجوه الشيعة آنذاك، مما جعلها تختار هذه البلدة للقدوم إليها.

ولما أشرفت علي قم مرّ بطعّينتها راكب، فسأل: لمن هذه الطعينة؟ فقيل له: هي لفاطمة بنت موسى بن جعفر، وهي وافدة من الحجاز للقاء أخيها أبي الحسن الرضا عليه السلام، فأقبل ذلك الرجل إلي مجلس موسى بن الخزرج الأشعري - وهو من وجوه الشيعة في قم آنذاك وزعيم الأشعريين - فقال الرجل: " يا موسى لقد حلّ الشرف في بلدكم، ونزلت الخيرات والبركات بساحتكم "، فقال موسى: " لا زلت مبشراً بخير ما الذي جري؟ "، قال: " طعينة أخت الرضا عليه السلام مقبلة علي قم "، فلما سمع موسى بكى فرحاً وخرج من قم مع أصحابه وجمع كثير من الناس لاستقبالها، فلما وصل موسى إلي طعينة السيدة فاطمة تناول زمام الناقة فقادها بيده ليتشرّف بذلك حتي أنزلها بيته، وكان ذلك في 23 ربيع الأول سنة 201 للهجرة.⁽²⁾

ص: 592

-
- 1- (1) أي: (55 كم) تقريباً.
 - 2- (2) راجع الترجمة الفارسية لتاريخ قم: 308، الباب 3، الفصل 2، وهذا الكتاب من المصادر الأصلية لمعرفة قم وأهلها من القرن الأول إلي القرن الرابع، وقد ألفه حسن بن محمّدين حسن الشيباني القمي باللغة العربية، وهو معاصر الشيخ الصدوق ووضعه باسم الوزير البويهبي الشيعي صاحب بن عبّاد وذلك في

بقيت السيدة فاطمة المعصومة في بيت (1) موسي بن خزرج سبعة عشر يوماً معززة مكرمة، ثم توفيت في اليوم العاشر من ربيع الثاني سنة 201 هـ -، وقيل في الثاني عشر من ربيع الثاني، قبل أن تحظي برؤية أخيها الإمام الرضا عليه السلام وتقرّ عينها به. (2)

وفجع أهالي قم بتلك المصيبة وحزنوا حزناً شديداً، وتولت النساء تغسيلها وتكفينها، ثم صلي عليها موسي في حشد كبير من شيعة أهل البيت عليهم السلام في قم، وبعد التشييع رأى زعماء الأشعريين أن يُدفن الجسد الطاهر في مكان مناسب غير المقبرة العامة، فخصّص موسي بن خزرج بستاناً كبيراً له في منطقة يقال لها: "باغ بابلان" عند نهر قم، لدفن السيدة فاطمة عليها السلام، وأتفقوا علي شيخ كبير صالح اسمه "قادر" أن يتولي إنزال السيدة في القبر، فأرسلوا شخصاً لإحضاره ولكنّه لم يجده، وإذا بفارسين ملثمين أقبلوا من جهة النهر وتقرّبوا إلي الجنائز، فتولّى إنزالها في القبر، ثم هالها عليها التراب وعادا من حيث أتيا ولا أحد يدري من هما (3)، ويظهر أنّ هذين الفارسين هما الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام. (4)

ص: 594

- 1- (1) القسم الأكبر من هذا البيت أصبح اليوم مدرسة باسم «المدرسة الستية» لطلبة العلوم الدينية، والقسم الآخر هو المكان والغرفة التي كانت تتعبّد فيها السيدة المعصومة عليها السلام، وأصبح حالياً مصلي ومسجداً للمؤمنين اشتهر بـ «بيت النور»، والمدرسة الستية وبيت النور يقعان في ميدان مير (نسبة إلي أميرأبوالفضل العراقي) في شارع عمار بن ياسر.
- 2- (2) الذريعة 107:24، نقلاً عن كتاب نزهة الأبرار في نسب أولاد الأئمة الأطهار، للبرزنجي الشافعي المدني.
- 3- (3) الترجمة الفارسية لتاريخ قم: 309، الباب 3، الفصل 2.
- 4- (4) الذي يعرف سيرة الأئمة عليهم السلام في حضور جنازة محبيهم ومواليهم لا يشك في أنّ هذين الفارسين كانا

وبعد الدفن أقام شيعة قم مأتم الحزن علي السيدة فاطمة عليها السلام، وقد بنوا علي مرقدها سقفاً وكوخاً من البواري، ثم إن موسى بن خزرج أوقف البستان علي المسلمين كي يُدفن فيه موتاهم حول المرقد الشريف، وممن دفن بعد ذلك بجوارها، زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد عليه السلام، وبريهة بنت موسى المبرقع، وغيرهن من العلويات والجواري، والعلويين من أحفاد الأئمة(1)

وبعد مصّبي خمسة وخمسين سنة من وفاة السيدة فاطمة عليها السلام (أي: سنة 256 هـ -) وباهتمام السيدة زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام بُنيت أول قبّة علي قبرها، والتي دفنت بعد ذلك هي وأخواتها بجوار عمّتهم، وبنيت عليهم قبّتان، ثم جدّد البناء وبنيت علي مراقدهم القبّة الكبيرة عام 429 هـ - ق في عهد السلاجقة، وهكذا جدّد بناء الحرم المطهّر والمقام وتوسّع علي مرّ العصور(2) من قبل محبيها وشيعة آبائها وأخذ المسلمون ولاسيما الشيعة المواليون يتردّدون لزيارة السيدة فاطمة عليها السلام حيث سمعوا ما روي عن إمامهم الصادق أنّه قال عليه السلام: "... وَلَنَا حَرَمًا وَهُوَ قَمٌّ، وَسْتَدْفِنُ امْرَأَةً مِنْ وِلْدِي تُسَمِّي فَاطِمَةَ، مَنْ زَارَهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ "(3).

ص: 595

-
- 1- (1) راجع ترجمة تاريخ قم: 312، الباب 3 / الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار ج 219:57، وأيضاً قد دفنوا حوالي مرقدها، مجموعة من رجال العلم والسياسة والعلماء والسلاطين والوزراء والأمراء سنذكر أسماء بعضهم في أواخر هذا القسم من الكتاب.
 - 2- (2) سيأتي تفصيل تاريخ بناء الرّوضة المقدّسة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قيس الختام.
 - 3- (3) الترجمة الفارسية لتاريخ قم: 311، الباب 3، الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار 290:48 ح 9، و 219:60.

وأصبح مرقدها زاهراً كأنه جوهرة وسط مدينة قم، يقصده الزوار من مختلف نقاط إيران وخارجها إظهاراً للمحبة الخالصة للنبي وأهل بيته عليهم السلام، وقد رأيت زوارها الكرامات العديدة منها منذ دفنها إلي يومنا هذا، وها نحن نذكر بعضاً منها.

ص: 596

إنّ الكرامات التي ظهرت عند مرقدّها المبارك علي مدي الأيام والأزمان كثيرة لا يسع المجال والمقال لذكرها، وفيما يلي نذكر بعضاً منها علي سبيل الاختصار:

ينقل المرحوم المحدّث القمي صاحب (مفاتيح الجنان) عن بعض أساتذته: أنّ المرحوم ملا صدرا الشيرازي كان يسكن في قرية كهك من قري قم، وقد انزوي للعبادة والسير والسلوك إلي الله، وهذا الحكيم الإلهي كان كلّما صعب عليه أمرٌ أو غمضت عليه مسألة علمية يذهب إلي السيدة فاطمة المعصومة بقم مشياً علي الأقدام، ويتوسّل بها، فيسهل أمره وتحلّ مسائله العلمية، ويرى بأمّ عينيه أطفافها وعنايتها الخاصّة.

وينقل المرحوم المرجع الديني السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي صاحب المكتبة العظيمة في قم والمدفون فيها: أنّ أباه آية الله العلامة السيد محمود المرعشي الذي كان يسكن في النجف الأشرف كان يودّ كثيراً أن يعلم بمكان قبر جدّته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ ولهذا السبب انزوي للعبادة والتوسّل في حرم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام مدة أربعين ليلة، وفي ليلة الأربعين رأي في المنام الإمام وقد خاطبه بأنّي لا أقدر مخالفة وصيّة الزهراء عليها السلام بإخفاء قبرها، وإذا أردت أن تحصل علي ثواب زيارة فاطمة الزهراء فعليك بكرامة أهل البيت عليهم السلام، فاستفسر السيد المرعشي: ومن هي كريمة أهل البيت عليهم السلام؟ فأجابه الإمام عليه السلام: " فاطمة بنت موسي بن جعفر المدفونة بقم "، ثم يقول آية الله شهاب الدين المرعشي: أمرني والدي أن أذهب إلي زيارة جدّتي في قم، فهاجرت من النجف إلي إيران لزيارة ثامن الأئمة الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، ثم بإصرار مؤسس الحوزة العلمية

الشيخ عبد الكريم الحائري سكنت قم، وطاب لي المقام بجوار السيدة المعصومة عليها السلام وها أنا منذ ستين سنة من زوّارها علي
الدّوام. (1)

ص: 598

1- (1) كرامات معصومية عليها السلام» (بالفارسية) للشيخ علي أكبر مهدي پور، و للتعرف علي مزيد من كراماتها راجع هذا الكتاب.

لقد بشر ثلاثة من الأئمة عليهم السلام، بأن ثمن وأجر زيارة السيدة فاطمة المعصومة هو الجنة: فقال جدّها الإمام الصادق عليه السلام: " إن لله حرماً وهو مكة، ولرسوله حرماً وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ولنا حرماً وهو قم، وستدفن امرأة من ولدي تسمى فاطمة، من زارها وجبت له الجنة" (1)، وورد عن أخيها الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: " من زارها عارفاً بحقها فله الجنة" (2)، وورد عن ابن أخيها الإمام الجواد عليه السلام " من زار عمّتي بقم فله الجنة" (3).

وفي كيفية زيارة السيدة فاطمة عليها السلام، لقد روي العلامة المجلسي رحمه الله عن بعض كتب الزيارات عن علي بن إبراهيم القمي، عن أبيه، عن سعد الأشعري القمي، (4) عن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: " يا سعد عندكم لنا قبر"، قلت: جعلت فداك قبر فاطمة بنت موسى؟ قال عليه السلام: " نعم، من زارها عارفاً بحقها فله الجنة"، (قال مؤلف كتاب المزار والراوي للخبر) فإذا أتيت القبر فقم عند رأسها مستقبلاً القبلة، وقل أربعاً وثلاثين مرة: الله أكبر، وثلاثاً وثلاثين مرة سبحان الله، وثلاثاً وثلاثين مرة الحمد لله، وقل: السّلامُ علي آدم صفة الله، السّلامُ علي نوح نبي الله، السّلامُ علي إبراهيم خليل الله، السّلامُ علي موسى كليم الله، السّلامُ علي عيسى روح الله، السّلامُ عليك يا رسول الله، السّلامُ عليك يا خير خلق الله، السّلامُ عليك يا صفيي الله، السّلامُ عليك يا محمد بن عبد الله خاتم النبيين، السّلامُ عليك يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله، السّلامُ عليك يا فاطمة

ص: 599

- 1- (1) ترجمة تاريخ قم: 310، الباب 3، الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار ج 99: 269 كتاب المزار، الباب الأول.
- 2- (2) بحار الأنوار 265: 99، الباب الأول، عن بعض كتب الزيارات.
- 3- (3) بحار الأنوار 316: 48.
- 4- (4) لعلّه هو سعد بن سعد الأشعري القمي، من أحفاد سعد جدّ الأشعريين في قم.

سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا سَيِّدِي نَبِيَّ الرَّحْمَةِ وَسَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ وَفُرَّةَ عَيْنِ النَّاطِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بَاقِرَ الْعِلْمِ بَعْدَ النَّبِيِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ الْبَارَّ الْأَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُوسَى بْنَ جَعْفَرَ الطَّاهِرَ الطُّهْرَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا الْمُرْتَضَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ النَّقِيِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّقِيِّ النَّاصِحَ الْأَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، السَّلَامُ عَلَيَّ الْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ نُورِكَ وَسِرَاجِكَ وَوَلِيِّ وَلِيِّكَ وَوَصِيِّ وَوَصِيَّكَ وَحُجَّتِكَ عَلَيَّ خَلْقِكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ فَاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ وَلِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُخْتَ وَلِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَمَّةَ وَلِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ عَرَفَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي الْجَنَّةِ وَحَسَدَنَا فِي زُمْرَتِكُمْ وَأُورَدَنَا حَوْضَ نَبِيِّكُمْ وَسَقَانَا بِكَأْسِ جَدِّكُمْ مِنْ يَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِينَا فِيكُمْ الشُّرُورَ وَالْفَرَاحَ وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي زُمْرَةِ جَدِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنْ لَا يَسُدَّ لُبْنَا مَعْرِفَتَكُمْ إِنَّهُ وَلِيُّ قَدِيرٍ، أَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ اللَّهُ بِحُبِّكُمْ وَالْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَالسَّلِيمِ إِلَيْهِ اللَّهُ رَاضٍ بِأَنْ يَكُونَ مُنْكَرٍ وَلَا مُسَدِّ تَكْبِيرٍ وَعَلِيٍّ يَقِينٍ مَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ وَبِهِ رَاضٍ، نَطْلُبُ بِذَلِكَ وَجْهَكَ يَا سَيِّدِي، اللَّهُمَّ وَرِضَاكَ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، يَا فَاطِمَةَ اسْتَفْعِي لِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَأناً مِنَ الشَّأْنِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَخْتِمَ لِي بِالسَّعَادَةِ، فَلَا تَسْلُبْ مِنِّي مَا أَنَا فِيهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لَنَا وَتَقَبَّلْ بِكَرَمِكَ وَعِزَّتِكَ وَبِرَحْمَتِكَ وَعَافِيَتِكَ، وَصَلِّ لِي اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (1).

ص: 600

1- (1) بحار الأنوار، كتاب المزار، أبواب زيارات أولاد الأئمة عليهم السلام، الباب 62 في زيارة فاطمة بنت موسى عليها السلام بقم، وعنه في كتاب مفاتيح الجنان، باب الزيارات.

إنّ الحديث عن مدينة قم (1) وتاريخها الإسلامي وفضلها وأهلها لا ينفك عن الحديث عن حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، ومن تحدّث أو كتب عن السيدة فاطمة لابدّ أن يتحدّث ويكتب عن مدينة قم ومعالمها الدّينية، لقد ورد في الخبر أنّ مدينة قم من البقعة التي اختارها الله وقُدّسها، وعزّفها لرسوله في ليلة المعراج، وأمر رسول الله صلي الله عليه وآله الشيطان أن يقوم ويرحل عنها، بقوله صلي الله عليه وآله: "قم يا ملعون"، وكان ذلك قبل أن يدخلها الإسلام. (2)

وبعد دخول الإسلام إلى مدينة قم سنة 23 هـ - علي يد أبي موسي الأشعري اليمني، وبعد دفن بضعة الرسول صلي الله عليه وآله فاطمة المعصومة فيها، ازدادت قداسة وشرفاً وازدهاراً، وكان للأشعريين الذين هاجروا من الكوفة إليها سنة 94 هـ - بسبب ظلم الحجاج، دور

ص: 601

-
- 1- (1) قم: كلمة معرّبة، إمّا من كلمة (كم) المخفّفة من (كمندان) وهي إحدى القرى السبع في تلك المنطقة، أو معرّبة من كلمة (كم) المخفّفة من (كومة) وهي إسم لبيت مبنّي من قصبٍ حوله المياه المجتمعة (راجع تاريخ قم: 34 و 37).
- 2- (2) ترجمة تاريخ قم: 136، الباب 1، الفصل 8. وبحار الأنوار 218:60.

كبير في نشر الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، والأشعريون كانوا قبيلة باليمن أسلموا علي يد النبي صلي الله عليه وآله طوعاً، وكان أقدمهم عامر الأشعري الذي دعي له النبي صلي الله عليه وآله بكثرة الأولاد، وكان ابنه السائب من الداعين إلي المختار حتي قتل معه، وهذا يدل علي أنّ ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام كان قبل نزولهم إلي قم وإن لم يكونوا شيعة بتمام المعني، وكانت هجرتهم إلي قم بعدمقتل محمد بن السائب علي يد الحجاج، وأول من هاجر منهم سعد بن مالك وأولاده الأحوص وعبدالله ونعيم وعبدالرحمن(1)

وبعد دفن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بقم، أخذ أهلها يتقربون أكثر فأكثر إلي أهل البيت عليهم السلام، وأصبحوا أكثر الناس محبة ومودة وحماة لهم، فكانت ملجأً لأبناء الأئمة ولجميع العلويين الهاربيين من ظلم بني أمية وبطش بني العباس، ولكل الموالين لأهل البيت عليهم السلام في عصر الأئمة عليهم السلام، وغيره من العصور، ومما زادني هجرتهم ماورد عن الأئمة من الفضل وأنها بلد الأمن للشيعة كما سيأتي، ووجود عدد كبير من العلويين الذين دفنوا جنب السيدة المعصومة عليها السلام وفي قم وأطرافها، يصل عددهم إلي أربعمائة شخص، ووجود معالم دينية عديدة فيها هو خير دليل علي ذلك(2).

فضل قم وأهلها

نري مدحاً وثناءً كثيراً من قبل الأئمة عليهم السلام لمدينة قم وأهلها، وما ذلك إلا لشدة إيمانهم

ص:602

1- (1) راجع ترجمة تاريخ قم: 347، الباب 4، الفصل الأول والثاني، وبحار الأنوار 60:216، وانظر دائرة المعارف الإسلامية الشيعية 6:2، عنوان «الأشعريون»، ولم تقتصر الهجرة إلي قم علي الأشعريين، بل هاجر غيرهم إليها سواء قبلهم أو بعدهم، ومنهم طوائف من قبيلتي بني قيس، وبني عنزة حيث سكنوا قرية أنار، وممن هاجر إليها طائفة من بني أسد وسكنوا قرية جمكران وهؤلاء قد فرّوا من المختار لما تبع قتلة الحسين. راجع: (ترجمة تاريخ قم: 56، الباب الأول، الفصل 4).

2- (2) من أراد التعرف عليها فليراجع كتاب تاريخ قم، أو الكتب التي ألفت أخيراً في هذا الموضوع.

واعتقادهم بأهل البيت عليهم السلام وإتباعهم لمذهبهم وصمودهم ومواقفهم المشرفة ضدّ الظلم عليّ مرّ العصور وحفظ الدين من الإندراس عليّ يد علمائهم، وقد جاء هذا المعني في كثير من الروايات التي سننقل بعضها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: "قُمْ بِلَدُنَا وَبِدَلِّ شِيعَتِنَا، مُطَهَّرَةً مُقَدَّسَةً" (1) وعنه عليه السلام: "إِذَا عَمَّتِ الْبُلْدَانُ الْفِتْنُ، فَعَلَيْكُمْ بِقُمْ وَحَوَالِيهَا وَنَوَاحِيهَا، فَإِنَّ الْبَلَاءَ مَدْفُوعٌ عَنْهَا" (2) وقال الإمام الكاظم عليه السلام "قُمْ عَشُّ آلِ مُحَمَّدٍ وَمَأْوِي شِيعَتِهِمْ" (3) ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيَّ أَهْلِي قُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيَّ أَهْلِي قُمْ، سَقَى اللَّهُ بِلَادَهُمُ الْغَيْثَ، وَنَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَاتِ، وَيُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَخُشُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَصِيَامٍ، هُمْ الْفُقَهَاءُ الْعُلَمَاءُ الْفُهَمَاءُ، هُمْ أَهْلُ الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ (الدراية و الرواية) وَحُسْنِ الْعِبَادَةِ... (4)"

قم وأهلها قائمون مقام الحجة

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "إِذَا سَمَّيْتَ قُمْ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا يَجْتَمِعُونَ مَعَ قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَقُومُونَ مَعَهُ وَيَسْتَقِيمُونَ عَلَيْهِ وَيَنْصُرُونَهُ" (5) ، وعنه عليه السلام: "سَتَتَخَلَوُ الْكُوفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَأْرَزُ عَنْهَا الْعِلْمُ كَمَا تَأْرَزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، ثُمَّ يَطْهَرُ الْعِلْمُ بِبَلَدَةِ يُقَالُ لَهَا: قُمْ، وَنَصِيرٌ مَعْدِنًا لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مُسْتَضْعَفٌ فِي الدِّينِ، حَتَّى الْمُخَدَّرَاتِ فِي الْحِجَالِ، وَذَلِكَ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ قَائِمِنَا، فَيَجْعَلُ اللَّهُ قُمْ وَأَهْلَهَا قَائِمِينَ مَقَامَ الْحُجَّةِ... (6)".

ص: 603

- 1- (1) ترجمة تاريخ قم: 136، الباب 1، الفصل 8. وعنه في بحار الأنوار 218:60 الحديث 49.
- 2- (2) ترجمة تاريخ قم: 141، الباب 1، الفصل 8. وعنه في بحار الأنوار 213:60 الحديث 26.
- 3- (3) ترجمة تاريخ قم: 143، الباب 1، الفصل 8. وعنه في بحار الأنوار 214:60 الحديث 31.
- 4- (4) بحار الأنوار 217:57، الباب 36، باب الممدوح من البلدان والمذموم منها.
- 5- (5) ترجمة تاريخ قم: 146، الباب 1، الفصل 8. وعنه في بحار الأنوار 216:60، ح 38.
- 6- (6) ترجمة تاريخ قم: 140، الباب 1، الفصل 8. وعنه في بحار الأنوار 213:57، الباب 36، ح 23.

إن لقم وأهلها، بحسب ما نستفيد من هذين الحديثين وغيرهما من الأحاديث، دوراً كبيراً في التمهيد لظهور الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسوف يكون لهم الدور الفعال في قيامه وتشكيل دولته العالمية الكريمة، وحضور عدد كبير من إيران خصوصاً من قم بين أصحاب الإمام الخواص، هو خير دليل علي ما ذكرنا، وأيضاً نهضة الشعب الإيراني وانتصار ثورته المباركة في عصرنا هذا التي بدأت من قم بقيادة الإمام الخميني قدس سره، وأثمرت بتشكيل الحكومة الإسلامية والتي لا زالت تواصل الإثمار والعطاء بقوة بقيادة الإمام الخامنئي دامه ظله هو دليل آخر علي مكانة قم ودورها في التمهيد لظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف كما تشير إلي ذلك الرواية التالية الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام، حيث يقول عليه السلام: "رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ قُمْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ الْحَدِيدِ، لَا تُزَلُّهُمْ الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ، وَلَا يَمْلُؤُونَ مِنَ الْحَرْبِ، وَلَا يُجْبِتُونَ، وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (1).

وأيضاً وجود مسجد في قم ينسب إلي الإمام المهدي صاحب الأمر والزمان، والذي يقصده المسلمون من كل مكان، ويدعون لسلامة الإمام وتعجيل ظهوره، يدلّ علي مدي أهمية قم وأهلها كأحد القواعد الأساسية لقيام الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وتشكيل حكومته العالمية، ولأهمية هذا المسجد ومكانته بين المؤمنين الموالين المنتظرين لظهور الحجة عليه السلام ينبغي أن نتعرف عليه باختصار:

قم و مسجد جمكران المقدّس

من المزايا الفريدة التي امتازت بها مدينة قم المقدسة؛ مضافاً إلي ما تقدّم من أنّها حرم أهل البيت عليهم السلام، وأنّها مركز محبّتهم ومواليهم، وأنّها تحتضن مرقد السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام، ومرآة كثير من أبناء الأئمة الأطهار عليهم السلام، والعلماء الأعلام، هو وجود

ص:604

مسجد فيها ينسب إلي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويدعى باسم: مسجد جمكران، وهو يبعد بضعة كيلو مترات عن قم، ويؤمّ هذا المسجد المؤمنون من مختلف أنحاء إيران وخارجها لعبادة الله والدعاء لتعجيل ظهور وليّه المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأخيراً وسعت مساحة بنائه ليسع المصلين الوافدين إليه.

وقد بني هذا المسجد بأمر من الحجة (عج) في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة (393 هـ -) علي ما أخبر به العبد الصالح الحسن بن مثله الجمكراني الساكن في قرية جمكران، حيث أمره الحجة ان يذهب إلي السيد أبي الحسن الرضا في قم ويقول له يحضر الحسن بن مسلم الذي كان يزرع الأرض ويطالبه بما أخذ من منافع تلك السنين و يعطيه الناس حتي يبنوا المسجد و يتم ما نقص منه من غلة رهق ملكه بناحية أردهال و يتم المسجد ثمّ وقف نصف رهق علي هذا المسجد ليحلب غلته كل عام و يصرف إلي عمارته، وقال الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف لحسن بن مثله: قل للناس ليرغبوا إلي هذا الموضع و يعزروه و يصلوا فيه أربع ركعات فمن صلاها فكأنما صلي في البيت العتيق. (1)

ويحظي هذا المسجد بأهميّة خاصّة، حيث يقصده المحبون والمنتظرون لظهوره من كلّ حدب وصوب، ولاسيّما في ليالي الأربعاء وليالي الجمعة من كلّ أسبوع، فهو دوماً مأوي للزائرين الذين يؤمّونه، فهو مأمّن للوافدين الذين يتوافدون إليه من كافّة البلاد، بغية أداء الطقوس (العبادات) الدينية، وتجديد العهد والولاء مع إمامهم

ص: 605

1- (1) للاطلاع علي تاريخ مسجد جمكران وكيفية انتسابه إلي صاحب الزمان والأعمال المندوية فيه، عليك بمراجعة كتاب (النجم الثاقب) للمحدّث الشيخ النوري، وبحار الأنوار 230:53، الحكاية 8، حيث ينقل العلامة المجلسي حكاية بناء هذا المسجد عن تاريخ قم لحسن بن محمد بن حسن القمي وهو بدوره ينقلها من معاصره الشيخ الصدوق في كتابه مونس الحزين في معرفة الحق واليقين، ولكن في تاريخ قم الموجود بأيدينا لا يوجد فيه حكاية مسجد جمكران و الظاهر كانت الحكاية في ما تلف من تاريخ قم.

ومنقذهم من الظلم، وطلب الشفاعة وقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية منه، ومن أهم ما يطلبون من الله في هذا المكان المقدس هو سلامة الإمام والتعجيل لظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكم من مذنّب بعيد زار هذا المكان، وصلّى فيه ركعات ودعا وتوسل بصاحب الزمان ليصبح من المقرّبين، وكم من محب قريب يزور هذا المكان كراراً ليشم رائحة حبيبه ويطلب من الله سبحانه لقاءه ليصبح من الفائزين.

وكم طالب حاجة دنيوية أو أخروية يزور المسجد فيصلّي فيه ويدعو الله ويتوسل بصاحب هذا المكان المقدس لقضاء حوائجه، فهناك الكثير قد حصلوا علي ما طلبوا من إمامهم.

و هذا الاجتماع العبادي المتواصل أسبوعياً تحت راية الإمام الحجة، وتحت قبة بنيت باسمه الشريف في مدينة قم المقدسة اجتماع قلّ نظيره يرمز إلي النصر للولاية في بلد الإسلام المحمدي الأصيل، بلد الولاء والمحبة لأهل البيت عليهم السلام وصاحب الزمان عليه السلام، ويشتر بقرب الظهور للحجة المنتظر إن شاء الله.

قم معدن العلم والفضل

قال الإمام الصادق عليه السلام: " سَتَخْلُو الكُوفَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَأْرُزُ عَنْهَا الْعِلْمُ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، ثُمَّ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبَلَدَةِ يُقَالُ لَهَا: قُمْ، وَتَصِيرُ مَعْدِنًا لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، ... " (1)

كانت الكوفة بعد المدينة وفي زمن الإمامين الباقر والصادق تعيش أيام إزدهارها العلمي وكانت تضمّ المئات العلماء في مختلف العلوم الإسلامية ولكن بعد هجرة الأشعريين ثمّ هجرة الطالبيين إلي قم قد توجهت إلي هذه البلدة أنظار العلماء والرواة

ص:606

1- (1) تاريخ قم: 140، الباب 1، الفصل 8. وعنه في بحار الأنوار 213:57، الباب 36، ح 23، الممدوح من البلدان و المذموم منها.

والمحدثين وبرز فيها شخصيات علمية من أصحاب الأئمة عليهم السلام وغيرهم آنذاك(1)، وازداد هذا التوجه في القرن الرابع الهجري بحماية الدولة البويهية التي كانت لها ميول شيعية لاسيما في عهد وزيرهم العالم الأديب الصّاحب بن عبّاد،(2) ولكن توقف النشاط العلمي في قم من القرن الخامس وما بعد بسبب إزدهار الحوزات العلمية الأخرى في بغداد والحلّة والنّجف علي يد فحول العلماء أمثال الشيخ المفيد (المتوفي 413 هـ-) وتلميذه السيد المرتضي والشيخ الطوسي، والعلامة الحلبي وخواجه نصير الدين الطوسي، وفي عهد الصفوية في القرن (9، 10، 11) إزدهرت حوزة إصفهان(3)، وقدرز فيها العلماء والحكماء وكان أشهرهم الشيخ البهائي(4) والمولي صدرالدين محمد الشيرازي(5) وصهره المولي محمد محسن فيض

ص: 607

1- (1) سنذكر بعض مشاهيرهم ومفاخرهم فيما بعد.

2- (2) الصّاحب بن عبّاد الطالقاني: إسمه إسماعيل وكنيته أبو القاسم، ولقّب بالصاحب لمصاحبه مؤيد الدولة أو استاذة ابن العميد، ولقب أيضاً بكافي الكفاة، كان تلميذ ابن العميد ووزير مؤيد الدولة ثمّ أخيه فخر الدولة (إبني ركن الدولة)، وقد توفي الصّاحب سنة 385 هـ - في الرّي ودفن بإصفهان قرب مسجد الجمعة (في ساحة طوقجي)، وقال عنه ابن خلكان: «كان نادرة الدّهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه» (وفيات الأعيان 1: 228، الترجمة 96).

3- (3) إصفهان: نظراً لتاريخها العريق ومعالمها الأثرية الدّينية وكثرة علمائها، اشتهرت بنصف العالم فهي مدينة جميلة بطبيعتها وتراثها الغني خاصة في العهدين السّلاجوقي والصفوي.

4- (4) الشيخ البهائي قدس سره: هو بهاء الدّين محمد بن حسين بن عبدالصمد العاملي الجبعي الحارثي، ولد سنة 953 هـ - في بعلبك، وهاجر مع والده إلى إيران وتتمد علي يد والده وعلماء قزوین وإصفهان وتبحّر في أغلب العلوم، وحصل علي منصب شيخ الإسلام في إيران علي عهد الشاه عباس الأول، وتوفي بإصفهان سنة 1030 هـ - عن عمر بلغ (77 عاماً) ودفن بجوار إمامه الرّضا عليه السلام.

5- (5) سيأتي خلاصة ترجمته.

الكاشاني(1) و عبدالرزاق اللاهيجي المتوفي 1051 هـ - (2) والعلامة المجلسي(3) وغيرهم من العلماء في عصر الصفوية،(4) وفي عهد القاجارية برزفي إصفهان أمثال السيد باقر الشفتي،(5) ولكن بعد هذه الفترة الطويلة شاء الله أن تستعيد حوزة قم نشاطها العلمي من جديد في أواسط القرن الرابع عشر فقام بعض العلماء وعلي رأسهم آية الله الشيخ

ص:608

1- (1) الفيض الكاشاني قدس سره: هو تلميذ الشيخ البهائي وصدر المتألهين وصهره، وهو فقيه ومفسر عظيم صاحب التأليفات العديدة، توفي عام 1091 هـ - . ق في كاشان ودفن فيها وله مزار معروف غير مسقوف بوصية منه لينزل عليه مطر الرحمة الإلهية، كما أنه قدبر زعماء آخرون من كاشان وضواحيها قد اشتهروا بالعلم والفضل والأخلاق، منهم قطب الدين الراوندي المتوفي سنة 573 هـ - والمدفون بجوار السيدة المعصومة في الصحن الأتابكي، والمنجم المشهور غياث الدين الكاشاني، والنراقيان المولي محمد مهدي النراقي (المتوفي 1209 هـ -) صاحب كتاب جامع السعادات وإبنة الملا أحمد (المتوفي 1245 هـ -) صاحب كتاب معراج السعادة وغيرهم من العلماء.

2- (2) لم يعرف قبره ولكن قبر ولده الفاضل الميرزا حسن الكاشفي (عبدالرزاق الفياض) يقع مقابل مقبرة شيخان.
3- (3) العلامة المجلسي قدس سره: صاحب موسوعة (بحار الانوار) توفي في 27 من شهر رمضان سنة 1110 هـ - ودفن في بقعة بجوار مسجد الجمعة التاريخي جنب والده الملا محمد تقي (المتوفي 1070 هـ -) ودفن جنبهما أيضاً إبنة الملا أحمد، وهو من المزارات المشهورة بإصفهان.

4- (4) أمثال المولي محمد بن الحسن الإصفهاني الملقب بالفاضل الهندي (المتوفي 1137 هـ -)، والميرداماد، و ميرالفندرسكي الأسترابادي، وتلميذه السيد حسين الخوانساري (المتوفي 1180 هـ -)، وإبنة سيد جمال الخوانساري، المدفونين في مقبرة تخت فولاد التاريخية التي تضم قبور الكثير من العلماء والحكماء والأدباء، كما دفن فيها في عصرنا الحاضر الشهيد شمس آبادي، وشهيد المحراب اشرفي الإصفهاني، والمرأة المجتهدة السيدة أمين، ومجموعة من شهداء الثورة والحرب المفروضة.

5- (5) السيد باقر الشفتي قدس سره: توفي سنة 1260 هـ - ودفن في بقعة بجوار المدرسة والمسجد الذي هو أسسهما واشتهرتا باسمه ودفن بعد ذلك بجنبه بعض أبنائه وأحفاده، وهو من المزارات المشهورة بإصفهان.

ميرزا محمد الفيض قدس سره(1) بدعوة الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي قدس سره(2)، من أراك إلى قم، وقدّم له محلّ صلّاته وتدرّسه في الحرم، كما جعل المدرسة الفيضية تحت إختياره، فنزل الشيخ عبد الكريم إلى قم سنة 1340 هـ - وتحمّل مسؤولية بدء النهضة العلمية فيها إلى أن توفي سنة 1355 هـ - ودفن بجوار السيدة المعصومة، واستمرّ علي هذا النهج من بعده السيّد حسين الطباطبائي البروجردي الذي قدم من بروجرد إلى قم سنة 1364 هـ - ق بدعوة بعض علمائها أمثال السيد صدرالدين الصدر والسيد محمد تقي الخوانساري و الشيخ ميرزا محمد فيض المتقدم ذكره، وبعد وفاة أبي الحسن الإصفهاني عام 1365 هـ - و وفاة الآقا حسين القمّي عام 1366 هـ - انتقلت الزعامة الدينية والمرجعية العامة من النجف إلى قم وانحصرت في السيد البروجردي وقام بتأسيس جماعة التّقرّيب بين المذاهب الإسلامية في مصر وكان من حاصله فتوي الشيخ محمود شلتوت بجواز العمل وفق المذهب الشيعي كسائر المذاهب الإسلامية، وبعد ما توفي سنة 1380 هـ - استمرّت الحركة العلمية في قم في عصرنا علي يد المراجع الذين جاءوا من بعده منهم آية الله العظمي الكلبايگاني وآية الله العظمي الأراكي والإمام الخميني وغيرهم، فازداد عدد العلماء والطلّاب وأسست المدارس و المكتبات ومؤسسات تحقيق التراث وإحيائه وازدادت طباعة الكتب

ص: 609

-
- 1- (1) الشيخ ميرزا محمد فيض قدس سره: توفي في 25 جمادي الأولي عام 1370 هـ - حال القنوت، فصلّي عليه السيّد البروجردي، ودفن في الإيوان الذهبّي، (راجع گنجينه آثار قم 1:328 لولده الشيخ عبّاس فيض، وكتاب ضياء الأبصار في ترجمة علماء خوانسار 3:419).
 - 2- (2) الشيخ عبدالكريم الحائري قدس سره: هو أحد علماء يزد المشهورين وقد خرج منها علماء آخرون أمثال السيّد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقي وشهيد المحراب آية الله الصدوقي، والحكيم المتألّه آية الله المصباح اليزدي وغيرهم من العلماء، وكيف لا يكون ذلك وقد عرف أهل يزد من قديم الأيام بالتّدين و اشتهرت مدينتهم بدار العبادة فجدير بها أن يخرج منها هؤلاء الفحول من العلماء.

والمجالات الدينية، ولا زالت النهضة العلمية في العلوم الإسلامية في قم بل في كل إيران مستمرة تحت ظلّ وتوجّهات صاحب الأمر والزّمان وبرعاية نائبه بالحق الإمام الخامنّي بحيث أصبحت قم تمثّل العاصمة الحضارية للشيعة، ومصدر الخيرات والبركات للعالم الإسلامي، و" معدن العلم والفضل حتي المخدّرات في الحجال " كما أخبر بذلك الإمام الصادق عليه السلام في حديثه الذي تقدّم.

بعض مشاهير و مفاخر قم المقدسة

كان لاحتضان أرض قم للجثمان الطاهر للسيدة المعصومة عليها السلام، تأثير كبير في توجه الكثير من العلماء والفضلاء والرواة والمحدثين والكتاب والمؤلفين نحوها، فضلاً عن العلويين، الأمر الذي جعل من مدينة قم المقدسة منارة دينية وثقافية عالية في الحضارة الشيعيّة، وقد ترسّخت تلك المكانة الرفيعة ببركة الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني الراحل قدس سره الذي يعد من أبرز العلماء والشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي المعاصر، وقد أصبحت قم مركز العلم والعلماء يقصدها طلاب العلوم الدينية من كل أقطار العالم الإسلامي لينهلوا من نعيم حوزتها المباركة.

إنّ الأجواء الدينية السائدة في مدينة قم من بداية دخول الإسلام فيها إلي يومنا هذا، أدّت إلي بروز واشتهار بعض الشخصيات التي إما نشأت وترعرعت في قم، أو اتخذته مقاماً لها، وفي جميع الأحوال ساهمت تلك الشخصيات بقسط كبير في إثراء الثقافة الإسلامية في مختلف المجالات الدينية، والثقافية، والسياسية والاجتماعية.

ولا يسع المجال لكي نتعرّض لتاريخ كل واحد منهم، ونكتفي هنا بالإشارة إلي بعض تلك الشخصيات المشهورة من السلف الصالح من أصحاب الأئمة والعلماء المتقدمين منهم والمتأخرين، ونبدأ بذكر أسماء العلماء القميين السابقين حيث كان لهم الحظ الأوفر من هذا التراث العلمي:

زكريا بن آدم الأشعري القمي قدس سره: كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام و الجواد عليه السلام، وراوياً لأحاديثهما، وتوفي في قم، ودفن في مقبرة شيخان التي تقع قرب حرم السيدة المعصومة عليها السلام، و بجواره يقع قبر ابن عمّه زكريا بن ادريس الأشعري القمي قدس سره و عمّه اسحاق بن عبدالله بن سعد الأشعري القمي قدس سره.

أحمد بن إسحاق الأشعري القمي قدس سره: كان من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، و الهادي عليه السلام، و من خواص الإمام العسكري عليه السلام، وكان وكيلاً عنهم عليهم السلام في قم، وقد بني مسجداً فيها بأمر من الإمام العسكري عليه السلام، وكان من أولئك القلائل الذين حظوا برؤية الإمام المهدي عليه السلام وهو في الربيع الأول من عمره الشريف، وقبره في حلوان (بل ذهب).

علي بن إبراهيم القمي قدس سره: كان من أجلة الرواة والمحدثين وصاحب (التفسير القمي) المعروف، وكان معاصراً للإمام الحسن العسكري عليه السلام، توفي في قم ودفن قريباً من مقبرة شيخان.

أبو القاسم جعفر بن قولويه القمي: صاحب كتاب: "كامل الزيارات" وهو قمي المولد، بغدادى المسكن، توفي فيها ودفن جنب تلميذه الشيخ المفيد في مقام الإمام الكاظم عليه السلام، ووالده محمد بن قولويه القمي قدس سره توفي بقم ودفن قريباً من مقبرة شيخان.

علي بن بابويه القمي قدس سره: شيخ القميين، وهو والد الشيخ الصدوق، وأخوه الشيخ حسين - اللذان ولدا ببركة دعاء الحجة - عجل الله تعالي فرجه الشريف وقد توفي بقم سنة 329 هـ - ودفن فيها قرب مقبرة شيخان.

محمد بن علي بن بابويه القمي قدس سره: المعروف ب - "الشيخ الصدوق"، الذي ولد ببركة دعاء الحجة عجل الله تعالي فرجه الشريف طلباً من والده، وتوفي في مدينة ري عام 381 هـ - ودفن فيها في

مقبرة اشتهرت باسمه، له مؤلفات عديدة، منها: من لا يحضره الفقيه، وعيون أخبار الرضا، وغيرها.

المحدث الشيخ عباس القمي قدس سره: ولد في قم وتوفي ليلة الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة 1359 هـ - في النجف الأشرف ودفن عند مرقد الإمام علي عليه السلام، وهو صاحب المؤلفات العديدة منها: سفينة البحار، وكتاب منتهي الآمال، و مفاتيح الجنان المشهور.

العلماء المدفونون في مقام السيدة المعصومة عليها السلام، في القرن الأخير:

(1)

آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره، المتوفي 1355 هـ -.

آية الله السيد محمد تقي الخوانساري قدس سره، المتوفي 1371 هـ -.

آية الله السيد صدر الدين الصدر قدس سره، المتوفي 1372 هـ -.

آية الله السيد حسين البروجردي قدس سره، المتوفي 1380 هـ -.

الأستاذ الشهيد مرتضي المطهري قدس سره، المتوفي 1400 هـ -.

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره، المتوفي 1402 هـ -.

شهيد المحراب أسد الله المدني قدس سره، استشهد 1403 هـ -.

آية الله السيد أحمد الخوانساري قدس سره، المتوفي 1405 هـ -.

آية الله الشيخ الميرزا هاشم الأملي، المتوفي 1413 هـ -.

آية الله السيد محمد رضا الكلبايگاني قدس سره، المتوفي 1414 هـ -.

آية الله الشيخ محمد علي الأراكي قدس سره، المتوفي 1415 هـ -.

ص:612

1- (1) وهؤلاء العلماء كلهم مدفونون في مسجد (بالاسر)، الواقع جهة رأس المقام، عدا السيد البروجردي الذي دفن في ممر باب المسجد الأعظم الذي بني بأمره.

العلامة العارف بالله السيد بهاء الديني قدس سره، المتوفي 1417 هـ -.

العلامة آية الله الشيخ علي المشكيني قدس سره، المتوفي 1427 هـ -.

آية الله الشيخ ميرزا جواد التبريزي قدس سره، المتوفي 1427 هـ -.

آية الله الشيخ فاضل النكراني قدس سره، المتوفي 1428 هـ -.

آية الله الشيخ محمد تقي البهجت قدس سره، المتوفي 1430 هـ -.

أهم المعالم الدينية في قم وضواحيها

(1)

مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام: أول بناء شُيد علي قبر السيدة المعصومة عليها السلام يعود إلي القرن الثالث سنة 256 هـ - من قبل السيدة زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام والتي دفنت بعد ذلك هي وأخواتها بجوار عمّتهم، وبنيت عليهم قبّتان، ثمّ جدّد البناء وبنيت القبّة الكبيرة علي مرقدهم عام 429 هـ - بواسطة أميرابوالفضل العراقي(2) أحد ابرز وزراء العصر السلجوقي طغرل الأول، ثم أجريت علي البناء بعض الترميمات عام 825 هـ -، ومع مطلع القرن العاشر وفي بداية الحكم الصفوي إزداد الإهتمام بالمرقد الطاهر فجدّد بناء القبّة وبنى الإيوان الذهبى والصّحن (العتيق) والمآذن و مسجد (طباطبائي)(3) وقبّته،

ص: 613

1- (1) مصادر معلومات هذا العنوان غالباً من الكتب التالية: ترجمة تاريخ قم، منتهي الآمال، گنجينه آثار قم، بحار الأنوار وكتاب منتخب التّواريخ.

2- (2) الأميرابوالفضل العراقي: نسبة إلي عراق العجم وهي مدينة أراك اليوم، وقد قام هذا الوزير بإعمار قم ومعالمها الدينية بإرشاد من الشيخ الطوسي الذي زاره في النجف سنة 447 عند ما كان يزور أمير المؤمنين عليه السلام، فنفّذ وصايا الشيخ عند رجوعه إلي الرّي عاصمة الدولة السلجوقية، راجع: (گنجينه آثار قم 1: 411).

3- (3) مسجد (طباطبائي): قد دفن في هذا الرّواق بعض رجال العلم والجهاد، الشهداء: آية الله الشيخ القدّوسي، وآية الله الشيخ المحلّاتي، والشيخ محمد المنتظري (وأخيراً دفن بجنبه والده آية الله حسين علي المنتظري وقد توفي سنة 1431. ق)، وغيرهم من العلماء.

وصنع الصَّريح الفولاذي، وهذه الأبنية باقية إلي الآن، ثمَّ وخلال العصر القاجاري من سنة 1218 هـ - إلي 1303 هـ - كان الإهتمام بالمقام من تذهيب قبة المرقد وبناء مسجد (بالاسر) والصَّحن الجديد (الأتابكي)(1) وفيه الإيوان المرآتي، وصنع الصَّريح الفصَّي، وفي العصر الحاضر إهتمت الجمهورية الإسلامية بتوسعة قم ومعالمها الدِّينية بالأخص المقام وحواليه حيث طُليت القبة بالذهب من جديد وبني رواق الإمام الخميني و صحن صاحب الزَّمان، والمستلزمات الأخرى، وقدوسَّع بناء المقام من الدَّاخِل والخارج ليسع الزُّوار وأصبح مزاراً كبيراً في مساحته وقديسيته، ويقع في الجانب الغربي من المقام المسجد الأعظم الَّذي قد تمَّ بناؤه في ظلَّ جهود آية الله البروجردي وعلي يد الأستاذ حسين بن محمد المعمار لُرزادة في عام 1374 هـ ..

عليه السلام بيت السيدة المعصومة عليها السلام (بيت النور): هو بيت موسي بن خزرج الأشعري رضي الله عنه الذي سكنت فيه السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام سبعة عشر يوماً معرَّزة مكرمة، ثم توفيت في اليوم العاشر من ربيع الثاني سنة 201 هـ -، وذلك قبل أن تحظى برؤية أخيها الرضا عليه السلام، والقسم الأكبر من هذا البيت أصبح اليوم مدرسة باسم "المدرسة الستية"، والقسم الآخر هو المكان والغرفة التي كانت تتعبَّد فيها السيدة المعصومة عليها السلام، وأصبحت حالياً مصلياً ومسجداً للمؤمنين اشتهر بـ "بيت النور"، والمدرسة الستية وبيت النور يقعان في ميدان مير (نسبة إلي أميرأبوالفضل العراقي) في شارع عمار بن ياسر.

ص:614

1- (1) الصَّحن الجديد: بناه ميرزا علي خان الأتابك سنة 1303 هـ - وأرَّخ بحروف الأبجد (نصر من الله وفتح قريب)، وبعض المدفونين في هذا الصحن هم: سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي قدس سره، المتوفي سنة 573. ق، والشَّيخ فضل الله النوري قدس سره، من قادة النهضة المشروطة الدستورية، المستشهد سنة 1327 هـ -، والشَّهيد الدكتور الشَّيخ محمد مفتاح قدس سره، والشاعرة المعروفة بروين إعتصامي، وغيرهم من العلماء والشهداء والأدباء.

عليه السلام مزار علي بن جعفر الصادق عليه السلام: يعود بناء المزار إلي بدايات القرن الثامن الهجري وهو لأحد أحفاد الإمام الصادق عليه السلام وليس علي بن جعفر العريضي المحدث المعروف كما يقول البعض فإن هذا مدفون في المدينة، وقد دفن بجوار المرقد مجموعة من شهداء الثورة والحرب المفروضة، وفي قرب المقام يوجد مرقد ينسب إلي إبراهيم بن موسى و توجد ثلاثة قبور منسوبة لأمرأة اسرة علي صفي التي حكمت مدينة قم في القرن الثامن الهجري بصورة مستقلة وعرفت هذه المقابر ببستان القبة الخضراء (كغند سبز) وتقع في آخر شارع انقلاب.

مزار موسى المبرقع عليه السلام: هو ابن الإمام الجواد عليه السلام بلا واسطة وكان من السادة الأجلاء الأتقياء، ولجماله كان يتبرقع فلقب بذلك، وهو أول من جاء من الكوفة من السادات الرضوية إلي قم سنة 256 هـ - وسكن فيها، ثم جاء من بعده أخواته زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد عليهم السلام، ثم بريهة بنته وقد دفن عند مرقد السيدة المعصومة عليها السلام.

وتوفي موسى المبرقع في الثامن من ربيع الأول سنة 296 هـ - ودفن في منزله في حي الموسويين، ودفن بجنبه حفيده أحمد بن محمد، ودفن بجواره ابنه محمد و مجموعة من السادة من أعقابه وأحفاده والسادات الرضوية ضمن مقبرة جهل أختران، ويقع المقام في شارع آذر (الطالقاني).⁽¹⁾

مقبرة جهل أختران (أربعين نجمة): سميت بذلك لأنها تحتوي علي حوالي أربعين مرقداً للعلويات والعلويين الذين هاجروا بعد الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة المعصومة عليها السلام إلي قم طوال سنين وتوفوا بها ودفنوا في جوار السيد موسى المبرقع،

ص: 615

1- (1) راجع ترجمة تاريخ قم: 312، الباب 3 / الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار ج 219:57، ومنتهاي الآمال 2:453، الفصل 6.

منهم محمد إبنه وزينب وأمُّ محمد إبنته، وفي القرب من قبور (أربعين نجمة) يوجد قبر ينسب إلي زيدأحد أحفاد الإمام السَّجَّاد عليه السلام ويقع المقام في شارع آذر (الطالقاني)، وفي نفس الشارع علي الجهة المقابل للمقبرة يوجد مزارى حمزة بن موسى علي بعض الروايات التاريخية، وأحمد بن اسحق (السيد سربخش) من أحفاد الإمام الصادق عليه السلام.(1)

مقبرة شيخان: هي ضمن مقبرة "باغ بابلان" القديمة وتقع قرب حرم السيدة المعصومة عليها السلام، وفي العصر الأخيراشتهرت بمقبرة شيخان لوجود مرقدي الشيخ زكريا بن آدم والشيخ الميرزا الجيلاني القمي المتوفي 1231 هـ -، وتضمُّ فيها مجموعة من قبور العلماء العظام منهم زكريا بن آدم الأشعري القمي قدس سره وابن عمِّه زكريا بن ادريس الأشعري وعمِّه اسحاق بن عبدالله بن سعد الأشعري وغيرهم... وهؤلاء كانوا اصحاب الأئمة (الصادق، الكاظم، الرضا، الجواد)، وفيها مرقد الميرزا جواد التبريزي قدس سره أستاذ الإمام الخميني قدس سره في الأخلاق، كما تضمُّ فيها مجموعة شهداء الثورة الإسلامية وشهداء الحرب المفروضة.

مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام: بني هذا المسجد في القرن الثالث الهجري (سنة 256 هـ -) بأمر من الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعلي يد وكيله أحمد بن إسحاق القمي الأشعري، ويقع بين الحرم و البازار (السوق القديم)،(2) وتمَّ ترميمه في العهد الصفوي، وأخيراً وسَّعت مساحة بنائه بأمرٍ من آية الله الصَّافي الكلبايگاني، حيث

ص:616

-
- 1- (1) راجع ترجمة تاريخ قم: 313، الباب 3 / الفصل 2، وعنه في بحار الأنوار ج 219:57، ومنتهي الآمال 2:454، الفصل 6.
 - 2- (2) هذا السُّوق يعتبر من الأبنية الفنية الرائعة، قام ببنائه الأستاذ حسن المعمار وذلك في زمن ناصر الدين شاه القاجار عام 1278 هـ -.

يحتشد بالمصلين وقت صلاة الجماعة، ويعتكف فيه المؤمنون للعبادة في أيام البيض من شهر رجب.

مسجد جمكران: بني هذا المسجد بأمر من الحجة (عج) في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة (393 هـ -) في قرية جمكران من ضواحي قم، علي ما أخبر به العبد الصالح الحسن بن مثلة الجمكراني الذي كان يسكن القرية، وقد ذكرنا خلاصة حكايته فيما سبق، ويوم هذا المسجد المؤمنون المنتظرون لظهوره عليه السلام من مختلف أنحاء إيران وخارجها لأداء الطقوس الدينية والدعاء لتعجيل ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأخيراً وسعت مساحة بنائه لیسع المصلين الوافدين إليه. (1)

المسجد الجامع القديم: بني هذا المسجد بأمر السلطان جاني خان ملك تركستان، والكتابة الموجودة علي اللوحة الجدارية تشير إلي أن تاريخ بنائه يعود إلي عام 529 هـ -، وفي القرن الثامن ألحق بالمسجد بناء لتوسعته، وهذا المسجد من المساجد الذي يعتكف فيه المؤمنون، ويقع مقابل بوابة المسجد، مدرسة جهانگیر خان لطلبة العلوم الدينية، وتاريخها يعود إلي العصر الصفوي.

المدرسة الفيضية: هي من أهم مدارس العلوم الدينية، وكانت منطلقاً لثورة الإمام الخميني الراحل قدس سره، وقد حلت هذه المدرسة في النصف الأول من القرن 12 هـ - محل مدرسة (آستانة) الأثرية التي كانت موجودة منذ منتصف القرن السادس الهجري، ويعود تاريخ تجديد بنائها إلي القرن 11 هـ - وذلك في عهد الشاه الصفوي

ص: 617

1- (1) من أراد التعرف علي تاريخ مسجد جمكران وكيفية انتسابه إلي صاحب الزمان والأعمال المندوبة فيه بالتفصيل فليراجع كتاب (النجم الثاقب) للشيخ النوري الطبرسي، أو بحار الأنوار 230:53، الحكاية 8، وغيرهما من الكتب التي تطرقت إليه أخيراً خاصة كتب الأدعية والزيارات منها كتاب الباقيات الصالحات وهو ملحق لكتاب مفاتيح الجنان.

طهماسب الأول وقد سُمِّيَت باسم المولي محسن الفيض الكاشاني قدس سره (المتوفي 1091 هـ -) حيث سكن فيها فترة، وقد أشرف علي بنائها صهره الميرزا حسن عبدالرزاق الفيّاض المدفون مقابل مقبرة شيخان، هذا وقد وسَّع بناء المدرسة الفيضية في زمن فتحعلي شاه القاجار كما بني في جنبها مدرسة دارالشفاء سنة 1213 هـ -، وقد قام بترميم هاتين المدرستين سنة 1336 هـ - الشيخ ميرزا محمد الفيض قدس سره والبعض يقول أنّ سبب تسمية مدرسة الفيضية ترجع إليه.

المدرسة الحجّية: بنيت هذه المدرسة الدّينية بإشراف آية الله السيد محمد الحجة الكوه كمرى المدفون فيها، وتعتبر من الأماكن الأثرية وتقع قرب الحرم، وتعد اليوم من أهم المدارس الدينية التابعة لجامعة المصطفى العالمية، التي تشرف علي دراسة الطلبة غير الإيرانيين.

المدرسة الرضوية: المنسوبة إلي الإمام الرضا عليه السلام، حيث يقال أن الإمام بمروره بقم (علي بعض الأقوال) حلّ في هذا المكان وأصبح بعد ذلك مدرسة دينية بإسمه وتقع المدرسة في شارع آذر (الطالقاني).

مكتبة آية الله المرعشي النجفي قدس سره: تأسست عام 1966 م وتضم حالياً أكثر من نصف مليون كتاب، ومن بينها 55000 مخطوط، يعود تاريخ بعضها إلي أكثر من ألف عام مضى، وما تُميّز هذه المكتبة بأنها بدأت بجهود شخصية لمؤسسها آية الله العظمي المرعشي النجفي قدس سره، وقد توسَّعت بدعم من الإمام الراحل قدس سره والإمام الخامنئي، واليوم أصبحت صرحاً علمياً ثقافياً شامخاً يؤمّه الباحثون من كل بقاع العالم وقد دفن مؤسسها فيها عملاً بوصيته.

منزل الإمام الخميني الراحل قدس سره: يقع هذا المنزل في شارع معلم، وقد اشتراه الإمام عام 1956 م بعد عامين من استتجاره، وسكن فيه حتي عام 1964 م ويعكس هذا البيت حالة بساطة الإمام وزهده وتواضعه في الحياة، وبعد وفاته تحول المنزل إلي

موقع ديني للإجابة علي الأسئلة الشرعية، وهو مكان أثري يرغب لرؤيته الكثير من محبي الإمام الراحل.

والإمام الخميني قدس سره: هو أبرز شخصية علمية سياسية، اجتماعية، جهادية في العالم الإسلامي المعاصر، ولد في مدينة خمين التابعة لمحافظة أراك وذلك في العشرين من شهر جمادي الثانية سنة 1320 هـ - ذكري ولادة جدته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وقد نشأ وترعرع ودرس في مدينة قم المقدسة، وانطلق بثورته الإسلامية المعروفة من مدينة قم إلي أن انتصرت في (22 / بهمن / 1357 هـ - ش = 11 / شباط / 1979 م) وبعد 11 سنة من عمر الثورة الإسلامية لبّي نداء ربّه الساعة العاشرة والثلاث من ليل يوم الثلاثاء (4 / حزيران / 1989 م = 13 خرداد سنة 1368 هـ - ش)، وتوقف عن العمل قلباً أحيا ملايين القلوب بنور الله، ورحل إلي الملكوت الأعلى وهو ذاكرٌ لله، وسافر إلي مقره الأبدي.

وفي صباح (6 / حزيران / 1989 م = 16 / خرداد / 1368 هـ - ش) أقام ملايين الأشخاص الصلاة علي جثمانه الطاهر بعيون دامعة بإمامة آية الله العظمي الكلبايگاني في مصلي طهران الكبير قدس سره، وعملاً بوصيته دفن في مقبرة بهشت زهراء عليها السلام (جنة الزهراء) في جنوب طهران، بجوار الشهداء أمثال الدكتور بهشتي وأصحابه، والشهيد رجائي وباهنر، والدكتور مصطفي شميران وغيرهم من شهداء الثورة وأولحرب المفروضة، ودفن بعد ذلك بجانبه ابنه السيد أحمد رحمه الله. وكفي بهذا فخراً واعتزازاً للجمهورية الإسلامية وشعبها لما قدّم لإحياء الإسلام المحمدي الأصيل.

ويعلو مرقد الإمام الراحل قدس سره قبة رئيسية تحيطها أربعة قباب فرعية باللون الأزرق السمائي، وهذه القباب الخمسة ترمز إلي أصحاب الكساء الخمس حيث كان الإمام الراحل قدس سره متمسكاً بهم وبنهجهم القويم، والمرقد يقع في بداية أتوستراد طهران قم، ولذا فإن أغلب المسافرين الذين يمرون عليه يذكرون الإمام قدس سره بالخير ويقرأون

لروحه سورة الفاتحة، فسلام عليه يوم ولد، ويوم أذّي تكليفه، ويوم مات، ويوم يبعث حيّاً.

بيت ملاً صدرا: يقع البيت في مدينة كهك التي تبعد عن قم (30 كم) وكانت قبل الثورة الإسلامية قرية صغيرة، ولقد سكن فيها الفيلسوف الكبير ملا صدرا حوالي عشرة سنين زاهداً متعبداً وذلك بعد ما أبعد من إصفهان بسبب معارضته من قبل بعض علماء الأخباريين، وملاً صدرا هو محمد بن ابراهيم يحيى الشيرازي الملقب بصدر المتألهين ولد عام 980 هـ - بشيراز و درس في إصفهان علي يد الشيخ البهائي المتوفي 1031 هـ - والمحقق الدّاماد المتوفي 1040 هـ - وأصبح من كبار العلماء والفلاسفة الإسلاميين، ومن أشهر تأليفاته الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، وقد توفي عام 1050 هـ - في طريقه الي الحج في البصرة ودفن فيها.

* وهناك معالم دينية أخرى ومزارات أبناء الأئمة والعلويين الذين دفنوا في قم وضواحيها، يصل عددهم إلي أربعمائة شخص تركنا ذكرها للاختصار، وقد ذكرنا بعضها في حواشي الكتاب، ومن اراد المزيد من الإطلاع فليراجع كتاب تاريخ قم لحسن بن محمد حسن القمي، وكتاب منتخب التواريخ للعلامة محمد هاشم الخراساني أو الكتب التي ألفت حديثاً في هذا الموضوع، ومنها كتاب (مزارات أهل البيت في إيران) للمؤلف.

ص: 620

إننا نرى كافة الشعوب في العالم تخصص أماكن خاصة لمثوي شخصياتهم السياسية والدينية، كي تبقى رمزاً خالداً لهم إلى الأبد، فكما أنّ الكعبة، والصفاء، والمروة، ومني، وعرفات، والحجر الأسود، تعتبر من شعائر الله وتستحق الاحترام والتعظيم بسبب ارتباطها بالله وانتسابها إليه سبحانه، فكذلك قبور أولياء الله سبحانه الذين كانوا حماة دين الله تعتبر من شعائر الله، ومما لا شكّ فيه أنّ زيارة قبورهم تنطوي على آثار أخلاقية وتربوية مهمة، ولها آثار عديدة دنيوية وأخروية. وكان رسول الله نفسه يزور قبور صحبه المدفونين في البقيع الغرقد، ويزور قبور الشهداء في أحد، وكان هو وأهل بيته يحثّوننا على زيارة قبورهم وقبور أولادهم وأحفادهم وسائر أولياء الله تعالى.

ولعل أشهر نص يزار به جميع أئمة اهل البيت الاحد عشر المستشهدين هو الزيارة المعروفة بزيارة أمين الله، وقد قال عنها العلامة المجلسي قدس سره إنّها أحسن الزيارات متناً وسنداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة(1).

ص:621

1- (1) مفاتيح الجنان، الباب الثالث (باب الزيارات)، الزيارات المطلقة للامام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأيضاً إنَّ من أفضل الزيارات التي يُزار بها أيُّ من الأئمة عليه السلام من قريب أو بعيد هي الزيارة الجامعة الكبيرة(1) المنقولة عن الإمام الهادي عليه السلام، وقد أكّد الكثير من العلماء علي المواظبة علي قراءتها في جميع المشاهد المشرفة، وهذه الزيارة قد أوردها العلماء في كثير من كتب الأدعية والزيارات، كما أنَّه أفضل صلاة يصلّيها الزائر بعد زيارتهم عليهم السلام هي صلاة جعفر الطيار(2).

ومن هذا المنطلق وإتماماً لفائدة الكتاب أحببنا أن نورد الزيارات القصيرة المشتركة الواردة في زيارة أولياء الله عامّة والزيارات الواردة لذرية رسول الله صلي الله عليه وآله خاصّة، ومن أراد المزيد علي من التّعرف علي أنواع الزيارات الواردة فاليراجع الكتب المشهورة في هذا الموضوع، خاصّة كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عبّاس القمّي:

الزيارة الجامعة الصغيرة

السَّلَامُ عَلَيِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَصْصَفِيَّائِهِ، السَّلَامُ عَلَيِ أَمْنَاءِ اللَّهِ وَأَحْبَائِهِ، السَّلَامُ عَلَيِ أَنْصَارِ اللَّهِ وَخُلَفَائِهِ، السَّلَامُ عَلَيِ مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيِ مَسَاكِينِ ذِكْرِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيِ مُظْهِرِي أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، السَّلَامُ عَلَيِ الدُّعَاةِ إِلَي اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيِ الْمُسْتَتَرِّينَ فِي مَرَضَاتِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيِ الْمُخْلِصِينَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيِ الْأِدْلَاءِ عَلَيِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيِ الَّذِينَ مَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ دُوِيَ وَالِي اللَّهِ، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، وَمَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ جَهَلَهُمْ فَقَدْ جَهَلَ اللَّهَ،

ص:622

- 1- (1) الزيارة الجامعة الكبيرة: صرح العلامة المجلسي ووالده أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة هي أرقى الزيارات متناً وسنداً، ويقول والده: إنّي لم أزر الأئمة عليهم السلام ما دمت في الأعتاب المقدّسة إلاّ بها.
- 2- (2) صلاة جعفر الطيار: قد ذكر الشيخ عباس القمي كيفية أدائها في كتابه (مفاتيح الجنان) ضمن أعمال يوم الجمعة فراجعها.

وَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ، وَمَنْ تَخَلَّى مِنْهُمْ فَقَدْ تَخَلَّى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي سَيِّدٌ لِمَنْ سَأَلْتُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، مُؤْمِنٌ بِسَيِّدِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ، مُفَوَّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ، لَعَنَ اللَّهُ عَدُوَّ آلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ (1).

زيارة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله

السَّلَامُ عَلَيَّ جَدِّكَ الْمُصْطَفَى، السَّلَامُ عَلَيَّ أَبِيكَ الْمُرْتَضَى الرِّضَا، السَّلَامُ عَلَيَّ السَّيِّدِينَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، السَّلَامُ عَلَيَّ خَدِيجَةَ أُمِّ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيَّ فَاطِمَةَ أُمِّ الْأَيْمَةِ الطَّاهِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيَّ النَّفُوسِ الْفَاحِشَةِ، وَبُحُورِ الْعُلُومِ الرَّآخِرَةِ، وَشَفَاعَتِي فِي الْآخِرَةِ، وَأَوْلِيَائِي عِنْدَ عَوْدِ الرُّوحِ إِلَى الْعِظَامِ النَّآخِرَةِ، أَيْمَةَ الْخَلْقِ وَوِلَاةِ الْحَقِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّخْصُ الشَّرِيفُ الطَّاهِرُ الْكَرِيمُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَمُصَافَاهُ، وَأَنَّ عَلِيًّا وَلِيُّهُ وَمُجْتَبَاهُ، وَأَنَّ الْإِمَامَةَ فِي وُلْدِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، نَعَلِمُ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ، وَنَحْنُ لِيَذَلِكَ مُعْتَقِدُونَ وَفِي نَصْرِهِمْ مُجْتَهِدُونَ (2).

ص: 623

- 1- (1) مفاتيح الجنان، الباب الثالث في الزيارات، فصل في الزيارات الجامعة.
- 2- (2) مفاتيح الجنان، الباب الثالث في الزيارات، الخاتمة: زيارة أبناء الأئمة عليهم السلام.

وأخيراً من باب مَنْ لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، وأخصُّ بالذكر فضيلة العلامة اليوسفي الغروي علي مابذله من جهد في مراجعته وتقويمه، وفضيلة الدكتور أحمد العابدي لإشرافه علي نشره بهذه الحلة القشبية، كما أشكر جميع اعوانه في إدارة البحوث لسدانة المقدسة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام علي ما بذلوه من جهدٍ في هذا المجال.

هذا وأرجو من الله العزيز أن يتقبَّل بكرمه ولطفه ماقدّمناه لمكتبة أهل البيت عليهم السلام وأن يجعله مصداقاً للحديث النبوي الشريف المشهور: "إذا مات ابن آدم (المؤمن) انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوه" (1)، فيكون - إن شاء الله تعالى - علماً ينتفع به المسلمون وأنتفع به أنا: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) 2، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلي الله علي محمد وآله الطاهرين.

الأول من ربيع الأول سنة 1433 هـ - ذكري بداية هجرة النبي الأكرم صلي الله عليه وآله

قم المقدسة - ايوب الحائري

ص:625

القران الكرم.

1. نهج البلاغة/ جمع الشرف الرضف، تحقق مؤسسة نهج البلاغة، ط الثانية 1416 هـ -..
2. وففات الأعلان / ابن خلكان، دار الفكر، بفر 1421 هـ -..
3. آداب النفس/ الموسو المياموئف، منشورات المكتبة المررضووة، قم 1380 هـ -..
4. أوبة الإسففافاف/ الإمام الخامنئف، دارالنبأ، ط. الأولف، بفر 1995 م.
5. الاففافاف / أحمد بن على الطبرسف إففافاف إسوة، افران.
6. الإرشاد/ الشفخ المففد، سعفد بن ببفر، ط. الأولف، قم 1428 هـ -..
7. الإصافة/ ابن حجر العسقلانف، دارالكتب العلمفة، بفر ط. الأولف، 1995 م.
8. أصل الشففة وأصولها/ آل كاشف الغطاء، مؤسسة الأعلمف، بفر 1993.
9. أصول الكافف/ الشفخ الكلففف، دار الكتب الإسلامفة، ط. الرابعة، طهران.
10. إعلم الورف/ أمفن الإسلام الشفخ الطبرسف، دار الكتب الإسلامفة، ط. الثالثة، قم.
11. أعلام الهفافة (1-14) / لجنة الأففف، المجمع العالمف لأهل البفب عفهم السلام، ط. الأولف، قم 1422 هـ -..

12. إعلام الهداية/ الطبرسي (أمين الإسلام) دار الكتب الإسلامية، قم، ط 3.
13. أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت.
14. إقبال الأعمال/ ابن طاووس، مكتب الإعلام الإسلامي، ط. الأولى، قم 1414 هـ -.
15. أمالي الصدوق/ الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف 1404 هـ -.
16. الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة الدينوري، إنتشارات الشريف الرضي، ط. 1، قم 1413 هـ -.
17. إمتاع الإسماع/ أحمد بن علي المقرئ، دارالكتب العلمية، ط. الأولى، بيروت 1999 م.
18. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة - بيروت 1992 م.
19. أنساب الأشراف/ أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1974 م.
20. بارقة من سماء كربلاء/ المصباح اليزدي، دار التعارف للمطبوعات، ط. 1، بيروت 2004 م.
21. بحار الأنوار/ العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط. الرابعة، بيروت 1404 هـ -.
22. البداية والنهاية/ ابن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، ط. الأولى، بيروت 1988 م.
23. بشارة المصطفى/ عماد الدين الطبري، المكتبة الحيدرية، النجف 1383 هـ -.
24. بلاغات النساء / ابن طيفور البغدادي، إنتشارات الشريف الرضي، قم.
25. تاريخ يعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب الإصفهاني، دارصادر، بيروت (ب. ت).
26. تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي، دارالكتب العلمية، بيروت، (ب. ت).
27. تحرير الوسيلة/ الإمام الخميني، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، 1998 م.

28. تحف العقول/ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم 1404 هـ -.
29. تذكرة الخواص/سبط ابن الجوزي، منشورات ذوي القربى، ط. الأولى، قم 1427 هـ -.
30. ترجمة تاريخ قم/الحسن بن علي القمي، إنتشارات زائر، ط. الثانية، قم 1430 هـ -
31. تفسير القمي/علي بن ابراهيم القمي، دارالكتاب الإسلامي، قم 1404 هـ -.
32. التفسير الكبير/الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ب.ت).
33. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق/مسكويه الرازي، إنتشارات بيدار، ط. الثانية، قم 1410 هـ -.
34. ثواب الأعمال/الشيخ الصدوق، دارالرضي، قم 1406 هـ -.
35. جامع أحاديث الشيعة/الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم 1399 هـ -.
36. جامع السعادات / محمد مهدي النراقي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف (ب.ت).
37. جغرافياي تاريخي هجرت امام رضا عليه السلام (بالفارسية) / جليل عرفان منش، مؤسسة النشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، ط. الثانية، مشهد 1420 هـ -.
38. جواهر الكلام / محمد حسن النجفي، مؤسسة التاريخ العربي، ط. السابعة، بيروت.
39. الحقائق في محاسن الأخلاق / الفيض الكاشاني، دارالكتاب الإسلامي، قم 1409 هـ -.
40. الخرائج والجرائح/قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم، (ب.ت).
41. الخصال/الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم 1403 هـ -.

42. الدر المنثور/ جلال الدين السيوطي، دارالفكر، بيروت (ب. ت).
43. دلائل الإمامة/ محمد بن جرير الطبري، دارالذخائر للمطبوعات، قم.
44. ذخائر العقبي/ محب الدين الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة 1356 هـ -.
45. الذريعة / آقا بزرك الطهراني، المكتبة الإسلامية، طهران، ط. الأولى، قم 1374 هـ -.
46. رجال النجاشي/ النجاشي الأسدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (ب. ت).
47. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية/ الشهيد الثاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
48. روضة الواعظين/ الشهيد الفتال النيشابوري، دار الرضي قم.
49. سّر الصلاة/ الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط. الأولى، طهران 1995 م.
50. سنن النسائي/ النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، طالأولى، 1995 م.
51. سير أعلام النبلاء/ شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م.
52. السيرة النبوية/ ابن هشام الحميري، مكتبة محمد علي واولاده، مصر 1963 م.
53. شرائع الإسلام/ المحقق الحلبي، الاستقلال، ط. الرابعة، قم 1403 هـ -.
54. شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي، قم 1404 هـ -.
55. شواهد التنزيل/ الحاكم الحسكاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم 1411 هـ -.
56. صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، 1994 م.
57. صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العلمية، ط. الأولى بيروت، 1995 م.
58. الصحيح من سيرة النبي الأعظم / جعفر مرتضي العاملي، دارالسيرة، بيروت.

59. الصحيفة السَّجَّادِيَّة/ مجموعة أدعية الإمام السَّجَّاد.
60. الصوارم المهركة/ نور الله التستري، مطبعة النهضة، طهران 1367 هـ -.
61. الصواعق المحرقة / ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت 1417 هـ -.
62. العباس بن علي / عبدالرزاق المقرم، دارالأضواء، ط. الأولى، بيروت 2001 م.
63. عدة الدَّاعي / احمد بن فهد الحلبي، دارالكتاب الإسلامي، قم 1407 هـ -.
64. علل الشَّرَيع / الشيخ الصدوق، إنتشارات مكتبة الداوري، قم.
65. عوالي اللثالي / ابن ابي جمهور الأحسائي، دارسيد الشهداء، قم 1405 هـ -.
66. عون المعبودعلي سنن أبي داوود/ محمد أشرف، ط. بيت الأفكار الدولية، الأردن 2007 م.
67. عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق، ذوي القربي، ط الأولى، قم 1427 هـ -.
68. الغدير / العلَّامة الأميني، دار الكتاب الإسلامية، طهران 1371 هـ -.
69. غررالحكم/عبدالواحد التميمي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم 1408 هـ -.
70. الغيبة / الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط. الأولى، قم.
71. الغيبة/ النعماني، مكتبة الصدوق، طهران 1397 هـ -.
72. الفقه علي المذاهب الخمسة/الشيخ جواد مغنية، مؤسسة الصادق، ط. الخامسة، طهران 1998 م.
73. في رحاب نهج البلاغة /الشهيد مرتضي المطهري، الدار الإسلامية، ط. الأولى، بيروت 1992.
74. الكامل في التاريخ/ ابن الأثير، دار صادر، بيروت 1965 م.
75. كتاب سليم بن قيس / سليم بن قيس الهلالي، دارالهادي، قم 1415 هـ -.
76. كشف الغمة/علي بن عيسي الإربلي، مكتبة بني هاشم، ايران 1381 هـ -.
77. كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، ط الثالثة، قم.

78. كنز العمال/ المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1989 م.
79. گنجينه آثار قم / الشيخ عبّاس فيض، مهر استوار، ط. الأولى، إيران 1350 هـ -.
80. لسان العرب / محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر ط. الأولى، بيروت 1990 م.
81. اللهوف/ ابن طاووس (علي بن موسى)، الأنوار الهدي، قم، (ب. ت).
82. مثير الأحران/ ابن نما الحلبي، المطبعة الحيدرية، النجف 1950 م.
83. مجمع البيان /أمين الإسلام الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1995.
84. مجموعة وِزَام/ وِزَام بن أبي فراس، مكتبة الفقيه، قم، (ب. ت).
85. المراقبات/الملكي التبريزي، إنتشارات الإمام المهدي، قم 1404 هـ -.
86. مستدرك الوسائل /المحدّث النوري، مؤسسة آل البيت، قم 1408 هـ -.
87. مسند أحمد/ أحمد ابن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت 1999 م.
88. مصباح الشريعة/ منسوب للإمام الصادق، مؤسسة الأعلمي، ط. الأولى، بيروت 1980 م.
89. مصباح الشريعة/المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، إنتشارات قلم، ط. الأولى، قم 1414 هـ -.
90. المصباح/ الكفعمي، مؤسسة الأعلمي، ط. الثالثة، بيروت 1983 م.
91. معاني الأخبار/ الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم 1403 هـ -.
92. معجم رجال الحديث/ السيد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء، بيروت ت 1413 هـ -.
93. مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي.
94. مقاتل الطالبين/ أبو فرج الإصفهاني، منشورات الرضي، ط. الثانية، قم 1405 هـ -.

95. مقتل الحسين/ عبدالرزاق المقرم، منشورات بصيرتي، ط. الخامسة، قم 1294 هـ.-.
96. مكارم الأخلاق / الحسن بن الفضل الطبرسي، نشر حبيب، ط. الأولى، قم 1420 هـ.-.
97. من شواهد المبلغين/ الشيخ أكرم جزيني، مؤسسة الفكر الإسلامي، ط 3، بيروت 2002 م.
98. من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم 1413 هـ.-.
99. مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب، مؤسسة العلامة للنشر، قم 1379 هـ.-.
100. منتخب الأثر/ الصّافي الكلبايگاني، مؤسسة الوفاء، بيروت.
101. منتخب التّاريخ / محمد هاشم الخراساني، إنتسارات إسلامية، ط. السادسة، طهران 1425 هـ.-.
102. منتهي الآمال / الشيخ عباس القمّي، الدّار الإسلامية، بيروت 1994 م.
103. منهاج السنة النبوية/ ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض 1406 هـ.-
104. منهاج النجاة/الفيض الكاشاني، مؤسسة البعثة، ط. الأولى، طهران 1407 هـ.-.
105. موسوعة التّاريخ الإسلامي (ثمان مجلدات) / الشيخ اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي، ط. الأولى قم 1431 هـ.-.
106. مهج الدعوات / السيد بن طاووس الحلّي، أنوار الهدّي، ط الخامسة، قم، 1429 هـ.-.
107. الميزان / محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة إسماعيليان، إيران، قم ط. الرابعة، 1413 هـ.-.
108. ميزان الحكمة/ محمدالري شهري، دار الحديث، قم 1417 هـ.-.
109. نظام حقوق زن در اسلام (بالفارسية) / مرتضي مطهري، انتشارات صدرا، قم.
110. وسائل الشيعة / الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم 1426 هـ.-.

111. وقعة الطف/ أبو مخنف بتحقيق الشيخ اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط. 1، قم 1409.

112. وقعة صفين/ نصر بن مزاحم المنقري، مكتبة آية الله المرعشي، قم 1403 هـ -.

الأقراص الكمبيوترية (Cd)

1. جامع الأحاديث: (442 مجلد في 187 عنوان من 90 مؤلف)، إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الثاني.

2. جامع التفاسير: إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الأول.

3. مكتبة أهل البيت عليهم السلام: (4467 مجلد): إصدار مركز المعجم الفقهي للمرجع الديني آية الله السيد الغلبايجاني، الإصدار الأول.

ص: 634

- *- عشرون سؤالاً وشبهة حول المرأة: (دارالثقلين للطباعة والنشر، ط. الاولي 1420 هـ -، ايران).
- *- المسلم ومعتقداته: (دارالثقلين للطباعة والنشر، ط. الاولي 1421 هـ -، ايران).
- *- الزّواج المؤقت في شريعة سيدنا محمد: (دارالثقلين للطباعة والنشر، ط. الاولي 1421 هـ -، ايران).
- *- الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر: (دارالفقه، ط. الاولي 1423 هـ -، ايران، الثانية والثالثة 1426، بيروت).
- *- لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته فاطمة المعصومة عليها السلام: (دارالولاء، ط. الاولي 1424، بيروت).
- *- الغدير: (المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط. الاولي 1424 هـ -، الثانية 1426 هـ -، ايران).
- *- أفضل الليالي (ثلاثون ليلة في ضيافة الرحمن): (دارالولاء، ط. الاولي 1425 هـ -، بيروت).
- *- ثلاثون سؤالاً وشبهة حول المرأة: (دارالولاء، ط. الاولي 1426 هـ -، الثانية 1428، بيروت).

- *- حديث عاشوراء: (دارالولاء للطباعة والنشر، ط. الاولي 1426 هـ -، بيروت).
- *- قبسات من نهج البلاغة: (دارالولاء للطباعة والنشر، ط. الاولي 1427 هـ -، بيروت).
- *- دليل الأماكن المقدسة في سورية: (مؤسسه البلاغ، ط. الاولي 1427 هـ -، بيروت).
- *- المناسبات العلوية: (مؤسسه الغدير العالمية، ط. الاولي 1427 هـ -، دمشق).
- *- المناسبات النبوية: (مكتب الإمام الخامنئي في سورية، ط. الاولي 1428 هـ -).
- *- الإسلام والمشكلة الجنسية: (دارالولاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط. الاولي 1428 هـ -، بيروت).
- *- الإمام علي عليه السلام أدوار ومواقف: (دارالولاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط. الاولي 1428 هـ -، بيروت).
- *- ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة: (مكتب الإمام الخامنئي في سورية، ط. الاولي 1428 هـ -).
- *- التبليغ الديني علي ضوء الكتاب والسنة: (دارالولاء للطباعة والنشر، ط. الاولي 1428، بيروت).
- *- موسوعة المناسبات الإسلامية والعالمية: (مكتب الإمام الخامنئي في سورية، ط. الاولي 1428 هـ -).
- *- ذكريات شهري الحج: (مشعر للطباعة والنشر، ط. الاولي 1430 هـ -، ايران).
- *- بلاد الشام، أرض المقدسات: (مشعر للطباعة والنشر، ط. الاولي 1431 هـ -، ايران).
- *- مزارات أهل البيت عليهم السلام في إيران: (منشورات زائر، ط. الاولي 1431 هـ -، ايران).
- *- الإمام المهدي أمل المستضعفين: (انتشارات مسجد جمكران، ط. الاولي 1432 هـ -، ايران).

*- ثلاثون ليلة علي مائدة القرآن: (جمعية القرآن الكريم، ط. الاولي 1432 هـ -، بيروت).

*- مشكاة الأنوار: (انتشارات مسجد جمكران، ط. الاولي 1433 هـ -، ايران).

*- موسوعة الليالي والأيام (ثلاثة أجزاء)، (دارالولاء للطباعة والنشر، ط. الاولي 1433 هـ -، بيروت).

*- شمیم یار (بالفارسیة وهوتعریف بالعتبات فی العراق): (منظمة الحج والزيارة، ط. الاولي 1433 هـ -، ايران).

ص:637

الفهرس التفصلي للموضوعات

الفهرس الإجمالي للموضوعات 5

كلمة إدارة البحوث 9

تقديم 11

مقدمة المؤلف 13

المصباح الأول

قبسات من أنوار النبي الأعظم صلي الله عليه وآله

القبس الأول: ميلاد النبي الأكرم صلي الله عليه وآله 17

الحوادث العجيبة يوم ولادة النبي صلي الله عليه وآله 19

الإحتفال بذكرى المولد النبوي صلي الله عليه وآله 20

الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله محور الوحدة 21

القبس الثاني: السفر الأول للنبي صلي الله عليه وآله مع عمّه إلي الشام 23

القبس الثالث: النبي محمّد صلي الله عليه وآله في حلف الفضول 26

القبس الرابع: السفر الثاني للنبي صلي الله عليه وآله إلي الشام وزواجه بخديجة 28

الحبّ والإحترام المتبادل 30

ثمرة الزواج الميمون 31

ص: 639

القبس الخامس: بعثة النبيّ صلي الله عليه وآله وهبوط جبرئيل بالرسالة 34

الإختلاف في يوم المبعث 35

نظرية النزولين للقرآن 36

بماذا بعث النبيّ محمّد صلي الله عليه وآله 38

سهولة الشريعة الإسلاميّة وسموّ تعاليمها 39

القرآن الكريم 41

القبس السادس: إسراء النبيّ ومعراجه 43

بعض ما رآه النبيّ في المعراج 46

القبس السابع: النبيّ صلي الله عليه وآله في شعب أبي طالب 47

القبس الثامن: النبيّ صلي الله عليه وآله و عام الحزن 49

خديجة الكبرى أمّ المؤمنين عليها السلام 49

أبو طالب كافل الرسول صلي الله عليه وآله وناصره 51

القبس التاسع: هجرة النبيّ صلي الله عليه وآله إلي يثرب 54

قريش تتآمر لقتل النبي صلي الله عليه وآله 56

وصول النبيّ إلي يثرب وبناء أوّل مسجد في الإسلام 59

لحوق علي عليه السلام بالنبيّ في قباء 60

المدينة تهبّ لقدوم النبي صلي الله عليه وآله 61

النبي صلي الله عليه وآله وبناء المسجد في المدينة 62

وضع التاريخ الهجري 64

القبس العاشر: النبي صلي الله عليه وآله والمؤاخاة 66

أبعاد ونتائج التآخي بين المسلمين 68

النبي صلي الله عليه وآله وحقوق الإخوان 69

القبس الحادي عشر: النبي صلي الله عليه وآله و غزوة بدر الكبرى 70

ص:640

المعركة ونتائجها 72

دروس وعبر من غزوة بدر 73

بين بدر وكربلاء 73

القبس الثاني عشر: النبي صلي الله عليه وآله وتحويل قبلة المسلمين 75

كرامة علمية لرسول الله صلي الله عليه وآله 77

القبس الثالث عشر: النبي صلي الله عليه وآله وصلح الحديبية 78

التاريخ يعيد نفسه 80

شروط صلح الحديبية 81

القبس الرابع عشر: النبي صلي الله عليه وآله وفتح مكة المكرمة 83

العفو العام وكسر الأصنام 84

خطاب النبي صلي الله عليه وآله في المسجد الحرام 85

القبس الخامس عشر: وفاة إبراهيم ابن النبي صلي الله عليه وآله 87

القبس السادس عشر: النبي صلي الله عليه وآله في غزوة مؤتة 89

القبس السابع عشر: النبي صلي الله عليه وآله في غزوة تبوك 92

إستخلاف الإمام علي عليه السلام في المدينة 94

النبي صلي الله عليه وآله في طريقه إلي تبوك 95

المنافقون يخططون لإغتيال النبي 96

القبس الثامن عشر: النبي صلي الله عليه وآله في يوم المباهلة 98

القبس التاسع عشر: النبي صلي الله عليه وآله في حجة الوداع 100

خطبة الرسول صلي الله عليه وآله في المروة 102

النبي صلي الله عليه وآله في عرفات 103

من خطبة الرسول صلي الله عليه وآله في عرفات 103

النبي صلي الله عليه وآله في المشعر الحرام 105

ص: 641

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ 106

خطبة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَنِيِّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ 108

خطبة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ 109

واقعة غدِيرِ خَمٍّ 110

القبس العشرون: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى 112

من وصايا النَّبِيِّ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ 114

الرَّحِيلُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى 115

قبس الختام: الأخلاق النبوية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ 119

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ رَبِّهِ 120

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ نَفْسِهِ 121

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ زَوْجَاتِهِ 122

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ 122

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ عَامَةِ النَّاسِ 123

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ الصَّبِيَّانِ 124

علاقة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ الضَّعْفَاءِ 125

المصباح الثاني

قبسات من أنوار فاطمة الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

القبس الأول: ميلاد فاطمة الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ 129

القبس الثاني: هجرة الزهراء عليها السلام من مكَّة 132

القبس الثالث: زواج الزَّهْرَاءِ وَالْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ 133

القبس الرابع: من فضائل الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَمَنَاقِبِهَا 136

القبس الخامس: حزن الزهراء عليها السلام علي أبيها 138

ص: 642

القبس السادس: مواقف الزهراء عليها السلام بعد أبيها 140

القبس السابع: شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام 144

حزن أمير المؤمنين عليه السلام علي الزهراء عليها السلام 145

القبس الثامن: الأقوال في وفاة الزهراء عليها السلام و محلّ دفنها 147

الأقوال في محلّ دفن الزهراء عليها السلام 148

المصباح الثالث

قبسات من أنوار الإمام علي عليه السلام

تمهيد: الإمام علي عليه السلام وليد الكعبة وشهيد المحراب 153

القبس الأول: الإمام علي عليه السلام وليد الكعبة وريب النبي صلي الله عليه وآله 155

الإمام علي عليه السلام ريب النبي صلي الله عليه وآله 156

القبس الثاني: الإمام علي عليه السلام أول المؤمنين بالنبي صلي الله عليه وآله 158

القبس الثالث: مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي صلي الله عليه وآله 161

هجرة الإمام علي عليه السلام إلى المدينة المنورة 163

القبس الرابع: الإمام علي عليه السلام في غزوة بدر الكبرى 165

ثلاثة آلاف منقبة لعلي في ليلة 166

القبس الخامس: زوجات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده 168

زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام 168

سائر زواجات الإمام علي عليه السلام وأولاده 170

القبس السادس: دور علي عليه السلام في غزوة أحد 173

هزيمة المسلمين ووقوف الإمام عليه السلام 174

القبس السابع: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق (الأحزاب) 176

برز الإيمان كله إلى الشرك كله 177

ص: 643

القبس الثامن: الإمام علي عليه السلام و غزوة ذات السلاسل 181

القبس التاسع: فتح حصون خيبر بيد الإمام علي عليه السلام 183

أنا الذي سمّنتني امي حيدرة 184

حوائط فذك 187

خبر ردّ الشمس لعلي عليه السلام 188

القبس العاشر: أدوار الإمام علي عليه السلام في فتح مكّة المكرّمة 189

الدورالأول: أخذ الراية من سعد 189

الدور الثاني: تحطيم الأصنام 191

القبس الحادي عشر: الإمام علي عليه السلام في أرض طي 192

القبس الثاني عشر: علي عليه السلام يبلغ سورة براءة في الحج 194

القبس الثالث عشر: علي بن أبي طالب عليه السلام في اليمن 198

القبس الرابع عشر: علي عليه السلام يوم غدیر خم 201

نزول آية الولاية في مكّة 203

واقعة غدیر خم 203

الإستشهاد بواقعة الغدير 207

عيد الغدير في التّاريخ الإسلامي 208

حديث الغدير لا يقبل التأويل 210

بيان وتحليل لواقعة الغدير 211

القبس الخامس عشر: الإمام علي عليه السلام عند وفاة النبي صلي الله عليه وآله 213

من وصايا النّبي للإمام علي عليه السلام 216

القبس السادس عشر: البيعة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة 217

المبايعون لعلي والمتخلفون عنه 219

معطيات خلافة الإمام علي عليه السلام 222

ص: 644

القبس السابع عشر: علي عليه السلام يقاتل الناكثين (معركة الجمل) 227

علي عليه السلام يتخذ الكوفة عاصمةً لخلافته 229

القبس الثامن عشر: علي عليه السلام يقاتل القاسطين (وقعة صفين) 230

شهادة الصحابي عمّار رضي الله عنه 232

فتنة رفع المصاحف 234

مرحلة التحكيم 235

الحكمان في دومة الجندل 236

الإمام علي عليه السلام في الكوفة 238

القبس التاسع عشر: علي عليه السلام يقاتل المارقين (الخوارج في نهر وان) 239

الخوارج يتآمرون علي قتل علي عليه السلام 241

القبس العشرون: الإمام علي عليه السلام شهيد المحراب 244

فزت ورب الكعبة 247

ليلة شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام 249

شهادة الإمام علي عليه السلام وتجهيزه ودفنه 253

قبس الختام: مقتطفات من القصيدة الكثرية 256

المصباح الرابع

قبسات من أنوار الإمام الحسن عليه السلام

القبس الأول: ميلاد الحسن عليه السلام وإجراء السنن 261

القبس الثاني: ملامح من حياة الإمام الحسن عليه السلام 263

القبس الثالث: حرب الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية 268

غدروا بالحسن وهو في المدائن 269

القبس الرابع: صلح الحسن عليه السلام مع معاوية 272

ص: 645

شروط الصلح وبنودها 274

القبس الخامس: شهادة الحسن عليه السلام و مرآثيه 277

شهادة الإمام الحسن عليه السلام وتجهيزه ودفنه 278

المصباح الخامس

قبسات من أنوار الإمام الحسين عليه السلام

القبس الأول: ميلاد الحسين عليه السلام وإجراء السنن 285

القبس الثاني: ملامح من حياة الإمام الحسين عليه السلام 287

الإمام الحسين عليه السلام و مقدمات الثورة 289

القبس الثالث: المدينة إنطلاق ثورة الإمام الحسين عليه السلام 290

وصايا الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة 291

القبس الرابع: الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرّمة 294

أهل الكوفة يدعون الإمام الحسين عليه السلام 295

القبس الخامس: الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكّة 298

لقاء الحرّ بالإمام الحسين عليه السلام 302

القبس السابع: الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء 306

تاسوعاء محرم الحرام 307

ليلة عاشوراء من محرم 309

الإمام وأصحابه ليلة عاشوراء 311

القبس الثامن: يوم عاشوراء و شهادة الإمام الحسين عليه السلام 312

دفن شهدا كربلاء 314

القبس التاسع: زيارات الامام الحسين عليه السلام 316

المصباح السادس

قبسات من أنوار الإمام زين العابدين عليه السلام

القبس الأول: لمحات من سيرة الإمام السجاد عليه السلام 323

الإمام السجاد عليه السلام والدعاء 326

عرض موجز لرسالة الحقوق 326

القبس الثاني: علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء والكوفة 329

القبس الثالث: الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام 332

خطاب الإمام السَّجاد عليه السلام في الشام 333

القبس الرابع: الإمام السَّجاد عليه السلام في طريقه إلى المدينة 336

القبس الخامس: الإمام السجاد عليه السلام و الثورات بعد الطف 341

الإمام السجاد عليه السلام و واقعة الحرة 341

الإمام السجاد عليه السلام و قيام المختار 342

القبس السادس: شهادة الإمام السجاد عليه السلام 346

المصباح السابع

قبسات من أنوار الإمام الباقر عليه السلام

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الباقر عليه السلام 349

القبس الثاني: الجانب العبادي و الاجتماعي في الإمام الباقر عليه السلام 353

الجانب الاجتماعي في الإمام الباقر عليه السلام 353

القبس الثالث: الجانب العلمي في الإمام الباقر عليه السلام 355

القبس الرابع: الإمام الباقر عليه السلام في الشَّام 358

القبس الخامس: شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام 364

المصباح الثامن

قبسات من أنوار الإمام الصادق عليه السلام

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الصادق عليه السلام 369

القبس الثاني: المقام العلمي للإمام الصادق عليه السلام 373

الإمام الصادق عليه السلام والجامعة العلمية 376

القبس الثالث: الإمام الصادق عليه السلام وأبو حنيفة 379

القبس الرابع: الإمام الصادق عليه السلام والمجالس الحسينية 384

القبس الخامس: الإمام الصادق عليه السلام و ثورة زيد 385

القبس السادس: مواقف الإمام الصادق عليه السلام تجاه حركة العباسيين 388

الإمام الصادق عليه السلام يحذّر العلويين وشيعته 389

أبو مسلم يعرض الخلافة علي الإمام الصادق عليه السلام 391

القبس السابع: لقاءات الإمام جعفر الصادق عليه السلام مع جعفر المنصور 392

لقاء الإمام الصادق عليه السلام مع جعفر المنصور بالربذة 392

لقاء المنصور والإمام الصادق عليه السلام في الكوفة 393

آخر لقاء المنصور بالإمام الصادق عليه السلام بالمدينة 395

القبس الثامن: شهادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام 397

المصباح التاسع

قبسات من أنوار الإمام الكاظم عليه السلام

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الكاظم عليه السلام 401

القبس الثاني: الإمام الكاظم عليه السلام و خلفاء عصره 405

القبس الثالث: الإمام الكاظم عليه السلام في خلافة الرشيد 408

- الرشيد و الإمام الكاظم عليه السلام في المدينة 408
- الإمام الكاظم عليه السلام في البصرة 412
- القبس الرابع: حوارات بين الإمام الكاظم والرشيد في بغداد 414
- حدود فدك عند الإمام الكاظم عليه السلام 416
- القبس الخامس: الإمام الكاظم وصفوان الجمال 417
- القبس السادس: الإمام الكاظم وعلي بن يقطين 419
- القبس السابع: الإمام الكاظم وهشام بن الحكم 422
- القبس الثامن: الإمام الكاظم عليه السلام في سجون بغداد 425
- صلاة الإمام الكاظم في سجن السندي 426
- القبس التاسع: شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام 429
- المصباح العاشر
- قبسات من أنوار الإمام الرضا عليه السلام
- القبس الأول: الإمام الرضا عليه السلام في سطور مضيئة 433
- القبس الثاني: إمامة الرضا عليه السلام و خصائصه الأخلاقية و العبادية 435
- الإمامة عند الإمام الرضا عليه السلام 435
- أخلاق الإمام الرضا عليه السلام 436
- من وصايا الإمام الرضا عليه السلام 437
- عبادة الرضا عليه السلام من المدينة إلي مرو 439
- القبس الثالث: الرضا عليه السلام عالم آل محمد 440
- القبس الرابع: الإمام الرضا عليه السلام في طريقه إلي خراسان 445
- خارطة مسير الإمام الرضا عليه السلام 449

- الدَّوَّاعِ السِّيَاسِيَّةِ لَوْلَايَةِ الْعَهْدِ 453
- أَسْبَابُ قَبُولِ الْإِمَامِ بَوْلَايَةِ الْعَهْدِ 455
- وَلَايَةُ الْعَهْدِ، فِي نَظَرِ الْإِمَامِ الْخَامِنِيِّ (دَامَ ظِلُّهُ) 456
- الْمَأْمُونُ وَوَلَايَةُ الْعَهْدِ (دَوَائِعُ وَأَهْدَافُ) 457
- سِيَاسَةُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَجَاهَ الْمَأْمُونِ 458
- الْقَبْسُ السَّادِسُ: الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعْبِلُ الْخَزَاعِيِّ 461
- مَقْتَطَفَاتُ مِنَ الْقَصِيدَةِ التَّائِيَةِ لِدَعْبِلِ 463
- الْقَبْسُ السَّابِعُ: الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَرَوْ الْخِلَافَةِ إِلَى طُوسِ الشَّهَادَةِ 466
- الْمَأْمُونُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَغْدَادِ 467
- شَهَادَةُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طُوسِ 468
- الْقَبْسُ الثَّامِنُ: كِرَامَاتُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَضْلُ زِيَارَتِهِ 471
- فَضْلُ زِيَارَةِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ 473
- كَيْفِيَّةُ زِيَارَةِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ 474
- قَبْسُ الْخِتَامِ: أَهَمُّ الْمَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ فِي مَدِينَةِ مَشْهَدٍ وَضَوَائِحِهَا 476
- المصباح الحادي عشر
- قبسات من أنوار الإمام الجواد عليه السلام
- القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الجواد عليه السلام 483
- القبس الثاني: الإمامة المبكرة للجواد عليه السلام 486
- القبس الثالث: مناظرة الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم 489
- القبس الرابع: الحوار بين الإمام الجواد عليه السلام ويحيى بن أكثم 492
- القبس الخامس: حكم الجواد عليه السلام في حدّ السرقة 495

القبس السادس: شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام 497

ص:650

المصباح الثاني عشر

قبسات من أنوار الإمام الهادي عليه السلام

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الهادي عليه السلام 501

القبس الثاني: إشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلي سامراء 503

القبس الثالث: الإمام الهادي عليه السلام يجيب علي الإسئلة العويصة. 506

ابن السكّيت يسأل والإمام الهادي عليه السلام يجيب 506

ابن أكتّم يسأل والإمام الهادي عليه السلام يجيب 508

أجوبة الإمام الهادي عليه السلام 509

القبس الرابع: الإمام الهادي عليه السلام ينشد شعراً عند المتوكل 513

القبس الرابع: استجابة دعاء الإمام الهادي عليه السلام 515

القبس الخامس: الإمام الهادي عليه السلام والرجل الإصفهاني 517

القبس السادس: من كرامات الإمام الهادي عليه السلام 518

القبس السابع: الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام 520

القبس الثامن: شهادة الإمام علي الهادي عليه السلام 522

المصباح الثالث عشر

قبسات من أنوار الإمام الحسن العسكري عليه السلام

القبس الأول: لمحات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام 525

القبس الثاني: نشاطات الإمام الحسن العسكري عليه السلام 527

الأول: نصب الوكلاء، والنواب لدعم الشيعة 527

الثاني: الإعداد لعصر غيبة المهدي عليه السلام 528

القبس الثالث: من وصايا الإمام العسكري عليه السلام لشييعته 530

القبس الرابع: شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام 532

المصباح الرابع عشر

قبسات من أنوار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

القبس الأول: المهدي الموعود في الشرايع السماوية 535

المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف في روايات أهل السنة 538

القبس الثاني: ميلاد الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف 540

ولادة الإمام عليه السلام بين الإعلان والكتمان 542

القبس الثالث: الإمامة المبكرة للإمام المهدي عليه السلام 545

القبس الرابع: غيبة الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار 548

أسباب غيبة الإمام المنتظر عليه السلام 548

الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام 549

النواب الأربعة للإمام الغائب عليه السلام 551

الغيبة الكبرى للإمام المنتظر عليه السلام 553

ما الفائدة في وجود إمامٍ غائبٍ؟ 555

كيف عمّر الإمام عليه السلام إلى هذا اليوم؟ 556

القبس الخامس: مكان الإمام عليه السلام وأماكن رؤيته 559

المقدّس الأردبيلي يتشرف بلقاء الإمام عليه السلام 561

القبس السادس: حضور الإمام عليه السلام في الأماكن المقدّسة 563

القبس السابع: ماهو الإنتظار الحقيقي للظهور؟ 565

تكاليف المؤمنين زمن الغيبة 565

الدعاء للحجّة المنتظر 567

القبس الثامن: علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام 570

ص: 652

- العلائم المحتومة لظهور المهدي عليه السلام 571
- القبس التاسع: ظهور وقيام الإمام المهدي عليه السلام 574
- النبي عيسى، يقتدي بالإمام المهدي عليه السلام 575
- القبس العاشر: دور الإيرانيين في نهضة المهدي عليه السلام 577
- إيران الإسلام تُمهّد لظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف 579
- القبس الحادي عشر: دولة المستضعفين و المحرومين 581
- إنجازات الدولة الكريمة و بركاتها 582
- القبس الثاني عشر: شهادة الإمام الثاني عشر عليه السلام 585
- الملحق
- قبسات من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام 589
- القبس الأول: السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في سطور 589
- القبس الثاني: السيدة فاطمة في طريقها إلى قم 591
- خارطة مسير السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام 593
- القبس الثالث: وفاة السيدة فاطمة المعصومة بقم 594
- القبس الرابع: من كرامات كريمة أهل البيت عليهم السلام 597
- القبس الخامس: فضل زيارة فاطمة وكيفيتها 599
- فضل قم و أهلها و ذكر بعض معالمها الدينية 601
- قم في تاريخ الإسلام 601
- فضل قم و أهلها 602
- قم و أهلها قائمون مقام الحجة 603
- قم و مسجد جمكران المقدّس 604

قم معدن العلم والفضل 606

بعض مشاهير و مفاخر قم المقدسة 610

العلماء المدفونون في مقام السيدة المعصومة عليها السلام،... 612

أهم المعالم الدينية في قم وضواحيها 613

مسك الختام: فضل زيارة قبور أولياء الله 621

الزيارة الجامعة الصغيرة 622

زيارة ذرية رسول الله صلي الله عليه وآله 623

كلمة الشكر 625

فهرس المصادر 627

صدر للمؤلف 635

الفهرس التفصيلي للموضوعات 639

كلمة الشكر 625

فهرس المصادر 627

صدر للمؤلف 635

الفهرس التفصيلي للموضوعات 639

ص:654

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباهه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

